



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مَجْمَعُ الْبَيْتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَسَلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرِيِّ

مُسْتَوْفٍ وَتَمِيمٍ وَصَلِيٍّ

مَكْتَبَةُ مَطْبَعَةِ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ وَ مَكْتَبَةُ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ
تَدَاوَلَتْ بَيْنَهُمَا

الجزء الثامن

دار المعرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجمع البيان فى تفسير القرآن

كاتب:

طبرسى (معروف) ، امين الاسلام ابو على فضل بن حسن
(صاحب مجمع البيان و اعلام الورى و...)

نشرت فى الطباعة:

دار المعرفة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٣٨	مجمع البيان فى تفسير القرآن المجلد ٨
٣٨	اشاره
٣٨	اشاره
٤١	(٢٩) سورة العنكبوت مكيه و آياتها تسع و ستون (٤٩)
٤١	اشاره
٤١	[توضيح]
٤١	عدد آيها
٤١	اختلافها
٤١	فضلها
٤١	تفسيرها
٤١	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ٥]
٤١	اشاره
٤٣	القراءه
٤٣	الحجه
٤٣	الإعراب
٤٤	المعنى
٤٥	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦ الى ١٠]
٤٥	اشاره
٤٦	الإعراب
٤٧	المعنى
٤٨	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١١ الى ١٥]
٤٨	اشاره
٤٨	اللغه

الإعراب ٤٩

المعنى ٤٩

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ٢٠] ٥٠

اشاره ٥٠

القراءة ٥١

الحجه ٥١

الإعراب ٥١

المعنى ٥١

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٢١ الى ٢٥] ٥٢

اشاره ٥٢

القراءة ٥٣

الحجه ٥٣

المعنى ٥٤

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ٥٤

اشاره ٥٤

القراءة ٥٤

اللغه ٥٤

المعنى ٥٤

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣١ الى ٣٥] ٥٨

اشاره ٥٨

القراءة ٥٨

الحجه ٥٨

المعنى ٥٩

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ٥٩

اشاره ٥٩

اللغه ٦٠

الإعراب ٦١

المعنى ٦١

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٥] ٦٢

اشاره ٦٢

القرءاه ٦٢

الحجه و الإعراب ٦٢

اللغه ٦٣

المعنى ٦٣

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ٦٦

اشاره ٦٦

القرءاه ٦٧

الحجه ٦٧

اللغه ٦٧

الإعراب ٦٧

المعنى ٦٧

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥١ الى ٥٥] ٦٩

اشاره ٦٩

القرءاه ٧٠

الحجه ٧٠

الإعراب ٧٠

المعنى ٧٠

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ٧١

اشاره ٧١

القرءاه ٧١

الحجه ٧٢

الإعراب ٧٢

المعنى ٧٣

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٩] ٧٤

اشاره ٧٤

القراءه ٧٥

الحجه ٧٥

اللغه ٧٥

الإعراب ٧٥

المعنى ٧٥

(٣٠) سوره الروم مكيه و آياتها ستون (٦٠) ٧٧

اشاره ٧٧

[توضيح] ٧٧

عدد آيها ٧٧

اختلافها ٧٧

فضلها ٧٧

تفسيرها ٧٧

[سوره الروم (٣٠): الآيات ١ الى ٧] ٧٧

اشاره ٧٧

اللغه ٧٨

الإعراب ٧٨

المعنى ٧٨

[القصه] ٧٩

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٨ الى ١٠] ٨٠

اشاره ٨٠

القراءه ٨٠

الحجه ٨٠

المعنى ٨١

٨٢ [سوره الروم (٣٠): الآيات ١١ الى ٢٠]

٨٢ اشارة

٨٣ القراءة

٨٣ الحججه

٨٣ اللغه

٨٤ المعنى

٨٦ [سوره الروم (٣٠): الآيات ٢١ الى ٢٥]

٨٦ اشارة

٨٧ القراءة

٨٧ الحججه

٨٧ الإعراب

٨٨ المعنى

٨٩ [سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

٨٩ اشارة

٩٠ الإعراب

٩٠ المعنى

٩٣ [سوره الروم (٣٠): الآيات ٣١ الى ٣٥]

٩٣ اشارة

٩٣ القراءة

٩٣ اللغه

٩٣ المعنى

٩٤ [سوره الروم (٣٠): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

٩٤ اشارة

٩٥ القراءة

٩٥ الحججه

٩٦ المعنى

٩٧ [سوره الروم (٣٠): الآيات ٤١ الى ٤٥]

٩٧ اشاره

٩٨ اللغه

٩٨ المعنى

٩٩ [سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

٩٩ اشاره

١٠٠ القراءه

١٠٠ الحجه

١٠٠ الإعراب

١٠١ المعنى

١٠٢ [سوره الروم (٣٠): الآيات ٥١ الى ٥٥]

١٠٢ اشاره

١٠٣ القراءه

١٠٣ الإعراب

١٠٣ المعنى

١٠٤ [سوره الروم (٣٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

١٠٤ اشاره

١٠٤ القراءه

١٠٥ الحجه

١٠٥ المعنى

١٠٦ (٣١) سوره لقمان مكيه و آياتها أربع و ثلاثون (٣٤)

١٠٦ اشاره

١٠٦ [توضيح]

١٠٦ عدد آياتها

١٠٦ اختلافها

١٠٦ فضلها

١٠٦----- تفسيرها

١٠٦----- [سوره لقمان (٣١): الآيات ١ الى ١٠]

١٠٦----- اشاره

١٠٨----- القراءة

١٠٨----- الحججه

١٠٨----- الإعراب

١٠٩----- المعنى

١١١----- [سوره لقمان (٣١): الآيات ١١ الى ١٥]

١١١----- اشاره

١١١----- القراءة

١١١----- الحججه

١١٢----- الإعراب

١١٢----- المعنى

١١٤----- [فصل فى ذكر نبيذ من حكم لقمان]

١١٦----- [سوره لقمان (٣١): الآيات ١٦ الى ٢٠]

١١٦----- اشاره

١١٧----- القراءة

١١٧----- الحججه

١١٨----- المعنى

١٢٠----- [سوره لقمان (٣١): الآيات ٢١ الى ٢٥]

١٢٠----- اشاره

١٢١----- المعنى

١٢٢----- [سوره لقمان (٣١): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

١٢٢----- اشاره

١٢٢----- القراءة

١٢٢----- الحججه

المعنى ١٢٣

[سوره لقمان (٣١): الآيات ٣١ الى ٣٤] ١٢٤

اشاره ١٢٤

القراءه ١٢٤

الحجه ١٢٤

اللغه ١٢٤

الإعراب ١٢٥

المعنى ١٢٥

(٣٢) سوره السجده مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠) ١٢٧

اشاره ١٢٧

[توضيح] ١٢٧

عدد آيها ١٢٧

اختلافها ١٢٧

فضلها ١٢٧

تفسيرها ١٢٧

[سوره السجده (٣٢): الآيات ١ الى ٥] ١٢٧

اشاره ١٢٧

الإعراب ١٢٩

المعنى ١٢٩

[سوره السجده (٣٢): الآيات ٦ الى ١٠] ١٣١

اشاره ١٣١

القراءه ١٣١

الحجه ١٣١

المعنى ١٣٢

[سوره السجده (٣٢): الآيات ١١ الى ١٥] ١٣٣

اشاره ١٣٣

اللغه - ١٣٤

الإعراب - ١٣٤

المعنى - ١٣٤

[سوره السجده (٣٢): الآيات ١٦ الى ٢٠] - ١٣٤

اشاره - ١٣٤

القراءه - ١٣٤

الحجه - ١٣٤

اللغه - ١٣٧

المعنى - ١٣٧

[سوره السجده (٣٢): الآيات ٢١ الى ٢٥] - ١٣٩

اشاره - ١٣٩

القراءه - ١٤٠

الحجه - ١٤٠

المعنى - ١٤٠

[سوره السجده (٣٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠] - ١٤٢

اشاره - ١٤٢

القراءه - ١٤٢

الحجه - ١٤٢

اللغه - ١٤٣

الإعراب - ١٤٣

المعنى - ١٤٣

(٣٣) سوره الأحزاب مدنيه و آياتها ثلاث و سبعون (٧٣) - ١٤٥

اشاره - ١٤٥

[توضيح] - ١٤٥

فضلها - ١٤٥

تفسيرها - ١٤٥

١٤٥ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١ الى ٥]

١٤٥ اشاره

١٤٦ القراءه

١٤٦ الحججه

١٤٧ المعنى

١٤٩ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦ الى ١٠]

١٤٩ اشاره

١٥٠ القراءه

١٥٠ الحججه

١٥٠ الإعراب

١٥٠ المعنى

١٥٤ [قصه غزوه الخندق]

١٦٢ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١١ الى ٢٠]

١٦٢ اشاره

١٦٣ القراءه

١٦٣ الحججه

١٦٤ اللغه

١٦٥ المعنى

١٦٨ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢١ الى ٢٥]

١٦٨ اشاره

١٦٩ القراءه

١٦٩ اللغه

١٦٩ المعنى

١٧١ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٦ الى ٢٧]

١٧١ اشاره

١٧١ اللغه

١٧٢ [القصه]

١٧٤ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٨ الى ٣١]

١٧٤ اشارة

١٧٤ القراءة

١٧٥ الحججه

١٧٥ اللغه

١٧٦ المعنى

١٧٧ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٢ الى ٣٥]

١٧٧ اشارة

١٧٨ القراءة

١٧٨ الحججه

١٧٨ اللغه

١٧٨ الإعراب

١٧٩ المعنى

١٨٣ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

١٨٣ اشارة

١٨٤ القراءة

١٨٤ الحججه

١٨٤ اللغه

١٨٥ الإعراب

١٨٦ المعنى

١٩٠ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤١ الى ٤٨]

١٩٠ اشارة

١٩٠ المعنى

١٩٢ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٩ الى ٥٠]

١٩٢ اشارة

١٩٣ القراءه

١٩٣ الحججه

١٩٣ الإعراب

١٩٣ المعنى

١٩٥ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥١ الى ٥٥]

١٩٥ اشاره

١٩٦ القراءه

١٩٦ الحججه

١٩٦ اللغه

١٩٦ الإعراب

١٩٨ المعنى

٢٠١ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٦ الى ٦٢]

٢٠١ اشاره

٢٠٢ القراءه

٢٠٢ الحججه

٢٠٢ اللغه

٢٠٢ الإعراب

٢٠٢ المعنى

٢٠٥ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٣ الى ٦٩]

٢٠٥ اشاره

٢٠٦ القراءه

٢٠٦ الحججه

٢٠٦ المعنى

٢٠٨ [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٧٠ الى ٧٣]

٢٠٨ اشاره

٢٠٨ المعنى

٢١٢ (٣٤) سورة سبأ مكيه و آياتها أربع و خمسون (٥٤)

٢١٢ اشاره

٢١٢ عدد آيها

٢١٢ اختلافها

٢١٢ فضلها

٢١٢ تفسيرها

٢١٢ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ١ الى ٥]

٢١٢ اشاره

٢١٤ القراءه

٢١٤ الحججه

٢١٤ اللغه

٢١٥ الإعراب

٢١٥ المعنى

٢١٦ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٦ الى ٩]

٢١٦ اشاره

٢١٦ القراءه

٢١٦ الحججه

٢١٧ الإعراب

٢١٨ المعنى

٢١٩ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ١٠ الى ١٤]

٢١٩ اشاره

٢١٩ القراءه

٢٢٠ الحججه

٢٢٠ اللغه

٢٢١ الإعراب

٢٢٢ المعنى

٢٢٦ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ١٥ الى ١٩] -

٢٢٦ اشاره

٢٢٨ القراءة

٢٢٨ الحججه

٢٢٩ اللغه

٢٣٠ الإعراب

٢٣٠ المعنى

٢٣٢ [القصه]

٢٣٢ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٠ الى ٢٥] -

٢٣٢ اشاره

٢٣٣ القراءة

٢٣٣ الحججه

٢٣٤ اللغه

٢٣٤ الإعراب

٢٣٤ المعنى

٢٣٦ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٦ الى ٣٠] -

٢٣٦ اشاره

٢٣٧ الإعراب

٢٣٧ المعنى

٢٣٨ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣١ الى ٣٥] -

٢٣٨ اشاره

٢٣٨ الإعراب

٢٣٩ المعنى

٢٤٠ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣٦ الى ٤٠] -

٢٤٠ اشاره

٢٤١ القراءة

٢٤١ الحجه

٢٤١ الإعراب

٢٤١ المعنى

٢٤٤ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٤١ الى ٤٥]

٢٤٤ اشاره

٢٤٤ الإعراب

٢٤٤ المعنى

٢٤٥ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

٢٤٥ اشاره

٢٤٦ الإعراب

٢٤٦ المعنى

٢٤٧ [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٥١ الى ٥٤]

٢٤٧ اشاره

٢٤٨ القراءة

٢٤٨ الحجه

٢٤٨ المعنى

٢٥١ (٣٥) سوره فاطر مكيه و آياتها خمس و أربعون (٤٥)

٢٥١ اشاره

٢٥١ [توضيح]

٢٥١ عدد آيها

٢٥١ اختلافها

٢٥١ فضلها

٢٥١ تفسيرها

٢٥١ [سوره فاطر (٣٥): الآيات ١ الى ٥]

٢٥١ اشاره

٢٥٢ القراءة

٢٥٢ الحجه

٢٥٢ اللغه

٢٥٢ الإعراب

٢٥٢ المعنى

٢٥٤ [سوره فاطر (٣٥): الآيات ٦ الى ١٠]

٢٥٤ اشاره

٢٥٤ القراءة

٢٥٤ الإعراب

٢٥٤ المعنى

٢٥٤ [سوره فاطر (٣٥): الآيات ١١ الى ١٧]

٢٥٤ اشاره

٢٥٧ القراءة

٢٥٧ الحجه

٢٥٧ اللغه

٢٥٧ الإعراب

٢٥٧ المعنى

٢٥٩ [سوره فاطر (٣٥): الآيات ١٨ الى ٢٦]

٢٥٩ اشاره

٢٥٩ اللغه

٢٦٠ المعنى

٢٦١ [سوره فاطر (٣٥): الآيات ٢٧ الى ٣٠]

٢٦١ اشاره

٢٦١ اللغه

٢٦٢ الإعراب

٢٦٢ المعنى

٢٦٣ [سوره فاطر (٣٥): الآيات ٣١ الى ٣٥]

٢٦٣ اشارة

٢٦٤ القراءه

٢٦٤ اللغه

٢٦٤ الإعراب

٢٦٤ المعنى

٢٦٧ [سوره فاطر (٣٥): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

٢٦٧ اشارة

٢٦٧ القراءه

٢٦٧ الحجه

٢٦٨ اللغه

٢٦٨ الإعراب

٢٦٨ المعنى

٢٧١ [سوره فاطر (٣٥): الآيات ٤١ الى ٤٥]

٢٧١ اشارة

٢٧١ القراءه

٢٧١ الحجه

٢٧٢ الإعراب

٢٧٢ المعنى

٢٧٤ (٣٦) سوره يس مكيه و آياتها ثلاث و ثمانون (٨٣)

٢٧٤ اشارة

٢٧٤ [توضيح]

٢٧٤ عدد آيها

٢٧٤ اختلافها

٢٧٤ فضلها

٢٧٤ تفسيرها

٢٧٤ [سوره يس (٣٦): الآيات ١ الى ١٠]

٢٧٤ اشارة

٢٧٧ القراءه

٢٧٧ الحججه

٢٧٨ اللغه

٢٧٩ المعنى

٢٨١ [سوره يس (٣٦): الآيات ١١ الى ٢٠]

٢٨١ اشارة

٢٨٢ القراءه

٢٨٢ الحججه

٢٨٢ الإعراب

٢٨٢ المعنى

٢٨٥ [سوره يس (٣٦): الآيات ٢١ الى ٣٠]

٢٨٥ اشارة

٢٨٦ القراءه

٢٨٦ الحججه

٢٨٧ المعنى

٢٨٩ [سوره يس (٣٦): الآيات ٣١ الى ٣٥]

٢٨٩ اشارة

٢٨٩ القراءه

٢٨٩ الحججه

٢٨٩ الإعراب

٢٨٩ المعنى

٢٩٠ [سوره يس (٣٦): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

٢٩٠ اشارة

٢٩١ القراءه

٢٩١ الحججه

٢٩١ اللغه

٢٩٢ المعنى

٢٩٤ [سوره يس (٣٦): الآيات ٤١ الى ٥٠]

٢٩٤ اشاره

٢٩٤ القراءه

٢٩٤ الحججه

٢٩٥ اللغه

٢٩٥ الإعراب

٢٩٥ المعنى

٢٩٧ [سوره يس (٣٦): الآيات ٥١ الى ٦٠]

٢٩٧ اشاره

٢٩٧ القراءه

٢٩٨ الحججه

٢٩٨ اللغه

٢٩٩ المعنى

٣٠١ [سوره يس (٣٦): الآيات ٦١ الى ٦٥]

٣٠١ اشاره

٣٠١ القراءه

٣٠١ الحججه

٣٠١ المعنى

٣٠٢ [سوره يس (٣٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

٣٠٢ اشاره

٣٠٢ القراءه

٣٠٢ الحججه

٣٠٣ اللغه

٣٠٣ الإعراب

المعنى - ٣٠٣ -----

[سوره يس (٣٦): الآيات ٧١ الى ٧٦] ----- ٣٠٥

اشاره ----- ٣٠٥

القراءه ----- ٣٠٦

الحجه ----- ٣٠٦

المعنى ----- ٣٠٦

[سوره يس (٣٦): الآيات ٧٧ الى ٨٣] ----- ٣٠٧

اشاره ----- ٣٠٧

القراءه ----- ٣٠٨

الإعراب ----- ٣٠٨

المعنى ----- ٣٠٨

(٣٧) سوره الصافات مكيه و آياتها ثنتان و ثمانون و مائه (١٨٢) ----- ٣١٢

اشاره ----- ٣١٢

عدد آيها ----- ٣١٢

اختلافها ----- ٣١٢

فضلها ----- ٣١٢

تفسيرها ----- ٣١٢

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١ الى ١٠] ----- ٣١٢

اشاره ----- ٣١٢

القراءه ----- ٣١٤

الحجه ----- ٣١٤

اللغه ----- ٣١٥

الإعراب ----- ٣١٥

المعنى ----- ٣١٥

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١١ الى ٢٠] ----- ٣١٧

اشاره ----- ٣١٧

٣١٧ القراءه

٣١٧ الحججه

٣١٨ اللغه

٣١٨ المعنى

٣١٩ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ٢١ الى ٣٠]

٣١٩ اشاره

٣٢٠ المعنى

٣٢١ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ٣١ الى ٤٠]

٣٢١ اشاره

٣٢١ المعنى

٣٢٢ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ٤١ الى ٥٠]

٣٢٢ اشاره

٣٢٣ القراءه

٣٢٣ الحججه

٣٢٣ اللغه

٣٢٥ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ٥١ الى ٦٠]

٣٢٥ اشاره

٣٢٥ القراءه

٣٢٥ الحججه

٣٢٥ الإعراب

٣٢٥ المعنى

٣٢٦ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ٦١ الى ٧٠]

٣٢٦ اشاره

٣٢٧ اللغه

٣٢٧ المعنى

٣٣٠ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ٧١ الى ٨٢]

٣٣٠ اشارة

٣٣٠ المعنى

٣٣٢ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ٨٣ الى ١٠٠]

٣٣٢ اشارة

٣٣٢ القراءه

٣٣٢ الحجه

٣٣٣ اللغه

٣٣٣ المعنى

٣٣٤ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٠١ الى ١١٣]

٣٣٤ اشارة

٣٣٧ القراءه

٣٣٧ الحجه

٣٣٧ اللغه

٣٣٨ الإعراب

٣٣٨ المعنى

٣٤٣ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١١٤ الى ١٢٢]

٣٤٣ اشارة

٣٤٣ اللغه

٣٤٣ المعنى

٣٤٥ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٢٣ الى ١٢٢]

٣٤٥ اشارة

٣٤٥ القراءه

٣٤٥ الحجه

٣٤٤ الإعراب

٣٤٤ المعنى

٣٤٧ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٣٣ الى ١٤٨]

٣٤٧ اشارة

٣٤٧ القراءه

٣٤٧ اللغه

٣٤٨ الإعراب

٣٤٨ المعنى

٣٥٠ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٤٩ الى ١٦٠]

٣٥٠ اشارة

٣٥٠ القراءه

٣٥٠ الحجه

٣٥١ المعنى

٣٥٢ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٦١ الى ١٧٠]

٣٥٢ اشارة

٣٥٢ القراءه

٣٥٢ الحجه

٣٥٢ اللغه

٣٥٢ المعنى

٣٥٣ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٧١ الى ١٨٢]

٣٥٣ اشارة

٣٥٤ المعنى

٣٥٤ (٣٨) سوره ص مكيه و آياتها ثمان و ثمانون (٨٨)

٣٥٤ اشارة

٣٥٤ عدد آيها

٣٥٤ اختلافها

٣٥٤ فضلها

٣٥٤ تفسيرها

٣٥٤ [سوره ص (٣٨): الآيات ١ الى ٥]

٣٥٦ اشارة

٣٥٨ القراءة

٣٥٨ الحججه

٣٦٠ المعنى

٣٦٠ [سوره ص (٣٨): الآيات ٦ الى ١٠]

٣٦٠ اشارة

٣٦١ اللغه

٣٦١ الإعراب

٣٦١ المعنى

٣٦٢ [سوره ص (٣٨): الآيات ١١ الى ١٥]

٣٦٢ اشارة

٣٦٢ القراءة

٣٦٢ الحججه

٣٦٢ اللغه

٣٦٣ الإعراب

٣٦٣ المعنى

٣٦٤ [سوره ص (٣٨): الآيات ١٦ الى ٢٠]

٣٦٤ اشارة

٣٦٤ اللغه

٣٦٥ المعنى

٣٦٦ [سوره ص (٣٨): الآيات ٢١ الى ٢٥]

٣٦٦ اشارة

٣٦٦ القراءة

٣٦٧ الحججه

٣٦٧ اللغه

٣٦٨ المعنى

٣٧٠ [سوره ص (٣٨): الآيات ٢٦ الى ٢٩]

٣٧٠ اشاره

٣٧١ القراءه

٣٧١ الحججه

٣٧١ اللغه

٣٧١ المعنى

٣٧٢ [سوره ص (٣٨): الآيات ٣٠ الى ٤٠]

٣٧٢ اشاره

٣٧٣ اللغه

٣٧٣ المعنى

٣٧٨ [سوره ص (٣٨): الآيات ٤١ الى ٤٤]

٣٧٨ اشاره

٣٧٨ القراءه

٣٧٩ الحججه

٣٧٩ اللغه

٣٧٩ المعنى

٣٨٢ [سوره ص (٣٨): الآيات ٤٥ الى ٥٤]

٣٨٢ اشاره

٣٨٢ القراءه

٣٨٢ الحججه

٣٨٤ الإعراب

٣٨٤ المعنى

٣٨٦ [سوره ص (٣٨): الآيات ٥٥ الى ٦١]

٣٨٦ اشاره

٣٨٦ القراءه

٣٨٦ الحججه

اللغة - ٣٨٧

المعنى - ٣٨٨

[سوره ص (٣٨): الآيات ٦٢ الى ٧٠] - ٣٨٩

اشاره - ٣٨٩

القراءه - ٣٨٩

الحجه - ٣٨٩

المعنى - ٣٩٠

[سوره ص (٣٨): الآيات ٧١ الى ٨٣] - ٣٩١

اشاره - ٣٩١

المعنى - ٣٩٢

[سوره ص (٣٨): الآيات ٨٤ الى ٨٨] - ٣٩٣

اشاره - ٣٩٣

القراءه - ٣٩٣

الحجه - ٣٩٤

المعنى - ٣٩٤

(٣٩) سوره الزمر مكيه و آياتها خمس و سبعون (٧٥) - ٣٩٥

اشاره - ٣٩٥

[توضيح] - ٣٩٥

عدد آيها - ٣٩٥

اختلافها - ٣٩٥

فضلها - ٣٩٥

تفسيرها - ٣٩٥

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ١ الى ٥] - ٣٩٥

اشاره - ٣٩٥

اللغة - ٣٩٧

الإعراب - ٣٩٧

المعنى ٣٩٧

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ١٠ الى ١٠] ٣٩٩

اشاره ٣٩٩

القراءة ٤٠٠

الحجه ٤٠٠

اللغه ٤٠٠

الإعراب ٤٠١

المعنى ٤٠١

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ١١ الى ٢٠] ٤٠٤

اشاره ٤٠٤

اللغه ٤٠٤

الإعراب ٤٠٤

المعنى ٤٠٥

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٢١ الى ٢٥] ٤٠٧

اشاره ٤٠٧

اللغه ٤٠٧

الإعراب ٤٠٧

المعنى ٤٠٨

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٢٦ الى ٣١] ٤١٠

اشاره ٤١٠

القراءة ٤١٠

الحجه ٤١٠

اللغه ٤١٠

الإعراب ٤١١

المعنى ٤١١

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٣٢ الى ٣٥] ٤١٢

٤١٢ اشارة

٤١٢ الإعراب

٤١٢ المعنى

٤١٣ [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

٤١٣ اشارة

٤١٤ القراءة

٤١٤ الحججه

٤١٤ المعنى

٤١٥ [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤١ الى ٤٥]

٤١٥ اشارة

٤١٦ القراءة

٤١٦ الحججه

٤١٦ اللغه

٤١٦ المعنى

٤١٨ [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

٤١٨ اشارة

٤١٩ المعنى

٤٢٠ [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٥١ الى ٥٥]

٤٢٠ اشارة

٤٢٠ المعنى

٤٢١ [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

٤٢١ اشارة

٤٢٢ القراءة

٤٢٢ الحججه

٤٢٢ اللغه

٤٢٣ المعنى

٤٢٤ [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦١ الى ٦٦]

٤٢٤ اشاره

٤٢٤ القراءة

٤٢٤ الحججه

٤٢٥ المعنى

٤٢٦ [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦٧ الى ٧٠]

٤٢٦ اشاره

٤٢٧ الإعراب

٤٢٧ المعنى

٤٢٩ [سوره الزمر (٣٩): الآيات ٧١ الى ٧٥]

٤٢٩ اشاره

٤٣٠ القراءة

٤٣٠ الحججه

٤٣٠ اللغة

٤٣١ المعنى

٤٣٣ (٤٠) سوره غافر مكيه و آياتها خمس و ثمانون (٨٥)

٤٣٣ اشاره

٤٣٣ [توضيح]

٤٣٣ عدد آيها

٤٣٣ اختلافها

٤٣٣ فضلها

٤٣٥ تفسيرها

٤٣٥ [سوره غافر (٤٠): الآيات ١ الى ٥]

٤٣٥ اشاره

٤٣٥ القراءة

٤٣٥ اللغة

الإعراب ٤٣٦

المعنى ٤٣٦

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٦ الى ١٠] ٤٣٧

اشاره ٤٣٧

القراءه ٤٣٨

الحجه ٤٣٨

الإعراب ٤٣٨

المعنى ٤٣٩

[سوره غافر (٤٠): الآيات ١١ الى ١٧] ٤٤٠

اشاره ٤٤٠

القراءه ٤٤٠

الحجه ٤٤١

الإعراب ٤٤١

المعنى ٤٤١

[سوره غافر (٤٠): الآيات ١٨ الى ٢٠] ٤٤٢

اشاره ٤٤٢

القراءه ٤٤٢

الحجه ٤٤٢

اللغه ٤٤٢

الإعراب ٤٤٤

المعنى ٤٤٤

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٢١ الى ٢٥] ٤٤٤

اشاره ٤٤٤

القراءه ٤٤٤

الحجه ٤٤٤

المعنى ٤٤٤

٤٤٧ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

٤٤٧ اشاره

٤٤٨ القراءه

٤٤٨ الحججه

٤٤٨ المعنى

٤٥٠ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٣١ الى ٣٥]

٤٥٠ اشاره

٤٥٠ القراءه

٤٥٠ الحججه

٤٥١ اللغه

٤٥١ المعنى

٤٥٢ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

٤٥٢ اشاره

٤٥٣ القراءه

٤٥٣ الحججه

٤٥٣ اللغه

٤٥٣ المعنى

٤٥٤ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٤١ الى ٤٦]

٤٥٤ اشاره

٤٥٥ القراءه

٤٥٥ الحججه

٤٥٥ المعنى

٤٥٦ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٤٧ الى ٥٠]

٤٥٦ اشاره

٤٥٧ اللغه

٤٥٧ الإعراب

٤٥٧ المعنى

٤٥٨ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٥١ الى ٥٥]

٤٥٨ اشاره

٤٥٨ القراءه

٤٥٨ الحججه

٤٥٨ الإعراب

٤٥٨ المعنى

٤٥٩ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

٤٥٩ اشاره

٤٦٠ القراءه

٤٦٠ الحججه

٤٦٠ المعنى

٤٦٢ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٦١ الى ٦٥]

٤٦٢ اشاره

٤٦٢ المعنى

٤٦٣ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

٤٦٣ اشاره

٤٦٤ المعنى

٤٦٥ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٧١ الى ٧٥]

٤٦٥ اشاره

٤٦٥ القراءه

٤٦٥ الحججه

٤٦٥ اللغه

٤٦٦ المعنى

٤٦٧ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٧٦ الى ٨٠]

٤٦٧ اشاره

٤٦٧ المعنى

٤٦٨ [سوره غافر (٤٠): الآيات ٨١ الى ٨٥]

٤٦٨ اشاره

٤٧٠ المعنى

٤٧٢ تعريف مركز

مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد ٨

اشاره

سرشناسه: طبرسي، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان في تفسير القرآن

تاليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسي

مصصح: هاشم رسولي

مصصح: فضل الله يزدي طباطبائي

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهري: ١٠ ج.

يادداشت: عربي

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

(٢٩) سورة العنكبوت مكيه و آياتها تسع و ستون (٦٩)

اشاره

[توضيح]

مكيه كلها فى قول عكرمه و عطاء و الكلبي و مدنيه فى أحد القولين عن ابن عباس و قتاده و مكيه إلا عشر آيات من أولها فإنها مدنيه عن الحسن و فى أحد القولين عن ابن عباس و هو عن يحيى بن سلام.

عدد آياتها

تسع و ستون آيه بالإجماع

اختلافها

ثلاث آيات «الم» كوفى و «تَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ» حجازى «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» بصرى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين و المنافقين و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) من قرأ سورة العنكبوت و الروم فى شهر رمضان ليله ثلاث و عشرين فهو و الله يا أبا محمد من أهل الجنة لا أستثنى فيه أبدا و لا أخاف أن يكتب الله على فى يمينى إثمًا و أن لهاتين السورتين من الله مكانا.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة القصص بذكر الوعد و الوعيد و افتتح هذه السوره بذكر تكليف العبيد فقال

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥)

قرأ على (عليه السلام) فليعلمن الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين بضم الياء و كسر اللام فيهما و هو المروى عن جعفر ابن محمد و محمد بن عبد الله بن الحسن و وافقهم الزهرى فى و ليعلمن الكاذبين و قرأ أيضا و ليعلمن المنافقين.

الحجه

معناه ليعرفن الناس من هم فحذف المفعول الأول كما قال سبحانه يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ و قال يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ و قال وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً و يجوز أن يكون من قولهم ثوب معلم و فارس معلم بالكسر إذا أعلم نفسه فى الحرب فيكون معناه و ليشهرن فيرجع إلى المعنى الأول لأنه على تقدير حذف المفعول و يجوز أن يكون على حذف المفعول الثانى أى و ليعلمن الصادقين ثواب صدقهم و الكاذبين عقاب كذبهم.

الإعراب

قال الزجاج موضع أن الأولى نصب باسم حسب و خبره و موضع أن الثانى نصب من جهتين أجودهما أن تكون منصوبه بتركوا فيكون المعنى أ حسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا أو بأن يقولوا فلما حذف حرف الخفض وصل يتركوا إلى أن فنصب و يجوز أن تكون أن الثانى العامل فيها حسب أى حسب الناس أن يقولوا آمنا و هم لا- يفتنون قال أبو على أما ما ذكره من أنه نصب بتركوا فإنه بين السقوط لأن ترك فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا بنى للمفعول لم يتعد إلى آخر فإن يقولوا لا يتعلق به و لا يتعدى إليه حتى يقدر حرف ثم يقدر الحذف فيصل الفعل و أما ما ذكره من انتصابه فلا يخلو إذا قدر انتصابه به من أن يكون مفعولا أولا أو ثانيا أو صفه أو بدلا فلا يكون مفعولا أولا لتعديه إلى المفعول الذى قبله و هو الترك و لا يجوز أن يكون مفعولا ثانيا من وجهين (أحدهما) أن باب ظننت و أخواته إذا تعدى إلى هذا الضرب من المفعول لم يتعد إلى مفعول ثان ظاهر فى اللفظ (و الآخر) أن المفعول الثانى هو الأول فى المعنى و ليس القول الترك و لا يكون أيضا بدلا لأنه ليس الأول و لا بعضه مشتملا عليه و لا يكون أيضا صفه لأن أن الثانى لحسب و عمله فيها لا يخلو مما ذكرناه فإذا لم يستقم

حملة على شىء مما ذكرناه تبينت موضع إغفاله فى المسأله و أقول و بالله التوفيق إن البدل هنا صحيح فإنه إذا قال أحسبوا أن يقولوا آمنوا و هم لا- يفتنون و قوله «وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» جملة فى موضع الحال فكأنه قال أحسبوا أن يدعو الإيمان غير مختبرين ممتحنين بمشاق التكليف فيكون التقدير فى معنى الآيه أحسبوا أن يتركوا أحسبوا أن يهملوا و لا شك أن الإهمال فى معنى الترك فيكون الثانى فى معنى الأول بعينه و أما الوجه الأول فإنك لو قدرت اللام فقلت لأن يقولوا أو الباء فقلت بأن يقولوا فلا شك أن الحرف يتعلق بتركوا فإن الجار و المجرور فى موضع نصب به فتساهل الزجاج فى العبارة عن المجرور بأنه منصوب و قوله «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» ما هذه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون اسما مفردا نكره فى موضع النصب على التمييز و التقدير ساء حكما يحكمون (و الثانى) أن يكون حرفا موصولا و يحكمون صلته و تقديره ساء الحكم حكمهم.

النزول

قيل نزلت الآيه فى عمار بن ياسر و كان يعذب فى الله عن ابن جريج و قيل نزلت فى أناس مسلمين كانوا بمكة فكتب إليهم من كان فى المدينة أنه لا- يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فأذوهم و قاتلوهم فمنهم من قتل و منهم من نجا عن الشعبى و قيل أنه أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمه بن هشام و عياش ابن أبى ربيعة و الوليد بن الوليد و عمار بن ياسر و غيرهم عن ابن عباس.

المعنى

«الْمَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» أى أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط و يقتصر منهم على هذا القدر و لا يمتحنون بما تبين به حقيقه إيمانهم هذا لا يكون و هذا استفهام إنكار و توبيخ و

قيل إن معنى يفتنون يتلون فى أنفسهم و أموالهم عن مجاهد و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و يكون المعنى و لا يشدد عليهم التكليف و التعب و لا يؤمرون و لا ينهون و قيل معناه و لا يصابون بشدائد الدنيا و مصائبها أى أنها لا- تندفع بقولهم آمنوا و قال الحسن معناه أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا لا إله إلا الله و لا يختبروا أ صدقوا أم كذبوا يعنى أن مجرد الإقرار لا- يكفى و الأولى حملة على الجميع إذ لا- تنافى فإن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع و يمتحن فى النفس و المال و يمنى بالشدائد و الهموم و المكاره فينبغى أن يوطن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى و لقد ابتلينا الذين من قبل أمه محمد ص من سالف الأمم بالفرائض التى افترضناها عليهم أو بالشدائد و المصائب على حسب اختلافهم و ذكر ذلك تسليه للمؤمنين قال ابن عباس منهم إبراهيم خليل الرحمن و قوم

كانوا معه و من بعده نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه و قال غيره يعنى بنى إسرائيل ابتلوا بفرعون يسومونهم سوء العذاب «فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» فى إيمانهم «وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» فيه و إنما قال فليعلمن مع أن الله سبحانه كان عالما فيما لم يزل بأن المعلوم سيحدث لأنه لا يصح وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه عالم بأنه حادث و إنما يعلمه حادثا إذا حدث و قيل معناه فليميزن الله الذين صدقوا من الذين كذبوا بالجزاء و المكافاه و عبر عن الجزاء و التمييز بالعلم لأن كل ذلك إنما يحصل بالعلم فأقام السبب مقام المسبب و مثله فى إقامه السبب مقام المسبب قوله تعالى «كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامِ» فهذا سبب قضاء الحاجه فكفى بذكره عنها و معنى صدقوا أى ثبتوا على الشدائد و كذبوا أى لم يثبتوا و منه قول زهير:

إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

«أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا» أم هذه استفهام منقطع عما قبله و ليست التى هى معادله الهمزه و المعنى بل أ حسب الذين يفعلون الكفر و القبائح أن يفوتونا فوت السابق لغيره و يعجزونا فلا- نقدر على أخذهم و الانتقام منهم «ساء ما يَحْكُمُونَ» أى بسئ الشىء الذى يحكمون ظنهم أنهم يفوتونا

و روى العياشى بالإسناد عن أبى الحسن (عليه السلام) قال جاء العباس إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له امش حتى نباع لك الناس فقال أ تراهم فاعلين قال نعم فأين قول الله «الم أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا» الآيات

«مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ» أى من كان يأمل لقاء ثواب الله و قيل معناه من كان يخاف عقاب الله عن سعيد بن جبير و السدى و الرجاء قد يكون بمعنى الخوف كما فى قول الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و حالفها فى بيت نوب عواسل

و المعنى من كان يخشى البعث و يخاف الجزاء و الحساب أو يأمل الثواب فليبادر بالطاعة قبل أن يلحقه الأجل «فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ» أى الوقت الذى وقته الله للثواب و العقاب جاء لا محاله «وَهُوَ السَّمِيعُ» لأقوالكم «الْعَلِيمُ» بما فى ضمائرهم.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦ الى ١٠]

اشاره

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)

ص: ٧

حسنا مفعول فعل محذوف تقديره و وصينا الإنسان بأن يفعل بوالديه حسنا أى ما يحسن «ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» موصول و صلته فى موضع نصب بأنه مفعول تشارك.

النزول

قال الكلبي نزلت الآية الأخيرة فى عياش بن أبى ربيعة المخزومي و ذلك أنه أسلم فخاف أهل بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي ص فحلفت أمه أسماء بنت مخزومه بن أبى جندل التميمي أن لا تأكل و لا تشرب و لا تغسل رأسها و لا تدخل كنا حتى يرجع إليها فلما رأى ابناها أبو جهل و الحرث ابنا هشام و هما أخوا عياش لأمه جزعها ركبا فى طلبه حتى أتيا المدينة فلقياها و ذكرا له القصة فلم يزالا- به حتى أخذ عليهما الموائيق أن لا- يصرفاه عن دينه و تبعهما و قد كانت أمه صبرت ثلاثة أيام ثم أكلت و شربت فلما خرجوا من المدينة أخذاه و أوثقاه كثافا و جلده كل واحد منهما مائة جلده حتى برىء من دين محمد ص جزعا من الضرب و قال ما لا ينبغى فنزلت الآية و كان الحرث أشدهما عليه فحلف عياش لئن قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حيناً ثم هاجر النبي ص و المؤمنون إلى المدينة و هاجر عياش و حسن إسلامه و أسلم الحرث بن هشام و هاجر إلى

المدينه و بايع النبي ص على الإسلام و لم يحضر عياش فلقيه عياش يوما بظهر قبا و لم يشعر بإسلامه فضرب عنقه فقتل له إن الرجل قد أسلم فاسترجع عياش و بكى ثم أتى النبي ص فأخبره بذلك فنزل «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً» الآية و قيل نزلت الآية في ناس من المنافقين يقولون آمنا فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك عن الضحاك و قيل نزلت في قوم ردهم المشركون إلى مكة عن قتاده.

المعنى

لما رغب سبحانه في تحقيق الرجاء و الخوف بفعل الطاعة عقبه بالترغيب في المجاهدة فقال «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ» أى و من جاهد الشيطان بدفع وسوسته و إغوائه و جاهد أعداء الدين لإحيائه و جاهد نفسه التى هى أعدى أعدائه فإنما يجاهد لنفسه لأن ثواب ذلك عائد عليه و واصل إليه دون الله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» غير محتاج إلى طاعتهم فلا يأمرهم و لا ينهاهم لمنفعه ترجع إليه بل لمنفعتهم «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» التى اقترفوها قبل ذلك أى لنطلبنها حتى تصير كأنهم لم يعملوها «وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى يجزيهم بأحسن أعمالهم و هو ما أمروا به من العبادات و الطاعات و المعنى لنكفرن سيئاتهم السابقة منهم فى حال الكفر و لنجزيهم بحسناتهم التى عملوها فى الإسلام و لما أمر سبحانه بمجاهدة الكفار و مباينتهم بين حال الوالدين فى ذلك فقال «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ» أى أمرناه أن يفعل بوالديه «حُسْنًا» و ألزمناه ذلك ثم خاطب سبحانه كل واحد من الناس فقال «وَأِنْ جَاهَدَاكَ» أى و إن جاهداك أبواك أيها الإنسان و ألزماك و استفرغا مجهودهما فى دعائك «لِتُشْرِكَ بِي» فى العبادة «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» أى و ليس لأحد به علم «فَلَا تُطِعْهُمَا» فى ذلك فأمر سبحانه إطاعه الوالدين فى الواجبات حتما و فى المباحات ندبا و نهى عن طاعتهما فى المحظورات و نفى العلم به كأنه كناية عن تعريه من الأدله لأنه إذا لم يكن عليه حجه و دليل لم يحصل العلم به فلا يحسن اعتقاده «إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ» أى إلى حكمى مصيركم «فَأَتَّبِعْكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى أخبركم بأعمالكم فأجازيكم عليها و روى عن سعد بن أبى وقاص قال كنت رجلا برا بأمى فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الدين الذى أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل و لا أشرب حتى أموت فتعير بى فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلنى يا أمه إنى لا أدع دينى هذا لشىء قال فمكثت يوما لا تأكل و ليله ثم مكثت يوما آخر و ليله فما رأيت ذلك قلت و الله يا أمه لو كانت لك مائه نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا فكلى و اشربى و إن شئت فلا- تأكلى و لا تشربى فلما رأت ذلك أكلت فأنزلت هذه الآية «وَأِنْ جَاهَدَاكَ» و أمه حمه بنت أبى سفيان بن أميه بن عبد شمس و

روى عن بهر بن أبى حكيم عن أبيه عن جده قال قلت للنبي ص يا

رسول الله من أبر قال أمك قلت ثم من قال ثم أمك قلت ثم من قال ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب

و

عن أنس بن مالك عن النبي ص قال الجنة تحت أقدام الأمهات

ثم قال سبحانه «وَالَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بوحدانية الله تعالى و إخلاص العبادة له «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ» أى فى زمريهم و جملتهم فى الجنة و لما ذكر سبحانه خيار المؤمنين عقبه بذكر ضعفائهم و قيل بل عقبه بذكر المنافقين فقال «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ» بلسانه «فَإِذَا أُذِي فِي اللَّهِ» أى فى دين الله أو فى ذات الله «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ» و المعنى فإذا أذى بسبب دين الله رجح عن الدين مخافه عذاب الناس كما ينبغى للكافر أن يترك دينه مخافه عذاب الله فيسوى بين عذاب فإن منقطع و بين عذاب دائم غير منقطع أبدا لقله تمييزه و سمي أذيه الناس فتنه لما فى احتمالها من المشقه «وَلَمَّا جَاءَ نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ» يا محمد أى و لئن جاء نصر من الله للمؤمنين و دوله لأولياء الله على الكافرين «لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» أى ليقولن هؤلاء المنافقون للمؤمنين إنا كنا معكم على عدوكم طمعا فى الغنيمه ثم كذبهم الله فقال «أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ» من الإيمان و النفاق فلا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١١ الى ١٥]

اشاره

وَلَيُعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيُعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَ لَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)

اللغه

الثقل متاع البيت و جمعه أثقال و هو من الثقل يقال ارتحل القوم بثقلهم و ثقلتهم أى بامتعتهم و منه

الحديث إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى و إنهما لن يفترقا

ص: ١٠

قال ثعلب سميا به لأن الأخذ بموجبهما ثقيل و قال غيره إن العرب تقول لكل شىء خطير نفيس ثقل فسماهما ثقلين تفخيما لشأنهما و كل شىء يتنافس فيه فهو ثقل و منه سمى الجن و الإنس ثقلين لأنهما فضلا على غيرهما من الخلق و الطوفان الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرتة فى نواحي الأرض قال الراجز:

" أفنهم الطوفان موت جارف "

الجرف الأخذ الكثير و قد جرفت الشىء أجرفه بالضم جرفا أى ذهبته كله شبه الموت فى كثرتة بالطوفان.

الإعراب

قوله «بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ» تقديره و ما هم بحاملين من شىء من خطاياهم فقوله «مِنْ خَطَايَاهُمْ» فى الأصل صفة لشىء فقدم عليه فصار فى موضع نصب على الحال. «أَلْفَ سَنَةٍ» نصب على الظرف خمسين نصب على الاستثناء و عاما تمييزه.

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله على الحقيقة ظاهرا و باطنا «وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ» فيجازيهم بحسب أعمالهم قال الجبائى معناه و ليميزن الله المؤمن من المنافق فوضع العلم موضع التمييز توسعا و قد مر بيانه و فى هذه الآيه تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم التى استهزءوا بها و توهموا أنهم قد نجوا من ضررها ياخفائها فبين أنها ظاهره عند من يملك الجزاء عليها و أنه يحل الفضيحة العظمى بها «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» نعم الله و جحدوها «لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بتوحيده و صدق رسله «اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ» أى و نحن نحمل آثامكم عنكم إن قلتم إن لكم فى اتباع ديننا إثما و يعنون بذلك أنه لا إثم عليكم باتباع ديننا و لا- يكون بعث و لا نشور فلا يلزمنا شىء مما ضمننا و المأمور فى قوله «وَلَنَحْمِلَ» هو المتكلم به نفسه فى مخرج اللفظ و المراد به إلزام النفس هذا المعنى كما يلزم الشىء بالأمر و فيه معنى الجزاء و تقديره إن تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم عنكم ثم قال سبحانه «وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى لا يمكنهم حمل ذنوبهم عنهم يوم القيامة فإن الله سبحانه عدل لا يعذب أحدا بذنب غيره فلا يصح إذا أن يتحمل أحد ذنب غيره و هذا مثل قوله «وَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَ لَا يَجْرَى هَذَا مَجْرَى تَحْمِلِ الدِّيَةِ عَنِ الْغَيْرِ لِأَنَّ الْغُرْضَ فِي الدِّيَةِ أَدَاءُ الْمَالِ عَنِ نَفْسِ الْمَقْتُولِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يُؤَدِيَهُ زَيْدٌ عَنْهُ وَ بَيْنَ أَنْ يُؤَدِيَهُ عَمْرُو فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَضَاءِ الدِّينِ «إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فيما ضمنوا

من حمل خطاياهم «وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ» يعنى أنهم يحملون خطاياهم و أوزارهم فى أنفسهم التى لم يعملوها
بغيرهم و يحملون الخطايا التى ظلموا بها غيرهم و قيل معناه يحملون عذاب ضلالهم و عذاب إضلالهم غيرهم و دعائهم لهم إلى
الكفر و هذا

كقوله من سن سنه سيئه

الخبر و هذا كقوله لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ «وَلَيَشِئُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا
يَفْتَرُونَ» و معناه أنهم يستلون سؤال تعنيف و توبيخ و تبيكيت و تقرير لا سؤال استعمال و استخبار «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ»
يدعوهم إلى توحيد الله عز و جل «فَلَبَّثَ فِيهِمْ أَلْفَ سِنِينَ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا» فلم يجيبوه و كفروا به «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ» جزاء على
كفرهم فهلكوا «وَهُمْ ظَالِمُونَ» لأنفسهم بما فعلوه من الشرك و العصيان «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ» أى فأنجينا نوحا من ذلك
الطوفان و الذين ركبوا معه فى السفينه من المؤمنين به «وَجَعَلْنَاهَا» أى و جعلنا السفينه «آيَةً لِلْعَالَمِينَ» أى علامه للخلائق أجمعين
يعتبرون بها إلى يوم القيامة لأنها فرقت بين المؤمنين و الكافرين و الأبرار و الفجار و هى دلالة للخلق على صدق نوح و كفر
قومه.

النظم

إنما اتصل قوله «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بما تقدمه من ذكر المنافقين فإنه سبحانه لما بين حالهم عند إيراد الشبهه عليهم بين فى هذه
الآيه أن من الواجب أن لا يعتر المؤمنون بما يورده أهل الكفر عليهم من الشبهه الفاسده و قد ذكر فى اتصال قصه نوح بما قبلها
وجوه (أحدها) أنه لما قال فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فصل ذلك فبدأ بقصه نوح ثم بما يليها (و ثانيها) أنه لما ذكر حال المجاهد
الصابر و حال من كان بخلافه ذكر قصه نوح و صبره على أذى قومه و تكذيبهم تلك المده الطويله ثم عقب ذلك بذكر غيره
من الأنبياء (و ثالثها) أنه لما أمر و نهى و وعد و أوعد على امتثال أوامره و ارتكاب نواهيه أكد ذلك بقصص الأنبياء.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ٢٠]

اشاره

وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا
إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَ إِنْ تُكَذِّبُوا
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

ص: ١٢

قرأ حمزه والكسائي وخلف أ ولم تروا بالتاء والباقون بالياء و روى عن أبي بكر بالتاء والياء جميعا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشأه بفتح الشين ممدوده مهموزه وقرأ الباقون «النَّشَاءُ» بسكون الشين غير ممدوده و فى الشواذ قراءة السلمى و زيد بن على و تخلقون إفكا.

الحجج

قال أبو على حجج التاء فى أ و لم تروا أن قبلها «وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ» و حجج الياء أن المعنى قل لهم أ و لم يروا النشأه و النشأه مثل الرأفه و الرأفه و الكأبه و الكأبه و قال أبو زيد نشأت نشأت أنشأ نشأ إذا شبيت و نشأت السحابه نشأ و لم يذكر النشأه و أما تخلقون فإنه على وزن تكذبون و فى معناه.

الإعراب

«كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ» كيف فى موضع نصب على الحال من الله و التقدير أ مبدعا يبدئ الله الخلق أم لا و يجوز أن يكون حالا من الخلق فيكون تقديره أ مبدعا يبدئ الله الخلق أم لا ثم يعيده أم لا و يجوز أن يكون فى موضع مصدر و التقدير أى إبداء يبدئ و مثله كيف بدأ الخلق و النشأه منصوبه على المصدر و مفعول ينشئ محذوف تقديره و ينشئ الخلق.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَإِبْرَاهِيمَ» أى و أرسلنا إبراهيم «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ» أى أطيعوا الله و خافوه بفعل طاعته و اجتناب معاصيه «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» أى ذلك التقوى خير لكم «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» ما هو خير مما هو شر لكم «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا» ما فى هذا الموضع كافه و المعنى أنكم تعبدون

أصناما من حجاره لا تضر ولا تنفع «وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا» أى تفتعلون كذباً بأن تسموا هذه الأوثان آلهه عن السدى وقيل معناه و تصنعون أصناما بأيديكم و سماها إفكا لادعائهم إنها آلهه عن مجاهد و قتاده و أبى على الجبائى ثم ذكر عجز آلهتهم عن رزق عابديها فقال «إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا» أى لا يقدرون على أن يرزقوكم و الملك قدره القادر على ماله أن يتصرف فى ماله أتم التصرف و ليس ذلك إلا لله على الحقيقة فإن الإنسان إنما يملك ما يملكه الله تعالى و يأذن له فى التصرف فيه فأصل الملك لجميع الأشياء لله تعالى فمن لا يملك أن يرزق غيره لا يستحق العباده لأن العباده تجب بأعلى مراتب النعمه و لا- يقدر على ذلك غير الله تعالى فلا يستحق العباده سواه «فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ» أى اطلبوا الرزق من عنده دون من سواه «وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ» على ما أنعم به عليكم من أصول النعم من الحياه و الرزق و غيرهما «إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أى إلى حكمه تصيرون يوم القيامة فيجازيكم على قدر أعمالكم ثم خاطب العرب فقال «وَإِنْ تَكْذَبُوا» أى و إن تكذبوا محمدا ص «فَقَدْ كَذَبَ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ» أنبياءهم الذين بعثوا إليهم «وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى ليس عليه إلا التبليغ الظاهر البين و ليس عليه حمل من أرسل إليه على الإيمان «أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» يعنى كفار مكه الذين أنكروا البعث و أقرؤا بأن الله هو الخالق فقال أ و لم يتفكروا فيعلموا كيف أبدأ الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانيا إذا أعدمهم بعد وجودهم قال ابن عباس يريد الخلق الأول و الخلق الآخر «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» غير متعذر لأن من قدر على الإنشاء و الابتداء فهو على الإعادة أقدر ثم خاطب محمدا ص فقال «قُلْ» لهؤلاء الكفار «سَبِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» و تفكروا فى آثار من كان فيها قبلكم و إلى أى شىء صار أمرهم لتعتبروا بذلك و يؤدوكم ذلك إلى العلم بربكم و قيل معناه انظروا و ابحثوا هل تجدون خالقا غير الله فإذا علموا أنه لا- خالق ابتداء إلا- الله لزمتهم الحجه فى الإعادة و هو قوله «ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ» أى ثم الله الذى خلقها و أنشأ خلقها ابتداء ينشئها نشأه ثانيه و معنى الإنشاء الإيجاد من غير سبب «إِنَّ اللَّهَ» تعالى «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى إن الله على الإنشاء و الإفناء و الإعادة و على كل شىء يشاؤه قدير.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشارة

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا- فِي السَّمَاءِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٢٢) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ لِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَ مَا أُولَئِكَ إِلَّا نَاصِرِينَ (٢٥)

قرأ ابن كثير وأهل البصره والكسائي موده بينكم بالرفع والإضافه وقرأ حمزه و حفص بنصب مَوَدَّةَ وإضافتها إلى «بَيْنِكُمْ» وقرأ الباقون موده منصوبه منونه بينكم بالنصب إلا الشموني والبرجمي فإنهما قرءا موده مرفوعه منونه بينكم بالنصب.

الحجه

قال أبو علي يجوز في قول من قال موده بينكم أن يجعل ما اسم إن و يضم ذكره يعود إلى ما كما جاء في قوله «وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا» فيكون التقدير إن الذين اتخذتموهم أوثانا ذوو موده بينكم ويكون دخول إن على ما لأنه بمنزله الذي كقوله «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَيْنَ» لعود الذكر إليه و يجوز أن يضم هو و يجعل «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» خبرا عنه و الجملة في موضع خبر أن و من قرأ موده بينكم بالنصب جعل ما مع إن كلمه و لم يعد إليها ذكرا كما أعاد في الوجه الأول و جعل الأوثان منتصبا باتخذتم و عداه أبو عمرو إلى مفعول واحد كقوله «قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا» و المعنى إنما اتخذتم من دون الله أوثانا آلهاه فحذف كما أن قوله «إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ» معناه اتخذوا العجل إليها فحذف و انتصب موده على أنه مفعول له و بينكم نصب على الظرف و العامل فيه الموده و من قال «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» أضاف الموده إلى البين و اتسع بأن جعل الظرف اسما لما أضاف إليه و مثل ذلك قراءه

من قرأ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ و من قرأ موده بينكم فى الحياه الدنيا جاز فى قوله بينكم إذا نون موده ضربان (أحدهما) أن يجعله ظرفا متعلقا بالمصدر لأن الطرفين أحدهما من المكان و الآخر من الزمان و إنما الذى يمتنع أن يعلق به إذا كانا طرفين من الزمان أو طرفين من المكان فأما إن اختلفا فسائغ فقوله «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ظرف زمان لأن المعنى فى وقت الحياه الدنيا و لا ذكر فى واحد من الطرفين كما إنك إذا قلت لقيت زيدا اليوم فى السوق كان كذلك فإن جعلت الظرف الأول صفه للنكره كان متعلقا بمحذوف و صار فيه ذكر يعود إلى الموصوف فإذا جعلته صفه للمصدر جاز أن يكون قوله «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فى موضع حال و العامل فيه الظرف الذى هو صفه للنكره و فيه ذكر يعود إلى ذى الحال و ذو الحال الضمير الذى فى الظرف العائد إلى الموصوف الذى هو موده و هو هى فى المعنى فإن قلت هل يجوز أن يعلق الظرف الذى قد جاز أن يكون حالا بالموده مع أنه قد وصف بقوله بينكم قيل لا يمتنع ذلك لأنك إذا وصفته فمعنى الفعل قائم فيه و الظرف يتعلق بمعنى الفعل و إنما الذى يمتنع أن يعمل فيه إذا وصف المفعول به فأما الحال و الظرف فلا يمتنع أن يعلق كل واحد منهما به و إن كان قد وصف به و قد جاء فى الشعر ما يعمل عمل الفعل إذا وصف عاملا فى المفعول به و إذا جاز أن يعمل فى المفعول به فلا نظر فى جواز علمه فيما ذكرناه من الظرف و الحال فمن ذلك قوله:

إذا فاقد خطباء فرخين رجعت ذكرت سليمى فى الخليط المبين

و التحقير فى ذلك بمنزله الوصف لو قال هذا ضويرب زيدا لقبح كما يقبح ذلك فى الصفه و لم يجز ذلك فى حال السعه و الاختيار.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الوعد و الوعيد فقال «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» معناه أنه المالك للثواب و العقاب و إن كان لا يشاء إلا الحكمه و العدل و ما هو الأحسن من الأفعال فيعذب من يشاء ممن يستحق العقاب «وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ» ممن هو مستحق للرحمه بأن يغفر له بالتوبه و غير التوبه «وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ» معاشر الخلق أى إليه ترجعون يوم القيامه و القلب هو الرجوع و الرد فمعناه أنكم تردون إلى حال الحياه فى الآخره حيث لا يملك فيه النفع و الضر إلا الله

ص: ١٦

و هذا يتعلق بما قبله كان المنكرين للبعث قالوا إذا كان العذاب غير كائن في الدنيا فلا نبالي به فقال «وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ» و كأنهم قالوا إذا صرفنا إلى حكم الله فررنا فقال «وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ» أى و لستم بفائتين عن الله فى الدنيا و لا فى الآخرة فاحذروا مخالفته و متى قيل كيف وصفهم بذلك و ليسوا من أهل السماء فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) إن المعنى لستم بمعجزين فرارا فى الأرض و لا فى السماء لو كنتم فى السماء كقولك ما يفوتنى فلان هاهنا و لا بالبصره يعنى و لا بالبصره لو صار إليها عن قطرب و هو معنى قول مقاتل (و الآخر) أن المعنى و لا من فى السماء بمعجزين فحذف من لداله الكلام عليه كما قال حسان:

أ من يهجو رسول الله منكم و يمدحه و ينصره سواء

فكأنه قال و من يمدحه و ينصره سواء أم لا يتساوون عن الفراء و هذا ضعيف عند البصريين «وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ» ينصركم و يدفع عذاب الله عنكم فلا تغتروا بأن الأصنام تشفع لكم و قيل إن الولي الذى يتولى المعونه بنفسه و النصير يتولى النصرة تاره بنفسه و تاره بأن يأمر غيره به «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» أى جحدوا بالقرآن و بأدله الله «وَ لِقَائِهِ» أى و جحدوا بالبعث بعد الموت «أُولَئِكَ يَشْهَرُونَ مِنْ رَحْمَتِي» أخبر أنه سبحانه آيسهم من رحمته و جنته أو يكون معناه يجب أن يأسوا من رحمتى «وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم و فى هذا دلالة على أن المؤمن بالله و اليوم الآخر لا يأس من رحمه الله ثم عاد سبحانه إلى قصه إبراهيم فقال «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ» يعنى حين دعاهم إلى الله تعالى و نهاهم عن عباده الأصنام «إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ» و فى هذا تسفيه لهم إذ قالوا حين انقطعت حججهم لا تحاجوه و لكن اقتلوه أو حرقوه ليتخلصوا منه «فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ» و هاهنا حذف تقديره ثم اتفقوا على إحراقه فأججوا نارا فألقوه فيها فأنجاه الله منها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى علامات واضحات و حجج بينات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» بصحة ما أخبرناه به و بتوحيد الله و كمال قدرته «وَ قَالَ» إبراهيم لقومه «إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» أى لتتوادوا بها «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» و قد تقدم بيانه فى الحجبه «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ» أى يتبرأ القاده من الأتباع «وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» أى و يلعن الأتباع القاده لأنهم زينوا لهم الكفر و قال قتاده كل خله تنقلب يوم القيامة عداوه إلا خله المتقين قال سبحانه الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ «وَ مَا أَوْكُمُ النَّارُ» أى و مستقركم النار «وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» يدفعون عنكم عذاب الله.

إشارة

فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أ إِنَّكُمْ لَتِيَأْتُونَ الرَّجَالَ وَ تَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص أ إنكم لتأتون الفاحشه «أ إنكم لتأتون الرجال» بهمزين فيهما وقرأ أبو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزه ممدوده آنكم وقرأ الباقون «إنكم لتأتون الفاحشه» بكسر الهمزة من غير استفهام «أ إنكم لتأتون الرجال» بالاستفهام إلا أن ابن كثير وورش و يعقوب قرءوا بهمزه واحده غير ممدوده و ابن عامر و حفص بهمزين و أهل المدينة غير و رش بهمزه واحده ممدوده.

اللغة

هاجر القوم من دار إلى دار معناه تركوا الأولى للثانية قال الأزهري أصل المهاجرة خروج البدوي من البادية إلى المدن و تهجر أى تشبه بالمهاجرين و منه حديث عمر هاجروا و لا تهجروا أى أخلصوا الهجره لله و النادي و الندى المجلس إذا اجتمعوا فيه و تنادى القوم اجتمعوا فى النادي و دار الندوه دار قصى بن كلاب كانوا يجتمعون فيه للمشاوره تبركا به و الأصل من النداء لأن القوم ينادى بعضهم بعضا.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بأن قال «فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ» أى فصدق بإبراهيم لوط و هو ابن أخته و كان إبراهيم خاله عن ابن عباس و ابن زيد و جمهور المفسرين و هو أول من صدق بإبراهيم (عليه السلام) «وَقَالَ» إبراهيم «إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي» أى خارج من

جملة الظالمين على وجه الهجر لهم لقيح أعمالهم من حيث أمرني ربي و قيل معناه قال لوط إنى مهاجر إلى ربي عن الجبائي و خرج إبراهيم (عليه السلام) و معه لوط و امرأته ساره و كانت ابنة عمه من كوثى و هى قريه من سواد الكوفه إلى أرض الشام عن قتاده و مثل هذا هجره المسلمين من مكه إلى أرض الحبشه أولا ثم إلى المدينه ثانيا لأنهم هجروا ديارهم و أوطانهم بسبب أذى المشركين لهم «إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ» الذى لا يذل من نصره «الْحَكِيمُ» الذى لا يضيع من حفظه «وَوَهَبْنَا لَهُ» أى لإبراهيم من بعد إسماعيل «إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ» من وراء إسحاق «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ» و ذلك أن الله سبحانه لم يبعث نبيا من بعد إبراهيم إلا من صلبه فالتوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان كلها أنزلت على أولاده «وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا» و هو الذكر الحسن و الولد الصالح عن ابن عباس و قيل هو رضى أهل الأديان به فكلهم يحبونه و يتولونه عن قتاده و قيل هو أنه أرى مكانه فى الجنة عن السدى و قال بعض المتأخرين هو بقاء ضيافته عند قبره و ليس ذلك لغيره من الأنبياء قال البلخى و فى هذا دلالة على أنه يجوز أن يثيب الله فى دار التكليف ببعض الثواب «وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ» يعنى أن إبراهيم مع ما أعطى من الأجر و الثواب فى الدنيا يحشره الله فى جملة الصالحين العظمى الأقدار مثل آدم و نوح «وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ» أى و أرسلنا لوطا و يجوز أن يريد و اذكر لوطا حين قال لقومه «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الإنكار دون الاستعلام و من قرأ إنكم على الخبر أراد أن لوطا قال ذلك لقومه منكرا لفعالهم لا مفيدا معلما لهم لأنهم قد علموا ما فعلوه و الفاحشه هاهنا ما كانوا يفعلونه من إتيان الذكران «مَا سَبَقَكُمْ بِهَا» أى بهذه الفاحشه «مِنَ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ» أى أحد من الخلائق ثم فسر الفاحشه بقوله «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ» أى تنكحونهم «وَ تَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ» قيل فيه وجوه (أحدها) تقطعون سبيل الولد باختياركم الرجال على النساء (و ثانيها) إنكم تقطعون الناس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشه فإنهم كانوا يفعلون هذا الفعل بالمجتازين من ديارهم و كانوا يرمون ابن السبيل بالحجاره بالحذف فأبهم أصابه كان أولى به و يأخذون ماله و ينكحونه و يغرّمونه ثلاثه دراهم و كان لهم قاض يقضى بذلك (و ثالثها) إنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس كما يفعل قطاع الطريق فى زماننا «وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ» قيل فيه أيضا وجوه (أحدها)

هو أنهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم من غير حشمه و لا حياء عن ابن عباس و روى ذلك عن الرضا (عليه السلام)

(و ثانيها) إنهم كانوا يأتون الرجال فى مجالسهم يرى

بعضهم بعضاً عن مجاهد (و ثالثها) كانت مجالسهم تشتمل على أنواع من المناكير و القبائح مثل الشتم و السخف و الصفع و القمار و ضرب المخراق و حذف الأحجار على من مر بهم و ضرب المعازف و المزامير و كشف العورات و اللواط قال الزجاج و فى هذا إعلام أنه لا- ينبغى أن يتعاشر الناس على المناكير و لا أن يجتمعوا على المناهى و لما أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من الفضائح قالوا له استهزاء ائتنا بعذاب الله و ذلك قوله «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» و عند ذلك «قال» لوط «رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ» الذين فعلوا المعاصى و ارتكبوا القبائح و أفسدوا فى الأرض.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشارة

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا- امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّءٌ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالُوا لَا تَخَفْ وَ لَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

القرءاءة

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و يعقوب لئنجنينه خفيفه الجيم ساكنه النون و الباقون «لَنَنْجِيَنَّهُ» بالتشديد و قرأ ابن كثير و أهل الكوفه غير حفص و يعقوب إنا منجوك بالتخفيف و الباقون بالتشديد و قرأ ابن عامر منزلون بالتشديد و الباقون «مُنْزِلُونَ» بالتخفيف.

الحجة

قال أبو على حجه و من قرأ لئنجنينه و إنا منجوك قوله «فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ

النَّارِ» و حجه من ثقل قوله «نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا» يقال نجا زيد و نجيته و أنجيته مثل فرحته و أفرحته و كذلك قولك نزل إذا عديته قلت نزلته و أنزلته.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه استجاب دعاء لوط و بعث جبرائيل و معه الملائكة لتعذيب قومه بقوله «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ» أي يبشرونه بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب «قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ» يعنون قومه قوم لوط (عليه السلام) و إنما قالوا هذا لأن قريتهم كانت قريه من قريه قوم إبراهيم «إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ» أي مشركين مرتكبين للفواحش «قَالَ» إبراهيم «إِنَّ فِيهَا لُوطًا» فكيف تهلكونها «قَالُوا» في جوابه «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» أي لنخلصن لوطا من العذاب بإخراجه منها و لنخلصن أيضا أهله المؤمنين منهم «إِلَّا امْرَأَتَهُ» فإنها تبقى في العذاب لا تنجو منه و ذلك قوله «كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ» أي من الباقين في العذاب «وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا» أن هذه مزیده «سَيِّءَ بِهِمْ» معناه سىء لوط بالملائكة أي ساءه مجيئهم لما رآهم في أحسن صورته لما كان يعلمه من خبث فعل قومه عن قتاده و قيل معناه سىء لوط بقومه لما علم من عظيم البلاء النازل بهم «وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا» أي ضاق قلبه و قيل ضاقت حيلته فيما أراد من حفظهم و صيانتهم عن الجبائى فلما رأى الملائكة حزنه و ضيق صدره «قَالُوا لَا تَخَفْ» علينا و عليك «وَلَا تَحْزَنْ» بما نفعله بقومك و قيل لا تخف و لا تحزن علينا فإننا رسل الله لا يقدرون علينا «إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ» من العذاب «إِلَّا امْرَأَتَكَ» الكافره «كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ» أي الباقين في العذاب «إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا» أي عذابا من السماء «بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» أي يخرجون من طاعه الله إلى معصيته أي جزاء بفسقهم «وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً» أي تركنا من تلك القريه عبره واضحه و دلاله على قدرتنا قال قتاده هي الحجاره التى أمطرت عليهم و قال ابن عباس هي آثار منازلهم الخربه و قال مجاهد هي الماء الأسود على وجه الأرض «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ذلك و يبصرونه و يتفكرون فيه و يتعظون به فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله و اتخاذ شريك معه في العباده.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

اشاره

وَ إِلَىٰ مِثْلَيْنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧) وَ عَادًا وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَ قَارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ مَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)

الرجفه زعزعه الأرض تحت القدم يقال رجف السطح من تحت أهله يرجف رجفا و رجفه شديده و البحر رجاف لاضطرابه و أرجف الناس بالشىء أى أخبروا بما يضطرب لأجله من غير تحقق به و الحاصب الريح العاصفه التى فيها الحصباء و هى الحصى الصغار يشبه به البرد و الجليد قال الفرزدق:

مستقبلين رياح الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

و قال الأخطل:

و لقد علمت إذ العشار تروحت هدج الرئال بكنهن شمالا

ترمى العضاه بحاصب من ثلجها حتى تبيت على العضاه جفالا

ص: ٢٢

و الخسف سوخ الأرض بما عليها يقال خسف الله به الأرض و خسف القمر إذهاب نوره و الخسوف للقمر و الكسوف للشمس.

الإعراب

أخاهم ينتصب بفعل مضمر و التقدير و أرسلنا إلى مدين أخاهم و عادا منصوب بفعل مضمر تقديره و أهلكتنا عادا و ثمود و قد تبين فاعله مضمر تقديره و قد تبين إهلاكهم لكم «وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» فى موضع نصب على الحال. «لِيُظْلِمَهُمْ» اللام لتأكيد النفى و لا يجوز إظهار أن بعده.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَ إِلَى مَدِينٍ» أى و أرسلنا إلى مدين «أَخَاهُمْ شُعَيْبًا» و هذا مفسر فيما مضى «فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» بدأ بالدعاء إلى التوحيد و العباده «ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ» أى و أملوا ثواب اليوم الآخر و اخشوا عقابه بفعل الطاعات و تجنب السيئات «وَ لَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أى لا تسعوا فى الأرض بالفساد ثم أخبر أن قومه كذبوه و لم يقبلوا منه فعاقبهم الله و ذلك قوله «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» و قد مر بيانه «فَأَصْرَبُوحَا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ» أى باركين على ركبهم ميتين «وَ عَادًا وَ ثَمُودَ» أى و أهلكتنا أيضا عادا و ثمود جزاء لهم على كفرهم «وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ» معاشر الناس كثير «مِنْ مَسَاكِينِهِمْ» و قيل معناه و قد ظهر لكم يا أهل مكه من منازلهم بالحجر و اليمن آيه فى هلاكهم «وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» أى فمنعهم عن طريق الحق «وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» أى و كانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحق و الباطل بالاستدلال و النظر و لكنهم أغفلوا و لم يتدبروا و قيل معناه إنهم كانوا مستبصرين عند أنفسهم فيما كانوا عليه من الضلاله يحسبون أنهم على هدى عن قتاده و الكلبى «وَ قَارُونَ» أى و أهلكتنا قارون «وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ لَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالحجج الواضحات من قلب العصا حيه و اليد البيضاء و فلق البحر و غيرها «فَأَسْتَكْبَرُوا» أى طلبوا التجبر «فِي الْأَرْضِ» و لم ينقادوا للحق «وَ مَا كَانُوا سَابِقِينَ» أى فائتين الله كما يفوت السابق «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ» أى فأخذنا كلا من هؤلاء بذنبه و عاقبناهم بتكذيبهم الرسل «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا» أى حجاره و قيل ريحا فيها حصى و هم قوم لوط عن ابن عباس و قتاده و قيل هم عاد «وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ» و هم ثمود و قوم شعيب عن ابن عباس و قتاده و الصيحه العذاب و قيل صاح بهم جبرائيل فهلكوا «وَ مِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ» و هو قارون «وَ مِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا» يعنى قوم نوح و فرعون و قومه «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ» فيعذبهم على غير ذنب أو قبل إزاحه العله «وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بكفرهم و تكذيبهم الرسل و فى هذا دلالة واضحة على فساد مذهب أهل

الجبر فإن الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمون لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك.

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٥]

إشاره

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)

القراءة

قرأ أهل البصره و عاصم إلا الأعمش و البرجمي «ما يُدْعُونَ» بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه و الإعراب

قال أبو على التاء على قوله قل لهم إن الله يعلم ما تدعون لا يكون إلا عند هذا لأن المسلمين لا يخاطبون بذلك و ما استفهام و موضعه نصب بيدعون و لا- يجوز أن يكون نصبا بيعلم و لكن صارت الجملة التي هي في موضع نصب بيعلم و لا- يكون يعلم بمعنى يعرف كقوله وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ لأن ذلك لا يلغى و ما لا يلغى لا يعلق و يبعد ذلك دخول من في الكلام و هي إنما تدخل في نحو قولك هل من طعام و هل من رجل و لا تدخل في الإيجاب هذا قول الخليل و كذلك قوله فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ المعنى فستعلمون المسلم تكون له عاقبه الدار أم للكافر و كل ما كان من هذا فهكذا القول فيه و هو قياس قول الخليل.

جمع العنكبوت عنكب و تصغيره عنكب و وزنه فعللوت و هو يذكر و يؤنث قال الشاعر:

على هطالهم منهم بيوت كان العنكبوت هو ابتناها

و يقال فيه العنكباء.

المعنى

ثم شبه سبحانه حال الكفار الذين اتخذوا من دونه آلهه بحال العنكبوت فقال «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ» أى شبه من اتخذ الأصنام آلهه يريدون نصرها و نفعها و ضررها و الرجوع إليها عند الحاجة «كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا» لنفسها لتأوى إليه فكما أن بيت العنكبوت لا يغنى عنها شيئاً لكونه فى غاية الوهن و الضعف و لا يجدى نفعاً كذلك الأصنام لا تملك لهم خيراً و شراً و نفعاً و ضرراً و الولى هو المتولى للنصره و هو أبلغ من الناصر لأن الناصر قد يكون ناصراً بأن يأمر غيره بالنصره و الولى هو الذى يتولى النصره بنفسه «وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ» أى أضعفها «لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» صحه ما أخبرناهم به و يتحققون و لو متعلقه بقوله «اتَّخَذُوا» أى لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً لم يتخذوهم أولياء و لا يجوز أن تكون متعلقه بقوله «وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ» لأنهم كانوا يعلمون أن بيت العنكبوت واه ضعيف «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» هذا و عيّد منه سبحانه و معناه أنه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفار و ما يتخذونه من دونه أرباباً «وَهُوَ الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب فيما يريد «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله «وَ تَلَكَّ الْأَمْثَالَ» و هى الأشباه و النظائر يعنى أمثال القرآن «نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ» أى نذكرها لهم لندعوهم إلى المعرفة و التوحيد و نعرفهم قبح ما هم فيه من عباده الأصنام «وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» أى و ما يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه بين المثل و الممثل به و قيل معناه و ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله و

روى الواحدى بالإسناد عن جابر قال تلا النبى ص هذه الآية و قال العالم الذى عقل عن الله فعلم بطاعته و اجتنب سخطه

ثم بين سبحانه ما يدل على إلهيته و استحقاقه العباده فقال «خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» أى أخرجهما من العدم إلى الوجود و لم يخلقهما عبثاً بل خلقهما ليسكنهما خلقه و ليستدلوا بهما على إثباته و وحدانيته «بِالْحَقِّ» أى على وجه الحكمة و قيل معناه للحق و إظهار الحق «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» لأنهم المنتفعون بذلك ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ» يعنى القرآن أى اقرأه على المكلفين و اعمل بما تضمنه «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ» أى أداها

بحدودها في مواقيتها «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» في هذا دلالة على أن فعل الصلاة لطف للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها العقل والشرع فإن انتهى عن القبيح يكون توفيقاً وإلا فقد أتى المكلف من قبل نفسه وقيل إن الصلاة بمنزلة الناهي بالقول إذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر وذلك لأن فيها التكبير والتسبيح والتهليل والقراءة والوقوف بين يدي الله تعالى وغير ذلك من صنوف العبادة وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضده فيكون مثل الأمر والنهي بالقول وكل دليل مؤد إلى المعرفة بالحق فهو داع إليه وصارف عن الباطل الذي هو ضده وقيل معناه أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل معناه أنه ينبغي أن تنهاه كقوله وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وقال ابن عباس في الصلاة منهي ومزجر عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزد من الله إلا - بعدا وقال الحسن وقتاده من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه و

روى أنس بن مالك الجهني عن النبي ص قال إنه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا

و

روى عن ابن مسعود أيضا عن النبي ص أنه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعه الصلاة أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر

و معنى ذلك أن الصلاة إذا كانت ناهية عن المعاصي فمن أقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله بها فإن تاب من بعد ذلك وترك المعاصي فقد تبين أن صلاته كانت نافعة له ناهية وإن لم ينته إلا بعد زمان و

روى أنس أن فتى من الأنصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله ص ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله ص فقال إن صلاته تنهاه يوما

و

عن جابر قال قيل لرسول الله ص إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه

و

روى أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من أحب أن يعلم أقبلت صلاته أم لم تقبل فلينظر هل منعه صلاته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعه قبلت منه

«وَلَعَدِ كُرُّ اللَّهِ أَكْبَرُ» أي ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته عن ابن عباس وسلمان وابن مسعود ومجاهد وقيل معناه ذكر العبد لربه أكبر مما سواه وأفضل من جميع أعماله عن سلمان في روايه أخرى وابن زيد وقتاده وروى ذلك عن أبي الدرداء وعلى هذا فيكون تأويله أن أكبر شيء في النهي عن الفحشاء ذكر العبد لربه وأوامره ونواهيته وما أعده من الثواب والعقاب فإنه أقوى لطف يدعو إلى الطاعة وترك المعصية وهو أكبر من كل لطف وقيل معناه ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة عن أبي مالك وقيل إن ذكر الله هو التسبيح والتقديس والتهليل وهو أكبر وأحرى بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر عن الفراء أي من كان ذاكرة لله فيجب أن ينهاه ذكره عن الفحشاء والمنكر وروى عن ثابت البناني قال إن رجلا - أعتق أربع

رقاب فقال رجل آخر سبحان الله و الحمد لله

ص: ٢٤

و لا إله إلا الله و الله أكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن أوفى السلمى و أصحابه فقال ما تقولون فى رجل أعتق أربع رقاب و أنى أقول سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فأيهما أفضل فنظروا هنيهة فقالوا ما نعلم شيئا أفضل من ذكر الله و عن معاذ بن جبل قال ما عن عمل آدمى عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز و جل و قيل و لا الجهاد فى سبيل الله قال و لا الجهاد فإن الله عز و جل يقول «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» و

عنه قال سألت رسول الله ص أى الأعمال أحب إلى الله قال إن تموت و لسانك رطب من ذكر الله عز و جل و قال ص يا معاذ إن السابقين الذين يسهرون بذكر الله عز و جل و من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز و جل

و روى عن عطا بن السائب عن عبد الله بن ربيعه قال قال ابن عباس أ رأيت قول الله عز و جل «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» قال قلت ذكر الله بالقرآن حسن و ذكره بالصلاه حسن و بالتسبيح و التكبير و التهليل حسن و أفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصيه فينحجز عنها فقال ابن عباس لقد قلت قولاً عجيباً و ما هو كما قلت و لكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» من خير و شر فيجازيكم بحسبه.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

اشاره

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَ قَالُوا لَوْ لَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)

قرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير حفص وقتيبة آية من ربه على التوحيد والباقون «آيات» على الجمع.

الحجة

قال أبو علي حجه الأفراد قوله فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ وَقَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَحُجَّةُ الْجَمْعِ أَنْ فِي حَرْفِ أَبِي زَعْمُو لَوْ لَا يَأْتِنَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» وَقَدْ تَقَعَّ عَلَى لَفْظِ الْوَاحِدِ وَيُرَادُ بِهِ كَثْرُهُ كَمَا جَاءَ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» دَلَالَةٌ عَلَى تَرْجِيحِ مَنْ قَرَأَ «آيَاتٌ» لِأَنَّهُ لَمَّا اقْتَرَحُوا آيَةً قِيلَ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمَعْنَى الْآيَةُ الَّتِي اقْتَرَحْتُمُوهَا وَ آيَاتٌ آخَرٌ لَمْ تَقْتَرَحُوهَا.

اللغة

أصل الجدل شدة القتال يقال جدلته أجدله جدلاً إذا فتلته فتلاً شديداً والجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه وقيل إن أصله من الجداله وهي الأرض فإن كل واحد من الخصمين يروم أن يلقي صاحبه بالجداله. الخط معروف والارتباب والريبه شك مع تهمة.

الإعراب

«الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنْ «أَهْلِ الْكِتَابِ» «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» تَقْدِيرُهُ وَكَمَا أَنْزَلْنَا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الْكِتَابَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ.

«إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ» اللَّامُ لِلْقَسَمِ وَفِي الْكَلَامِ حَذْفُ تَقْدِيرِهِ وَ لَوْ خَطَطْتَهُ بِيَمِينِكَ أَوْ تَلَوْتَ قَبْلَهُ كِتَابًا إِذَا وَاللَّهِ لَارْتَابُوا بِهِ. مَنْ رَبِّهِ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِأَنَّهُ صَفَهُ آيَةً.

المعنى

لَمَّا تَقَدَّمَ الْأَمْرُ بِالِدَعَاءِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ بَيْنَ عَقِيْبِهِ كَيْفَ يَدْعُوْنَهُمْ وَ كَيْفَ يَجَادِلُوْنَهُمْ فَقَالَ «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ» وَ هُمْ نَصَارَى بَنِي نَجْرَانَ وَقَيْلُ الْيَهُودِ وَ النِّصَارَى «إِلَّا بِمَا لَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ» أَيْ بِالطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَ إِنَّمَا يَكُونُ أَحْسَنُ إِذَا كَانَتْ الْمُنَازَرَةُ بِرَفْقٍ وَ لَيْنٍ لِإِيرَادِهِ الْخَيْرَ وَ النِّفْعَ بِهَا وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْتِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى وَ الْأَحْسَنُ الْأَعْلَى فِي الْحَسَنِ مِنْ جِهَةِ قَبُولِ الْعَقْلِ لَهُ وَ قَدْ يَكُونُ أَيْضًا أَعْلَى فِي الْحَسَنِ مِنْ جِهَةِ قَبُولِ الطَّبَعِ وَ قَدْ يَكُونُ فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا وَ فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى وَجُوبِ الدِّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَ أَلْطَفِهَا وَ اسْتِعْمَالِ الْقَوْلِ الْجَمِيلِ فِي التَّنْبِيهِ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ وَ حُجَّتِهِ «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» أَيْ إِلَّا مَنْ أَبِي أَنْ يَقْرَأَ بِالْجَزِيَةِ مِنْهُمْ وَ نَصَبَ الْحَرْبِ فَجَادَلُوا هُوْلَاءَ بِالسِّيفِ حَتَّى يَسْلَمُوا أَوْ يَعْطُوا الْجَزِيَةَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَ قَيْلُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بِالْعِنَادِ وَ كَتْمَانِ صَفِهِ نَبِينًا صَ بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ وَ قَيْلُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بِالْإِقَامَةِ عَلَى الْكُفْرِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ وَ الْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي جِدَالِهِمْ أَوْ

فى غيرہ مما يقتضى الإغلاظ لهم فيجوز أن يسلكوا معهم طريقه الغلظه و قيل إن الآيه منسوخه بآيه السيف عن قتاده و الصحيح أنها غير منسوخه لأن الجدل على الوجه الأحسن هو الواجب الذى لا يجوز غيره «وَقُولُوا» لهم فى المجادله و فى الدعوه إلى الدين «آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ» أى بالكتاب الذى أنزل إلينا و بالكتاب الذى أنزل إليكم «وَ إِلَيْنَا وَ إِلَيْكُمْ وَاحِدٌ» لا شريك له «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» أى مخلصون طاعون «وَ كَذَلِكَ» أى و مثل ما أنزلنا الكتاب على موسى و عيسى «أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» و هو القرآن «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» أى علم الكتاب فحذف المضاف «يُؤْمِنُونَ بِهِ» يعنى مؤمنى أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام و نظرائه «وَ مِنْ هَؤُلَاءِ» يعنى كفار مكه «مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» يعنى من أسلم منهم و يجوز أن تكون الهاء فى ربه راجعه إلى النبى ص و يجوز أن تكون راجعه إلى القرآن و يحتمل أيضا أن يريد بقوله «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» المسلمين و الكتاب القرآن و من هؤلاء يعنى و من اليهود و النصارى من يضمن به «وَ مَا يَجْعَلُ بآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ» أى و ما ينكر دلالاتنا إلا الكافرون و لا يضرك جحودهم ثم خاطب نبيه ص فقال «وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ» أى و ما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتابا و المعنى أنك لم تكن تحسن القراءة قبل أن يوحى إليك بالقرآن «وَ لَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ» معناه و ما كنت أيضا تكتبه بيدك «إِذَا لَارْتَابَ الْمُطْبُوعُونَ» أى و لو كنت تقرأ كتاب أو تكتبه لوجد المبطلون طريقا إلى اكتساب الشك فى أمرك و إلقاء الريبه لضعفه الناس فى نبوتك و لقالوا إنما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الأولين فلما ساويتهم فى المولد و المنشأ ثم أتيت بما عجزوا عنه و جب أن يعلموا أنه من عند الله تعالى و ليس من عندك إذ لم تجر العاده أن ينشأ الإنسان بين قوم يشاهدون أحواله من عند صغره إلى كبره و يرونه فى حضره و سفره لا يتعلم شيئا من غيره ثم يأتى من عنده بشىء يعجز الكل عنه و عن بعضه و يقرأ عليهم أفاصيص الأولين. قال الشريف الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه هذه الآيه تدل على أن النبى ص ما كان يحسن الكتابه قبل النبوه فأما بعد النبوه فالذى نعتقه فى ذلك التجويز لكونه عالما بالكتابه و القراءه و التجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين و ظاهر الآيه يقتضى أن النفى قد تعلق بما قبل النبوه دون ما بعدها و لأن التعليل فى الآيه يقتضى اختصاص النفى بما قبل النبوه لأن المبطلين إنما يرتابون فى نبوته ص لو كان يحسن الكتابه قبل النبوه فأما بعد النبوه فلا تعلق له بالريبه و التهمه فيجوز أن يكون قد تعلمها من جبرائيل (عليه السلام) بعد النبوه ثم قال سبحانه «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» يعنى أن القرآن دلالات واضحات فى صدور العلماء و هم النبى ص و المؤمنون به لأنهم حفظوه و وعوه و رسخ معناه فى قلوبهم عن الحسن و

قيل

هم الأئمة (عليه السلام) من آل محمد عن أبي جعفر و أبي عبد الله ع

وقيل إن هو كناية عن النبي ص أى أنه فى كونه أميا لا- يقرأ و لا- يكتب آيات بينات فى صدور العلماء من أهل الكتاب لأنه منعت فى كتبهم بهذه الصفه عن الضحاك و قال قتاده المراد به القرآن و أعطى هذه الأمه الحفظ و من كان قبلها لا يقرءون الكتاب إلا نظرا فإذا طبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا اليسير «و ما يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ» الذين ظلموا أنفسهم بترك النظر فيها و العناد لها بعد حصول العلم لهم بها و قيل يريد بالظالمين كفار قريش و اليهود «و قالوا» يعنى كفار مكه «لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ» أراد به الآيات التى اقترحوها فى قوله و قالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا الْآيَاتِ و أن يجعل الصفا ذهباً و قيل إنهم سألوا آيه كآيه موسى (عليه السلام) من فلق البحر و قلب العصا حيه و جعلوا ما أتى به من المعجزات و الآيات غير آيه و حجه إلقاء للشبهه بين العوام فقال الله تعالى «قُلْ» يا محمد لهم «إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» ينزلها و يظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده و ينزل على كل نبي منها ما هو أصلح له و لأمته و لذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها و إنما جاء كل نبي بفن منها «و إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ» أى منذر مخوف من معصيه الله مظهر طريق الحق و الباطل و قد فعل الله سبحانه ما يشهد بصدقى من المعجزات.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥١ الى ٥٥]

اشاره

أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَوْلَا- أَجَلٌ مُسَيَّمٌ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَ لِيَأْتِيَهُمْ بَعْتُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

ص: ٣٠

قرأ نافع و أهل الكوفه «وَيَقُولُ» بالياء و الآخرون بالنون.

الحجبه

قال أبو على و يقول أى و يقول الموكل بعذابهم ذوقوا كقوله وَ الْمَلَائِكَةُ بِاسْطِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ أى يقولون لهم و من قرأ بالنون فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه جاز أن ينسب إليه و المعنى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون و إنما قيل ذوقوا لوصول ذلك إلى المعذبين و اتصاله كوصول المذوق إلى الذائق قال (دونك ما جنيته فأحسن و ذق).

الإعراب

يتلى فى موضع نصب على الحال من الكتاب أى متلو عليهم. «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» يجوز أن يكون صفه لقوله «شَهِيداً» و يجوز أن يكون حالاً- و يجوز أن يكون جملة مستأنفه لا محل لها من الإعراب. «وَلِيَأْتِيَنَّهُمُ» اللام جواب قسم مقدر. بعتة منصوب على الحال. «يَوْمَ يَعْشَاهُمْ» ظرف لقوله «لَمُحِيطَةً».

المعنى

لما تقدم طلبهم للآيات أجابهم سبحانه فقال «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابَ» أى القرآن «يُتْلَى عَلَيْهِمْ» بين سبحانه أن فى إنزال القرآن دلالة واضحة و معجزه لائحه و حجه بالغه تنزاح معه العله و تقوم به الحججه فلا يحتاج فى الوصول إلى العلم بصحة نبوته إلى غيره على أن إظهار المعجزات مع كونها إزاحه للعله تراعى فيه المصلحه فإذا كانت المصلحه فى إظهار نوع منها لم يجز إظهار غيرها و لو أظهر الله سبحانه الآيات التى اقترحوها ثم لم يؤمنوا لاقتضت الحكمة إهلاكهم بعذاب الاستئصال كما اقتضت ذلك فى الأمم السالفه و قد وعد الله سبحانه أن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال و فى هذا دلالة على أن القرآن كافى فى المعجز و أنه فى أعلى درجات الإعجاز لأنه جعله كافياً عن جميع المعجزات و الكفايه بلوغ حد ينافى الحاجه «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ» معناه إن فى القرآن «لَرَحْمَةً» أى نعمه عظيمه الموقع لأن من تبعه و عمل به نال الثواب و فاز بالجنه «وَذِكْرَى» أى و تذكير أو موعظه «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» أى يصدقون به و قيل أن قوماً من المسلمين كتبوا شيئاً من كتب أهل الكتاب فهددهم سبحانه فى هذه الآية و نهاهم عنه و

قال النبى ص جئتكم بها بيضاء نقيه

«قُلْ» يا محمد «كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي

وَيَبِّئُكُمْ شَهِيداً لى بالصدق و الإبلاغ و عليكم بالتكذيب و العناد و شهاده الله له قوله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ و هو فى كلام معجز قد ثبت أنه من الله سبحانه و قيل إن شهاده الله له إثبات المعجزه له بإنزال الكتاب عليه «يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» فيعلم أنى على الهدى و أنكم على الضلاله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ» أى صدقوا بغير الله عن ابن عباس و قيل بعباده الشيطان عن مقاتل «وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ» أى جحدوا و حدانيه الله «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» خسروا ثواب الله بارتكاب المعاصى و الجحود بالله «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ» يا محمد أى يسألونك نزول العذاب عاجلاً- لجحودهم صحه ما توعدهم به كما قال النضر بن الحرث أمطر علينا حجاره من السماء «وَ لَوْلَا- أَجَلٌ مُّسَمًّى» أى وقت قدره الله تعالى أن يعاقبهم فيه و هو يوم القيامة أو أجل قدره الله تعالى أن يبقينهم إليه لضرب من المصلحه «لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ» الذى استحقوه «وَ لِيَأْتِيَنَّهُمُ الْعَذَابُ» بَعْتَهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» باتيانه و وقت مجيئه ثم ذكر أن موعد عذابهم النار فقال «يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» يعنى إن العذاب و إن لم يأتهم فى الدنيا فإن جهنم محيطه بهم أى جامعهم لهم و هم معذبون فيها لا محاله «يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» يعنى أن العذاب يحيط بهم لا أنه يصل إلى موضع منهم دون موضع فلا يبقى جزء منهم إلا و هو معذب فى النار عن الحسن و هذا كقوله لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ «وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى جزاء أعمالكم و أفعالكم القبيحه.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

إشاره

يا عِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِىَ وَاسِعَةٌ فَإِىَّآى فَاَعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَبَوَّئْتُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَ كَأَيُّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)

القراءه

قرأ يرجعون بالياء يحيى عن أبى بكر و هشام و الباقون بالتاء و قرأ أهل الكوفه

غير عاصم لثوينهم بالثاء و الباقون «لَتَبَوَّئَتْهُمْ» بالباء.

الحج

قال أبو على أما يرجعون بالياء فلان الذى قبله على لفظ الغيبة و «تُرْجَعُونَ» على أنه انتقل من الغيبة إلى الخطاب مثل إِيَّاكَ نَعْبُدُ بعد قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ و حجه من قرأ «لَتَبَوَّئَتْهُمْ» بالباء قوله «وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ» و «إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» و تكون اللام هنا زائده كزيادتها فى قوله «رَدِفَ لَكُمْ» و يجوز أن يكون بؤأنا لدعاء إبراهيم (عليه السلام) و يكون المفعول محذوفا أى بؤأنا لدعائه ناسا مكان البيت و من قرأ لثوينهم فحجته قوله «وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» أى مقيما نازلا فيهم قال الأعمش:

أثوى و قصر ليله ليزودا و مضى و أخلف من قتيله موعدا

و قال حسان:

" ثوى فى قريش بضع عشره حجه "

أى أقام فيهم فإذا تعدى بحرف جر فزيدت عليه الهمزة و جب أن يتعدى إلى المفعول الثانى بحرف جر و ليس فى الآيه حرف جر قال أبو الحسن قرأ الأعمش لثوينهم من الجنة غرفا و لا يعجبني لأنك لا تقول أثويته الدار قال أبو على و وجهه أنه كان فى الأصل لثوينهم من الجنة فى غرف كما يقول لثوينهم من الجنة فى غرف و حذف الجار كما حذف من قولك " أمرتك الخير فافعل ما أمرت به " و يقوى ذلك أن الغرف و إن كانت أماكن مختصة فقد أجريت المختصه من هذه الحروف مجرى غير المختص نحو قوله:

(كما عسل الطريق الثعلب)

و نحو ذهب الشام عند سيويه.

الإعراب

خالد بن نصب على الحال من الهاء و الميم. «الَّذِينَ صَبَرُوا» فى موضع جر صفة للعالمين و يكون المخصوص بالمدح محذوفا أى نعم أجر العاملين الصابرين المتوكلين أجرهم و يجوز أن يكون المضاف محذوفا أى نعم أجر العاملين أجر الذين صبروا فحذف المخصوص بالمدح و أقام المضاف إليه مقامه. «وَكَايِّنَ مِنْ دَابَّهِ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ». موضع كآين مرفوع. و من دابه فى موضع التبيين له. و قوله «لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» صفة للمجرور و يكون قوله الله مبتدأ و يرزقها خبره و الجملة خبر كآين.

قيل نزلت الآيه الأولى فى المستضعفين من المؤمنين بمكه أمروا بالهجره عنها عن مقاتل و الكلبى و نزل قوله «وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» فى جماعه كانوا بمكه يؤذيههم المشركون فأمروا بالهجره إلى المدينه فقالوا كيف نخرج إليها و ليس لنا بها دار و لا عقار و من يطعمنا و من يسقينا.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه لا عذر لعباده فى ترك طاعته فقال «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ» يبعد أقطارها فاهربوا من أرض يمنعكم أهلها من الإيمان و الإخلاص فى عبادتى و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) معناه إذا عصى الله فى أرض أنت فيها فاخرج منها إلى غيرها

و قيل معناه إن أرض الجنة واسعة عن الجبائى و أكثر المفسرين على القول الأول «فَأَيُّهَا فَاعْبُدُونِ» أى اعبدونى خالصا و لا تطيعوا أحدا من خلقى فى معصيتى و إياى منصوب بفعل مضمير يفسره ما بعده و قد مر بيانه و قيل إن دخول الفاء للجزاء و التقدير إن ضاق بكم موضع فاعبدونى و لا تعبدوا غيرى إن أرضى واسعة أمر سبحانه المؤمنين إذا كانوا فى بلد لا يلتئم فيه لهم أمر دينهم أن ينتقلوا عنه إلى غيره ثم خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجره فقال «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» أى كل نفس أحيها الله بحياء خلقها فيه ذائقه مراره الموت بأى أرض كان فلا- تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت «ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» بعد الموت فنجازيكم بأعمالكم ثم ذكر سبحانه ثواب من هاجر فقال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» يعنى المهاجرين «لَتَبَوِّئَنَّهُمْ» أى لننزلنهم «مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا» أى علالى عاليات «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» قال ابن عباس لنسكننهم غرف الدر و الزبرجد و الياقوت و لننزلنهم قصور الجنة «خَالِدِينَ فِيهَا» يبقون فيها ببقاء الله «نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» لله تلك الغرف ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ صَبَرُوا» على دينهم فلم يتركوه لشده نالتهم و أذى لحقهم و صبروا على مشاق الطاعات «وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فى مهمات أمورهم و مهاجره دورهم ثم قال «وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» أى و كم من دابه لا يكون رزقها مدخرا معدا عن الحسن و قيل معناه لا تطيق حمل رزقها لضعفها و تأكل بأفواهاها عن مجاهد و قيل إن الحيوان أجمع من البهائم و الطيور و غيرها مما يدب على وجه الأرض لا تدخر القوت لغدها إلا ابن آدم و النمله و الفأره بل تأكل منه قدر كفايتها فقط عن ابن عباس «اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ» أى يرزق تلك الدابه الضعيفه التى لا تقدر على حمل رزقها و يرزقكم أيضا فلا تتركوا الهجره بهذا السبب و

عن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله ص حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر و يأكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت لا أشتهيه يا رسول الله قال لكنى أشتهيه و هذه صبح رابعه منذ لم أذق

طعاما و لو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى و قيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت مع قوم يخبثون رزق سنتهم لضعف اليقين فو الله ما برحنا حتى نزلت هذه الآية «وَكَأَيُّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»
أى السميع لأقوالكم عند مفارقه أوطانكم العليم بأحوالكم لا يخفى عليه شىء من سركم و إعلاناتكم.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الى ٦٩]

اشاره

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَيَّحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)

لَيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَ لَيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَ يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَ مِنْ أَظْلَمِ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨) وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)

قرأ ابن كثير و قالون و أهل الكوفه غير عاصم إلا الأعمش و البرجمي و ليتمتعوا ساكنه اللام و الباقون و «لِيَتَمَتَّعُوا» بكسر اللام.

الحجه

قال أبو علي من كسر اللام و جعلها الجاره كانت متعلقه بالإشراك المعنى يشركون ليكفروا أى لا فائده لهم فى الإشراك إلا الكفر و ليس يرد عليهم الشرك نفعاً إلا الكفر و التمتع بما يستمتعون به فى العاجله من غير نصيب فى الآخره و من قرأ و ليتمتعوا و أراد الأمر كان على معنى التهديد و الوعيد كقوله «وَ اسْتَفْرِزْ مِنْ اسْتَطَعْتَ» و «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ» و يدل على ذلك قوله فى موضع آخر «فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» و الإسكان فى لام الأمر سائغ.

اللغه

قال أبو عبيده الحيوان و الحياه واحد و هما مصدران حى حياه و حيوانا و الحياه عرض يصير الأجزاء بمنزله الشىء الواحد حتى يصح أن يكون قادرا عالما و خاصيه الحياه الإدراك. و التخطف تناول الشىء بسرعته و منه اختطاف الطير لصيده.

الإعراب

أنى فى قوله «فَأَنى يُؤْفَكُونَ» منصوب الموضع فيجوز أن يكون حالا- من يؤفكون و التقدير منكبين يؤفكون و يجوز أن يكون مصدرا تقديره أى إفك يؤفكون «وَ يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» جمله فى موضع الحال.

المعنى

ثم عجب سبحانه و رسوله و المؤمنون من إيمان المشركين بالباطل مع اعترافهم بأن الله هو الخالق الفاعل فقال «وَ لَئِن سَأَلْتَهُمْ» أى إن سألت يا محمد هؤلاء المشركين «مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» أى من أنشأهما و أخرجهما من العدم إلى الوجود «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» أى من ذللهما و سيرهما فى دورانهما على طريقه واحده لا تختلف «لَيَقُولُنَّ» فى جواب ذلك «اللَّهُ» الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم و النشأ الأولى «فَأَنى يُؤْفَكُونَ» أى فكيف يصرفون عن عبادته إلى عباده حجر لا ينفع و لا يضر «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ» أى يوسعه «لَمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ» أى و يضيق ذلك على قدر ما تقتضيه المصلحه و إنما خص بذكر الرزق على الهجره لثلاث- يخلفهم عنها خوف العيله «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» يعلم مصالح عباده فيرزقهم بحسبها «وَ لَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ» فى الجواب عن ذلك «اللَّهُ قُلِ» يا محمد عند ذلك «الْحَمْدُ لِلَّهِ» على كمال قدرته و تمام نعمته و على ما وفقنا للاعتراف بتوحيده و الإخلاص فى عبادته ثم قال «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» توحيد ربهم مع إقرارهم بأنه خالق الأشياء و منزل المطر من السماء لأنهم لا يتدبرون و عن الطريق المفضى

إلى الحق يعدلون فكأنهم لا- يعقلون «وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ» لأنها تزول كما يزول اللهو و اللعب و يستمتع بها الإنسان مده ثم تنصرم و تنقطع «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ» يعنى الجنة «لَهِيَ الْحَيَاةُ» أى الحياه على الحقيقه لأنها الدائمه الباقيه التى لا زوال لها و لا- موت فيها و تقديره و إن الدار الآخره لهى دار الحيوان أو ذات الحيوان لأن الحيوان مصدر كالتزوان و الغليان فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و المعنى أن حياه الدار الآخره هى الحياه التى لا تنغىص فيها و لا تكدير «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» الفرق بين الحياه الفانيه و الحياه الباقيه الدائمه أى لو علموا لرغبوا فى الباقي و زهدوا فى الفانى و لكنهم لا يعلمون «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أخبر الله سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال إنهم إذا ركبوا فى السفن فى البحر و هاجت به الرياح و تلاطمت به الأمواج و خافوا الهلاك أخلصوا الدعاء لله مستيقنين أنه لا- يكشف السوء إلا- هو و تركوا شركاءهم فلم يطلبوا منهم إنجاءهم «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» أى فلما خلصهم إلى البر و أمنوا الهلاك عادوا إلى ما كانوا عليه من الإشراك معه فى العباده «لِيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» إن جعلت اللام للأمر فمعناه التهديد أى ليجحدا نعم الله فى إنجائه إياهم و ليتمتعوا بباقي عمرهم فسوف يعلمون عاقبه كفرهم و إن جعلتها لام كى فالمعنى أنهم يشركون ليكفروا و قد مر معناه «أَوْ لَمْ يَرَوْا» أى ألم يعلم هؤلاء الكفار «أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا» يأمن أهله فيه من القتل و الغاره «وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» أى يقتل بعضهم بعضا فيما حولهم و هم آمنون فى الحرم ذكرهم سبحانه النعمه بذلك ليذعنوا له بالطاعه و ينزجروا عن عبادته غيره ثم قال مهددا لهم «أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ» أى يصدقون بعباده الأصنام و هى باطله مضمحله «وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ» التى أنعم بها عليهم «يَكْفُرُونَ» ثم قال «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى لا ظالم أظلم ممن أضاف إلى الله ما لم يقله من عبادته الأصنام و غيرها «أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ» أى بالقرآن و قيل بمحمد ص «لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ» هذا استفهام تقرير أى أما لهؤلاء الكفار المكذبين مثنوى فى جهنم و هذا مبالغه فى إنجاز الوعيد لهم «وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا» أى جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا و طاعه لنا و جاهدوا أنفسهم فى هواها خوفا منا و قيل معناه اجتهدوا فى عبادتنا رغبه فى ثوابنا و رهبه فى عقابنا «لَنُهِدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» أى لنهدينهم السبل الموصله إلى ثوابنا عن ابن عباس و قيل لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم و قيل معناه و الذين جاهدوا فى إقامه السنه لنهدينهم سبل الجنه و قيل معناه و الذين يعملون بما يعلمون لنهدينهم إلى ما لا يعلمون «وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» بالنصر و المعونه فى دنياهم و الثواب و المغفره فى عقابهم و بالله التوفيق.

(٣٠) سورة الروم مكيه و آياتها ستون (٦٠)

اشاره

[توضيح]

هي مكيه قال الحسن إقوله «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ» الآيه

عدد آياتها

تسع و خمسون مكيه و المدني الأخير و الباكون ستون آيه.

اختلافها

أربع آيات «الم» كوفى «غَلَبَتِ الرُّومُ» غير الكوفى و المدني الأخير فى بضع سنين» غير الكوفى و المدني الأول «يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ» المدني الأول.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله ما بين السماء و الأرض و أدرك ما ضيع فى يوم و ليلته.

تفسيرها

أجمل فى آخر العنكبوت ذكر المجاهدين ثم فصل فى هذه السوره فقال:

[سورة الروم (٣٠): الآيات ١ الى ٧]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فى أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فى بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعده و يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)

بَنَصْرٍ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَ عَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)

قال الزجاج الغلب والغلبه مصدر غلبت مثل الجلب والجلبه والغلبه الاستيلاء على القرن بالقهر والبضع القطعه من العدد ما بين الثلاثه إلى العشره و هو من بضعته أى قطعتة تبضيعا و منه البضاعه القطعه من المال تدور فى التجاره قال المبرد البضع ما بين العقدين فى جميع الأعداد و الفرح و السرور نظيران و تقيضهما الغم و ليس شىء من ذلك بجنس و الصحيح أنها من جنس الاعتقاد.

الإعراب

«مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ» تقديره من بعد أن غلبوا فالمصدر مضاف إلى المفعول.

وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله «سَيَعْلَبُونَ» وعد من الله للمؤمنين فالمعنى وعد الله ذلك وعدا.

المعنى

«الم» مر تفسيره «غَلِبَتِ الرُّومُ» قال المفسرون غلبت فارس الروم و ظهروا عليهم على عهد رسول الله ص و فرح بذلك كفار قريش من حيث إن أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب و ساء ذلك المسلمين و كان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبه للمسلمين فدفعتهم فارس عنه و قوله «فِي أَدْنَى الْأَرْضِ» أى فى أدنى الأرض من أرض العرب عن الزجاج و قيل فى أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس يريد الجزيره و هى أقرب أرض الروم إلى فارس عن مجاهد و قيل يريد أذرعات و كسكر عن عكرمه «وَ هُمْ» يعنى الروم «مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ سَيَعْلَبُونَ» أى من بعد غلبه فارس إياهم سيغلبون فارس «فِي بَضْعِ سَيِّئِينَ» و هذه من الآيات الداله على أن القرآن من عند الله عز و جل لأن فيه أنباء ما سيكون و ما يعلم ذلك إلا الله عز و جل «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدِ» أى من قبل أن غلبت الروم و من بعد أن غلبت فإن شاء جعل الغلبه لأحد الفريقين على الآخر و إن شاء جعل الغلبه للفريق الآخر عليهم و إن شاء أهلكتهم جميعا «وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ» أى و يوم يغلب الروم فارسا يفرح المؤمنون بدفع الروم فارسا عن بيت المقدس لا- بغلبه الروم على بيت المقدس فإنهم كفار و يفرحون أيضا لوجوه آخر و هو اغتنام المشركين بذلك و لتصديق خبر الله عز و جل و خبر رسوله و لأنه مقدمه لنصرهم على المشركين «يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ» من عباده «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» فى الانتقام من أعدائه «الرَّحِيمُ» بمن أناب إليه من خلقه «وَ عِدَّ اللَّهُ» أى وعد الله ذلك «لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» بظهور الروم على فارس «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ» يعنى كفار مكة «لَا يَعْلَمُونَ» صحه ما أخبرناه لجهلهم بالله تعالى

«يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» أى يعلمون منافع الدنيا و مضارها و متى يزرعون و متى يحصدون و كيف يجمعون و كيف يبنون و هم جهال بالآخرة فعمرؤا دنياهم و خربوا آخرتهم عن ابن عباس و قال الحسن بلغ و الله من علم أحدهم بدنياه أن يقلب الدرهم على ظهره فيخبرك بوزنه و ما يحسن أن يصلى و

سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن قوله «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فقال منه الزجر و النجوم.

[القصة]

عن الزهري قال كان المشركون يجادلون المسلمين و هم بمكة يقولون أن الروم أهل كتاب و قد غلبهم الفرس و أنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذى أنزل إليكم على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم و أنزل الله تعالى «الم غُلِبَتِ الرُّومُ» إلى قوله «فِي بضع سنين»

قال فأخبرنى عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا بكر ناحب بعض المشركين قبل أن يحرم القمار على شىء إن لم تغلب فارس فى سبع سنين فقال رسول الله ص لم فعلت فكل ما دون العشرة بضع

فكان ظهور فارس على الروم فى تسع سنين ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبيه ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب و روى أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن ابن عباس فى قوله «الم غُلِبَتِ الرُّومُ» قال قد مضى كان ذلك فى أهل فارس و الروم و كانت فارس قد غلبت عليهم ثم غلبت الروم بعد ذلك و لقي نبي الله مشركى العرب و التقت الروم و فارس فنصر الله النبي ص و من معه من المسلمين على مشركى العرب و نصر أهل الكتاب على مشركى العجم ففرح المسلمون بنصر الله إياهم و نصر أهل الكتاب على العجم قال عطيه و سألت أبا سعيد الخدرى عن ذلك فقال التقينا مع رسول الله ص و مشركو العرب و التقت الروم و فارس فنصرنا الله على مشركى العرب و نصر أهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله إيانا على مشركى العرب و نصر أهل الكتاب على المجوس فذلك قوله «يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ» و قال سفيان الثورى سمعت أنهم ظهروا يوم بدر و قال مقاتل فلما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة و أخبر رسول الله ص أن الروم غلبت فارسا ففرح المؤمنون بذلك و روى أنهم استردوا بيت المقدس و أن ملك الروم مشى إليك شكرا و بسطت له الرياحين فمشى عليها و قال الشعبى لم تمض تلك المده

التي عقدها أبو بكر مع أبي بن خلف حتى غلبت الروم فارسا و ربطوا خيولهم بالمدائن و بنوا الروميه فأخذ أبو بكر الخطر من ورثته و جاء به إلى رسول الله ص فتصدق به و روى أن أبا بكر لما أراد الهجرة تعلق به أبي و أخذ ابنه عبد الله بن أبي بكر كفيلا فلما أراد أن يخرج أبي إلى حرب أحد تعلق به عبد الله بن أبي بكر و أخذ منه ابنه كفيلا و جرح أبي في أحد و عاد إلى مكة فمات من تلك الجراحه جرحه رسول الله ص و جاءت الروايه

عن النبي ص أنه قال لفارس نطحه أو نطحتان ثم قال لا فارس بعدها أبدا و الروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلف قرن هبهب إلى آخر الأبد

و المعنى أن فارس تنطح نطحه أو نطحتين فيبطل ملكها و يزول أمرها

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٨ الى ١٠]

اشاره

أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسِهِمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوَايَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)

القرءاءه

قرأ أهل الكوفه غير البرجمي و الشموني عن أبي بكر عاقبه بالنصب و الباقون بالرفع.

الحججه

قال أبو علي من نصب عاقبه جعلها خبر كان و نصبها متقدمه كما قال و كان

حَقًّا عَلَيْنَا نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا اسْمُهَا عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الشَّيْئِينَ السُّوْأَى عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا وَيَكُونُ إِنْ كَذَبُوا مَفْعُولًا لَهُ أَى لِأَنَّ كَذَبُوا وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَذَبُوا مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ «أَسَاءُوا» عَلَى هَذَا لِأَنَّكَ تَفْصِلُ بَيْنَ الصِّلَةِ وَالْمَوْصُولِ بِاسْمٍ كَانَ أَوْ يَكُونُ إِنْ كَذَبُوا اسْمٌ كَانَ وَالتَّقْدِيرُ ثُمَّ كَانَ التَّكْذِيبُ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا وَيَكُونُ السُّوْأَى عَلَى هَذَا مَصْدَرًا لِأَسَاءُوا لِأَنَّ فِعْلِيَّ مِنْ أَيْبِنِهِ الْمَصَادِرُ كَالرَّجْعِيِّ وَالشُّورَى وَالبُشْرَى وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ السُّوْأَى وَالسُّوءَ بِمَنْزِلَةِ الْمَصْدَرِ مَا أَنْشَدَهُ أَبُو عَمْرٍو:

أَنى جزوا عامرا سوءا بفعلهم أم كيف يجزوننى السوآى من الحسن

و من رفع عاقبه جاز أن يكون الخبر أحد الشئئين السوآى و إن كذبوا كما جاز فى النصب أن يكون كل واحد منهما الاسم و معنى الذين أساءوا الذين أشركوا و التقدير ثم كان عاقبه المسىء التكلذيب بآيات الله أى لم يظفر فى كفره و شركه بشىء إلا بالتكذيب و إذا جعلت أن كذبوا نفس الخبر جعلت السوآى فى موضع نصب بأنه مصدر و قد يجوز أن يكون السوآى صفه لموصوف محذوف كأنه قال الخله السوآى أو الخلال السوآى.

المعنى

ثم حث سبحانه على التفكير و التدبر فيما يدل على توحيده من خلق السماوات و الأرض ثم فى أحوال القرون الخالية و الأمم الماضيه فقال «أَوْ لَمْ يَتَّفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ» أَى فى حال الخلوه لأن فى تلك الحاله يتمكن الإنسان من نفسه و يحضره ذهنه و قيل معناه أ و لم يتفكروا فى خلق الله أنفسهم و المعنى أ و لم يتفكروا فيعلموا و حذف لأن فى الكلام دليلا- عليه «مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» قال الزجاج معناه إلا للحق أى لإقامه الحق و معناه للدلاله على الصانع و التعريض للشواب «وَأَحْبَلِ مُسَيِّمِي» أَى و لوقت معلوم توفى فيه كل نفس ما كسبت و قيل معناه خلقها فى أوقات قدرها اقتضت المصلحه خلقها فيها و لم يخلقها عبثا عن الجبائى (سؤال) قالوا كيف يعلم المتفكر فى نفسه إن الله سبحانه لم يخلق شيئا إلا بالحق و كيف يعلم الآخره (جواب) قلنا إذا علم بالنظر فى نفسه أنه محدث مخلوق و إن له محدثا قديما قادرا عالما حيا و أنه لا يفعل القبيح و أنه حكيم علم أنه لم يخلقه عبثا و إنما خلقه لغرض و هو التعريض للشواب و ذلك لا يتم إلا بالتكليف فلا بد إذا من الجزاء فإذا لم يوجد فى الدنيا فلا بد من دار أخرى يجازى فيها و يعلم إذا خلق ما لا ينتفع بنفسه فلا بد أن يكون الغرض أن ينتفع الحى به «وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ» أَى بقاء جزاء ربهم و بالبعث و بيوم القيامة لجاحدون غير معترفين ثم نبههم سبحانه دفعه أخرى فقال «أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عاقِبَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأعمى «كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قَبْوَةً» فهلكوا وبادوا فيعتبروا بهم لعلمهم أنهم أهلكوا بتكذيبهم «وَأَثَرُوا الْأَرْضَ» أى وقلبوها وحرثوها بعمارتها عن مجاهد «وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا» أى أكثر مما عمرها هؤلاء الكفار لأنهم كانوا أكثر أموالا و أطول أعمارا و أكثر أعدادا فحفروا الأنهار و غرسوا الأشجار و بنوا الدور و شيدوا القصور ثم تركوها و صاروا إلى القبور و إلى الهلاك و الثبور «وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى أتتهم رسلهم بالدلالات من عند الله و فى الكلام حذف تقديره فجددوا الرسل و كذبوا بتلك الرسل فأهلكهم الله بالعذاب «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» بأن يهلكهم من غير استحقاق «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بأن جحدوا رسل الله و أشركوا معه فى العباده سواه حتى استحقوا العذاب عاجلا و آجلا «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا» إلى نفوسهم بالكفر بالله و تكذيب رسله و ارتكاب معاصيه «السُّوَاى» أى الخلة التى تسوء صاحبها إذا أدركها و هى عذاب النار عن ابن عباس و قتاده «أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ» أى لتكذيبهم بآيات الله و استهزائهم بها.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ١١ الى ٢٠]

إشارة

اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضِهِ يُحْبَرُونَ (١٥)

وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠)

قرأ يرجعون بالياء أبو عمرو غير عباس وأوقيه وسهل وحماد ويحيى مختلف عنهما والباقون بالتاء وقرأ حمزه والكسائي وكذلك تخرجون بفتح التاء والباقون بضمها وفتح الراء وفي الشواذ قراءة عكرمه حينما تمسون وما بعده.

الحجه

قال أبو علي حجه الياء إن المتقدم ذكره غيبه «يَيْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» والخلق هم المخلوقون في المعنى وجاء قوله «ثُمَّ يُعِيدُهُ» على لفظ الخلق وقوله «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» على المعنى ولم يرجع على لفظ الواحد ووجه التاء أنه صار الكلام من الغيبه إلى الخطاب ووجه من قرأ يخرجون قوله «مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونُ» ووجه «تُخْرَجُونَ» مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا وقوله «كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى» وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ و أما قوله «حِينَ تُمْسُونَ» فالمراد تمسون فيه فحذف فيه تخفيفا على مذهب صاحب الكتاب في نحوه ومثله قوله تعالى «وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» أى لا تجزى فيه قال ابن جنى قال سيبويه حذف فيه معتبطا لحرف الجر والضمير لدلاله الفعل عليهما وقال أبو الحسن حذف في فبقى تجزیه لأنه أوصل الفعل إليه ثم حذف الضمير من بعد فهما حذفان متتاليان شيئا على شىء.

اللغه

الإبلاس اليأس من الخير وقيل هو التحير عند لزوم الحجه قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم أعرفه وأبلسا

والحبره المسره و منه الحبر العالم والحبر الجمال وفي

الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره وسبره

أى جماله وسحناؤه والتحبير التحسين الذى يسر به وخص ذكر الروضه هاهنا لأنه ليس عند العرب شىء أحسن منها قال الأعشى:

ما روضه من رياض الحزن معشبه خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق موزر بعيمم النبت مكتهل

يوما بأطيب منها نشر رائحه و لا بأحسنت منها إذ دنا الأصل

. الإعراب

«وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُ يَتَفَرَّقُونَ» يوم ظرف ليتفرقون و يومئذ بدل عنه و موضع الكاف من كذلك نصب بقوله «تُخْرَجُونَ».

المعنى

ثم ذكر سبحانه قدرته على الإعادة فقال «اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فيجازيهم بأعمالهم «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنَلِّسُ الْمُجْرِمُونَ» أى يوم تقوم القيامة ييأس الكافرون من رحمه الله تعالى و نعمه التى يفيضها على المؤمنين و قيل يتحIRON و تنقطع حججهم بظهور جلائل آيات الآخرة التى يقع عندها علم الضروره «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ» أى لم يكن لهم من أوثانهم التى عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء تشفع لهم أو تدفع عنهم كما زعموا أنا نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى «وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ» يعنى أن المشركين يتبرءون من الأوثان و ينكرون كونها آلهه و يقرون بأن الله لا شريك له عن الجبائى و أبى مسلم «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ» أى تظهر القيامة «يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ» فيصير المؤمنون أصحاب اليمين و المشركون أصحاب الشمال فيتفرقون تفرقا لا يجتمعون بعده و قال الحسن لئن كانوا اجتمعوا فى الدنيا ليتفرقن يوم القيامة هؤلاء فى أعلى عليين و هؤلاء فى أسفل السافلين و هو قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ» أى فى الجنة ينعمون و يسرون سرورا يبين لهم عليهم عن قتاده و مجاهد و منه قيل كل حبره تتبعها عبره و الروضه البستان المتناهى منظرا و طيبا و قال ابن عباس يحبرون أى يكرمون و قيل يلذذون بالسمع

عن يحيى بن أبى كثير و الأوزاعى أخبرنا أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقى قال

أخبرنا جدى الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي قال حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد قال أخبرنا أبو الحسن علي بن بندار قال حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن القرباني قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامه الباهلي أن رسول الله ص قال ما من عبد يدخل الجنة إلا و يجلس عند رأسه و عند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس و الجن و ليس بمزمار الشيطان و لكن بتمجيد الله و تقديسه

و

عن أبي الدرداء قال كان رسول الله ص يذكر الناس فذكر الجنة و ما فيها من الأزواج و النعيم و فى القوم أعرابى فجثا لركبتيه و قال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا أعرابى إن فى الجنة نهرا حافتاه الأبقار من كل بيضاء يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة

قال الراوى سألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسيح و عن إبراهيم إن فى الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضه فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا [هذا الحديث ليس فى بعض النسخ و فى أكثرها موجود] و

عن أبي هريره قال قال رسول الله ص الجنة مائه درجه ما بين كل درجتين منها كما بين السماء و الأرض و الفردوس أعلاها سماو و أوسطها محله و منها تنفجر أنهار الجنة فقام إليه رجل و قال يا رسول الله إنى رجل حبب إلى الصوت فهل لى فى الجنة صوت حسن فقال أى و الذى نفسى بيده إن الله تعالى يوحى إلى شجره فى الجنة أن أسمعى عبادى الذين اشتغلوا بعبادتى و ذكرى عن عزف البرابط و المزامير فترفع صوتا لم يسمع الخلائق بمثله قط من تسيح الرب

ثم أخبر عن حال الكافرين فقال «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ» أى بدلائلنا و بالبعث يوم القيامة «فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحَضَّرُونَ» أى فيه محصلون و لفظه الإحضار لا تستعمل إلا فيما يكرهه الإنسان يقال أحضر فلان مجلس القضاء إذا جى ء به لما لا- يؤثره و منه حضور الوفاة ثم ذكر سبحانه ما تدرك به الجنة فقال «فَسَبِّحْ حَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ» و هذا خبر و المراد به الأمر أى فسبحوه و زهوه عما لا يليق به أو ينافى تعظيمه من صفات النقص بأن تصفوه بما يليق به من الصفات و الأسماء. و الإمساء الدخول فى المساء و هو مجى ء الليل و الإصباح نقيضه و هو الدخول فى الصباح و هو مجى ء

ضياء النهار و له الثناء و المدح فى السماوات و الأرض أى هو المستحق لمدح أهلها لإنعامه عليهم و عشاى أى و فى العشى و حين تدخلون فى الظهيره و هى نصف النهار و إنما خص تعالى هذه الأوقات بالذكر بالحمد و إن كان حمده واجبا فى جميع الأوقات لأنها أوقات تذكر بإحسان الله و ذلك إن انقضاء إحسان أول إلى إحسان ثان يقتضى الحمد عند تمام الإحسان الأول و الأخذ فى الآخر كما أخبر سبحانه عن حمد أهل الجنة بقوله «وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» لأن ذلك حال الانتقال من نعيم الدنيا إلى الجنة و قيل إن الآيه تدل على الصلوات الخمس فى اليوم و الليله لأن قوله «حِينَ تُمْسُونَ» يقتضى المغرب و العشاء الآخره «وَ حِينَ تُصْبِحُونَ» يقتضى صلاه الصبح «وَ عَشِيًّا» يقتضى صلاه العصر «وَ حِينَ تُظْهِرُونَ» يقتضى صلاه الظهر عن ابن عباس و مجاهد و هو الأحسن لأنه خص هذه الأوقات بالذكر و قيل إنما خص صلاه الليل باسم التسييح و صلاه النهار باسم الحمد لأن الإنسان فى النهار متقلب فى أحوال توجب الحمد لله عليها و فى الليل على أحوال توجب تنزيه الله تعالى من الأسواء فيها فلذلك صار الحمد فى النهار أخص فسميت به صلاه النهار و التسييح بالليل أخص فسميت به صلاه الليل «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» أى يخرج الإنسان من النطفه و يخرج النطفه من الإنسان عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل يخرج المؤمن من الكافر و يخرج الكافر من المؤمن عن مجاهد و قد ذكرنا فيما تقدم «وَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» بالنبات بعد جدوبها «وَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ» أى كما أحيا الأرض بالنبات كذلك يحييكم بالبعث و تخرجون من قبوركم أحياء «وَ مِنْ آيَاتِهِ» أى و من دلالاته على وحدانيته و كمال قدرته «أَنْ خَلَقَكُمْ» أى خلق آدم الذى هو أبوكم و أصلكم «مِنْ تُرَابٍ» ثم خلقكم منه و ذلك قوله «ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ نَنْشِئُونَ» أى ثم إذا أنتم ذريه بشر من لحم و دم تنبسطون فى الأرض و تنصرفون على ظهرها و تتفرقون فى أطرافها فهلا ذلك على أنه لا يقدر على ذلك غيره تعالى و أنه لا يستحق العباده سواه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٢١ الى ٢٥]

اشاره

وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)
وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (٢٢) وَ مِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)

قرأ حفص «لِلْعَالَمِينَ» بكسر اللام الأخيره و الباقون بفتحها.

الحجه

قال أبو على خص العالمين فى روايه حفص و إن كانت الآيه لكافه الناس عالمهم و جاهلهم لأن العالم لما تدبر فاستدل بما شاهده على ما لم يستدل عليه غيره صار كأنه ليس بآيه لغير العالم لذهابه عنها و تركه الاعتبار بها و من قال للعالمين فلأن ذلك فى الحقيقه دلالة و موضع اعتبار و إن ترك تاركون لغفلتهم أو لجهلهم التدبر بها و الاستدلال بها.

الإعراب

فى قوله «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ» أقوال (أحدها) إن التقدير و من آياته أن يريكم فلما حذف أن ارتفع الفعل كقول طرفه:

أ لا أى هذا الزاجرى أحضر الوغى و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

و فى المثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه (و ثانيها) أن التقدير و من آياته آيه يريكم البرق بها ثم حذف لدلاله من عليها و مثله من الشعر:

و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت و أخرى أبتغى العيش أكدح

أى فمنها تاره أموتها أى أموت فيها (و ثالثها) أن يكون التقدير و يريكم البرق خوفا و طمعا و من آياته فيكون عطفًا لجمله على جملة و قوله «خَوْفًا وَ طَمَعًا» منصوبان على تقدير

اللام و التقدير لتخافوا خوفا و لتطمعوا طمعا ثم إذا دعاكم دعوه من الأرض الجار يتعلق بمحذوف فى موضع الحال من الكاف و الميم أى إذا دعاكم خارجين من الأرض و إن شئت كان وصفا للنكره أى دعوه ثابتة من هذه الجهة و لا يجوز أن يتعلق بيخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبله.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما قدمه من تنبيه العبيد على دلائل التوحيد فقال «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أى جعل لكم من شكل أنفسكم و من جنسكم «أَزْوَاجًا» و إنما من سبحانه علينا بذلك لأن الشكل إلى الشكل أميل عن أبى مسلم و قيل معناه أن حواء خلقت من ضلع آدم (عليه السلام) عن قتاده و قيل إن المراد بقوله «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أن النساء خلقن من نطف الرجال «لَتَسِيكُنُوا إِلَيْهَا» أى لتطمئنوا إليها و تألفوا بها و يستأنس بعضكم ببعض «وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً» يريد بين المرأه و زوجها جعل سبحانه بينهما الموده و الرحمه فهما يتوادان و يتراحمان و ما شىء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما قال السدى الموده المحبه و الرحمه الشفقه «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى خلق الأزواج مشاكلة للرجال «لآيَاتٍ» أى لدلالات واضحات «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فى ذلك و يعتبرون به ثم نبه سبحانه على آيه أخرى فقال «وَمِنْ آيَاتِهِ» الداله على توحيدة «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و ما فيهما من عجائب خلقه و بدائع صنعه مثل ما فى السماوات من النجوم و الشمس و القمر و جريها فى مجاريها على غايه الاتساق و النظام و ما فى الأرض من أنواع الجماد و النبات و الحيوان المخلوقه على وجه الأحكام «وَ اخْتِلافُ السِّيَاتِكُمْ» فالألسنه جمع لسان و اختلافها هو أن ينشئها الله تعالى مختلفه فى الشكل و الهياه و التركيب فتختلف نغماتها و أصواتها حتى أنه لا يشته صوتان من نفسين هما إخوان و قيل إن اختلاف الألسنه هو اختلاف اللغات من العريبه و العجميه و غيرهما و لا شىء من الحيوانات تتفاوت لغاتها كتفاوت لغات الإنسان فإن كانت اللغات توقيفيا من قبل الله تعالى فهو الذى فعلها و ابتدأها و إن كانت مواضعه من قبل العباد فهو الذى يسرها «وَ أَلْوَانِكُمْ» أى و اختلاف ألوانكم من البياض و الحمره و الصفرة و السمره و غيرها فلا يشبه أحد أحدا مع التشاكل فى الخلقه و ما ذلك إلا للتراكيب البديعه و اللطائف العجيبه الداله على كمال قدرته و حكمته حتى لا يشته اثنان من الناس و لا يلتبسان مع كثرتهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى أدله واضحات «لِلْعَالَمِينَ» أى للمكلفين «وَمِنْ آيَاتِهِ» الداله على توحيدة و إخلاص العباده له «مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ» بالنهار و هذا تقديره أى يصرفكم فى طلب المعيشه و المنام و النوم بمعنى واحد و قيل إن الليل و النهار معا وقت للنوم و وقت لابتغاء الفضل لأن من الناس من

يتصرف في كسبه ليلا و ينام نهارا فيكون معناه و من دلائله النوم الذى جعله الله راحه لأبدانكم بالليل و قد تنامون بالنهار فإذا انتبهتم انتشرتم لابتغاء فضل الله «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» ذلك فيقبلونه و يتفكرون فيه لأن من لا يتفكر فيه لا ينتفع به فكأنه لم يسمعه «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا» معناه و من دلالاته أن يريكم النار تنقذح من السحاب يخافه المسافر و يطعم فيه المقيم عن قتاده و قيل خوفا من الصواعق و طمعا في الغيث عن الضحاك و قيل خوفا من أن يخلف و لا يمطر و طمعا في المطر عن أبي مسلم «وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فِيحْيِي بِهِ» أى بذلك الماء «الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أى بعد انقطاع الماء عنها و جدوبها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» أى للعقلاء المكلفين «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ» بلا دعامة تدعمها و لا- علاقته تتعلق بها بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و قيل بأمره أى بفعله و إمساكه إلا أن أفعال الله عز اسمه تضاف إليه بلفظ الأمر لأنه أبلغ في الاقتدار فإن قول القائل أراد فكان أو أمر فكان أبلغ في الدلالة على الاقتدار من أن يقول فعل فكان و معنى القيام الثبات و الدوام و يقال السوق قائمه «ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ» أى من القبر عن ابن عباس يأمر الله عز اسمه إسرافيل (عليه السلام) فينفخ فى الصور بعد ما يصور الصور فى القبور فيخرج الخلائق كلهم من قبورهم «إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» من الأرض أحياء و قيل أنه سبحانه جعل النفخه دعاء لأن إسرافيل يقول أجيئوا داعى الله فيدعو بأمر الله سبحانه و قيل إن معناه أخرجكم من قبوركم بعد أن كنتم أمواتا فيها فعبر عن ذلك بالدعاء إذ هو بمنزله الدعاء و بمنزله كن فيكون فى سرعه تأتى ذلك و امتناع التعذر و إنما ذكر سبحانه هذه المقدورات على اختلافها ليدل عباده على أنه القادر الذى لا- يعجزه شىء العالم الذى لا- يعزب عنه شىء و تدل هذه الآيات على فساد قول من قال إن المعارف ضروريه لأن ما يعرف ضروره لا يمكن الاستدلال عليه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشارة

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩) فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)

«هَيْلٌ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ» لكم الجار والمجرور فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ من شركاء و من مزیده و من فى قوله «مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» تتعلق بما يتعلق به اللام و يجوز أن يتعلق بمحذوف و يكون فى موضع نصب على الحال و العامل فى الحال ما يتعلق به اللام. «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» جملة فى موضع نصب لأنه جواب قوله «هَيْلٌ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ» و تقديره فتستووا و قوله «تَخَافُونَهُمْ» أى تخافون أن يساووكم كخيفتكم مساواه بعضكم بعضا. حنيفا نصب على الحال. فطره الله منصوب بمعنى اتبع فطره الله لأن معنى «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ» اتبع الدين القيم فيكون بدلا من وجهك فى المعنى.

المعنى

ثم قال سبحانه بعد أن ذكر الدلالات الداله على توحيده «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» من العقلاء يملكهم و يملك التصرف فيهم و إنما خص العقلاء لأن ما عداهم فى حكم التبعية لهم ثم أخبر سبحانه عن جميعهم فقال «كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ» أى كل له مطيعون فى الحياه و البقاء و الموت و البعث و إن عصوا فى العباده عن ابن عباس و هذا مفسر فى سورة البقره «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» أى يخلقهم إنشاء و يخترعهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الإفناء فجعل سبحانه ما ظهر من ابتداء خلقه دليلا على ما خفى من إعادته استدلالا بالشاهد على الغائب ثم أكد ذلك بقوله «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» هو يعود إلى مصدر يعيده فالمعنى و الإعاده أهون و قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه و هو هين عليه كقوله «اللَّهُ أَكْبَرُ» أى كبير لا يدانيه أحد فى كبريائه و كقول الشاعر:

لعمرك ما أدري و إنى لأوجل على أينا تغدو المنيه أول

فمعنى لأوجل أى وجل و قال الفرزدق:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

أى عزيزه طويله و قد قيل فيه أنه أراد أعز و أطول من دعائم بيوت العرب و قال آخر:

تمنى رجال أن أموت و إن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أى بواحد هذا قول أهل اللغة (و الثانى) أنه إنما قال أهون لما تقرر فى العقول إن إعادته الشىء أهون من ابتدائه و معنى أهون أيسر و أسهل و هم كانوا مقرين بالابتداء فكأنه قال لهم كيف تقرون بما هو أصعب عندكم و تنكرون ما هو أهون عندكم (الثالث) إن الهاء فى عليه يعود إلى الخلق و هو المخلوق أى و الإعادة على المخلوق أهون من النشأ الأولى لأنه إنما يقال له فى الإعادة كن فيكون و فى النشأ الأولى كان نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم كسيت العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فهذا على المخلوق أصعب و الإنشاء يكون أهون عليه و هذا قول النحويين و مثله يروى عن ابن عباس قال و هو أهون على المخلوق لأنه يقول له يوم القيامة كن فيكون و أما ما يروى عن مجاهد أنه قال الإنشاء أهون عليه من الابتداء فقوله مرغوب عنه لأنه تعالى لا يكون عليه شىء أهون من شىء «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» أى و له الصفات العليا «فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و هى أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له لأنها دائمه يصفه بها الثانى كما يصفه بها الأول عن قتاده و قيل هى أنه ليس كمثل شىء عن ابن عباس و قيل هى جميع ما يختص به عز اسمه من الصفات العلى التى لا يشاركه فيها سواه و الأسماء الحسنى التى تفيد التعظيم كالقاهر و الإله «وَهُوَ الْعَزِيزُ» فى ملكه «الْحَكِيمُ» فى خلقه ثم احتج سبحانه على عبده الأوثان فقال «ضَرَبَ لَكُمْ» أيها المشركون «مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أى بين لكم شبيها لحالكم ذلك المثل من أنفسكم ثم بينه فقال «هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أى من عبيدكم و إمائكم «مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ» من المال و الأملاك و النعم أى هل يشاركونكم فى أموالكم و هو قوله «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» أى فأنتم و شركاؤكم من عبيدكم و إمائكم فيما رزقناكم شرع سواء «تَخَافُونَهُمْ» أن يشاركونكم فيما ترثونه من آباءكم «كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ» أى كما يخاف الرجل الحر شريكه الحر فى المال يكون بينهما أن ينفرد دونه فيه بأمر و كما يخاف الرجل شريكه فى الميراث أن يشاركه لأنه يجب أن ينفرد به فهو يخاف شريكه يعنى أن هذه الصفة لا تكون بين المالكين و المملوكين

كما تكون بين الأحرار و معنى أنفسكم هاهنا أمثالكم من الأحرار كقوله «وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» و كقوله «ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا» أى بأمثالهم من المؤمنين و المؤمنات و المعنى أنكم إذا لم ترضوا فى عبيدكم أن يكونوا شركاء لكم فى أموالكم و أملاككم فكيف ترضون لربكم أن يكون له شركاء فى العباده قال سعيد بن جبير لأنه كانت تلبيه قريش لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملك فأنزل الله تعالى الآيه ردا عليهم و إنكارا لقولهم «كَذَلِكَ» أى كما ميزنا لكم هذه الأدله «نُفِصِّلُ الْآيَاتِ» أى الأدله «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» فيتدبرون ذلك ثم قال سبحانه مبينا لهم أنهم إنما اتبعوا أهواءهم فيما أشركوا به «بِئْسَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى أشركوا بالله «أَهْوَاءَهُمْ» فى الشرك «بِغَيْرِ عِلْمٍ» يعلمونه جاءهم من الله «فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» أى فمن يهدى إلى الثواب و الجنة من أضله الله عن ذلك عن الجبائى و قيل معناه من أضل عن الله الذى هو خالقه و رازقه و المنعم عليه مع ما نصبه له من الأدله فمن يهديه بعد ذلك عن أبى مسلم قال و هو من قولهم أضل فلان بغيره بمعنى ضل بغيره عنه قال الشاعر:

هبونى امراء منكم أضل بغيره له ذمه إن الذمام كثير

و إنما المعنى ضل بغيره عنه «وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» ينصرونهم و يدفعون عنهم عذاب الله تعالى إذا حل بهم ثم خاطب سبحانه نبيه ص و المراد جميع المكلفين و قال «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ» أى أقم قصدك للدين و المعنى كن معتقدا للدين و قيل معناه اثبت و دم على الاستقامه و قيل معناه أخلص دينك عن سعيد بن جبير و قيل معناه سدد عملك فإن الوجه ما يتوجه إليه و عمل الإنسان و دينه مما يتوجه الإنسان إليه لتشيده و إقامته «حَنِيفًا» أى مائلا إليه ثابتا عليه مستقيما فيه لا يرجع عنه إلى غيره «فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» فطره الله المله و هى الدين و الإسلام و التوحيد التى خلق الناس عليها و لها و بها أى لأجلها و التمسك بها فيكون كقوله «وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيُعْبُدُونِ» و هو كما يقول القائل لرسوله بعثتك على هذا و لهذا و بهذا و المعنى واحد و منه

قول النبى ص كل مولود يولد على الفطره حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه و ينصرانه و يمجسانه

و قيل معناه اتبع من الدين ما ذلك عليه فطره الله و هو ابتداء خلقه للأشياء لأنه خلقهم و ركبهم و صورهم على وجه يدل على أن لهم صناعا قادرا عالما حيا قديما واحدا لا يشبه شيئا و لا يشبهه شىء عن أبى مسلم «لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ» أى لا تغيير لدين الله الذى أمر الناس بالثبات عليه فى التوحيد و العدل و إخلاص العباده لله عن الضحاك و مجاهد

و قتاده و سعيد بن جبير و إبراهيم و ابن زيد و قالوا أن لا هاهنا بمعنى النهى أى لا تبدلوا دين الله التى أمرتم بالثبات عليها و قيل المراد به النهى عن الخصاء عن ابن عباس و عكرمه و قيل معناه لا- تبديل لخلق الله فيما دل عليه بمعنى أنه فطره الله على وجه يدل على صانع حكيم فلا يمكن أن يجعله خلقا بغير الله حتى يبطل وجه الاستدلال عن أبى مسلم و المعنى إنما دلت عليه الفطره لا يمكن فيه التبديل «ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» أى ذلك الدين المستقيم الذى يجب اتباعه «و لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» صحه ذلك لعدولهم عن النظر فيه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٣١ الى ٣٥]

اشاره

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ لَا- تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائى فارقوا بالألف و الباقون «فَرَّقُوا» و قد مضى بيانه فى سوره الأنعام و فى الشواذ قراءه أبى العالیه فيمتعوا فسوف يعلمون و معناه تطول أعمارهم على كفرهم فسوف يعلمون تهديدا على ذلك.

اللغه

الإنايه الانقطاع إلى الله بالطاعه فأصله على هذا القطع و منه الناب لأنه قاطع و ينبى فى الأمر إذا نشب فيه كما ينشب الناب القاطع و يجوز أن يكون من ناب ينوب إذا رجع مره بعد مره فتكون الإنايه التوبه التى يجددها مره بعد مره و الشيع الفرق و كل فرقه شيعه على حده سموا بذلك لأن بعضهم يشيع بعضا على مذهبه فشيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق و كذلك شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) هم الذين اجتمعوا معه على الحق.

المعنى

ثم قال سبحانه «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» قال الزجاج زعم جميع النحويين أن معناه فأقيموا و جوهكم منيبين إليه لأن مخاطبه النبى ص تدخل معه فيها الأمه

و الدليل على ذلك قوله «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» فقوله «فَأَقِمْ وَجْهَكَ» معناه فأقيموا وجوهكم منييين إليه أى راجعين إلى كل ما أمر به مع التقوى و أداء الفرض و هو قوله «وَ اتَّقُوا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» ثم أخبر سبحانه أنه لا ينفع ذلك إلا بالإخلاص فى التوحيد فقال «وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ» أى لا تكونوا من أهل الشرك من جملة الذين فرقوا دينهم عن الفراء و يجوز أن يكون قوله «مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ» «وَ كَانُوا شَرِيعًا» ابتداء كلام و معناه الذين أوقعوا فى دينهم الاختلاف و صاروا ذوى أديان مختلفه فصار بعضهم يعبدوننا و بعضهم يعبد ناراً و بعضهم شمسا إلى غير ذلك و قد تقدم تفسيره فى سوره الأنعام «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَمْ يُدِينُوا بِهِ فِرْحُونَ» أى كل أهل مله بما عندهم من الدين راضون عن مقاتل و قيل كل فريق بدينهم معجبون مسرورون يظنون أنهم على حق «وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ» أى إذا أصابهم مرض أو فقر أو شدة دعوا الله تعالى «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» أى منقطعين إليه مخلصين فى الدعاء له «ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً» بأن يعافيههم من المرض أو يغنيهم من الفقر أو ينجيهم من الشدة «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» أى يعودون إلى عبادته غير الله على خلاف ما يقتضيه العقل من مقابله النعم بالشكر ثم بين سبحانه أنهم يفعلون ذلك «لِيُكْفِرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ» من النعم إذ لا غرض فى الشرك إلا كفران نعم الله سبحانه و قيل إن هذه اللام للأمر على معنى التهديد مثل قوله «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ» ثم قال سبحانه يخاطبهم مهددا لهم «فَتَمَتَّعُوا» بهذه الدنيا و انتفعوا بنعيمها الفانى كيف شئتم «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» عاقبه كفركم «أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا» هذا استفهام مستأنف معناه بل أنزلنا عليهم برهاناً و حجه يتسلطون بذلك على ما ذهبوا إليه «فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ» أى فذلك البرهان كأنه يتكلم بصحة شركهم و يحتج لهم به و المعنى أنهم لا يقدرّون على تصحيح ذلك و لا يمكنهم ادعاء برهان و حجه عليه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

اشاره

وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَ إِن تَصَبَّ بِهْمُ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَ مَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)

قرأ ابن كثير و ما أتيتم من ربا مقصوره الألف غير ممدوده و قرأ الباقون «ما آتَيْتُمْ» بالمد و قرأ أهل المدينه و يعقوب و سهل لربوا بالتاء و ضمها و سكون الواو و الباقون «لِيَرْبُوا» بالياء و فتحها و نصب الواو.

الحجه

قال أبو علي معنى «ما آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا» ما أتيتم من هديه أهديتموها لتعوضوا ما هو أكثر منه و تكافئوا أزيد منه «فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ» لأنكم إنما قصدتم إلى زياده العوض فلم تبتغوا في ذلك وجه الله و مثل هذا في المعنى قوله «وَلَا تَمُنُّنَّ تَسَدُّ تَكْثِيرًا» فمن مد أتيتم فلأن المعنى أعطيتم و من قصر فإنه يؤول في المعنى إلى قول من مد إلا أن أتيتم على لفظ جئتم كما تقول جئت زيدا فكأنه قال ما جئتم من ربا و مجيئهم لذلك إنما هو على وجه الإعطاء له كما تقول أتيت الخطأ و أتيت الصواب قال الشاعر:

أتيت الذي يأتي السفية لغرتي إلى أن علا وخط من الشيب مفرقي

فإتيانه الذي يأتيه السفية إنما هو فعل منه له قال و لم يختلفوا في مد «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ» فهو كقوله «وَأِيتَاءُ الزَّكَاةِ» و إن كان لو قال أتيت الزكاه لجاز أن يعنى به فعلتها و لكن الذي جاء منه في التنزيل و في سائر الكلام الإيتاء و من قرأ «لِيَرْبُوا» فإن فاعله الربا المذكور في قوله «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا» و قدر المضاف و حذفه كأنه في اجتلاب أموال الناس و اجتذابه و نحو ذلك و كأنه سمى هذا المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربا و لو قصد به وجه الله لما كان

العوض فيه الاستزاده على ما أعطى فسمى باسم الزيادة و الربا هو الزيادة بذلك سمي المحرم المتواعد فاعله و بالزيادة ما يأخذ على ما أعطى و المدفوع ليس فى الحقيقه ربا إنما المحرم الزيادة التى يأخذها زيدا على ما أعطى فسمى الجميع ربا فكذلك ما أعطاه الواهب و المهدي لاستجلاب الزيادة سمي ربا لمكان الزيادة المقصوده فى المكافاه فوجه «لِيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ» ليربوا ما آتيتم فلا يربوا عند الله لأنه لم يقصد به وجه البر و القربه إنما قصد به اجتلاب الزيادة و لو قصد به وجه الله تعالى لكان كقوله «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» أى صاروا ذوى أضعاف من الثواب على ما أتوا من الزكاه يعطون بالحسنه عشرأ فله عشر أمثالها و قول نافع لتربوا أى لتصيروا ذوى زياده فيما آتيتم من أموال الناس أى تستدعونها و تجتلبونها و كأنه من أربى أى صار ذا زياده مثل أقطف و أجرب.

المعنى

لما تقدم ذكر المشركين عقبه سبحانه بذكر أحوالهم فى البطر عند النعمه و اليأس عند الشده فقال «وَ إِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً» أى إذا آتيناهم نعمه من عافيه و صحه جسم أو سعه رزق أو أمن و دعه «فَرِحُوا بِهَا» أى سروا بتلك الرحمه «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ» أى و إن أصابهم بلاء و عقوبه بذنوبهم التى قدموها و سمي ذلك سيئه توسعا لكونه جزاء على السيئه عن الجبائى و قيل و إن يصبهم قحط و انقطاع مطر و شده و سميت سيئه لأنها تسوء صاحبها «إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» أى ييأسون من رحمه الله و إنما قال «بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ» و لم يقل بما قدموا على التغليب للأظهر الأكثر فإن أكثر العمل لليدين و العمل للقلب و إن كان كثيرا فإنه أخفى ثم نبههم سبحانه على توحيدهم فقال «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ» أى يوسعه «لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» أى و يضيق لمن يشاء على حسب ما تقتضيه مصالح العباد «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى بسط الرزق لقوم و تضيقه لقوم آخرين «لآيَاتٍ» أى دلالات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» بالله ثم خاطب نبيه ص فقال «فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» أى و أعط ذوى قرباك يا محمد حقوقهم التى جعلها الله لهم من الأخماس عن مجاهد و السدى و

روى أبو سعيد الخدرى و غيره إنه لما نزلت هذه الآية على النبى ص أعطى فاطمه (عليه السلام) فدكا و سلمه إليها و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل أنه خطاب له ص و لغيره و المراد بالقربى قرابه الرجل و هو أمر بصله الرحم بالمال و النفس عن الحسن «وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» معناه و آت المسكين و المسافر المحتاج ما فرض الله لهم فى مالك «ذَلِكَ خَيْرٌ» أى إعطاء الحقوق مستحقها خير «لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ» بالإعطاء دون الرياء و السمعه «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الفائزون بثواب الله «وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يُرَبُّوا

عِنْدَ اللَّهِ» قيل في الربا المذكور في الآيه قولان (أحدهما)

أنه ربا حلال و هو أن يعطى الرجل العطيه أو يهدى الهديه ليثاب أكثر منها فليس فيه أجر و لا وزر عن ابن عباس و طاووس و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

(و القول الآخر) أنه الربا المحرم عن الحسن و الجبائى فعلى هذا يكون كقوله يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ «و ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ» أى و ما أعطيتموه أهله على وجه الزكاه «تُرِيدُونَ» بذلك «وَجَهَ اللَّهُ» أى ثواب الله و رضاه و لا- تطلبون بها المكافاه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْجَعُونَ» أى فأهلها هم المضعفون يضاعف لهم الثواب و قيل المضعفون ذوو الأضعاف فى الحسنات كما يقال رجل مقو أى ذو قوه و موسر أى ذو يسار و قيل هم المضعفون للمال فى العاجل و للثواب فى الآجل لأن الله سبحانه جعل الزكاه سببا لزياده المال و منه

الحديث ما نقص مال من صدقه

و

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فرض الله تعالى الصلاه تنزيها عن الكبر و الزكاه تسيبا للرزق و الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق و صله الأرحام منماه للعدد

فى كلام طويل و بدأ سبحانه فى الآيه بالخطاب ثم ثنى بالخبر و ذلك معدود فى الفصاحه ثم عاد إلى دليل التوحيد فقال «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ» أى أوجدكم و أنشأ خلقكم «ثُمَّ رَزَقَكُمْ» أى أعطاكم أنواع النعم «ثُمَّ يَمِيتُكُمْ» بعد ذلك ليصح إيصالكم إلى ما عرضكم له من الثواب الدائم «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» ليجازيكم على أفعالكم «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ» التى عبدتموها من دونه «مَنْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ» أو يقدر عليه فيجوز لذلك توجه العباده إليه ثم نزه سبحانه نفسه عن أن يشرك معه فى العباده فقال «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ».

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٤١ الى ٤٥]

اشاره

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢) فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)

ص: ٥٨

الصدع الشق و تصدع القوم تفرقوا قال:

و كنا كندمانى جذيمه حقه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما أصاب الخلق بسبب ترك التوحيد فقال «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و معناه ظهر قحط المطر و قله النبات في البر حيث لا يجرى نهر و هو البوادي و البحر و هو كل قريه على شاطئ نهر عظيم «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» يعنى كفار مكه عن ابن عباس و ليس المراد بالبر و البحر في الآيه كل بر و بحر في الدنيا و إنما المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النبي ص فعلى هذا يكون التقدير ظهر عقوبه الفساد في البر و البحر قال الفراء أجذب البر و انقطعت ماده البحر بذنوبهم و كان ذلك ليدوقوا الشده في العاجل و يجوز أيضا أن يسمى الهلاك و الخراب فسادا كما يسمى العذاب سوءا و إن كان ذلك حكمه و عدلا و قيل البر ظهر الأرض و البحر المعروف و الفساد ارتكاب المعاصي عن أبي العالیه و قيل فساد البر قتل قابيل بن آدم أخاه و فساد البحر أخذ السفينه غصبا عن مجاهد و قيل و لاه السوء في البر و البحر و قيل فساد البر ما يحصل فيه من المخاوف المانعه من سلوكه و يكون ذلك بخذلان الله تعالى لأهله و العقاب به و فساد البحر اضطراب أمره حتى لا يكون للعباد متصرف فيه و كل ذلك ليرتدع الخلق عن معاصيه و قيل البر البريه و البحر الريف و المواضع الخطبه و أصل البر من البر لأنه يبر بصلاح المقام فيه و كذلك البر لأنه يبر بصلاحه في الغذاء أتم صلاح و أصل البحر الشق لأنه شق في الأرض ثم كثر فسمى الماء الملح بحرا أنشد ثعلب:

و قد عاد عذب الماء بحرا فزادنى على مرضى أن أبحر المشرب العذب

«بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» أى جزاء بما عمله الناس من الكفر و الفسوق و قيل معناه بسوء أفعالهم و شؤم معاصيهم «لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا» أى ليصيبهم الله بعقوبه بعض أعمالهم التى عملوها من المعاصى «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى ليرجعوا عنها فى المستقبل و قيل معناه ليرجع من يأتى بعدهم عن المعاصى «قُلْ» يا محمد «سِيرُوا فِي الْأَرْضِ» ليس بأمر و لكنه مبالغه فى العظه و روى عن ابن عباس أنه قال من قرأ القرآن و عمله سار فى الأرض لأن فيه أخبار الأمم «فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ» من الملوك العاتيه و القرون العاصيه كيف أهلكتهم الله و كيف صارت قصورهم قبورهم و محاضرهم مقابرهم فلم يبق لهم عين و لا أثر ثم بين أنه فعل ذلك بهم لسوء صنيعهم فقال «كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ فَقَامَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ» أى استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنة أى لا تعدل عنه يمينا و لا شمالا فإنك متى فعلت ذلك أداك إلى الجنة و هو مثل قوله ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ قَوْلَهُ نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ» أى لذلك اليوم و هو يوم القيامة «مَنْ اللَّهُ» أى لا يردده أحد من الله «يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ» أى يتفرقون فيه فريق فى الجنة و فريق فى السعير عن قتاده و غيره «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أى عقوبه كفره لا يعاقب أحد بذنبه «وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» أى يوطئون لأنفسهم منازلهم يقال مهدت لنفسى خيرا أى هياته و وطأته و المعنى أن ثواب ذلك يصل إليهم و يتمهد أحوالهم الحسنه عند الله و هذا توسع يقول من أصلح عمله فكأنه فرش لنفسه فى القبر و القيامة و سوى مضجعه و مثواه و

روى منصور بن حازم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إن العمل الصالح ليسبق صاحبه إلى الجنة فيمهد له كما يمهد لأحدكم خادمه فراشه

«لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ» أى ليجزيهم على قدر استحقاقهم و يزيدهم من فضله و قيل معناه بسبب فضله لأنه خلقه و هداه و مكنه و أزاح علقته حتى استحق الثواب و قيل من فضله يعنى فضلا من فضله و ثوابا لا ينقطع «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» أى لا يريد كرامتهم و منفعتهم و إنما يريد عقابهم جزاء على كفرهم.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

اشاره

وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاتَّقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنِيْرُ سَحَابًا فَيُبْسِطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَ يَجْعَلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ فَتَرَى الْوُدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)

ص: ٦٠

قرأ أبو جعفر و ابن ذكوان كسفا بسكون السين و الباقون بتحريكها و قد مضى القول فيه و قرأ ابن عامر و أهل الكوفه غير أبي بكر «إلى آثار» على الجمع و الباقون أثر بغير الألف على الواحد و

روى عن علي (عليه السلام) و ابن عباس و الضحاك من خلله

و عن الجحدري و ابن السميع و ابن حيوه كيف تحيي بالتاء.

الحجه

قال أبو علي الأفراد في أثر لأنه مضاف إلى مفرد و جاز الجمع لأن رحمه الله يجوز أن يراد به الكثيره كما قال سبحانه وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا و قوله «كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ» يجوز أن يكون فاعل يحيي الضمير العائد إلى أثر و يجوز أن يكون الضمير العائد إلى اسم الله و هو الأولى و من رد الضمير إلى أثر لزمه أن يقول تحيي بالتاء إذا قرأ «آثارِ رَحِمَتِ اللَّهِ» فأما من قرأ من خلله فيجوز أن يكون خلل واحد خلال كجبل و جبال و يجوز أن يكون خلال واحدا عاقب خللا كالصلاً و الصلاة و من قرأ إلى أثر رحمت الله كيف تحيي بالتاء فإنما جاز ذلك و إن كان لا يجوز أ ما ترى إلى غلام هند كيف تضرب زيدا بالتاء لأن الرحمه قد يقوم مقامها أثرها و لا يقوم مقام هند غلامها تقول رأيت عليك النعمه و رأيت عليك أثر النعمه و لا يعبر عن هند بغلامها.

الإعراب

«وَلِيُذِيقَكُمْ» عطف على المعنى و تقديره يرسل الرياح ليبشركم بها و ليذيقكم و قوله «كَيْفَ يَشَاءُ» تقديره أى مشيئه يشاء فيكون مفعولا مطلقا ليشاء و قوله «كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ»

يجوز أن يكون كيف في موضع نصب على الحال من يحيى و ذو الحال الضمير المستكن في يحيى أو الأرض و التقدير أ مبدعا يحيى الأرض أم لا أو مبدعه يحيى الأرض أم لا و يجوز أن يكون على تقدير المصدر أى أى إحياء يحيى الأرض قال ابن جنى و الجملة منصوبه الموضع على الحال حملا- على المعنى لا- على اللفظ و ذلك أن اللفظ استفهام و الحال ضرب من الخبر و الاستفهام و الخبر معنيان متدافعان و تلخيص كونها حالا أنه كأنه قال فانظر إلى آثار رحمة الله محييه للأرض كما أن قوله:

ما زلت أسعى بينهم و أختبط حتى إذا جاء الظلام المختلط

جاءوا بضح هل رأيت الذئب قط

فقوله:

هل رأيت الذئب قط

جملة استفهاميه فى موضع وصف لضحيح حملا على المعنى دون اللفظ فكأنه قال جاءوا بضح يشبه لونه لون الذئب و الضحيح اللبن المخلوط بالماء و هو يضرب إلى الخضره و الطلسه.

المعنى

و لما وعد الله سبحانه و أوعده فكان قائلا قال ما أصل ما يجزى الله عليه بالخير فليل العباده و أصل عباده الله معرفته و معرفته إنما تكون بأفعاله فقال «وَمِنْ آيَاتِهِ» أى و من أفعاله الداله على معرفته «أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ» بالمطر فكأنها ناطقات بالبشاره لما فيها من الدلاله عليه و إرسال الرياح تحريكها و إجراؤها فى الجهات المختلفه تاره شمالا و تاره جنوبا صبا و أخرى دهورا على حسب ما يعلم الله فى ذلك من المصلحه «وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» أى و ليصيبكم من نعمته و هى الغيث و تقديره أنه يرسل الرياح للبشاره و الإذاقه من الرحمه «وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ» بها «بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى و لتطلبوا بركوب السفن الأرياح و قيل لتطلبوا بالأمطار فيما تزرعونه من فضل الله «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» نعمه الله تطف سبحانه بلفظ لعلكم فى الدعاء إلى الشكر كما تطف فى الدعاء إلى البر بقوله مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ثم خاطب سبحانه نبيه ص تسليه له فى تكذيب قومه إياه فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات و الآيات الباهرات و هاهنا حذف تقديره فكذبوهم و جحدوا بآياتنا فاستحقوا العذاب «فَأَنْتَقَمْنَا مِنْ

الَّذِينَ أُجْرِمُوا» أى عاقبناهم بتكذيبهم «وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» معناه و دفعنا السوء و العذاب عن المؤمنين و كان واجبا علينا نصرهم بإعلاء الحجة و دفع الأعداء عنهم إلا أنه دل على المحذوف قوله «وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» و

جاءت الروايه عن أم الدرداء أنها قالت سمعت رسول الله ص يقول ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم قرأ «وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»

ثم قال سبحانه مفسرا لما أجمله فى الآيه المتقدمه «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنفِثُ سَحَابًا» أى فتهيج سحابا فتزعجه «فَيَبْسُطُهُ» الله «فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ» إن شاء بسطه مسيره يوم و إن شاء بسطه مسيره يومين و يجريها إلى أى جهه شاء و إلى أى بلد شاء «وَ يَجْعَلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ» أى قطعاً متفرقه عن قتاده و قيل متراكبا بعضه على بعض حتى يغلظ عن الجبائى و قيل قطعاً تغطى ضوء الشمس عن أبى مسلم «فَتَرَى الْوَدْقَ» أى القطر «يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» أى من خلال السحاب «فَإِذَا أَصَابَ بِهِ» أى بذلك الودق «مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ» أى يفرحون و يبشر بعضهم بعضا به «وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُنِيسِينَ» معناه و إنهم كانوا من قبل إنزال المطر عليهم قانطين آيسين من نزول المطر عن قتاده و كرر كلمه «مَنْ قَبْلٍ» للتوكيد عن الأخفش و قيل إن الأول من قبل الإنزال للمطر و الثانى من قبل الإرسال للرياح «فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ» حتى أنبت شجرا و مرعى «بَعْدَ مَوْتِهَا» أى بعد أن كانت مواتا يابسه جعل الله سبحانه اليبس و الجدوبه بمنزله الموت و ظهور النبات فيها بمنزله الحياه توسعا «إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى» أى إن الله تعالى يفعل ما ترون و هو الله تعالى ليحيى الموتى فى الآخره بعد كونهم رفاتا «وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» مر معناه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٥١ الى ٥٥]

اشاره

وَ لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصِيفًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَ مَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)

قرأ ابن كثير و عباس عن أبى عمرو و لا- يسمع الصم و الباقون «و لا- تُسْمِعُ الصُّمَّ» و قد ذكرناه فى سورة النمل و قرأ عاصم و حمزه من ضعف بالضم و الباقون بفتح الضاد و قد ذكرناه فى سورة الأنفال.

الإعراب

جواب الشرط من قوله «وَلَيْئِنْ أَرْسَلْنَا» قد حذف لأنه قد أغنى عنه جواب القسم لأن المعنى فى قوله «لَظَلُّوا» ليظن كما أن قوله «لَيْئِنْ أَرْسَلْنَا» بمعنى أن نرسل فجواب القسم قد ناب عن الأمرين و كان أحق بالحكم لتقدمه على الشرط و لو تقدم الشرط لكان الجواب له كقولك إن أرسلنا ريحا فظلوا و الله يكفرون و اللام فى قوله «وَلَيْئِنْ» يسميها البصريون لام توطئه القسم و يسميها الكوفيون لام إنذار القسم و المعنى ظل يفعل فى صدر النهار و هو الوقت الذى فيه الظل للشمس.

المعنى

ثم عاب سبحانه كافر النعمة فقال «وَلَيْئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا» مؤذنه بالهلاك بارده «فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا» أى فرأوا النبات و الزرع الذى كان من أثر رحمه الله مصفرا من البرد بعد الخضرة و النضاره و قيل إن الهاء يعود إلى السحاب و معناه فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يكن فيه مطر «لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ» أى لصاروا من بعد أن كانوا راجين مستبشرين يكفرون بالله و بنعمته و لم يرضوا بقضاء الله تعالى فيه فعل من جهل صانعه و مدبره و لا يعلم أنه حكيم لا يفعل إلا الأصلح فيشكر عند النعمة و يصبر عند الشده ثم قال سبحانه لنبيه ص «فَأِنَّكَ لَا تُسْمِعُ» يا محمد «الْمُوتَى وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ» شبه الكفار فى ترك تدبرهم فيما يدعوهم إليه النبى ص تاره بالأموات و تاره بالصم لأنهم لا ينتفعون بدعاء الداعى فكأنهم لا يسمعون «إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» أى إذا أعرضوا عن أدلتنا ذاهبين إلى الضلال و الفساد غير سالكين سبيل الرشاد «وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» يعنى أنهم كالعمى لا- يهتدون بالأدله و لا- تقدر على ردهم عن العمى إذ لم يطلبوا الاستبصار «إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» ليس تسمع إلا من يصدق بآياتنا و أدلتنا فإنهم المنتفعون بدعائك و إسماعك «فَهُمْ مُسْلِمُونَ» متقادون لأمر الله ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأدله فقال «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ» أى من نطف و قيل معناه خلقكم أطفالا لا تقدر على البطش و المشى و التصرفات «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً» أى شابا «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً» يعنى حال

الشيخوخه و الكبر «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» من ضعف و قوه «وَهُوَ الْعَلِيمُ» بما فيه مصالح خلقه «الْقَدِيرُ» على فعله بحسب ما يعلمه من المصلحه ثم بين سبحانه حال البعث فقال «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ» أى يحلف المشركون «مَا لَبِثُوا» فى القبور «غَيْرَ سَاعَةٍ» واحده عن الكلبى و مقاتل و قيل يحلفون ما مكثوا فى الدنيا غير ساعه لاستقلالهم مده الدنيا و قيل يحلفون ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر غير ساعه عن الجبائى و متى قيل كيف يحلفون كاذبين مع أن معارفهم فى الآخره ضروريه قيل فيه أقوال (أحدها) أنهم حلفوا على الظن و لم يعلموا لبثهم فى القبور فكأنهم قالوا ما لبثنا غير ساعه فى ظنوننا عن أبى على و أبى هاشم (و ثانيها) أنهم استقلوا الدنيا لما عاينوا من أمر الآخره فكأنهم قالوا ما الدنيا فى الآخره إلا ساعه فاستقلوا حيث اشتغلوا فى المده اليسيره بما أوردتهم تلك الأهوال الكثيره (و ثالثها) أن ذلك يجوز أن يقع منهم قبل إكمال عقولهم عن أبى بكر بن الإخشيد «كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ» فى دار الدنيا أى يكذبون و قيل يصرفون صرفهم جهلهم عن الحق فى الدارين و من استدل فى هذه الآيه على نفي عذاب القبر فقد أبعد لما بينا أنه يجوز أن يريدوا أنهم لم يلبثوا بعد عذاب الله إلا ساعه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

اشاره

وَقَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لَكِنَّا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ لَكِنَّ جِنَّتَهُمْ بِآيِهِ لِيَْقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخْفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه «لا يَنْفَعُ» بالياء و الباقون بالتاء و كذلك فى حم المؤمن و وافق نافع أهل الكوفه فى حم المؤمن.

قال أبو علي التائيت حسن لأن المعذره اسم مؤنث و أما التذكير فلأن التائيت غير حقيقى و قد وقع الفصل بين الفعل و فاعله و الفصل يحسن التذكير.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن علماء المؤمنين فى ذلك اليوم فقال «وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ» أى آتاهم الله العلم بما نصب لهم من الأدله الموجبه له فنظروا فيها فحصل لهم العلم فلذلك أضافه إلى نفسه لما كان هو الناصب للأدله على العلوم و التصديق بالله و برسوله «لَقَدْ لَبِثْتُمْ» أى مكثتم «فِي كِتَابِ اللَّهِ» و معناه إن لبثكم ثابت فى كتاب الله ثبته الله فيه و هو قوله وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ و هذا كما يقال إن كل ما يكون فهو فى اللوح المحفوظ أى هو مثبت فيه و المراد لقد لبثتم فى قبوركم «إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ» و قيل إن الذين أوتوا العلم و الإيمان هم الملائكه و قيل هم الأنبياء و قيل هم المؤمنون و قيل إن هذا على التقديم و تقديره و قال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله و هم الذين يعلمون كتاب الله و الإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث و قال الزجاج «فِي كِتَابِ اللَّهِ» أى فى علم الله المثبت فى اللوح المحفوظ «فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ» الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا «وَ لَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» وقوعه فى الدنيا فلم ينفعكم العلم به الآن و يدل على هذا المعنى قوله «فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» أنفسهم بالكفر «مَعْذِرَتُهُمْ» فلا يمكنون من الاعتذار و لو اعتذروا لم يقبل عذرهم «وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أى لا يطلب منهم الإعتاب و الرجوع إلى الحق «وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» أى بالغنا فى البيان للمكلفين فى هذا القرآن الذى أنزلناه على نبينا من كل مثل يدعوهم إلى التوحيد و الإيمان «وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ» أى معجزه باهره مما اقترحوها منك «لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ» أى أصحاب أباطيل و هذا إخبار عن عناد القوم و تكذيبهم بالآيات «كَذَلِكَ» أى مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء «يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» توحيد الله و الطبع و الختم مفسران فى سوره البقره «فَاصْبِرْ» يا محمد على أذى هؤلاء الكفار و إصرارهم على كفرهم «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» بالعذاب و التنكيل لأعدائك و النصر و التأيد لك و لدينك «وَ لَا يَسْتَخْفِنُكَ» أى لا يستغفرك «الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» بالبعث و الحساب فهم ضالون شاكون و قيل لا يستخفنونك أى لا يحملنك كفر هؤلاء على الخفه و العجله لشده الغضب عليهم لكفرهم بآياتنا فتفعل خلاف ما أمرت به من الصبر و الرفق عن الجبائى.

(٣١) سورة لقمان مكيه و آياتها أربع و ثلاثون (٣٤)

اشاره

[توضيح]

مكيه عن ابن عباس سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينه و لو أنّ ما فى الأرض من شجره أقلام إلى آخرهن.

عدد آياتها

ثلاث و ثلاثون آيه حجازى أربع فى الباقيين.

اختلافها

آيتان «الم» كوفى «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» بصرى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة لقمان كان لقمان له رفيقا يوم القيامة و أعطى من الحسنات عشرة بعدد من عمل بالمعروف و عمل بالمنكر

و

روى محمد بن جبير العزرمى عن أبيه عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة لقمان فى كل ليله و كل الله به فى ليلته ثلاثين ملكا يحفظونه من إبليس و جنوده حتى يصبح فإن قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من إبليس و جنوده حتى يمسى

تفسيرها

لما ختم الله سورة الروم و بذكر الآيات الداله على صحه نبوته افتتح هذه السوره بذكر آيات القرآن فقال:

[سورة لقمان (٣١): الآيات ١ الى ١٠]

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ

يَتَّخِذَهَا هُزُؤًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُلْتِى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩)

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)

قرأ حمزه و رحمه بالرفع و الباقون «و رَحْمَةً» بالنصب و قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و يعقوب «و يَتَّخِذُهَا» بالنصب و الباقون بالرفع و قد ذكرنا فيما تقدم أن ابن كثير و أبى عمرو و يعقوب قرءوا ليضل بفتح الياء و أن نافعا يقرأ الأذن بسكون الذال كل القرآن.

الحجه

قال أبو على و الزجاج وجه النصب فى «و رَحْمَةً» إنه انتصب عن الاسم المبهم على الحال أى تلك آيات الكتاب فى حال الهدايه و الرحمه و الرفع على إضمار المبتدأ أى هو هدى و رحمه و من رفع و يتخذها جعله عطفا على الفعل الأول أى من يشتري و يتخذ و من نصب عطفه على «لِيُضِلَّ» «و يَتَّخِذُهَا» و أما الضمير فى يتخذها فيجوز أن يكون للحديث لأنه بمعنى الأحاديث و يجوز أن يكون للسبيل لأن السبيل يؤنث قال قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي و يجوز أن يكون لآيات الله و قد جرى ذكرها فى قوله «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ».

الإعراب

مفعول يضل محذوف أى ليضل الناس بغير علم فى موضع النصب على الحال تقديره ليضل الناس جاهلا أو غير عالم. «كَأَنَّ لَمْ يَسِيْمَعَهَا» الكاف فى موضع الحال و كذا قوله «كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأَ» فى موضع الحال أى ولى مستكبرا مشبها للضم. «لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ» جنات ترتفع بالظرف على المذهيين لأنه جر خبرا على المبتدأ. وعد الله مصدر

فعل محذوف و حقا صفه للمصدر و تقديره وعد الله وعدا حقا. بغير عمد يجوز أن يكون غير صفه لمحذوف مجرور بالياء أى بعمد غير عمد ترونها و ترونها جمله فى موضع جر بكونها صفه لعمد أى بغير عمد مرثيه و يجوز أن يكون غير بمعنى لا و على الوجهين يتعلق الباء بخلق و يجوز أن يكون الباء للحال فيكون حالا من السموات و يجوز وجه آخر و هو أن يتعلق الباء بترون و الجملة فى موضع نصب على الحال من خلق فالتقدير خلق السموات مرثيه بغير عمد أن تميد فى موضع نصب بأنه مفعول له و تقديره حذر أن تميد و كراهه أن تميد.

النزول

نزل قوله «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» فى النضر بن الحرث بن علقمه بن كلده بن عبد الدار بن قصى بن كلاب كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم و يحدث بها قريشا و يقول لهم إن محمدا يحدثكم بحديث عاد و ثمود و أنا أحدثكم بحديث رستم و إسفنديار و أخبار الأكاسره فيستمعون حديثه و يتركون استماع القرآن عن الكلبي و قيل نزل فى رجل اشترى جاريه تغنيه ليلا و نهارا عن ابن عباس و يؤيده

ما رواه أبو أمامه عن النبي ص قال لا- يحل تعليم المغنيات و لا بيعهن و أثمانهن حرام و قد نزل تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي» الآية و الذى نفسى بيده ما رفع رجل عقيرته يتغنى إلا ارتدفه شيطانان يضربان أرجلهما على صدره و ظهره حتى يسكت.

المعنى

«الم تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ» تقدم تفسيره «هُدًى وَ رَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ» أى بيان و دلالة و نعمه للمطيعين و قيل للموحدين و قيل للذين يحسنون العمل ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» إلى قوله «هُمُ الْمُفْلِحُونَ» قد مر تفسيره فى سورة البقره ثم وصف الذين حالهم تخالف حال هؤلاء فقال «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» أى باطل الحديث و أكثر المفسرين على

أن المراد بلهو الحديث الغناء و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و غيرهما و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله و أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قالوا منه الغناء

و

روى أيضا عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال هو الطعن بالحق و الاستهزاء به و ما كان أبو جهل و أصحابه يجيئون به إذ قال يا معشر قريش ألا أطعمكم من الزقوم الذى يخوفكم به صاحبكم ثم أرسل إلى زبدا و تمرا فقال هذا هو الزقوم الذى يخوفكم به قال و منه الغناء

فعلى هذا فإنه يدخل فيه كل شىء يلهى عن سبيل الله و عن

طاعته من الأباطيل و المزامير و الملاحى و المعارف و يدخل فيه السخرية بالقرآن و اللغو فيه كما قاله أبو مسلم و الترهات و البسباس على ما قاله عطا و كل لهو و لعب على ما قاله قتاده و الأحاديث الكاذبه و الأساطير الملهيه عن القرآن على ما قاله الكلبي و

روى الواحدى بالإسناد عن نافع عن ابن عمر أنه سمع النبى ص فى هذه الآيه «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» قال باللعب و الباطل كثير النطقه سمح فيه و لا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به

و

روى أيضا بالإسناد عن أبى هريره قال قال رسول الله ص من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل و ما الروحانيون يا رسول الله قال قراء أهل الجنة

«لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى ليضل غيره و من أضل غيره فقد ضل هو و من قرأ بفتح الياء فالمعنى ليصير أمره إلى الضلال و هو أن لم يكن يشتري للضلال فإنه يصير أمره إلى ذلك قال قتاده يحسب المرء من الضلاله أن يختار حديث الباطل على حديث الحق و سبيل الله قراءه القرآن و ذكر الله عن ابن عباس «بِغَيْرِ عِلْمٍ» معناه أنه جاهل فيما يفعله لا يفعل عن علم «وَيَتَّخِذَهَا هُزُوءًا» أى و يتخذ آيات القرآن هزوا أو و يتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» أى مضل يهينهم الله به «وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا» أى و إذا قرئ عليه القرآن «وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا» أى أعرض عن سماعه إعراض من لا يسمعه رافعا نفسه فوق مقدارها «كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا» أى كان فى مسامعه ثقلا يمنعه عن سماع تلك الآيات «فَبَشِّرْهُ» يا محمد «بِعَذَابِ أَلِيمٍ» أى مؤلم موجه فى القيامة ثم أخبر سبحانه عن صفه المؤمنين المصدقين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ» يوم القيامة يتنعمون فيها «خَالِدِينَ فِيهَا» أى مؤبدين فى تلك الجنات «وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا» أى وعدا وعده الله حقا لا خلف له «وَهُوَ الْعَزِيزُ» فى انتقاله «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله و أحكامه لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ثم أخبر سبحانه عن أفعاله الداله على توحيده فقال «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ» أى أنشأها و اخترعها «بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا» إذ لو كان لها عمد لرأيتموها لأنها لو كانت تكون أجساما عظاما حتى يصح منها أن تقل السموات و لو كانت كذلك لاحتاجت إلى عمد آخر فكان يتسلسل فإذا لا عمد لها و قيل إن المراد بغير عمد مرثيه و المعنى أن لها عمدا لا- ترونها عن مجاهد و الصحيح الأول «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ» أى جبالا ثابتة «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» أى كراهه أن تميد بكم و قيل لئلا تميد بكم «وَبَثَّ فِيهَا» أى فرق فيها أى فى الأرض «مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» تدب على وجهها من أنواع الحيوانات «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا» أى فى الأرض بذلك الماء «مِنْ كُلِّ رَوْحٍ» أى صنف «كَرِيمٍ» أى حسن النبتة طيب الثمره.

ص: ٧٠

إشارة

هذا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١١) وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَ فِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَ إِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَ صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)

القراءة

قرأ ابن كثير في روايه البزى يا بنى لا- تشرك بالله ساكنه الياء يا بنى إنها مكسوره الياء يا بُنَيَّ أقيم الصلاة مفتوحه الياء و قرأ في روايه القواس يا بنى إنها مكسوره الياء و قرأ ابن فليح يا بنى لا تشرك يا بنى إنها مكسوره الياء فيهما يا بُنَيَّ أقيم مفتوحه الياء و قرأ حفص «يا بُنَيَّ» بفتح الياء في كل القرآن و الباقون بكسر الياء في كل القرآن و فى الشواذ قراءه عيسى الثقفى و روايه بعضهم عن أبى عمرو و هنا على و هن بفتح الهاء و قراءه الحسن بخلاف و أبى رجا و الجحدرى و قتاده و يعقوب و فصله فى عامين.

الحججه

قال أبو على من أسكن الياء فى الوصل فإنه يجوز أن يكون على قول من قال يا غلام أقبل فلما وقف قال يا غلام فاسكن للوقف و يكون أجرى الوصل مجرى الوقف و هذا يجىء فى الشعر كقول عمران بن حطان:

قد كنت عندك حولا لا تروعنى فيه روائع من إنس و من جان

فإنما خفف جان للقافيه ثم وصل بحرف الإطلاق و أجرى الوصل مجرى الوقف و هذا

لا- نعلم جاء في الكلام و من قال يا بنى إنها فهو على قولك يا غلام أقبل و من قال «يا بُنَيَّ» بفتح الياء فإنه على قولك يا بنيا فأبدل ياء الإضافة ألفا و من الكسره فتحه و على هذا حمل أبو عثمان قوله يا أَبَتِ و قد تقدم ذكر ذلك فيما سلف و من قرأ وهنا على و هن بفتح الهاء فيمكن أن يكون حرك الهاء لأجل حرف الحلق كقراءه الحسن إلى يوم البعث فهذا يوم البعث بفتح العين و أما الفصل فإنه أعم من الفصل لأنه يستعمل في الرضاع وغيره و الفصل هاهنا أوجه لأن الموضوع مختص بالرضاع.

الإعراب

«فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» تقديره أى شىء خلق فماذا بمنزله اسم واحد فى موضع نصب بأنه مفعول خلق و الجملة معلقه بأرونى. «أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ» قال الزجاج معناه لأن يشكر الله و يجوز أن تكون أن مفسره فيكون المعنى أن اشكر الله و تأويل أن اشكر قلنا له اشكر الله على ما أتاك. «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ» جمله فى موضع النصب على الحال بإضمار قل و العامل فى الحال معنى الفعل الذى يدل عليه قوله «وَ صَبَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِالْوَالِدَيْنِ» فإن معناه أمرنا بالإحسان إلى والديه و حاله أنه كان محمولا لأمه و مثله قوله كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنتُمْ أَمْوَاتًا» أى و حالكم أنكم كنتم أمواتا. وهنا مصدر فعل محذوف فى موضع الحال أى تهن وهنا و قوله «عَلَى وَهْنٍ» فى موضع الصفه لقوله «وَهْنًا» و يجوز أن يتعلق أيضا بالعامل فى «وَهْنًا» و قوله «مَعْرُوفًا» صفه لمصدر محذوف و تقديره مصاحبا معروفا بمعنى مصاحبه معروفة.

المعنى

ثم أشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره فقال «هَذَا خَلَقَ اللَّهُ» أى هذا الذى ذكرت من السموات على عظمها و كبر حجمها و الأرض و ما فيها خلق الله الذى أوجده و أحدثه «فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» يعنى آلهتهم التى يعبدونها «بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» المعنى أنهم لا يجدون لهذا الكلام جوابا و لا يمكنهم أن يشيروا إلى شىء هو خلق آلهتهم فلم يحملهم على عبادتهم خلقها لشىء و لكنهم فى عدول ظاهر عن الحق و لما ذكر سبحانه الأدله الداله على توحيده و قدرته و حكمته بين عقيب ذلك قصه لقمان و أنه أعطاه الحكمة فقال «وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ» أى أعطيناها العقل و العلم و العمل به و الإصابه فى الأمور و اختلف فيه فقيل إنه كان حكيما و لم يكن نبيا عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و أكثر المفسرين و قيل إنه كان نبيا عن عكرمه و السدى و الشعبى و فسروا الحكمة هنا بالنبوه و قيل إنه كان عبدا أسود حبشيا غليظ المشافر مشقوق الرجلين فى زمن داود (عليه السلام) و قال له بعض

الناس أ لست كنت ترعى معنا فقال نعم قال فمن أين أوتيت ما أرى قال قدر الله و أداء الأمانة و صدق الحديث و الصمت عما لا يعينى و قيل إنه كان ابن أخت أيوب عن وهب و قيل كان ابن خاله أيوب عن مقاتل و

روى عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ص يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا و لكن كان عبدا كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه و من عليه بالحكمة كان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفه فى الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت إن خيرنى ربي قبلت العافيه و لم أقبل البلاء و إن عزم على فسمعا و طاعه فإنى أعلم أنه إن فعل بى ذلك أعاننى و عصمنى فقالت الملائكه بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لأن الحكم أشد المنازل و أكدها يغشاه الظلم من كل مكان إن وقى فبالحرى أن ينجو و إن أخطأ أخطأ طريق الجنه و من يكن فى الدنيا ذليلا و فى الآخره شريفا خير من أن يكون فى الدنيا شريفا و فى الآخره ذليلا- و من يختر الدنيا على الآخره تفته الدنيا و لا- يصيب الآخره فتعجبت الملائكه من حسن منطقته فنام نومه فأعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يؤزر داود بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة و صرفت عنك البلوى

«أَنْ اشْكُرَ لِلَّهِ» معناه و قلنا له اشكر الله تعالى على ما أعطاك من الحكمة «وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» أى من يشكر نعمه الله و نعمه من أنعم عليه فإنه إنما يشكر لنفسه لأن ثواب شكره عائد عليه و يستحق مزيد النعمه و الزيادة الحاصله بالشكر تكون له «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ» عن شكر الشاكرين «حَمِيدٌ» أى محمود على أفعاله و قيل مستحمد إلى خلقه بالإنعام عليهم و الشكر لا يكون إلا على نعمه سبقت فهو يقتضى منعمًا فعلى هذا لا يصح أن يشكر الإنسان نفسه كما لا يصح أن يكون منعمًا على نفسه و يجرى مجرى الدين فى أنه حق لغيره عليه يلزمه أداؤه فكما لا يصح أن يقرض نفسه فكذلك لا يصح أن ينعم على نفسه «وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ» معناه و اذكر يا محمد إذ قال لقمان لابنه و يجوز أيضا أن يتعلق إذ بقوله «وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ» إذ قال لابنه «وَ هُوَ يَعِظُهُ» أى يؤدبه و يذكره أى فى حال ما يعظه «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ» أى لا تعدل بالله شيئا فى العباده «إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» أصل الظلم النقصان و منع الواجب فمن أشرك بالله فقد منع ما وجب لله عليه من معرفه التوحيد فكان ظالما و قيل إنه ظلم نفسه ظلما عظيما بأن أوبقها «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ» لما قدم الأمر بشكر النعمه أتبعه بالتنبيه على وجوب الشكر لكل منعم فبدأ بالوالدين أى أمرناه بطاعه الوالدين و شكرهما و الإحسان إليهما و إنما قرن شكرهما بشكره لأنه الخالق المنشئ و هما السبب فى الإنشاء و التربيه ثم بين سبحانه زياده نعمه الأم فقال «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ» معناه ضعفا على ضعف عن الضحاك و الحسن يعنى ضعف

نطفه الوالد على ضعف نطفه الأم عن أبي مسلم وقيل لأن الحمل يؤثر فيها فكلما ازداد الحمل ازدادت ضعفا على ضعف وقيل لأنها ضعيفه الخلقه فازدادت ضعفا بالحمل وقيل وهنا على وهن أى شده على شده و جهدا على جهد عن ابن عباس و قتاده «وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ» أى و فطامه من الرضاع فى انقضاء عامين لأن العامين جملة مده الرضاع فهو كقوله «يُرَضُّ عَنْ أَوْلَادِهِنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ» و المراد أنها بعد ما تلده ترضعه عامين و تربيته فتلحقها المشقه بذلك أيضا «أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِرِوَالِدَيْكَ» هذا تفسير قوله «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ» أى وصيناه بشكرنا و شكر والديه فشكر الله سبحانه بالحمد و الطاعه و شكر الوالدين بالبر و الصله «إِلَى الْمَصِيرِ» و فيه تهديد أى إلى مرجعكم فأجازيكم على حسب أعمالكم «وَ إِنْ جَاهَدَاكَ» أيها الإنسان أى جاهداك والداك «عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي» معبودا آخر فلا تطعهما و هو قوله «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» لأن ما يكون حقا تعلم صحته فما لا تعلم صحته فهو باطل فكأنه قال فإن دعواك إلى باطل «فَلَا تُطِعْهُمَا» فى ذلك «وَ صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا» أى و أحسن إليهما و ارفق بهما فى الأمور الدنيويه و إن وجبت مخالفتهم فى أبواب الدين لمكان كفرهما «وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ» أى و اسلك طريقه من رجح إلى طاعتي و أقبل إلى بقلبه و هو النبي ص و المؤمنون قال «ثُمَّ إِلَيَّ» أى إلى حكمتي «مَرْجِعُكُمْ» و منقلبكم «فَأُنَبِّئُكُمْ» أى أخبركم «بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا من الأعمال و أجازيكم عليها بحسبها.

[فصل فى ذكر نبذ من حكم لقمان]

ذكر فى التفسير أن مولاة دعاه فقال اذبح شاه فأتنى بأطيب مضغتين منها فذبح شاه و أتاه بالقلب و اللسان فسأله عن ذلك فقال إنهما أطيب شىء إذا طابا و أخبث شىء إذا خبثا و قيل إن مولاة دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناده لقمان أن طول الجلوس على الحاجه يفتح منه الكبد و يورث منه الباسور و يصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هونا و قم هونا قال فكتب حكمته على باب الحش. قال عبد الله بن دينار قدم لقمان من سفر فلقي غلامه فى الطريق فقال ما فعل أبى قال مات قال ملكت أمرى قال ما فعلت امرأتى قال ماتت قال جدد

فراشى قال ما فعلت أختى قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل أختى قال مات قال انقطع ظهري و قيل للقمان أى الناس شر قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئا. و قيل له ما أقيح وجهك قال تعبت على النقش أو على فاعل النقش. و قيل إنه دخل على داود و هو يسرد الدرع و قد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدرسته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها و قال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكم و قليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيمًا و فى كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه يا بنى إن الدنيا بحر عميق و قد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله و اجعل شراعها التوكل على الله و اجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمه الله و إن هلكت فبذنوبك و

روى سليمان بن داود المنقرى عن حماد بن عيسى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال فى وصيه لقمان لابنه يا بنى سافر بسيفك و خفك و عمامتك و خبائك و سقائك و خيوطك و مخرزك و تزود معك من الأدويه ما تنتفع به أنت و من معك و كن لأصحابك موافقا إلا فى معصية الله عز و جل يا بنى إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم فى أمرك و أمورهم و أكثر التبسم فى وجوههم و كن كريما على زادك بينهم فإذا دعوك فأجبههم و إذا استعانوا بك فأعنهم و استعمل طول الصمت و كثره الصلاة و سخاء النفس بما معك من دابه أو ماء أو زاد و إذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم و اجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تثبت و تنظر و لا تجب فى مشوره حتى تقوم فيها و تقعد و تنام و تأكل و تصلى و أنت مستعمل فكرتك و حكمتك فى مشورته فإن من لم يمحض النصيحة من استشاره سلبه الله رأيه و إذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم و اسمع لمن هو أكبر منك سنا و إذا أمروك بأمر و سألوك شيئا فقل نعم و لا تقل لا فإن لا عى و لؤم و إذا تحيرتم فى الطريق فانزلوا و إذا شككتم فى القصد فقفوا و تآمروا و إذا رأيتم شخصا واحدا فلا تسألوه عن طريقكم و لا تسترشدوه فإن الشخص الواحد فى الفلاة مريب لعله يكون عين اللصوص أو يكون هو الشيطان الذى حيركم و احذروا الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى لأن العاقل إذا أبصر بعينه شيئا عرف الحق منه و الشاهد يرى ما لا يرى الغائب يا بنى إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء صلها و استرح منها فإنها دين و صل فى جماعه و لو على رأس زج و لا تنامن على دابتك فإن ذلك سريع فى دبرها و ليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون فى محمل يمكنك التمديد لاسترخاء المفاصل فإذا قربت

من المنزل فانزل عن دابتك و ابدأ بعلفها قبل نفسك فإنها نفسك و إذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لونا و ألينها تربه و أكثرها عشبا و إذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس و إذا أردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الأرض و إذا ارتحلت فصل ركعتين ثم ودع الأرض التي حلت بها و سلم على أهلها فإن لكل بقعه أهلا من الملائكة و إن استطعت أن لا تأكل طعاما حتى تبدئ فتصدق منه فافعل و عليك بقراءة كتاب الله ما دمت راكبا و عليك بالتسبيح ما دمت عاملا عملا و عليك بالدعاء ما دمت خاليا و إياك و السير في أول الليل إلى آخره و إياك و رفع الصوت في مسيرك.

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) و الله ما أوتى لقمان الحكمة لحسب و لا مال و لا بسط في جسم و لا جمال و لكنه كان رجلا قويا في أمر الله متورعا في الله ساكتا سكيننا عميق النظر طويل التفكير حديد البصر لم ينم نهارا قط و لم يتكئ في مجلس قوم قط و لم يتفل في مجلس قوم قط و لم يعبث بشيء قط و لم يره أحد من الناس على بول و لا غائط قط و لا على اغتسال لشده تستره و تحفظه في أمره و لم يضحك من شيء قط و لم يغضب قط مخافة الإثم في دينه و لم يمازح إنسانا قط و لم يفرح بما أوتيه من الدنيا و لا حزن منها على شيء قط و قد نكح من النساء و ولد له الأولاد الكثيره و قدم أكثرهم إفراطا فما بكى على موت أحد منهم و لم يمر بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلا- أصلح بينهما و لم يمض عنهما حتى تحاجزا و لم يسمع قولاً استحسنته من أحد قط إلا سأله عن تفسيره و عن من أخذه و كان يكثر مجالسه الفقهاء و العلماء و كان يغشى القضاء و الملوك و السلاطين فيرثي للقضاء بما ابتلوا به و يرحم الملوك و السلاطين لعزتهم بالله و طمأنينتهم في ذلك و يتعلم ما يغلب به نفسه و يجاهد به هواه و يحترز من السلطان و كان يداوى نفسه بالتفكر و العبر و كان لا يظعن إلا فيما ينفعه و لا ينظر إلا فيما يعنيه فبذلك أوتى الحكمة و منح القضية.

[سوره لقمان (٣١): الآيات ١٦ الى ٢٠]

اشاره

يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٍ مُبِينٍ (٢٠)

ص: ٧٦

قد ذكرنا فى سورة الأنبياء أن قراءه أهل المدينه مثقال حبه بالرفع و قراءه الباقيين بالنصب و قرأ أهل الكوفه غير عاصم و أبو عمرو و نافع و لا تصاعر بالألف و الباقيون «وَلَا تُصَيِّعُ» بالتشديد و قرأ أهل المدينه و البصره غير يعقوب و حفص «نِعْمَةً» على الجمع و الباقيون نعمه على الواحد و فى الشواذ قراءه عبد الكريم الجزرى فتكن فى صخره بكسر الكاف و قراءه يحيى بن عماره و أصبغ بالصاد عليكم نعمه ظاهره و باطنه.

قال أبو على من قرأ إن تك مثقال بالرفع فألحق علامه التأنيث بالفعل فلأن المثقال هو السيئه أو الحسنه فأنث على المعنى كما قال فله عَشْرُ أمثالها فأنث و من قرأ «مِثْقَالَ» بالنصب فالمعنى أن تك المظلمه أو السيئه أو الحسنه مثقال حبه أتى بها الله و أثنى عليها أو عاقب و أما قوله «وَلَا تُصَيِّعُ» فإنه يشبه أن يكون لا تصعر و لا تصاعر بمعنى كما قال سيبويه فى ضعف و ضاعف و قال أبو الحسن لا تصاعر لغه أهل الحجاز «وَلَا تُصَيِّعُ» لغه بنى تميم و قال أبو عبيده أصله من الصعر الذى يأخذ الإبل فى رءوسها و أعناقها قال أبو على فكأنه يقول لا تعرض عنهم و لا تزور كازورار الذى به هذا الداء الذى يلوى منه عنقه و يعرض بوجهه و النعم جمع نعمه فالنعم للكثير و نعم الله تعالى كثيره و المفرد أيضا يدل على الكثره قال «وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» و أما قوله «ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ» فلا- ترجيح فيه لإحدى القراءتين على الأخرى أ لا ترى أن النعم توصف بالظاهره و الباطنه كما توصف النعمه بذلك و من قرأ فتكن فهو من وكن الطائر

يكن إذا استقر في وكنه و منه قول امرء القيس:

و قد أعتدى و الطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

و قوله أصبغ أبدال فيه السين صاداً لأجل الغين كما قالوا سالغ و صالح.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى الإخبار عن لقمان و وصيته لابنه و أنه قال له «يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» معناه أن فعله الإنسان من خير أو شر إن كانت مقدار حبه خردل في الوزن و يجوز أن يكون الهاء في أنها ضمير القصة كما في قوله «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ» قال الزجاج يروى أن ابن لقمان سأل لقمان فقال أ رأيت الحبه تكون في مقل البحر أي مغاص البحر يقال مقل يمقل إذا غاص أ يعلمها الله فقال إنها أي أن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبه من خردل «فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ» أي فتكن تلك الحبه في جبل عن قتاده و المعنى في صخره عظيمه لأن الحبه فيها أخفى و أبعده من الاستخراج «أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ» ذكر السماوات و الأرض بعد ذكر الصخره و إن كان لا بد و إن تكون الصخره في الأرض على وجه التأكيد كما قال «أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» ثم قال «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» و قال السدي هذه الصخره ليست في السماوات و لا في الأرض هي تحت سبع أرضين و هذا قول مرغوب عنه «يَأْتِي بِهَا اللَّهُ» أي يحضرها الله يوم القيامة و يجازى عليها أي يأت بجزء ما وازنها من خير أو شر و قيل معناه يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء كذلك قليل العمل من خير أو شر يعلمه الله فيجازى عليه فهو مثل قوله «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» و مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» و

روى العياشى بالإسناد عن ابن مسكان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال اتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالبا لا يقولن أحدكم أذنب و استغفر الله إن الله تعالى يقول «إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» الآية

«إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ» باستخراجها «خَبِيرٌ» بمستقرها عن قتاده و قيل اللطيف العالم بالأمور الخفيه و الخبير العالم بالأشياء كلها «يا بُنَيَّ» إنما صغر اسمه في هذه المواضع للرقه و الشفقه لا للتحقير «أَقِمِ الصَّلَاةَ» أي أد الصلاة المفروضه في ميقاتها بشروطها «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ» و هو الطاعة

«وَ أَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ» و هو كل معصيه و قبيح سواء كان من القبائح العقلية أو الشرعية فإن المعروف ما يدعو إليه العقل و الشرع و المنكر ما يزجر عنه العقل و الشرع

«وَ اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ» من المشقه و الأذى فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عن على (عليه السلام)

و قيل ما أصابك من شدائد الدنيا و مكارهها من الأمراض و غيرها عن الجبائى «إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» أى من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلا من القبيح و العزم الإراده المتقدمه للفعل بأكثر من وقت و هو العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله و التلون فى الرأى يناقض العزم و قيل معناه أن ذلك من الأمور التى يجب الثبات و الدوام عليها و قيل العزم القوه و الحزم الحذر و منه المثل الأخير فى عزم بغير حزم و قيل الحزم التأهب للأمر و العزم النفاذ فيه و منه قيل فى المثل " رو بحزم فإذا استوضحت فاعزم "

«وَ لَا- تَصَيَّرْ عَزْمَ خَدِّكَ لِلنَّاسِ» أى و لا- تمل وجهك من الناس تكبرا و لا تعرض عنم يكلمك استخفافا به و هذا معنى قول ابن عباس و أبى عبد الله (عليه السلام)

يقال أصاب البعير صعر أى داء يلوى منه عنقه فكان المعنى لا تلزم خدك للصعر لأنه لا داء للإنسان أدوى من الكبر قال:

و كنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من درئه فتقوما

و قيل هو أن يكون بينك و بين إنسان شىء فإذا لقيته أعرضت عنه عن مجاهد و قيل هو أن يسلم عليك فتلوى عنقك تكبرا عن عكرمه «وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا» أى بطرا و خيلاء «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» أى كل متكبر فخور على الناس «وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ» أى اجعل فى مشيك قصدا مستويا على وجه السكون و الوقار كقوله «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا» قال قتاده معناه تواضع فى مشيك و قال سعيد بن جبیر و لا تختل فى مشيك «وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ» أى أنقص من صوتك إذا دعوت و ناجيت ربك عن عطا و قيل لا- تجهر كل الجهر و اخفض صوتك و لا ترفعه مطاولا به «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» أى أقبح الأصوات صوت الحمير أوله زفير و آخره شهيق عن قتاده يقال وجه منكر أى قبيح. أمر لقمان ابنه بالاعتقاد فى المشى و النطق و روى عن زيد بن على أنه قال أراد صوت الحمير من الناس و هم الجهال شبههم بالحمير كما شبههم بالأنعام فى قوله «أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ» و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال هى العطسه المرتفعه القبيحه و الرجل يرفع

صوته بالحديث رفعا قبيحا إلا أن يكون داعيا أو يقرأ القرآن

ثم ذكر سبحانه نعمه على خلقه و نبههم على معرفتها فقال «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ (وَ مَا فِي الْأَرْضِ) مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَنْتَفِعُونَ بِهِ وَ تَتَصَرَّفُونَ فِيهِ بِحَسَبِ مَا تَرِيدُونَ (وَ أَشْبَعُ عَلَيْكُمْ) أَى أَوْسَع عَلَيْكُمْ وَ أتم عليكم نعمه «ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً» فالظاهرة ما لا يمكنكم جحده من خلقكم و إحيائكم و أقداركم و خلق الشهوه فيكم و غيرها من ضرورب النعم و الباطنه ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها و قيل الباطنه مصالح الدين و الدنيا مما يعلمه الله و غاب عن العباد علمه عن ابن عباس و

فى روايه الضحاك عنه قال سألت النبى ص عنه فقال يا ابن عباس أما ما ظهر فالإسلام و ما سوى الله من خلقك و ما أفاض عليك من الرزق و أما ما بطن فستر مساوى عملك و لم يفضحك به يا ابن عباس إن الله تعالى يقول ثلاثه جعلتهن للمؤمن و لم تكن له صلاحه المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله و جعلت له ثلث ماله أكفر به عنه خطاياهم و الثالث سترت مساوى عمله و لم أفضحه بشىء منه و لو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم

و قيل الظاهره تخفيف الشرائع و الباطنه الشفاعة عن عطا و قيل الظاهره نعم الدنيا و الباطنه نعم الآخرة و قيل الظاهره نعم الجوارح و الباطنه نعم القلب عن الربيع و قيل الظاهره ظهور الإسلام و النصر على الأعداء و الباطنه الأمداد بالملائكه عن مجاهد و قيل الظاهره حسن الصورة و امتداد القامه و تسويه الأعضاء و الباطنه المعرفه عن الضحاك و قيل الظاهره القرآن و الباطنه تأويله و معانيه و

قال الباقر (عليه السلام) النعمه الظاهره النبى ص و ما جاء به النبى من معرفه الله عز و جل و توحيده و أما النعمه الباطنه ولايتنا أهل البيت و عقد مودتنا

و لا- تنافى بين هذه الأقوال و كلها نعم الله تعالى و يجوز حمل الآيه على الجميع «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ» أَى يخاصم «فَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» بما يقوله «وَ لَا هُدًى» أَى و لا دلاله و حجه «وَ لَا كِتَابٍ مُّبِينٍ» أَى و لا كتاب من عند الله ظاهر واضح و قد مضى هذا مفسرا فى سورة الحج.

[سوره لقمان (٣١): الآيات ٢١ الى ٢٥]

أشاره

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَّثَنَا آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) وَ مَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَ مَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)

لما أخبر سبحانه عن جادل فى الله بغير علم و لم يذكر النعمه زاد عقبيه فى ذمهم فقال «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» على محمد ص من القرآن و شرائع الإسلام «قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَّثَنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» ذمهم على التقليد ثم قال منكرا عليهم «أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ» إلى تقليد آبائهم و اتباع ما يدعوهم «إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ» أدخل على واو العطف همزه الاستفهام على وجه الإنكار و جواب لو محذوف تقديره أ و لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير لاتبعوهم و المعنى أن الشيطان يدعوهم إلى تقليد آبائهم و ترك اتباع ما جاءت به الرسل و ذلك موجب لهم عذاب النار فهو فى الحقيقة يدعوهم إلى النار ثم قال «وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ» أى و من يخلص دينه لله و يقصد فى أفعاله التقرب إليه «وَهُوَ مُحْسِنٌ» فيها فيفعلها على موجب العلم و مقتضى الشرع و قيل إن إسلام الوجه إلى الله تعالى هو الانقياد لله تعالى فى أوامره و نواهيه و ذلك يتضمن العلم و العمل «فَقَدْ اسْتَيْمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» أى فقد تعلق بالعروة الوثيقة التى لا يخشى انفصامها و الوثقى تأنيث الأوثق «وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» أى و عند الله ثواب ما صنع عن مجاهد و المعنى و إلى الله ترجع أواخر الأمور على وجه لا يكون لأحد التصرف فيها بالأمر و النهى «وَمَنْ كَفَرَ» من هؤلاء الناس «فَلَا يَحْزُنُكَ» يا محمد «كُفْرُهُ» أى لا يغمك ذلك «إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» أى نخبرهم بأعمالهم و نجازيهم بسوء أفعالهم «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى بما تضره الصدور لا يخفى عليه شىء منه «نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا» أى نعطيهم من متاع الدنيا و نعيمها ما يتمتعون به مدة قليلة «ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ» فى الآخرة «إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ» أى ثم نصيرهم مكرهين إلى عذاب يغلظ عليهم و يصعب «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ» فى جواب ذلك «اللَّهُ» خلقهما «قُلْ» يا محمد أو أيها السامع «الْحَمْدُ لِلَّهِ» على هدايته لنا و توفيقه إيانا لمعرفته و قيل معناه اشكر الله على دين يقر لك خصمك بصحته لوضوح دلالاته عن الجبائى «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ما عليهم من الحجج ..

اشاره

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)

القراءة

قرأ أبو عمرو و يعقوب و البحر بالنصب و الباقون بالرفع و قرأ جعفر بن محمد (عليه السلام) و البحر مداده و فى قراءة ابن مسعود و بحر يمد و هى قراءة طلحة بن مصرف و قراءة الحسن و الأعرج و البحر يمد بضم الياء.

الحج

قال أبو زيد أمدت القوم بمال و رجال إمدادا و قل ماء ركيننا فمددتها ركيه أخرى تمدها قال أبو عبيد و هاهنا اختصارا سبيله لو كتبت كلمات الله بهذه الأقلام و البحر ما نفذت قال أبو على و المراد بذلك و الله أعلم ما فى المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود قال قتاده يقول لو كان شجر الأرض أقلاما و مع البحر سبعة أبحر مدادا إذا لانكسرت الأقلام و نفذ ماء البحر قبل أن تنفذ عجائب الله و حكمته و خلقه و علمه فأما انتصاب البحر من قوله «وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ» فلأنه معطوف على اسم أن و هو ما فى الأرض فما اسم أن و أقلام خبرها و التقدير لو أن شجر الأرض أقلام و البحر يمد من بعده سبعة أبحر فإذا عطفت البحر على اسم أن فنصبته كان خبره يمد و الراجع إلى البحر الضمير المنصوب المتصل بيمد و من رفع استأنف كأنه قال و البحر هذه حاله فيما قاله سيبويه و أقول إذا عطفت البحر على اسم أن فنصبته فالأولى أن يكون خبره محذوفا و يكون التقدير و لو أن البحر مدادا و يمد سبعة أبحر يكون جملة منصوبه الموضع على الحال و حذف الخبر الذى هو مدادا لدلالة الكلام عليه و إذا نصبت البحر أو

رفعته فالمعنى لو كتب ما فى مقدور الله لنفذ ذلك قبل نفاذ المقدور و نحو هذا من الجمل قد يحذف لدلاله الكلام عليه كقوله «اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ» و المعنى فذهب فألقى الكتاب فقراءته المرأه أو فقريئ عليها فقالت يا أيها الملأ و من قرأ و بحر يمدده فتقديره و هناك بحر يمدده من بعده سبعة أبحر قال ابن جنى لا يجوز أن يكون و بحر معطوفا على أقلام لأن البحر و ما فيه من الماء ليس من حديث الشجر و الأقلام و إنما هو من حديث المداد كما قرأ جعفر الصادق (عليه السلام) مداده فأما رفع البحر فإن شئت كان معطوفا على موضع أن و اسمها كما عطف عليه فى قوله أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ و قد مضى ذكر ذلك فى موضعه و من قرأ يمدده بضم الياء فإنه تشبيهه بإمداد الجيش و ليس يقوى أن يكون قراءه جعفر بن محمد (عليه السلام) و البحر مداده أى زائد فيه لأن ماء البحر لا يعتد فى الشجر و الأقلام لأنه ليس من جنسه و المداد هناك هو هذا الذى يكتب به.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم من خلقه السماوات و الأرض بقوله «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى له جميع ذلك خلقا و ملكا يتصرف فيه كما يريد له ليس لأحد الاعتراض عليه فى ذلك «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ» عن حمد الحامدين و عن كل شىء «الْحَمِيدُ» أى المستحق للحمد و التعظيم «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ» أى لو كان شجر الأرض أقلاما و كان البحر مدادا و يمدده سبعة أبحر مثله أى تزيده بمائها فكتب بتلك الأقلام و البحور لتكسرت تلك الأقلام و نفذ ماء البحور و ما نفذت كلمات الله و قد ذكرنا تفسير كلمات الله فى سورة الكهف و الأولى أن يكون عباره عن مقدوراته و معلوماته لأنها إذا كانت لا تنهاهى فكذلك الكلمات التى تقع عباره عنها لا تنهاهى «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» فى اقتداره على جميع ذلك «حَكِيمٌ» يفعل من ذلك ما يليق بحكمته ثم قال «مَا خَلَقَكُمْ وَ لَا بَعَثَكُمْ» يا معشر الخلائق «إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ» أى كخلق نفس واحده و بعث نفس واحده فى قدرته فإنه لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق و لا إعادتهم بعد إفنائهم قال مقاتل إن كفار قريش قالوا إن الله خلقنا أطوارا نطفه علقه مضغه لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا فى ساعه واحده فنزلت الآية «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» يسمع ما يقول القائلون فى ذلك «بَصِيرٌ» بما يضمرونه «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» أى ينقص من الليل فى النهار و من النهار فى الليل عن قتاده و قيل معناه إن كل واحد منهما يتعقب الآخر «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» لأنهما يجريان على و تيره واحده لا يختلفان «كُلُّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» قدره الله تعالى «وَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» الذى

يجب توجيه العباده إليه «وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» أى القادر القاهر و الآيتان مفسرتان فى سوره الحج ..

[سوره لقمان (٣١): الآيات ٣١ الى ٣٤]

اشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْمَكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)

القراءه

فى الشواذ قراءه الأعرج بنعمات الله ساكنه العين.

الحجه

فى جمع فعله ثلاث لغات فعلات بسكون العين و فعلات بفتحها و فعلات بكسر الفاء و العين.

اللغه

الظلل جمع ظله و هو ما أظلك و الختر أقبح الغدر و الختار صاحب الختل و الختر قال عمرو بن معديكرب:

فإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر و ختر

و يقال جزيت عنك أجزى أى أغنيت عنك و فيه لغه أخرى أجزأت عنك أجزى بالهمز.

الإعراب

«فَلَمَّا نَجَّاهُمْ» العامل فى لما معنى مقتصد و تقديره اقتصدوا «وَ أَحْشَوْا يَوْمًا» انتصب يوما بأنه مفعول به. «لَا يَجْزَى» فى موضع نصب بأنه صفة يوم و التقدير لا يجزى فيه والد عن ولده و لا يكون مولود هو جاز عن والده شيئاً انتصب شيئاً بأنه مفعول جاز و مفعول يجزى محذوف و يجوز أن يكون سد مسد مفعوليها جميعاً.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم من الأدله على وحدانيته و نعمه على بريته فقال «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ» أى أ لم تعلم أيها الإنسان أن السفن تجرى فى البحر بنعمه الله عليكم «لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ» أى بعض أدلته الداله على وحدانيته و وجه الدلاله من ذلك أن الله تعالى يجرى السفن بالرياح التى يرسلها فى الوجوه التى يريدون المسير فيها و لو اجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك فى بعض الجهات المخالفه لجهه الرياح لما قدروا عليه و فى ذلك أعظم دلاله على أن المجرى لها بالرياح هو القادر الذى لا يعجزه شىء فذلك بعض الأدله الداله عليه فلذلك قال من آياته «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى تسخير الفلك و إجرائها على البحر و إجراء الرياح على وفقها «آيَاتٍ» أى دلالات «لِكُلِّ صَبَّارٍ» على مشاق التكليف «شَكُورٍ» لنعم الله تعالى عليه و إنما قال ذلك ليدل على أن الصبر على بلائه و الشكر لنعمائه أفضل الطاعات قال الشعبي الصبر نصف الإيمان و الشكر نصف الإيمان و اليقين الإيمان كله و

فى الحديث الإيمان نصفان نصف صبر و نصف شكر

و على هذا فكأنه سبحانه قال إن ذلك لآيات لكل مؤمن «وَ إِذَا غَشِيَهُمْ» أى إذا غشى أصحاب السفن الراكبي البحر «مَوْجٌ» و هو هيجان البحر «كَالظُّلُمِ» فى ارتفاعه و تغطيته ما تحته شبه الموج بالسحاب الذى يركب بعضه على بعض عن قتاده و قيل يريد كالجبال عن مقاتل «دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أى إن خافوا الغرق و الهلاك فأخلصوا فى الدعاء لله فى هذه الحال «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ» أى خلصهم «إِلَى الْبَرِّ» و سلمهم من هول البحر «فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ» أى عدل فى الوفاء فى البر بما عاهد الله عليه فى البحر من التوحيد له و قيل إن هذا كان سبب إسلام عكرمه بن أبى جهل و هو إخلاصهم الدعاء فى البحر

روى السدى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ص الناس إلا أربعه نفر قال اقتلوهم و إن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبه عكرمه بن أبى جهل و عبد الله بن أخطل و قيس بن صبابه و عبد الله بن سعد بن أبى سرح

فأما عكرمه فركب

البحر فأصابتهم ريح عاصفه فقال أهل السفينه أخلصوا فإن آلهتكم لا تغنى عنكم شيئاً هاهنا فقال عكرمه لئن لم ينجى فى البحر إلا الإخلاص ما ينجينى فى البر غيره اللهم إن لك على عهدا إن أنت عافيتنى مما أنا فيه إن أتى محمداً ص حتى أضع يدي فى يده فلاجدنه عفوا كريماً فجاء فأسلم وقيل فمنهم مقتصد معناه على طريقه مستقيمه وصلاح من الأمر عن ابن زيد وقيل ثابت على إيمانه عن الحسن وقيل موف بعهده فى البر عن ابن عباس وقيل مقتصد فى قوله مضمراً لكفره عن مجاهد ثم ذكر الذين تركوا التوحيد فى البر فقال «وَمَا يَجْعَلُ بِيَا تَنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ» بعهده أى غادراً سوء الغدر وأقبحه «كُفُورٍ» لله فى نعمه ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ» يعنى يوم القيامة لا يغنى فيه أحد عن أحد لا والد عن ولده «وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا» كل امرء تهمة نفسه «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» بالبعث و الجزاء و الثواب و العقاب «حَقٌّ» لا خلف فيه «فَلَا تُغَرِّبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» أى لا يغرنبكم الإمهال عن الانتقام و الآمال و الأموال عن الإسلام و معناه لا تغتروا بطول السلامه و كثرة النعمه فإنهما عن قريب إلى زوال و انتقال «وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» و هو الشيطان عن مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل هو تمنيك المغفره فى عمل المعصيه عن سعيد بن جبير و قيل كل شىء غررك حتى تعصى الله و تترك ما أمرك الله به فهو غرور شيطانا كان أو غيره عن أبى عبيده و

فى الحديث الكيس من دان نفسه و عمل لها بعد الموت و الفاجر من اتبع نفسه هواها و تمنى على الله

و فى الشواذ قراءه سماك بن حرب الغرور بضم الغين و على هذا فيكون المعنى و لا يغرنبكم غرور الدنيا بخدعها الباطله أو غرور النفس بشهواتها الموبقه «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» أى استأثر سبحانه به و لم يطلع عليه أحد من خلقه فلا يعلم وقت قيام الساعه سواه «وَيُنزَلُ الْغَيْثُ» فيما يشاء من زمان أو مكان و الصحيح أن معناه و يعلم نزول الغيث فى مكانه و زمانه كما

جاء فى الحديث إن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله و قرأ هذه الآيه

«وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ» أى و يعلم ما فى أرحام الحوامل أذكر أم أنثى أ صحيح أم سقيم واحد أو أكثر «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا» أى ما ذا تعمل فى المستقبل و قيل ما يعلم بقاءه غدا فكيف يعلم تصرفه «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» أى فى أى أرض يكون موته و قيل أنه إذا رفع خطوه لم يدر أنه يموت قبل أن يضع الخطوه أم لا- و إنما قال بأى أرض لأنه أراد بالأرض المكان و لو قال بأيه أرض لجاز و روى أن ذلك قراءه أبى و

قد روى عن أئمه الهدى (عليه السلام) أن هذه الأشياء الخمسه لا يعلمها على التفصيل و التحقيق غيره تعالى

«إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بهذه الأشياء «خَبِيرٌ» بها.

(٣٢) سورة السجده مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠)

اشاره

[توضيح]

و سميت أيضا سجده لقمان لثلاث تلتبس بحم السجده و هي مكيه ما خلا ثلاث آيات فإنها نزلت بالمدينه «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» إلى تمام الآيات.

عدد آياتها

تسع و عشرون آيه بصرى و ثلاثون فى الباقين.

اختلافها

آيتان «الم» كوفى «جديد» حجازى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ الم تنزىل و تبارك الذى بيده الملك فكأنما أحيا ليله القدر

و

روى ليث بن أبى الزبير عن جابر قال كان رسول الله ص لا ينام حتى يقرأ الم تنزىل و تبارك الذى بيده الملك قال ليث فذكرت ذلك لطاوس فقال فضلنا على كل سورة فى القرآن و من قرأهما كتب له ستون حسنه و محى عنه ستون سيئه و رفع له ستون درجه

و

روى الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة السجده فى كل ليله جمعه أعطاه الله كتابه بيمينه و لم يحاسبه بما كان منه و كان من رفقاء محمد ص و أهل بيته (عليه السلام).

تفسيرها

ختم الله سبحانه السوره التى قبلها بدلائل الربوبيه و افتتح هذه السوره أيضا بها فقال:

[سورة السجده (٣٢): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤)

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)

ص: ٨٧

«تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» خبر مبتدأ محذوف و تقديره هذا تنزيل و يجوز أن يكون «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» مبتدأ و «لَا رَيْبَ فِيهِ» خبره و على القول الأول يكون «لَا- رَيْبَ فِيهِ» فى موضع نصب على الحال أو فى موضع رفع على أنه خبر بعد خبر و قوله «مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» يحتمل الوجهين أيضا «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» أم هاهنا استفهام مستأنف و التقدير بل أ يقولون و قوله «مِنْ رَبِّكَ» يجوز أن يتعلق بالحق على تقدير هو الذى حق من ربك و يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال أى كائنا من ربك و العامل فيه الحق و ذو الحال الضمير المستكن فيه.

«لِتُنذِرَ» اللام يتعلق بما يتعلق به من قوله «مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ» من الثانيه زائده و التقدير ما ولى ثبت لكم و من دونه فى موضع نصب على الحال مما يتعلق به اللام فى لكم.

المعنى

«الم» مفسر فى أول البقره «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» أى هذه الآيات تنزيل الكتاب الذى وعدتم به «لَا رَيْبَ فِيهِ» أى لا شك فيه أنه وحي «مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» و المعنى أنه لا ريب فيه للمهتدين و إن كان قد ارتاب فيه خلق من المبطلين لا يعتد بهم لأنه ليس بموضع الشك و قيل معناه أنه زال الشك فى أنه كلام رب العزه لعجزهم عن الإتيان بمثله و قيل أن لفظه الخبر و معناه النهى أى لا ترتابوا فيه و الريب أقبح الشك «أَمْ يَقُولُونَ» أى بل يقولون «افْتَرَاهُ» و ليس الأمر على ما يقولون «بَلْ هُوَ الْحَقُّ» نزل عليك «مِنْ رَبِّكَ» و الحق هو كل شىء من اعتقده كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل إلى استحقاق المدح عليه و تعظيمه فالكتاب حق لأن من اعتقد أنه من عند الله كان معتقده على ما هو به و الباطل نقيض الحق «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» يعنى قريشا إذ لم يأتهم نبى قبل نبينا ص و إن أتى غيرهم من قبائل العرب مثل خالد بن سنان العيسى و قيل يعنى أهل الفتره بين عيسى و محمد ص فكانوا

كأنهم فى غفله عما لزمهم من حق نعم الله و ما خلقهم له من العباده عن ابن عباس «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» أى ليهتدوا ثم ذكر سبحانه
 الدلاله على وحدانيته فقال «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» أى فيما قدره ستة أيام لأن قبل الشمس
 لم يكن ليل و لا نهار «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» بالقهر و الاستعلاء و هو مفسر فى سورة الأعراف «ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا
 شَفِيعٍ» أى ليس لكم من دون عذابه ولى أى قريب ينفعكم و يرد عذابه عنكم و لا شفيع يشفع لكم و قيل من ولى أى من ناصر
 ينصركم من دون الله «أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ» أى أفلا تتفكرون فيما قلناه و تعتبرون به فتعلموا صحه ما بيناه لكم «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ
 إِلَى الْأَرْضِ» أى خلقهما و ما بينهما فى هذه المده يدير الأمور كلها و يقدرها على حسب إرادته فيما بين السماء و الأرض و
 ينزله مع الملك إلى الأرض «ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ» الملك أى يصعد إلى المكان الذى أمره الله تعالى أن يصعد إليه «فِي يَوْمٍ كَانَ
 مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» أى يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنه مما يعده البشر خمس مائه عام نزوله و خمس
 مائه عام صعوده و قوله «يُعْرِجُ إِلَيْهِ» يعنى إلى الموضع الذى أمره بالعروج إليه كقول إبراهيم إني ذاهب إلى ربى سيهدىنى إلى
 أرض الشام التى أمرنى ربى بالذهاب إليها و قوله «وَ مَنْ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» يعنى إلى المدينة و لم
 يكن الله سبحانه بالشام و لا بالمدينة و معناه أنه ينزل الملك بالتدبير أو الوحي و يصعد إلى السماء فيقطع فى يوم واحد من أيام
 الدنيا مسافه ألف سنه مما تعدونه أنتم لأن ما بين السماء و الأرض مسيره خمسمائه عام لابن آدم و هذا معنى قول ابن عباس و
 الحسن و الضحاك و قتاده و هو اختيار الجبائى و قيل معناه أنه يدبر الأمر سبحانه و يقضى أمر كل شىء لألف سنه فى يوم
 واحد ثم يلقى إلى ملائكته فإذا مضى الألف سنه قضى لألف سنه أخرى ثم كذلك أبدا عن مجاهد و قيل معناه يدبر أمر الدنيا
 فينزل القضاء و التدبير من السماء إلى الأرض مده أيام الدنيا ثم يرجع الأمر و يعود التدبير إليه بعد انقضاء الدنيا و فنائها حتى
 يتقطع أمر الأمراء و حكم الحكام و ينفرد الله بالتدبير فى يوم كان مقداره ألف سنه و هو يوم القيامة فالمده المذكوره مده يوم
 القيامة إلى أن يستقر الخلق فى الدارين عن ابن عباس أيضا فأما قوله «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» فإنه أراد سبحانه
 على الكافر جعل الله ذلك اليوم مقدار خمسين ألف سنه فإن المقامات فى يوم القيامة مختلفه و قيل إن المراد بالأول إن مسافه
 الصعود و النزول إلى السماء الدنيا فى يوم واحد للملك مقدار مسيره ألف سنه لغير الملك من بنى آدم و إلى السماء السابعه
 مقدار مسيره خمسين ألف سنه و قيل إن الألف سنه للنزول و العروج و الخمسين ألف سنه لمده القيامة.

إشارة

ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ يَدَأُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩) وَ قَالُوا أِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و نافع و سهل «خَلَقَهُ» بفتح اللام و الباقون خلقه بسكون اللام و فى الشواذ قراءة الزهري و بدا خلق الإنسان بغير همز و

قرأ على و ابن عباس و أبان بن سعيد بن العاص و الحسن بخلاف أ إذا ضللنا بالضاد مكسوره اللام و قرأ الحسن صللنا بالصاد أيضا مفتوحه اللام.

الحجج

قال أبو على خلقه منتصب على أنه مصدر دل عليه ما تقدم من قوله «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» فأما الضمير الذى أضيف خلق إليه فلا يخلو من أن يكون ضمير اسم الله تعالى أو يكون كناية عن المفعول فالذى يدل عليه نظائره أن الضمير لاسم الله تعالى لأنه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه إلى فاعل ظاهر و ما كان من هذا النحو أضيف المصدر فيه إلى الفاعل نحو صنع الله و وعد الله و كتاب الله عليكم فكما أضيف هذه المصادر إلى الفاعل فكذلك يكون خلقه مضافا إلى ضمير الفاعل لأن قوله «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» يدل على خلق كل شىء. فإن قلت كيف يدل قوله «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» على خلق كل شىء و قد نجد أشياء حسنه مما لم يخلقها قيل هذا كما قال خالق كل شىء فأطلق اللفظ عاما و روى أن عكرمه سئل عن قوله تعالى «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» خَلَقَهُ» فقال إن است القرد ليست بحسنه و لكنه أبرم خلقها أى أتقن و ما قلناه من أن انتصاب خلقه من المصدر الذى دل عليه فعل متقدم مذهب سيويه و يجوز أن يكون خلقه بدل من قوله «كُلَّ شَيْءٍ» فيصير التقدير الذى أحسن خلق كل شىء و من قال «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» خَلَقَهُ» كان خلقه وصفا للنكرة المتقدمه و موضع الجملة يحتمل وجهين النصب على أن يكون صفه لكل و الجبر على أن يكون صفه لشىء و ترك الهمزه فى بدأ محمول على البدل لا على التخفيف القياسى و مثله بيت الكتاب:

و تقول على البديل أبديت إذا أخبرت عن نفسك و تقول على التخفيف بدأت بالألف بلا همزه و قد مر القول فى اختلافهم فى قوله «أ إِذَا ضَمَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» و موضع إذا نصب بما دل عليه قوله «أ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» لأن هذا الكلام يدل على نعاد و التقدير نعاد إذا ضللنا فى الأرض قال أبو عبيده معناه همدنا فى الأرض و قال غيره صرنا ترابا فلم يتبين شىء من خلقنا و قوله ضللنا بالصاد من قولهم صل اللحم إذا نتن يصل و يصل و المعنى إذا دفنا فى الأرض وصلت أجسامنا و قيل أن معناه من الصله و هى الأرض اليابسه و منه الصلصال.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم من دلائل وحدانيته و أعلام ربوبيته فقال «ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى الذى يفعل ذلك و يقدر عليه هو العالم بما يشاهد و ما لا يشاهد و بما غاب عن الخلق و ما حضر «الْعَزِيزُ» المنيع فى ملكه «الرَّحِيمُ» بأهل طاعته «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» أى أحكم كل شىء خلقه و أتقنه عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه علم كيف يخلق كل شىء قبل أن خلقه من غير أن يعلمه أحد عن مقاتل و السدى من قولهم فلان يحسن كذا أى يعلمه و قيل الذى جعل كل شىء فى خلقه حسنا حتى جعل الكلب فى خلقه حسنا عن ابن عباس و المعنى أنه أحسن خلقه من جهه الحكمة فكل شىء خلقه و أوجده فيه وجه من وجوه الحكمة تحسنه و فى هذا دلالة على أن الكفر و القبائح لا يجوز أن يكون من خلقه «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ» أى ابتداء خلق آدم الذى هو أول البشر من طين كان ترابا ثم صار طينا ثم صلصالا ثم حيوانا «ثُمَّ جَعَلْ نَسِيلَهُ» أى نسل الإنسان الذى هو آدم يعنى ولده «مِنْ سُلَالَةٍ» و هى الصفوه التى تنسل من غيرها و يسمى ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه «مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ» أى ضعيف عن قتاده و قيل حقير مهان أشار إلى أنه من شىء حقير لا قيمه له و إنما يصير ذا قيمه بالعلم و العمل «ثُمَّ سَوَّاهُ» أى جعله بشرا سويا و عدله و رتب جوارحه «وَ نَفَخَ فِيهِ» أى فى ذلك المخلوق «مِنْ رُوحِهِ» أضاف الروح إلى نفسه إضافه اختصاص و ملك على وجه التشریف ثم قال سبحانه مخاطبا لذريته «وَ جَعَلْ لَكُمْ» أيها الخلق «السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ» لتسمعوا المسموعات و تبصروا

المبصرات «وَالْأَفْئِدَةَ» أى و جعل لكم القلوب لتعقلوا بها «قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ» أى تشكرون نعم الله قليلا من كثير و ما مزيده و يجوز أن يكون ما مصدرية فيكون تقديره قليلا شكركم لهذه النعم «وَقَالُوا» يعنى منكرى البعث «أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ» أى غبنا فى الأرض و صرنا ترابا و كل شىء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه فقد ضل قال الأخطل:

فكنت القذا فى موج أكدر مزبد قذف الآتى به فضل ضلالا

و قيل إن معنى ضللنا هلكننا عن قتاده و مجاهد «أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» أى نبعث و نحىى فهو استفهام معناه الإنكار و المعنى كيف نخلق جديدا و نعاد بعد أن هلكننا و تفرقت أجسامنا ثم قال سبحانه «بَلْ هُمْ» أى هؤلاء الكفار «بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ» أى ما وعد ربهم به من الثواب و العقاب «كافِرُونَ» أى جاحدون فهذا قالوا هذا القول.

[سوره السجده (٣٢): الآيات ١١ الى ١٥]

اشاره

قُلْ يَتُوبَافَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَاءَ مَا نَجِئْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَ لَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)

ص: ٩٢

التوفى أخذ الشىء على تمام قال الراجز:

إن بنى دارم ليسوا من أحد ولا توفتهم قريش فى العدد

يقال استوفى الدين إذا قبضه على كماله و التوكيل تفويض الأمر إلى غيره للقيام به و النكس قلبك الشىء على رأسه و يقال فى المرض النكس بضم النون و أما النكس بكسر النون فهو السهم ينكس فيجعل أعلاه أسفله.

الإعراب

«وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ» يجوز أن يكون مفعول ترى محذوفا فيكون تقديره و لو ترى المجرمين إذ هم ناكسوا رءوسهم و يجوز أن يكون المعنى لو رأيت ببصرك مثل قوله «وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا» فيكون ترى عاملا فى إذ و جواب لو محذوف تقديره لو رأيت المجرمين على تلك الحالة رأيت ما تعتبر به غايه الاعتبار «فَذُوقُوا» أى فيقال لهم ذوقوا العذاب بنسيانكم و هذا فى موضع جر على أنه صفة ليومكم.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد للمكلفين «يَتَوَفَّاكُمْ» أى يقبض أرواحكم أجمعين و قيل يقبضكم واحدا واحدا حتى لا يبقى منكم أحدا «مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» أى و كل يقبض أرواحكم عن ابن عباس قال جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضى عليه الموت من غير عناء و خطوته ما بين المشرق و المغرب و قيل إن له أعوانا كثيره من ملائكة الرحمه و ملائكة العذاب عن قتاده و الكلبي فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس و يدل عليه قوله «تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا» و قوله «تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ» و أما إضافة التوفى إلى نفسه فى قوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمَآئِئَةَ حِينَ مَوْتِهَا» فلأنها سبحانه خلق الموت و لا يقدر عليه أحد سواه «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» أى إلى جزاء ربكم من الثواب و العقاب تردون و جعل ذلك رجوعا إليه تفخيما للأمر و تعظيما للحال و

روى عكرمه عن ابن عباس قال قال رسول الله ص الأمراض و الأوجاع كلها بريد للموت و رسل للموت فإذا حان الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال يا أيها العبد كم خبر بعد خبر و كم رسول بعد رسول و كم بريد بعد بريد أنا الخبر الذى ليس بعدى خبر و أنا الرسول أجب ربك طائعا أو مكرها فإذا قبض روحه و تصارخوا عليه قال على من تصرخون و على من تبكون فو الله ما ظلمت له أجلا و لا أكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لى فيكم عودات و عودات حتى لا أبقى منكم أحدا

ثم أخبر سبحانه عن حالهم فى القيامة و عند الحساب فقال «وَلَوْ تَرَىٰ» يا محمد أو أيها الإنسان «إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ» أى يوم القيامة حين يكون المجرمون متطائى رءوسهم

و مطرقيها حياء و ندما و ذلا «عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى عند ما يتولى الله سبحانه حساب خلقه يقولون «رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا» أى أبصرنا الرشد و سمعنا الحق و قيل معناه أبصرنا صدق وعدك و سمعنا منك تصديق رسلك و قيل معناه إنا قد كنا بمنزلة العمى فأبصرنا و بمنزلة الصم فسمعنا «فَارْجِعْنَا» أى فارددنا إلى دار التكليف «نَعْمَلُ صَالِحًا» من الصالحات «إِنَّا مُوقِنُونَ» اليوم لا نرتاب شيئا من الحق و الرساله ثم قال سبحانه «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا» بأن نفعل أمرا من الأمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد و لكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف لأن المقصود به استحقاق الثواب و الإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب قال الجبائي و يجوز أن يكون المراد به و لو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الرد إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات و لكن حق القول منى أن أجازيهم بالعقاب و لا أردهم و قيل معناه و لو شئنا لهديناهم إلى الجنة «وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» أى الخبر و الوعيد «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أى من كلا الصنفين بكفرهم بالله سبحانه و جحدهم و حدانيتها و كفرانهم نعمته و القول من الله سبحانه بمنزلة القسم فلذلك أتى بجواب القسم و هو قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ» ثم حكى سبحانه ما يقال لهؤلاء الذين طلبوا الرجعه إلى دار التكليف إذا جعلوا فى العذاب بقوله «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا» أى بما فعلتم فعل من نسى لقاء جزاء هذا اليوم فتركتهم ما أمركم الله به و عصيتموه و النسيان الترك و منه قول النابغه:

" سفود شرب نسوه عند مفئاد "

أى تركوه فلم يستعملوه قال المبرد لأنه لو كان المراد النسيان الذى هو ضد الذكر لجاز أن يكونوا استعملوه «إِنَّا نَسِيْنَاكُمْ» أى فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه أى ترككم من نعيمه جزاء على ترككم طاعتنا «وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ» الذى لا فناء له «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من الكفر و المعاصى ثم أخبر سبحانه عن حال المؤمنين فقال «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» أى يصدق بالقرآن و سائر حججنا «الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا» تذكروا و اتعظوا بمواعظها بأن «خَرُّوا سُجَّدًا» أى ساجدين شكرا لله سبحانه على أن هداهم بمعرفته و أنعم عليهم بفضله نعمته «وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أى نزهوه عما لا يليق به من الصفات و عظموه و حمدوه «وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» عن عبادته و لا يستنكفون من طاعته و لا يأنفون أن يعفروا وجوههم صاغرين له.

إشارة

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٢٠)

القراءة

قرأ حمزه و يعقوب ما أخفى لهم ساكنه الياء و الباقون بفتحها و روى فى الشواذ عن

النبي ص و أبى هريره و أبى الدرداء و ابن مسعود قرأت أعين.

الحج

قال أبو على الذى يقوى بناء الفعل للمفعول به قوله «فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا» فأبهم ذلك كما أبهم قوله «أُخْفِيَ لَهُمْ» و لم يسند إلى فاعل بعينه و لو كان أخفى لكان أعطاهم جنات المأوى و يقوى قراءة حمزه إن أخفى مثل لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا و قوله «حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» و قوله «مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» و أما ما فى قوله «ما أُخْفِيَ» فالأبين فيه أن يكون استفهاما و هو عندى قياس قول الخليل فمن قال أخفى كان ما عنده مرفوعا بالابتداء و الذكر الذى فى أخفى يعود إليه و الجملة التى هى ما أخفى فى موضع نصب و يعلم هو الذى يتعدى إلى مفعولين كما أن قوله «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» كذلك و من قال ما أخفى لهم فإن ما فى موضع نصب بأخفى و الجملة فى موضع نصب بيلم كما كان فى الأول كذلك و مثله قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» و «سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ» و ما أشبه ذلك يحمل فيه العلم على التعدى إلى مفعولين و من بعده للاستفهام و أما قوله قرأت أعين فإن القره مصدر و كان القياس أن لا يجمع

لأن المصدر اسم الجنس و الأجناس أبعد شىء من الجمعيه لكن جعلت القره نوعا هاهنا فجمع كما يقال نحن فى أشغال و لنا علوم.

اللغه

التجافى تعاطى الارتفاع عن الشىء و مثله النمو يقال جفا عنه يجفو جفاء و تجافى عنه تجافيا إذا نبأ عنه قال الشاعر:

و صاحبي ذات هباب دمشق و ابن ملاط متجاف أرفق

و المضجع موضع الاضطجاع و قال عبد الله بن رواحه يصف النبي ص:

يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استقلت بالمشركين المضاجع

. الإعراب

«خَوْفًا وَ طَمَعًا» مفعول له كما يقال فعلت ذلك مخافه الشر قال الزجاج و حقيقته أنه فى موضع المصدر لأن يدعون ربهم هنا يدل على أنهم يخافون عذابه و يرجعون رحمته فهو فى تأويل يخافون خوفا و يطمعون طمعا و قوله «جَزَاءً» منصوب أيضا بأنه مفعول له «لَا يَسْتَوُونَ» جواب الاستفهام أى لا يكون كذلك و الواو الثانيه فى يستوون فاعل من وجه مفعول من وجه لأن المعنى لا- يساوى هؤلاء أولئك و لا- أولئك هؤلاء و لو قال لا- يستويان لكان جائزا و لكنه جاء على معنى لا يستوى المؤمنون و الكافرون و يجوز أن يكون «لَا يَسْتَوُونَ» للاثنين لأن معنى الاثنين جماعه. نزلا نصب على الحال و العامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم. كلما ظرف زمان لأعيدوا.

المعنى

ثم وصف سبحانه المؤمنين المذكورين فى الآيه المتقدمه فقال

«تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ» أى ترتفع جنوبهم عن مواضع اضطجاعهم لصلاه الليل و هم المتجهدون بالليل الذين يقومون عن فرشهم للصلاه عن الحسن و مجاهد و عطا و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى الواحدى بالإسناد عن معاذ بن جبل قال بينما نحن مع رسول الله ص فى غزوه تبوك و قد أصابنا الحر ففرق القوم فإذا رسول الله ص أقربهم منى فدنوت منه فقلت يا رسول الله أنبئنى بعمل يدخلنى الجنة و يباعدنى من النار قال لقد سألت عن عظيم و إنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله و لا تشرك به شيئا و تقيم الصلاه المكتوبه

و تؤدى الزكاه المفروضه و تصوم شهر رمضان قال و إن شئت أنبأتك بأبواب الخير قال قلت أجل يا رسول الله قال الصوم جنه و الصدقه تكفر الخطيئه و قيام الرجل فى جوف الليل يبتغى وجه الله ثم قرأ هذه الآيه «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ»

و

بالإسناد عن بلال قال قال رسول الله ص عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم و إن قيام الليل قربه إلى الله و منهاه عن الإثم و تكفير للسيئات و مطرده الداء عن الجسد

و قيل هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخره قال أنس نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلى المغرب فلا ترجع إلى رحلنا حتى نصلى العشاء الآخره مع النبى ص و قيل هم الذين يصلون ما بين المغرب و العشاء الآخره و هى صلاه الأوابين عن قتاده و قيل هم الذين يصلون العشاء و الفجر فى جماعه «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا» من عذاب الله «وَ طَمَعًا» فى رحمه الله «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» فى طاعه الله و سبيل ثوابه و وجه المدح فى هذه الآيه أن هؤلاء المؤمنین يقطعهم اشتغالهم بالصلاه و الدعاء عن طيب المضجع لانقطاعهم إلى الله تعالى فأمالهم مصروفه إليه و اتكالهم فى كل الأمور عليه ثم ذكر سبحانه جزاءهم فقال «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» أى لا يعلم أحد ما خبئ لهؤلاء الذين ذكروا مما تقربه أعينهم قال ابن عباس هذا ما لا تفسير له فالأمر أعظم و أجل مما يعرف تفسيره و

قد ورد فى الصحيح عن النبى ص أنه قال أن الله يقول أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتكم عليه اقرءوا إن شئتم «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» رواه البخارى و مسلم جميعا

و قد قيل فى فائده الإخفاء وجوه (أحدها) أن الشىء إذا عظم خطره و جل قدره لا تستدرك صفاته على كنهه إلا بشرح طويل و مع ذلك فيكون إبهامه أبلغ (و ثانيها) أن قره العيون غير متناهيه فلا يمكن إحاطه العلم بتفاصيلها (و ثالثها) أنه جعل ذلك فى مقابله صلاه الليل و هى خفيه فكذلك ما يازائها من جزائها و يؤيد ذلك ما

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال ما من حسنه إلا و لها ثواب مبین فى القرآن إلا صلاه الليل فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ» الآيه

و قره العين رؤيه ما تقر به العين يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك حتى لا تطمح بالنظر إلى ما فوقه و قيل هى من القر أى البرد لأن المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد و المحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار و منه قولهم سخنت عينه و هو قرير العين و سخين العين و إنما أضاف القره إلى الأعين

على الإطلاق لا إلى أعينهم تنبيها على أنها غاية في الحسن و الكمال فتقر بها كل عين «جزاء بما كانوا يعملون» من الطاعات في دار الدنيا «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» هذا استفهام يراد به التقرير أى أ يكون من هو مصدق بالله على الحقيقة عارفا بالله و بأنبيائه عاملا بما أوجبه الله عليه و ندبه إليه مثل من هو فاسق خارج عن طاعة الله مرتكب لمعاصي الله ثم قال «لَا يَسْتَتُونَ» لأن منزله المؤمن درجات الجنان و منزله الفاسق دركات النيران ثم فسر ذلك بقوله «أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ» يأوون إليها «نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى عطاء بما كانوا يعملون عن الحسن و قيل ينزلهم الله فيها نزلا كما ينزل الضيف يعنى أنهم فى حكم الأضياف «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمْ» الذى يأوون إليه «النَّارُ» نعوذ بالله منها «كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا» أى كلما هموا بالخروج منها لما يلحقهم من ألم العذاب «أَعِيدُوا» أى ردوا «فيها» و قد مر بيانه فى سورة الحج «وَقِيلَ لَهُمْ» مع ذلك «ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» أى لا تصدقون به و تجحدونه و فى هذا دلالة على أن المراد بالفاسق هنا الكافر المكذب قال ابن أبى ليلى نزل قوله «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» الآيات فى على بن أبى طالب (عليه السلام) و رجل من قريش و قال غيره نزلت فى على بن أبى طالب (عليه السلام) و الوليد بن عقبه فالمؤمن على و الفاسق الوليد و ذلك

أنه قال لعلى (عليه السلام) أنا أبسط منك لسانا و أحد منك سنانا فقال على (عليه السلام) ليس كما تقول يا فاسق

قال قتاده لا و الله ما استووا لا فى الدنيا و لا عند الموت و لا فى الآخرة.

[سوره السجده (٣٢): الآيات ٢١ الى ٢٥]

أشاره

وَ لَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَ جَعَلْنَاهُ هُدًىٰ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)

قرأ حمزه والكسائي و رويس عن يعقوب لما صبروا بكسر اللام و الباقون «لَمَّا» بالتشديد و فتح اللام.

الحجه

قال أبو علي من قرأ لما فإنه جعله للمجازاه إلا أن الفعل المتقدم أغنى عن الجواب كما أنك إذا قلت أجيئك إذا جئت تقديره إن جئت أجيئك فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط فكذلك المعنى هنا لما صبروا جعلناهم أئمه و من قال لما صبروا علق الجار بجعلنا و التقدير جعلنا منهم أئمه لصبرهم.

المعنى

ثم أقسم سبحانه في هذه الآية فقال «وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ» أما العذاب الأكبر فهو عذاب جهنم في الآخرة و أما العذاب الأدنى في الدنيا و اختلف فيه فقيل إنه المصائب و المحن في الأنفس و الأموال عن أبي بن كعب و ابن عباس و أبي العاليه و الحسن و قيل هو القتل يوم بدر بالسيف عن ابن مسعود و قتاده و السدى و قيل هو ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف و الكلاب عن مقاتل و قيل هو الحدود عن عكرمه و ابن عباس و

قيل هو عذاب القبر عن مجاهد و روى أيضا عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و الأكثر في الروايه

عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام) أن العذاب الأدنى الدابه و الدجال

«لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى ليرجعوا إلى الحق و يتوبوا من الكفر و قيل ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ» أى لا أحد أظلم لنفسه ممن نبه على حجج الله التى توصله إلى معرفته و معرفه ثوابه «ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا» جانبا و لم ينظر فيها «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» الذين يعصون الله تعالى بقطع طاعاته و تركها «مُتَّقِمُونَ» بأن نحل العقاب بهم «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراه «فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ» أى فى شك من لقائه أى من لقائك موسى ليله الإسراء بك إلى السماء عن ابن عباس و

قد ورد فى الحديث أنه قال رأيت ليله أسرى بى موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنؤه و رأيت عيسى بن مريم رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة و البياض سبط الرأس

فعلى هذا فقد وعد ص أنه سيلقى موسى قبل أن يموت و به قال مجاهد و السدى و قيل فلا تكن فى مريه من لقاء موسى إياك فى الآخرة و قيل معناه فلا- تكن يا محمد فى مريه من لقاء موسى الكتاب عن الزجاج و قيل معناه فلا تكن فى شك من لقاء الأذى كما لقى موسى الأذى عن الحسن فكأنه قال فلا تك فى مريه من أن تلقى كما لقى موسى «وَجَعَلْنَا هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» أى و جعلنا موسى هاديا لهم عن قتاده و قيل و جعلنا الكتاب هاديا لهم عن الحسن

«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا» أى و جعلنا منهم رؤساء فى الخير يقتدى بهم يهدون إلى أفعال الخير بإذن الله عن قتاده و قيل هم الأنبياء الذين كانوا فيهم يدلون الناس على الطريق المستقيم بأمر الله «لَمَّا صَبَرُوا» أى لما صبروا و جعلوا أئمة «و كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» لا يشكون فيها «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى يحكم بين المؤمن و الكافر و الفاسق «فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من التصديق برسل الله و الإيمان بالبعث و النشور و غير ذلك من أعمالهم و أمور دينهم.

النظم

وجه اتصال ذكر موسى (عليه السلام) بما قبله أن المراد بالآية كما آتيناك القرآن يا محمد فكذبوك كذلك آتينا موسى التوراه فكذبوه فهو تسليه للنبي ص و وعيد للمكذبين به.

[سوره السجده (٣٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

اشاره

أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَلَّا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ (٣٠)

القراءه

قرأ زيد أ و لم نهدي لهم على الياء و قد ذكرناه فى سوره الأعراف و فى الشواذ قراءه ابن السميقي يمشون بضم الياء و تشديد الشين و إنهم منتظرون بفتح الظاء.

الحجه

قال ابن جنى دفع أبو حاتم فتح الظاء و استدل على ذلك بقوله فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ و قوله يمشون للكثرة و قال:

يمشى بيننا حانوت كرم من الخرس الصراصره القطاط.

اللغة

يقال هداه فى الدين يهديه هدى و إلى طريق هدايه و اهتدى إذا قبل الهدايه و الواجب من الهدى هو ما يؤدي إلى ما ليس للبعد عنه غنى فى دينه فاللطف على هذا هدى و النظر المؤدى إلى معرفه الله تعالى هدى. و السوق الحث على السير ساقه يسوقه. و الجرذ الأرض اليابسه التى ليس فيها نبات لانقطاع الأمطار عنها و اشتقاقه من قولهم سيف جراز أى قطاع لا يبقى شيئاً إلا قطعه و ناقه جراز إذا كانت تأكل كل شىء فلا تبقى شيئاً إلا قطعته بفيها و رجل جروز أى أكل قال الراجز:

(خب جرز و إذا جاع بكى)

و فى الجرذ أربع لغات بضم الجيم و الراء و بفتحهما و بضم الجيم و إسكان الراء و فتح الجيم و إسكان الراء.

الإعراب

فاعل يهد مضمير يدل عليه قوله «كَمْ أَهْلَكْنَا» و تقديره أ و لم يهد لهم إهلاكنا من أهلكناه من القرون الخاليه و لا يجوز أن يكون فاعله «كَمْ أَهْلَكْنَا» لأن ما قبل كم لا يجوز أن يعمل فيه إلا حروف الإضافة لأن كم على تقدير الاستفهام الذى له صدر الكلام فهو فى محل النصب لأنه مفعول أهلك و «يَمْشُونَ» فى محل النصب على الحال.

المعنى

ثم نبه الله سبحانه خلقه على الاعتبار بمن تقدمهم من القرون فقال «أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» أى أ و لم يبصرهم و بين لهم «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ» الماضيه جزاء على كفرهم بالله و ارتكابهم لمعاصيه «يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ» و يرون آثارهم و قيل معناه أنا أهلكناهم بغته و هم مشاغيل بنفوسهم يمشون فى منازلهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» أى فى إهلاكنا لهم دلالات واضحات على الحق «أَفَلَا يَشْعُرُونَ» أى أ فلا يسمع هؤلاء الكفار ما يوعظون به من المواعظ ثم نبههم سبحانه على وجه آخر فقال «أَوْ لَمْ يَرَوْا» أى أ و لم يعلموا «أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ» بالمطر و الثلج و قيل بالأنهار و العيون «إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ» أى اليابسه

ص: ١٠١

التي لا نبات فيها و قيل نسوق الماء بالسيول إليها لأنها مواضع عاليه و هى قرى بين الشام و اليمن عن ابن عباس «فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ» أى من ذلك الزرع «أَنْعَامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ» و المعنى أن هذه الأرض تنبت ما يأكله الناس و الأنعام «أَفَلَا يُبْصِرُونَ» نعم الله تعالى عليهم «وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» قال الفراء المراد به فتح مكه و قال السدى الفتح هو القضاء بعدابهم فى الدنيا و هو يوم بدر و قال مجاهد و هو الحكم بالثواب و العقاب يوم القيامة و كانوا يسمعون المسلمين يستفتحون بالله عليهم فقالوا لهم متى هذا الفتح أى متى هذا الحكم فىنا «قُلْ» يا محمد «يَوْمَ الْفَتْحِ» يوم «لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ» بين سبحانه أن يوم الفتح يكون يوم القيامة و ذلك اليوم لا ينفع الكافرين إيمانهم «وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ» أى لا يؤخر عنهم العذاب يعنى الذين قتلوا يوم بدر لم ينفعهم إيمانهم بعد القتل «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ» يا محمد فإنه لا ينجع فيهم الدعاء و الوعظ و قيل أعرض عن أذاهم و انتظر حكم الله فيهم قال ابن عباس نسخت آيه السيف «وَ اِنْتَظِرْ» موعدى لك بالنصر على أعدائك «إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ» بك حوادث الزمان من موت أو قتل فيستريحون منك و قيل معناه إنهم سيأتيهم ما وعد الله فيهم فكأنهم ينتظرونه.

(٣٣) سورة الأحزاب مدنيه و آياتها ثلاث و سبعون (٧٣)

اشاره

[توضيح]

مدنيه و هي ثلاث و سبعون آيه بالإجماع.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأ سورة الأحزاب و علمها أهله و ما ملكت يمينه أعطى الأمان من عذاب القبر

و

روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من كان كثير القراءة لسوره الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد و آله و أزواجه.

تفسيرها

أمره سبحانه في مختتم تلك السوره بالانتظار ثم أمره هنا أن يكون في انتظاره متقيا و نهاه عن طاعه الكفار فقال:

[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا- (٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ وَ مَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)

ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)

ص: ١٠٣

قرأ أبو عمرو بما يعملون خبيراً بالياء و الباقون بالتاء و قرأ ابن عامر و أهل الكوفه «اللأئى» مهموزه ممدوده مشبعه بعدها ياء و فى سورته المجادل و الطلاق مثله و قرأ نافع و يعقوب اللاء مهموزه ممدوده مختلسه لا ياء بعدها و الباقون اللأى بغير همزه و لا مد حيث كانت قرأ عاصم «تُظَاهِرُونَ» بضم التاء و تخفيف الظاء و قرأ بفتح التاء و تخفيف الظاء أهل الكوفه غير عاصم و قرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء و تشديد الظاء و قرأ الباقون تظهرون بغير ألف و تشديد الظاء و الهاء.

الحجه

قال أبو على من قرأ بما يعملون بالياء فعلى «لا تُطْعِ الْكَافِرِينَ» إنه بما يعملون و التاء على المخاطبه و يدخل فيه الغيب و اللأئى أصله فاعل مثل شائى فالقياس أن يثبت الياء فيه كما يثبت فى الشائى و النائى و قد حذفوا الياء فى حروف من ذلك قولهم ما باليت به باله و منه جابه و كذا إذا حذف من اللأئى يصير اللاء فإن خفت الهمزه فالقياس أن تجعل بين بين و قد حكى سيبويه حذف الياء من اللأى و من قرأ تظاهرون فإنه تظاهرون فأدغم التاء فى الظاء و من قرأ «تُظَاهِرُونَ» مضمومه التاء فهو من ظاهر من امرأته و يقوى ذلك قولهم فى مصدره الظهار و من قرأ تظاهرون خفيفه الظاء فمعناه تظاهرون فحذف تاء تفاعلون التى أدغمها غيره و هو من قرأ تظاهرون بتشديد الظاء مع الألف.

النزول

نزلت فى أبى سفيان بن حرب و عكرمه بن أبى جهل و أبى الأعور السلمى قدموا المدينه و نزلوا على عبد الله بن أبى بعد غزوه أحد بأمان من رسول الله ص ليكلموه فقاموا و قام معهم عبد الله بن أبى و عبد الله بن سعد بن أبى سرح و طعمه بن أبيرق فدخلوا على رسول الله ص فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات و العزى و منات و قل إن لها شفاعه لمن عبدها و ندعك و ربك فشق ذلك على النبى ص فقال عمر بن الخطاب ائذن لنا يا رسول الله فى قتلهم فقال إنى أعطيتهم الأمان و أمر ص فاخرجوا من المدينه و نزلت الآيه «وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ»

من أهل مكه أبا سفيان و أبا الأعور و عكرمه و المنافقين ابن أبى و ابن سعد و طعمه و قيل نزلت فى ناس من ثقيف قدموا على رسول الله ص فطلبوا منه أن يمتنعهم باللات و العزى

سنه قالوا لتعلم قريش منزلتنا منك و قوله «ما جعلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» نزلت في أبي معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهري و كان لييبا حافظا لما يسمع و كان يقول إن في جوفى لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فكانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر و هزم المشركون و فيهم أبو معمر و تلقاه أبو سفيان بن حرب و هو آخذ بيده إحدى نعليه و الأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك إحدى نعليك في يدك و الأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلى فعرفوا يومئذ أنه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده.

المعنى

خاطب سبحانه نبيه ص فقال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ» أى اثبت على تقوى الله و دم عليه و قيل معناه اتق الله فى إجابته المشركين إلى ما التمسوه و قيل إن بعض المسلمين هموا بقتل أولئك الذين قدموا المدينة بأمان فقال اتق الله فى نقض العهد «ولا تَطْعُ الكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ» مر بيانه و قيل إنه عام و هو الوجه و الكافر هو الذى يظهر الكفر و يبطنه و المنافق هو الذى يظهر الإيمان و يبطن الكفر «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا» بما يكون قبل كونه «حَكِيمًا» فيما يخلقه و لما نهاه عن متابعه الكفار و أهل النفاق أمره باتباع أوامره و نواهيه على الإطلاق فقال «وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» من القرآن و الشرائع فبلغه و اعمل به «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» أى لا يخفى عليه شىء من أعمالكم فيجازيكم بحسبها إن خيرا فخير و إن شرا فشر «وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» أى فوض أمورك إلى الله حتى لا تخاف غيره و لا ترجو إلا خيره «وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ وَكَيْلًا» أى قائما بتدبيرك حافظا لك و دافعا عنك «ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» فإن أمر الرجل الواحد لا ينتظم و معه قلبان فكيف تنتظم أمور العالم و له إلهان معبودان و قيل إنه نزل فى أبى معمر على ما مر بيانه عن مجاهد و قتاده و إحدى الروايتين عن ابن عباس و قيل إن المنافقين كانوا يقولون إن لمحمد قلبين ينسبونه إلى الدهاء فأكذبهم الله تعالى بذلك عن ابن عباس و قيل إن رجلا كان يقول إن لى نفسين نفسا تأمرنى و نفسا تنهانى فنزل ذلك فيه عن الحسن و قيل هو رد على المنافقين و المعنى ليس لأحد قلبان يؤمن بأحدهما و يكفر بالآخر و إنما هو قلب واحد فأما أن يؤمن و إما أن يكفر عن أبى مسلم و قيل إنه يتصل بقوله «وَ ما جَعَلَ أَدْعِيَاءَ كُمْ أَبْنَاءَ كُمْ» و التقدير أنه كما لم يجعل لرجل قلبين فى جوفه لم يجعل ابن الإنسان ابنا لغيره و قيل بل يتصل بما قبله و المعنى أنه لا يمكن الجمع بين اتباعين متضادين اتباع الوحي و القرآن و اتباع أهل الكفر و الطغيان فكنى عن ذلك بذكر القلبين لأن الاتباع يصدر عن الاعتقاد و الاعتقاد من أفعال القلوب فكما لا يجتمع قلبان فى جوف واحد لا

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوما و يحب بهذا أعداءهم

و اختلف العلماء في أنه هل يجوز أن يكون لإنسان واحد قلبان فممنع بعضهم من ذلك و قال إن ذلك يؤدي إلى أن لا ينفصل إنسان من إنسانين لأنه يصح أن يريد بأحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الآخر فيصير كمشخصين و جوز بعضهم ذلك و قال كما أن الإنسان الواحد يجوز أن يكون له قلب كثير الأجزاء و يتمتع أن يريد ببعض الأجزاء ما يكرهه البعض الآخر لأن الإرادة و الكراهه و إن وجدتا في جزئين من القلب فالحالتان الصادرتان عنهما يرجعان إلى الجملة و هي جملة واحده فاستحال اجتماع معنيين ضددين في حى واحد و يجوز أن يكون معنيان مختلفان أو مثلان في جزئين من القلب و يوجبان الصفتين للحى الواحد فكذلك القياس إذا كان المعنيان في قلبين إذا كان ما يوجد فيهما يرجع إلى حى واحد إلا أن السمع ورد بالمنع من ذلك «وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ» يقال ظاهر من امرأته و تظاهر و تظهر و هو أن يقول لها أنت على كظهر أمى و كانت العرب تطلق نساءها في الجاهليه بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه و أوجبت الكفاره على من ظاهر من امرأته و سذكه في سورة المجادله و المعنى أن الله تعالى أعلمنا أن الزوجه لا تصير أما فقال و ما جعل نساءكم اللائى تقولون هن علينا كظهر أمهاتنا أمهاتكم لأن أمهاتكم على الحقيقه هن اللائى ولدنكم و أرضعنكم «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» الأدعياء جمع الدعى و هو الذى يتبناه الإنسان بين سبحانه أنه ليس بابن على الحقيقه و

نزلت في زيد بن حارثه بن شراحيل الكلبى من بنى عبد ود تبناه النبى ص قبل الوحى و كان قد وقع عليه السبى فاشتره رسول الله ص بسوق عكاظ فلما نبى رسول الله ص دعاه إلى الإسلام فأسلم فقدم أبو حارثه مكه و أتى أبا طالب و قال سل ابن أخيك فأما أن يبيعه و إما أن يعتقه فلما قال ذلك أبو طالب لرسول الله قال هو حر فليذهب حيث شاء فأبى زيد أن يفارق رسول الله ص فقال حارثه يا معشر قريش اشهدوا أنه ليس ابنى فقال رسول الله ص اشهدوا أنه ابنى

يعنى زيدا فكان يدعى زيد بن محمد فلما تزوج النبى ص زينب بنت جحش فكانت تحت زيد بن حارثه قالت اليهود و المنافقون تزوج محمد امرأه ابنه و هو ينهى الناس عنها فقال الله سبحانه ما جعل الله من تدعونه ولدا و هو ثابت النسب من غيركم ولدا لكم «ذَلِكَ كَقَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ» أى أن قولكم الدعى ابن الرجل شىء تقولونه بألسنتكم لا حقيقه له عند الله تعالى «وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ» الذى يلزم اعتقاده و له حقيقه و هو أن الزوجه لا- تصير بالظهار أما و الدعى لا يصير بالتبني ابنا «وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» أى يرشد إلى طريق الحق و يدل عليه «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ» الذين ولدوهم و انسبوهم إليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم

«هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» أى أعدل عند الله قولاً و حكماً و روى سالم عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل فى القرآن «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» أورده البخارى فى الصحيح «فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ» أى لم تعرفوا بأعيانهم «فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ» أى فهم إخوانكم فى الملة فقولوا يا أخى «وَ مَوَالِيكُمْ» أى بنو أعمامكم قال الزجاج و يجوز أن يكون المراد أولياءكم فى الدين فى وجوب النصرة و قيل معناه معتقوكم و محرروكم إذا أعتقتموهم من رق فلکم ولاؤهم «وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ» أى ليس عليكم حرج فى نسبتہ إلى المتبنى إذا ظننتم أنه أبوه و لم تعلموا أنه ليس بابن له فلا يؤاخذكم الله به «وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» أى و لكن الإيثم و الجناح فيما تعمدت قلوبكم يعنى فى الذى تعمدته قلوبكم و قصدتموه من دعائهم إلى غير آبائهم فإنكم تؤاخذون به و قيل ما أخطأتم قبل النهى و ما تعمدتموه بعد النهى عن مجاهد «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» لما سلف من قولكم «رَحِيمًا» بكم و فى هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الانتساب إلى غير الأب و قد وردت السنه بتغليظ الأمر فيه

قال (عليه السلام) من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦ الى ١٠]

اشاره

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْئَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠)

ص: ١٠٧

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و أبو بكر و قتيبه الظنوننا و الرسولا و السبيلا بألف فى الوصل و الوقف و قرأ أهل البصره و حمزه بغير ألف فى الوصل و الوقف و الباقرن بالألف فى الوقف و بغير ألف فى الوصل.

الحجه

قال أبو على وجه قول من أثبت فى الوصل أنها فى المصحف كذلك و هو رأس آيه و رءوس الآيات تشبه بالقوافى من حيث كانت مقاطع فلما شبه أكرم من و أهانن بالقوافى فى حذف الياء منهن كما حذف فى نحو قوله:

" من حذر الموت أن يأتيين و إذا ما انتسبت له أنكرن "

كذلك يشبه هذا فى إثبات الألف بالقوافى فأما من طرح الألف فى الوصل فإنه ذهب إلى أن ذلك فى القوافى و ليس رءوس الآى بقواف فى حذف فى الوصل كما يحذف غيرها مما يثبت فى الوقف نحو التشديد الذى يلحق الحرف الموقوف عليه و هذا إذا أثبت فى الخط فينبغى أن لا يحذف كما لا يحذف هاء الوقف من حسائيه و كتابيه و أن يجرى مجرى الموقوف عليه و لا يوصل.

الإعراب

«أَنْ تَفْعَلُوا» موصول و صله فى موضع رفع بالابتداء إلا- أنه استثناء منقطع و خبره محذوف تقديره لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز «وَ إِذْ أَخَذْنَا» العامل فى الظرف هنا محذوف تقديره و اذكر نعمه الله عليكم كائنه وقت مجىء جنود «إِذْ جَاؤُكُمْ» بدل من إذ الأولى و «إِذْ زَاغَتْ» كذلك.

النزول

قال الكلبي آخى رسول الله ص بين الناس فكان يواخى بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الثانى منهما دون أهله فمكتوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت «وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ» فنسخت هذه الآيه الموارثه بالمؤاخاه و الهجره و ورث الأذنى فالأذنى من القرابات و قال قتاده كان المسلمون يتوارثون بالهجره و كان لا يرث الأعرابى المسلم من المهاجرين شيئا فنزلت هذه الآيه فصار الموارث بالقرابات.

المعنى

«النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» أى هو أولى بهم منهم بأنفسهم و قيل

فى معناه أقوال (أحدها) أنه أحق بتدبيرهم و حكمه أنفذ عليهم من حكمهم على أنفسهم خلاف ما يحكم به لوجوب طاعته التى هى مقرونه بطاعه الله تعالى عن ابن زيد (و ثانيها) أنه أولى بهم فى الدعوه فإذا دعاهم النبى ص إلى شىء و دعتهم أنفسهم إلى شىء كانت طاعته أولى بهم من طاعه أنفسهم عن ابن عباس و عطا و هذا قريب من الأول (و ثالثها) أن حكمه أنفذ عليهم من حكم بعضهم على بعض كقوله فَسَيَلْمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فإذا كان هو أحق بهم و هو لا يرث أمته بما له من الحق فكيف يرث من توجبون حقه بالتبني و

روى أن النبى ص لما أراد غزوه تبوك و أمر الناس بالخروج قال قوم نستأذن آباءنا و أمهاتنا فنزلت هذه الآية

و

روى عن أبى و ابن مسعود و ابن عباس أنهم كانوا يقرءون النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم و هو أب لهم و كذلك هو فى مصحف أبى و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

قال مجاهد و كل نبى أب لأمة و لذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبى ص أبوهم فى الدين و واحده الأنفس نفس و هى خاصه الحيوان الحساسه الداركة التى هى أنفس ما فيه و يحتمل أن يكون اشتقاقه من التنفس الذى هو التروح و يحتمل أن يكون من النفاسه لأنه أجل ما فيه و أكرمه «و أزواجه أمهاتهم» المعنى إنهن للمؤمنين كالأمهات فى الحرمة و تحريم النكاح و لسن أمهات لهم على الحقيقة إذ لو كن كذلك لكانت بنتاه أخوات المؤمنين على الحقيقة فكان لا يحل للمؤمن التزويج بهن فثبت أن المراد به يعود إلى حرمة العقد عليهن لا- غير لأنه لم يثبت شىء من أحكام الأمومه بين المؤمنين و بينهن سوى هذه الواحدة ألا ترى أنه لا يحل للمؤمنين رؤيتهن و لا يرثن المؤمنين و لا يرثونهن و لهذا قال الشافعى و أزواجه أمهاتهم فى معنى دون معنى و هو أنهن محرمات على التأبيد و ما كن محارم فى الخلوه و المسافره و هذا معنى ما رواه مسروق عن عائشه أن امرأه قالت لها يا أمه فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فعلى هذا لا يجوز أن يقال لإخوانهن و أخواتهن أخوال المؤمنين و خالات المؤمنين قال الشافعى تزوج الزبير أسماء بنت أبى بكر و لم يقل هى خاله المؤمنين «و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين و المهاجرين» و هو مفسر فى آخر الأنفال «و أولوا الأرحام» هم ذوو الأنساب. لما ذكر سبحانه أن أزواج النبى ص أمهات المؤمنين عقبه بهذا و بين أنه لا- توارث إلا- بالولاده و الرحم و المعنى أن ذوى القربات بعضهم أولى بميراث بعض من المؤمنين أى من الأنصار و المهاجرين أى الذين هاجروا من مكه إلى المدينة و قيل معناه من المؤمنين و المتواخين و المهاجرين فصارت هذه الآية ناسخه للتوارث بالهجره و المؤاخاه فى الدين داله على أن الميراث بالقرباه فمن كان أقرب فى قرباه فهو أحق بالميراث من الأبعد «إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً» هذا استثناء منقطع و معناه لكن إن فعلتم إلى أوليائكم المؤمنين

و خلفائكم ما يعرف حسنه و صوابه فهو حسن قال السدى عنى بذلك وصيه الرجل لإخوانه فى الدين و قال غيره لما نسخ التوارث بالمؤاخاه و الهجره أباح الوصيه فىوصى لمن يتولاه بما أحب من الثلث فمعنى المعروف هنا الوصيه و حكى عن محمد بن الحنفيه و عكرمه و قتاده أن معناه الوصيه لذوى القربات من المشركين و قيل إن هذا لا يصح لأنه تعالى نهى عن ذلك بقوله لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ و قد أجاز كثير من الفقهاء الوصيه للقرباه الكافره و قال أصحابنا إنها جائزه للوالدين و الولد «كَانَ ذَلِكَ» أى نسخ الميراث بالهجره و رده إلى أولى الأرحام من القربات «فِي الْكِتَابِ» أى فى اللوح المحفوظ و قيل فى القرآن و قيل فى التوراه «مَسْطُورًا» أى مكتوبا و من فى قوله «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ» يحتمل أمرين (أحدهما) ما ذكرناه (و الآخر) أن يكون التقدير و أولو الأرحام من المؤمنين و المهاجرين أولى بالميراث «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ» أى و اذكر يا محمد حين أخذ الله الميثاق على النبيين خصوصا بأن يصدق بعضهم بعضا و يتبع بعضهم بعضا عن قتاده و قيل أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله و يدعوا إلى عباده الله و أن يصدق بعضهم بعضا و أن ينصحوا لقومهم عن مقاتل «وَ مِنْكُمْ» يا محمد و إنما قدمه لفضله و شرفه «وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» خص هؤلاء بالذكر لأنهم أصحاب الشرائع «وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» أى عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من أعباء الرساله و تبليغ الشرائع و قيل على أن يعلنوا أن محمدا رسول الله ص و يعلن محمد ص أنه لا نبى بعده و إنما أعاد ذكر الميثاق على وجه التغليظ و ذكره فى أول الآيه مطلقا و فى آخرها مقيدا بزياده صفه ثم بين سبحانه الفائده فى أخذ الميثاق فقال «لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ» قيل معناه إنما فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذى جاءت به أممكم عن مجاهد و قيل ليسأل الصادقين فى توحيد الله و عدله و الشرائع عن صدقهم أى عما كانوا يقولونه فيه تعالى فيقال لهم هل ظلم الله تعالى أحدا هل جازى كل إنسان بفعله هل عذب بغير ذنب و نحو ذلك فيقولون نعم عدل فى حكمه و جازى كلا- بفعله و قيل معناه ليسأل الصادقين فى أقوالهم عن صدقهم فى أفعالهم و قيل ليسأل الصادقين ما ذا قصدتم بصدقكم وجه الله أو غيره و يكون فيه تهديد للكاذب

قال الصادق (عليه السلام) إذا سأل عن صدقه على أى وجه قاله فيجازى بحسبه فكيف يكون حال الكاذب

ثم قال سبحانه «وَ أَعِدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا» أى مؤلما ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» ذكرهم سبحانه عظيم نعمته عليهم فى دفع الأحزاب عنهم «إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ» و هم الذين تحزبوا على رسول الله ص أيام الخندق «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا» و هى الصبا أرسلت عليهم حتى أكفأت قلوبهم و نزعت فسايططهم «وَ جُنُودًا

لَمْ تَرَوْهَا» من الملائكة و قيل إن الملائكة لم يقاتلوا يومئذ و لكن كانوا يشجعون المؤمنين و يجنبون الكافرين «وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى المؤمنين و من قرأ بالياء أراد أن الله عالم بما يعمله الكفار ثم قال «إِذْ جَاءُوكُمْ» أى و اذكروا حين جاءكم جنود المشركين «مِنْ فَوْقِكُمْ» أى من فوق الوادى قبل المشرق قريظه و النضير و غطفان «وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» أى من قبل المغرب من ناحيه مكه أبو سفيان فى قريش و من تبعه «وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ» أى مالت عن كل شىء فلم تنظر إلا- إلى عدوها مقبلا- من كل جانب و قيل معناه عدلت الأبصار عن مقرها من الدهش و الحيره كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر «وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ» و الحنجره جوف الحلقوم أى شخصت القلوب من مكانها فلو لا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت عن قتاده و

قال أبو سعيد الخدرى قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شىء ن قوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال قولوا اللهم استر عوراتنا و آمن روعاتنا قال فقلناها فضرب وجوه أعداء الله بالريح فهزموا

قال الفراء المعنى فى قوله «بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ» أنهم جنبوا و جزع أكثرهم و سبيل الجبان إذ اشتد خوفه أن ينتفخ سحره و السحر الرئه فإذا انتفخت الرئه رفعت القلوب إلى الحنجره «وَ تَطُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» أى اختلفت الظنون فظن بعضكم بالله النصر و بعضكم آيس و قنط و قيل تظنون ظنونا مختلفه فظن المنافقون أنه يستأصل محمد و ظن المؤمنون أنه ينصر عن الحسن و قيل إن من كان ضعيف القلب و الايمان ظن ما ظنه المنافقون إلا أنه ذلك و قيل اختلاف ظنونهم أن بعضهم ظن أن الكفار تغلبهم فظن بعضهم أنهم يستولون على المدينة و ظن بعضهم أن الجاهليه تعود كما كانت و ظن بعضهم أن ما وعد الله و رسوله من نصره الدين و أهله غرور فأقسام الظنون كثيره خصوصا ظن الجبناء.

النظم

اتصل قوله «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ» بقوله وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ فإنه سبحانه لما بين أن التبنى عليه لا يجوز بين عقبيه أنه مع ذلك أولى بالمؤمنين من أنفسهم من حيث إنه و لاه الله أمرهم فيلزمهم طاعته و الانقياد له و أصل الولاية لله تعالى كما قال هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ فَلَا حِظَّ فِيهَا لِأَحَدٍ إِلَّا لِمَنْ و لاه سبحانه و إلى هذا المعنى

أشار النبى ص يوم الغدير فى قوله أ لست أولى بكم منكم بأنفسكم فلما قالوا بلى قال من كنت مولاه فعلى مولاه

و المولى بمعنى الأولى بدلاله قوله مَا وَأَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ أى أولى بكم و قول لبيد:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافه خلفها و أمامها

ص: ١١١

أى أولى بالمخافه ثم عاد سبحانه إلى الكلام فى تأكيد نبوه نبينا ص بذكر ما أخذ على النبيين من الميثاق فى هذا الباب و عقب ذلك بيان آياته و معجزاته يوم الأحزاب و ذكر ما أنعم عليه و على المؤمنين من النصر مع ما أعدده لهم من الثواب.

[قصه غزوه الخندق]

ذكر محمد بن كعب القرظى و غيره من أصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق و حى بن أخطب فى جماعه من بنى النضير الذين أجلاهم رسول الله ص خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ص و قالوا إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم فقالت لهم قريش يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله فيهم أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَ الطَّاعُونَ وَ يَتَّقُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا إِلَى قَوْلِهِ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَئِيرًا فسر قريشا ما قالوا و نشطوا لما دعواهم إليه فأجمعوا لذلك و اتعدوا له ثم خرج أولئك نفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعواهم إلى حرب رسول الله ص و أخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ص و إن قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش و قائدهم أبو سفيان بن حرب و خرجت غطفان و قائدها عيينه بن حصين بن حذيفه بن بدر فى فزاره و الحرث بن عوف فى بنى مره و مسعر بن جبلة الأشجعى فىمن تابعه من أشجع و كتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل طليحه فى من اتبعه من بنى أسد و هما حليفان أسد و غطفان و كتب قريش إلى رجال من بنى سليم فأقبل أبو الأعور السلمى فىمن اتبعه من بنى سليم مددا لقريش فلما علم بذلك رسول الله ص ضرب الخندق على المدينة و كان الذى أشار عليه سلمان الفارسى (ره) و كان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ص و هو يومئذ حر قال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعلم فيه رسول الله ص و المسلمون حتى أحكموه فمما ظهر من دلائل النبوه فى حفر الخندق

ما رواه أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى قال حدثنى أبى عن أبيه قال خط رسول الله ص الخندق عام الأحزاب أربعين ذراعا بين عشره فاختلف المهاجرون و الأنصار فى سلمان الفارسى و كان رجلا قويا فقال الأنصار سلمان منا و قال المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله ص سلمان منا أهل البيت قال

عمرو بن عوف فكننت أنا و سلمان و حذيفه بن اليمان و النعمان بن مقرن و سته من الأنصار نقطع أربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى أخرج الله من بطن الخندق صخره بيضاء مدوره فكسرت حديدنا و شقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله ص فأخبره عن الصخره فأما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب و إما أن يأمرنا فيه بأمره فإننا لا نحب أن نجاوز خطه فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ص و هو مضروب عليه قبه فقال يا رسول الله خرجت صخره بيضاء من الخندق مدوره فكسرت حديدنا و شقت علينا حتى ما يحكك فيها قليل و لا كثير فمرنا فيها بأمرك فهبط رسول الله ص مع سلمان في الخندق و أخذ المعول و ضرب به ضربه فلمعت منها برقه أضاءت ما بين لابتها يعني لابتى المدينه حتى لكان مصباحا في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ص تكبيره فتح فكبر المسلمون ثم ضرب ضربه أخرى فلمعت برقه أخرى ثم ضرب به الثالثه فلمعت برقه أخرى فقال سلمان بأبى أنت و أمى يا رسول الله ما هذا الذى أرى فقال أما الأولى فإن الله عز و جل فتح على بها اليمن و أما الثانيه فإن الله فتح على بها الشام و المغرب و أما الثالثه فإن الله فتح على بها المشرق فاستبشر المسلمون بذلك و قالوا الحمد لله موعد صادق قال و طلعت الأحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و قال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم و يعدكم الباطل و يخبركم أنه يبصر فى يثرب قصور الحيره و مدائن كسرى و أنها تفتح لكم و أنتم تحفرون الخندق و لا تستطيعون أن تبرزوا

و مما ظهر فيه أيضا من آيات النبوه

ما رواه أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن عبد الواحد بن أيمن المخزومى قال حدثنى أيمن المخزومى قال سمعت جابر بن عبد الله قال كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كديه و هى الجبل فقلنا يا رسول الله إن كديه عرضت فيه فقال رسول الله ص رشوا عليها ماء ثم قام فأتاها و بطنه معصوب بحجر من الجوع فأخذ المعول أو المسحاه فسمى ثلاثا ثم ضرب فعادت كئيبا أهيل فقلت له ائذن لى يا رسول الله إلى المنزل ففعل فقلت للمرأة هل عندك من شىء فقالت عندى صاع من شعير و عناق فطحننت الشعير و عجنته و ذبحت العناق و سلختها

و خلّيت بين المرأه و بين ذلك ثم أتيت إلى رسول الله ص فجلست عنده ساعه ثم قلت ائذن لى يا رسول الله ففعل فأتيت المرأه فإذا العجين و اللحم قد أمكنا فرجعت إلى رسول الله ص فقلت إن عندنا طعيما لنا فقم يا رسول الله أنت و رجلان من أصحابك فقال و كم هو قلت صاع من شعير و عناق فقال للمسلمين جميعا قوموا إلى جابر فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله فقلت جاء بالخلق على صاع شعير و عناق فدخلت على المرأه و قلت قد افتضحت جاءك رسول الله ص بالخلق أجمعين فقالت هل كان سألک کم طعامک قلت نعم فقالت الله و رسوله أعلم قد أخبرناه ما عندنا فكشفت عنى عما شديدا فدخل رسول الله ص فقال خذى و دعينى من اللحم فجعل رسول الله ص يثرد و يفرق اللحم ثم يجم هذا و يجم هذا فما زال يقرب إلى الناس حتى شعوا أجمعين و يعود التور و القدر أملاً ما كانا ثم قال رسول الله ص كلى و أهدى فلم نزل نأكل و نهدي قومنا أجمع أوردہ البخارى فى الصحيح

و

عن البراء بن عازب قال كان رسول الله ص ينقل معنا التراب يوم الأحزاب و قد وارى التراب بياض بطنه و هو يقول " اللهم لو لا أنت ما اهتديناه و لا تصدقنا و لا صلينا فأنزلن سكينه علينا و ثبت الأقدام إن لاقيناه إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا يرفع بها صوته رواه البخارى أيضا فى الصحيح

عن أبى الوليد عن شعبه عن أبى إسحاق عن البراء قالوا و لما فرغ رسول الله ص من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف و الغابه فى عشره آلاف من أحابيشهم و من تابعهم من بنى كنانه و أهل تهامه و أقبلت غطفان و من تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد و خرج رسول الله ص و المسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع فى ثلاثه آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره و الخندق بينه و بين القوم و أمر بالذرارى و النساء فرفعوا فى الآطام و خرج عدو الله حيبى بن أخطب النضيرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب بنى قريظه و كان قد وادع رسول الله ص على قومه و عاهده على ذلك فلما سمع كعب صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له

ص: ١١٤

فناداه يا كعب افتح لي فقال ويحك يا حيي إنك رجل مشئوم إني قد عاهدت محمدا ص و لست بناقض ما بيني وبينه و لم أر منه إلا- وفاء و صدقا قال ويحك افتح لي أكلمك قال ما أنا بفاعل قال إن أغلقت دوني إلا على حشيشه تكره أن آكل منها معك فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتكم بعز الدهر و ببحر طام جئتكم بقريش على قادتها و سادتها و بغطفان على سادتها و قادتها قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا و من معه فقال كعب جئتني و الله بذل الدهر بجهام قد هراق ماؤه يرعد و يبرق و ليس فيه شيء فدعني و محمدا و ما أنا عليه فلم أر من محمد إلا صدقا و وفاء فلم يزل حيي بكعب يفتل منه في الذروه و الغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهدا و ميثاقا لئن رجعت قریش و غطفان و لم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب عهده و برىء مما كان عليه فيما بينه و بين رسول الله ص فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ص بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس أحد بني عبد الأشهل و هو يومئذ سيد الأوس و سعد ابن عباده أحد بني ساعده بن كعب بن الخزرج و هو يومئذ سيد الخزرج و معهما عبد الله بن رواحه و خوات بن جبير فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه و لا تفتوا أعضاد الناس و إن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس و خرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث مما بلغهم عنهم قالوا لا عقد بيننا و بين محمد و لا عهد فشاتمهم سعد بن عباده و شاتموه و قال سعد بن معاذ دع عنك مشاتمهم فإن ما بيننا و بينهم أعظم من المشاتمة ثم أقبلوا إلى رسول الله ص و قالوا عضل و القاره لغدر عضل و القاره بأصحاب رسول الله خبيب بن عدى و أصحاب الرجيع فقال رسول الله ص الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين و عظم عند ذلك البلاء و اشتد الخوف و أتاهم عدوهم من فوقهم و من أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن و ظهر النفاق من بعض المنافقين فأقام رسول الله ص و أقام المشركون عليه بضعا و عشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبل

إلا أن فوارس من قریش منهم عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤى و عكرمه بن أبى جهل و ضرار بن

الخطاب و هبيرة بن أبي وهب و نوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال و خرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بنى كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا و الله إن هذه لمكيده ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم فى السبخه بين الخندق و سلع و خرج على بن أبى طالب (ع فى نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغره التى منها اقتحموا و أقبلت الفرسان نحوهم و كان عمرو بن عبد ود فارس قريش و كان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث و أثبتته الجراح و لم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مشهده و كان يعد بألف فارس و كان يسمى فارس يليل لأنه أقبل فى ركب من قريش حتى إذا كانوا بيليل و هو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر فى عدد فقال لأصحابه امضوا فمضوا فقام فى وجوه بنى بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه فعرف بذلك و كان اسم الموضع الذى حفر فيه الخندق المذاد و كان أول من طفره عمرو و أصحابه فقبل فى ذلك:

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاد و كان فارس يليل

و ذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبد ود كان ينادى من يبارز فقام على (عليه السلام) و هو مقنع فى الحديد فقال أنا له يا نبي الله فقال إنه عمرو اجلس و نادى عمرو ألا- رجل و هو يؤنبهم و يقول أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها فقام على (عليه السلام) فقال أنا له يا رسول الله ثم نادى الثالثه فقال:

و لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

و وقفت إذ جنبت المشجع موقف البطل المناجز

إن السماحه و الشجاعه فى الفتى خير الغرائز

فقام على فقال يا رسول الله أنا فقال إنه عمرو فقال و إن كان عمرا فاستأذن رسول الله فأذن له رسول الله

و

فيما رواه لنا السيد أبو محمد الحسينى القائنى عن الحاكم أبى القاسم الحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن جده عن حذيفه قال فألبسه رسول الله ص درعه ذات الفضول و أعطاه سيفه ذا الفقار و عممه عمامه السحاب على رأسه تسعه أكوار ثم

ص: ١١٦

قال له تقدم فقال لما ولي: اللهم احفظه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوق رأسه و من تحت قدميه قال ابن إسحاق فمشى إليه و هو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيه و بصيره و الصدق منجى كل فائر

إني لأرجو أن أقيم عليك نائحه الجنائر

من ضربه نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو من أنت قال أنا على قال ابن عبد مناف فقال أنا على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهرق دمك فقال على (عليه السلام) لكنى و الله ما أكره أن أهرق دمك فغضب و نزل و سل سيفه كأنه شعله نار ثم أقبل نحو على مغضبا فاستقبله على بدرقته فضربه عمرو بالدرقه فقدها و أثبت فيها السيف و أصاب رأسه فشجه و ضربه على على حبل العاتق فسقط و فى روايه حذيفه و تسيف على رجله بالسيف من أسفل فوق على قفاه و ثارت بينهما عجاجه فسمع على يكبر فقال رسول الله ص قتله و الذى نفسى بيده فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فإذا على يمسح سيفه بدرع عمرو فكبر عمر بن الخطاب و قال يا رسول الله قتله فحز على رأسه و أقبل نحو رسول الله و وجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلا استلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقانى بسواته فاستحييت ابن عمى أن أستلبه قال حذيفه فقال النبى ص أبشر يا على فلو وزن اليوم عملك بعمل أمه محمد لرجح عملك بعملهم و ذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا و قد دخله و هن بقتل عمرو و لم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا و قد دخله عز بقتل عمرو

و عن الحاكم أبى القاسم أيضا بالإسناد عن سفیان الثورى عن زبيد الثانى عن مره عن عبد الله بن مسعود قال كان يقرأ و كفى الله المؤمنين القتال بعلى و خرج أصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق و تبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجاره فقال لهم قتله أجمل من هذه ينزل بعضكم أقاتله فقتله الزبير بن العوام و

ذكر ابن إسحاق أن عليا (عليه السلام) طعنه فى ترقوته حتى أخرجها من مرقه فمات فى الخندق و بعث المشركون إلى رسول

الله ص يشترون جيفته بعشره آلاف فقال النبي ص هو لكم لا ناكل ثمن الموتى و ذكر على (عليه السلام) أبياتا منها:

نصر الحجاره من سفاهه رأيه و نصرت رب محمد بصواب

فضربته و تركته متجدلا كالجدع بين دكادك و رواب

و عفت عن أثوابه و لو أننى كنت المقطر بزنى أثوابى

و

روى عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى قال إن عليا (عليه السلام) لما قتل عمرو بن عبد ود حمل رأسه فألقاه بين يدي رسول الله ص فقام أبو بكر و عمر فقبلا رأس على (عليه السلام)

و

روى عن أبي بكر بن عياش أنه قال ضرب على ضربه ما كان فى الإسلام أعز منها يعنى ضربه عمرو بن عبد ود و ضرب على ضربه ما كان فى الإسلام ضربه أشأم منها يعنى ضربه ابن ملجم عليه لعائن الله.

قال ابن إسحاق ورمى حيان بن قيس بن العرفه سعد بن معاذ بسهم و قال خذها و أنا ابن العرفه ففقطع أكحله فقال سعد عرف الله وجهك فى النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك و كذبوه و أخرجوه و أن كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم فاجعله لى شهادة و لا تمتنى حتى تفر عيني من بنى قريظه قال و

جاء نعيم بن مسعود الأشجعى إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله إنى قد أسلمت و لم يعلم بى أحد من قومى فمرنى بأمرك فقال له رسول الله ص إنما أنت فىنا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعه فانطلق نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظه فقال لهم إنى لكم صديق و الله ما أتم و قريش و غطفان من محمد ص بمنزله واحده إن البلد بلدكم و به أموالكم و أبناؤكم و نساؤكم و إنما قريش و غطفان بلادهم غيرها و إنما جاءوا حتى نزلوا معكم فإن رأوا فرصه انتهزوها و إن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم و خلوا بينكم و بين الرجل و لا طاقه لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم تستوثقون به أن لا يبرحوا حتى يناجزوا محمدا فقالوا له قد أشرت برأى ثم ذهب فأتى أبا سفيان و أشراف قريش فقال يا معشر قريش إنكم قد عرفتم ودى إياكم و فراقى محمدا و دينه و إنى قد جئتكم بنصيحه

ص: ١١٨

فاكتبوا على فقالوا نفعل ما أنت عندنا بمتهم فقال تعلمون أن بنى قريظه قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد فبعثوا إليه أنه لا- يرضيك عنا إلا أن نأخذ من القوم رهنا من أشرافهم و ندفعهم إليك فتضرب أعناقهم ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك فقال بلى فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفرا من رجالكم فلا تعطوهم رجلا واحدا و احذروا ثم جاء غطفان و قال يا معشر غطفان إني رجل منكم ثم قال لهم ما قال لقريش فلما أصبح أبو سفيان و ذلك يوم السبت فى شوال سنه خمس من الهجره بعث إليهم أبو سفيان عكرمه بن أبى جهل فى نفر من قريش أن أبا سفيان يقول لكم يا معشر اليهود إن الكراع و الخف قد هلكا و إنا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه فبعثوا إليه أن اليوم السبت و هو يوم لا نعمل فيه شيئا و لسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا و تدعونا حتى نناجز محمدا فقال أبو سفيان و الله قد حذرنا هذا نعيم فبعث إليهم أبو سفيان أنا لا نعطيكم رجلا واحدا فإن شئتم أن تخرجوا و تقاتلوا و إن شئتم فاقعدوا فقالت اليهود هذا و الله الذى قال لنا نعيم فبعثوا إليهم أنا و الله لا نقاتل حتى تعطونا رهنا و خذل الله بينهم و بعث سبحانه عليهم الريح فى ليال شاتيه بارده شديده البرد حتى انصرفوا راجعين قال محمد بن كعب قال حذيفه بن اليمان و الله لقد رأيتنا يوم الخندق و بنا من الجهد و الجوع و الخوف ما لا- يعلمه إلا الله و قام رسول الله ص فضلى ما شاء الله من الليل ثم قال أ لا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رقيقى فى الجنه قال حذيفه فو الله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف و الجهد و الجوع فلما لم يقم أحد دعانى فلم أجد بدا من إجابهته قلت لبيك قال اذهب فجننى بخبر القوم و لا تحدثنى شيئا حتى ترجع قال و أتيت القوم فإذا ريح الله و جنوده يفعل بهم ما يفعل ما يستمسك لهم بناء و لا تثبت لهم نار و لا تطمئن لهم قدر فإنى لكذلك إذا خرج أبو سفيان من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر أحدكم من جلسه قال حذيفه فبدأت بالذى عن يمينى فقلت من أنت قال أنا فلان ثم عاد أبو سفيان براحلته فقال يا معشر قريش و الله ما أنتم بدار مقام هلك الخف و الحافر و أخلفتنا بنو قريظه و هذه الريح لا يستمسك لنا معها شىء ثم عجل فركب راحلته و إنها لمعقوله ما حل عقالها إلا بعد ما ركبها قال قلت فى نفسى لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئا فوترت قوسى ثم وضعت السهم فى كبد القوس و أنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول رسول الله ص لا تحدثن شيئا حتى ترجع قال فحططت

القوس ثم رجعت إلى رسول الله ص و هو يصلى فلما سمع حسى فرج بين رجليه فدخلت تحته و أرسل على طائفه من مرطه
فرقع و سجد ثم قال ما الخبر فأخبرته

و

روى الحافظ بالإسناد عن عبد الله بن أبى أوفى قال دعا رسول الله ص على الأحزاب فقال اللهم أنت منزل الكتاب سريع الحساب
أهزم الأحزاب اللهم اهزمهم و زلزلهم

و

عن أبى هريره أن رسول الله ص كان يقول لا إله إلا الله وحده و عز جنده و نصر عبده و غلب الأحزاب وحده فلا شىء
بعده

و

عن سليمان بن صرد قال قال رسول الله ص حين أجلى عنه الأحزاب الآن نغزوهم و لا يغزوننا
فكان كما قال ص فلم تغزهم قريش بعد ذلك و كان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكه.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١١ الى ٢٠]

إشاره

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا
عُزُورًا (١٢) وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ
بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَ لَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَ مَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَ لَقَدْ كَانُوا
عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذَا لَا تُمَتِّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ
إِلَيْنَا وَ لَا- يَأْتُونَ النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشْجَحَهُ عَلَيْكُمْ فَاذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوْتِ فَاذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَأَلْتَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِ حِدَادٍ أَشْجَحَهُ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْتَكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)

قرأ حفص «لا- مُقَامَ لَكُمْ» بضم الميم و الباقون بفتحها وقرأ أهل الحجاز «لَا تَوْهَا» بغير مد و الباقون لآتوها بالمد وقرأ يعقوب يساءلون بالتشديد و المد و الباقون «يَسْئَلُونَ» بالتخفيف و فى الشواذ قراءة ابن عباس و ابن يعمر و قتاده إن بيوتنا عوره و ما هى بعوره بكسر الواو فى الموضعين و قراءه الحسن ثم سولوا الفتنة مرفوعه السين و لا يجعل فيها ياء و لا يمدها و قراءه ابن عباس لو أنهم بدى فى الأعراب.

قال أبو على المقام يحتمل أمرين (أحدهما) لا- موضع إقامه لكم و هذا أشبه لأنه فى معنى لا مقام بفتح الميم أى ليس لكم موضع تقومون فيه (و الآخر) لا- إقامه لكم و من قصر «لآتوها» فلأنك تقول أتيت الشىء إذا فعلته تقول أتيت الخير و تركت الشر و معنى «ثم سئلوا الفتنة لآتوها» سئلوا فعل الفتنة لفعلوها و من قرأ لآتوها فالمعنى لأعطوها أى لم يمتنعوا فيها و المعنى لو قيل لهم كونوا على المسلمين و مع المشركين لفعلو ذلك و من قرأ يساءلون فإنه يتساءلون أى يسأل بعضهم بعضا فأدغم التاء فى السين و من قرأ عوره بكسر الواو فإنه شاذ من طريق الاستعمال و ذلك لتحرك الواو بعد الفتحه و القياس أن تقول عاره كما قالوا رجل مال و امرأه ماله و كبش صاف و نعجه صافه و مثل عوره فى صحه الواو و قولهم رجل عوز لا مال له و قول الأعشى:

و قد غدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو مثل شلول شلشل شول

و قوله سولوا من قولهم سأل يسأل كخاف يخاف فالعين على هذه اللغه واو و حكى أبو زيد قولهم هما يتساولان كما يقال يتقاومان و الأقيس على هذا أن يقال سيلوا كعيدوا و قيل و اللغه الأخرى إشمام الضمه نحو سنلوا و اللغه الثالثه سولوا على إخلاص ضمه فعل إلا أنه أردأ اللغات قال الشاعر:

" و قول لا أهل له و لا مال "

أى و قيل و قال آخر:

" نوط إلى صلب شديد الحل "

أى نيط و قوله بدى جمع باد فهو مثل غاز و غزى.

اللغه

يقال هنا للقريب من المكان و هنالك للبعيد و هناك للمتوسط بين القريب و البعيد و سبيله سبيل ذا و ذلك و ذاك و الزلزال الاضطراب العظيم و الزلزله اضطراب الأرض و قيل إنه مضاعف زل و زلزله غيره و الشده قوه تدرك بالحاسه لأن القوه التى هى القدره لا تدرك بالحاسه و إنما تعلم بالدلاله فلذلك يوصف تعالى بأنه قوى و لا يوصف بأنه شديد و الغرور إيهام المحبوب بالمكروه و الغرور الشيطان قال الحرث بن حلز:

لم يغروكم غرورا و لكن يرفع الآل جمعهم و الضحاء

و يثرب اسم أرض المدينه قال أبو عبيده إن مدينه الرسول فى ناحيه من يثرب و قيل يثرب هى المدينه نفسها و ذكر المرتضى علم الهدى قدس الله روحه أن من أسماء المدينه يثرب و طيبه و طابه و الدار و السكينه و جائزه المجبوره و المحبه و المحبوه و العذراء و المرحومه و القاصمه و يندد فذلك ثلاثه عشر اسما و العوره كل شىء يتخوف منه فى ثغر أو حرب و مكان معور و دار معوره إذا لم تكن حريزه. القطر الناحيه و الجانب و جمعه الأقطار و يقال طعنه فقطره إذا ألقاه على أحد قطريه أى أحد شقيه و التعويق التثيت و العوق الصرف و رجل عوق و عوقه يعوق الناس عن الخير. و البأس الحرب و أصله الشده. و الأشحه جمع شح و الشح البخل مع حرص يقال شح يشح و يشح بضم الشين و فتحها. و السلق أصله الضرب و سلق أى صاح و منه خطيب مسلق و مصلق فصيح و سلقته بالكلام أسمعته المكروه و

فى الحديث

ص: ١٢٢

ليس منا من سلق أو حلق أو رفع صوته عند المصيبة

وقيل هو أن تصك وجهها ومعنى حلق أى يحلق رأسه و شعره عند المصيبة. و الحديد ضد الكليل و الجمع حداد. و الأحزاب الجماعات واحدها حزب و تحزبوا أى تجمعوا من مواضع و البادى الذى ينزل البادية و منه

الحديث من بدا جفا

أى من نزل البادية كان فيه جفوه الإعراب و البداوه الخروج إلى البادية بفتح الباء و كسرهما قال القطامى:

و من تكن الحضاره أعجبه فأى أناس بادية ترانا

. الإعراب .

الضمير فى دخلت عائد إلى البيوت «إِلَّا يَسِيرًا» تقديره إلا تلبسا يسيرا أو زمانا يسيرا فهو صفة ظرف زمان محذوف «وَ إِذَا لَا تُمْتَعُونَ» لم يعمل إذا لوقوعه بين الواو و الفعل و قد أعملت بعد أن فى قول الشاعر:

لا تتركنى فيهم شطيرا إنى إذا أهلك أو أطيرا

«وَ لَا يَأْتُونَ» جملة معطوفة على صله الموصول أى الذين يعوقون و لا يأتون و قوله «إِلَّا قَلِيلًا» تقديره إلا زمانا قليلا و إن شئت إلا إتيانا قليلا أشحه منصوب على الحال فى الموضعين و قيل هو نصب على الذم كالذى يغشى عليه من الموت أى تدور أعينهم دورانا مثل دوران أعين الذى يغشى عليه من الموت فالكاف صفة مصدر محذوف و قد حذف بعد الكاف المضاف و المضاف إليه. هلم معناه أقبل و تعال و أهل الحجاز يقولون للواحد و الاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث هلم بلفظ الواحد و إنما هى لم ضمت إليها هاء التى للتنيه ثم حذف الألف منها إذا صارا شيئا واحدا كقولهم ويلمه و أصله وبل لأنه فلما جعلوهما شيئا واحدا حذفوا و غيروا و أما بنو تميم فيصرفونه تصريف الفعل يقولون هلم يا رجل و هلموا و هلموا و هلمى يا امرأه و هلمنا و هلمن يا نساء إلا أنهم يفتحون آخر الواحد البته.

المعنى

لما وصف سبحانه شده الأمر يوم الخندق قال «هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ» أى اختبروا و امتحنوا ليظهر لك حسن إيمانهم و صبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد أعدائه فظهر من كان ثابتا قويا فى الإيمان و من كان ضعيفا فيه «وَ زُلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا» أى حركوا بالخوف تحريكا شديدا و أزعجوا إزعاجا عظيما و ذلك أن الخائف يكون قلقا مضطربا لا يستقر على مكانه قال الجبائى منهم من اضطرب خوفا على نفسه من القتل و منهم من اضطرب عليه دينه

ص: ١٢٣

«وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك عن الحسن و قيل ضعف فى الإيمان «ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» قال ابن عباس إن المنافقين قالوا يعدنا محمد أن يفتح مدائن كسرى و قيصر و نحن لا نأمن أن نذهب إلى الخلاء هذا و الله الغرور «وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» يعنى عبد الله بن أبى و أصحابه عن السدى و قيل هم بنو سالم من المنافقين عن مقاتل و قيل إن القائل لذلك أوس بن قبطى و من وافقه على رأيه عن يزيد بن رومان «يا أَهْمِيلَ يَثْرِبَ لا- مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا» أى لا إقامه لكم هاهنا أو لا مكان لكم تقومون فيه للقتال إذا فتح الميم فارجعوا إلى منازلكم بالمدينه و أرادوا الهرب من عسكر رسول الله ص «وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ» فى الرجوع إلى المدينه و هم بنو حارثه و بنو سلمه «يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ» ليست بحريره، مكشوفه ليست بحصينه عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه بيوتنا خاليه من الرجال نخشى عليها السراق عن الحسن و قيل قالوا بيوتنا مما يلي العدو و لا نأمن على أهلينا عن قتاده

فكذبهم الله تعالى فقال «وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ» بل هى رفيعه السمك حصينه عن الصادق (عليه السلام)

«إِنْ يُرِيدُونَ» أى ما يريدون «إِلَّا فِرَارًا» و هربا من القتال و نصره المؤمنين «وَ لَوْ دُخِلَتْ» أى و لو دخلت البيوت أو دخلت المدينه «عَلَيْهِمْ» أى و لو دخل هؤلاء الذين يريدون القتال و هم الأحزاب على الذين يقولون إن بيوتنا عوره و هم المنافقون «مِنْ أَقْطَارِهَا» أى من نواحي المدينه أو البيوت «ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا» أى ثم دعوا هؤلاء إلى الشرك لأشركوا فالمراد بالفتنه الشرك عن ابن عباس «وَ مَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا» أى و ما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلا عن قتاده و قيل معناه و ما أقاموا بالمدينه بعد إعطائهم الكفر إلا قليلا حتى يعاجلهم الله بالعذاب عن الحسن و الفراء ثم ذكرهم الله سبحانه عهدهم مع النبى ص بالثبات فى المواطن فقال «وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ» أى من قبل الخندق «لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ» أى بايعوا النبى ص و حلفوا له أنهم ينصرونه و يدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم و لا يرجعون عن مقاتله العدو و لا ينهزمون قال مقاتل يريد ليله العقبه «وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا» يسألون عنهم فى الآخرة و إنما جاء بلفظ الماضى تأكيداً ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد للذين استأذنونك فى الرجوع و اعتلوا بأن بيوتهم يخاف عليها «لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ» إن كان حضرت آجالكم فإنه لا بد من واحد منهما و إن هربتم فالهرب لا يزيد فى آجالكم «وَ إِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» معناه و إن لم تحضر آجالكم و سلمتم من الموت أو القتل فى هذه الوقعه لم تمتعوا فى الدنيا إلا- أياما قلائل و إنما فرق بين الموت و القتل لأن القتل غير الموت فإن الموت ضد الحياه عند من أثبتته معنى و انتفاء الحياه عند من لم يشبته معنى و القتل هو نقض البنيه الحيوانيه فالقتل يقدر عليه غير

الله تعالى و الموت لا يقدر عليه غيره «قُلْ» يا محمد «مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِي مَكْرَمِ اللَّهِ» أى يدفع عنكم قضاء الله و يمنعكم من الله «إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا» أى عذابا و عقوبه «أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً» أى نصرا و عزا فإن أحدا لا يقدر على ذلك «وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا» يلى أمورهم «وَلَا نَصِيرًا» ينصرهم و يدفع عنهم ثم قال سبحانه «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ» و هم الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله ص و يثبطونهم و يشغلونهم لينصرفوا عنه و ذلك بأنهم قالوا لهم ما محمد و أصحابه إلا أكله رأس و لو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان و هؤلاء الأحزاب «وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ» يعنى اليهود قالوا لإخوانهم المنافقين «هَلُمَّ إِلَيْنَا» أى تعالوا و أقبلوا إلينا و دعوا محمدا و قيل القائلون هم المنافقون قالوا لإخوانهم من ضعفه المسلمين لا تحاربوا و خلوا محمدا فإننا نخاف عليكم الهلاك «وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ» أى و لا يحضرون القتال فى سبيل الله «إِلَّا قَلِيلًا» يخرجون رياء و سمعه قدر ما يوهمون أنهم معكم يعلم الله سبحانه أحوالهم لا يخفى عليه شىء منها عن السدى و قيل معناه و لا يحضرون القتال إلا كارهين تكون قلوبهم مع المشركين عن قتاده «أَشْجَحَهُ عَلَيْهِمْ» أى لا- يأتون الناس أشحه عليكم أى بخلاء بالقتال معكم و قيل بخلاء بالنفقة فى سبيل الله و النصره عن قتاده و مجاهد و معناه لا ينصرونكم ثم أخبر عن جنبهم فقال «فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى» أى كعين الذى يغشى «عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» و هو الذى قرب من حال الموت و غشيته أسبابه فيذهل و يذهب عقله و يشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم و تحار أعينهم من شدة خوفهم «فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ» و الفزع و جاء الأمن و الغنيمه «سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ جَدَادٍ» أى آذوكم بالكلام و خاصموكم بألسنه سليطه ذربه عن الفراء و قيل معناه بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمه الغنيمه يقولون أعطونا أعطونا فلستم بأحق بها منا عن قتاده قال فأما عند البأس فأجبن قوم و أخذلهم للحق و أما عند الغنيمه فأشح قوم و هو قوله «أَشْجَحَهُ عَلَى الْخَيْرِ» أى بخلاء بالغنيمه يشاحون المؤمنين عند القسمه و قيل معناه بخلاء بأن يتكلموا بكلام فيه خير عن الجبائى «أَوْلَيْكَ» يعنى من تقدم وصفهم «لَمْ يُؤْمِنُوا» كما آمن غيرهم و إلا لما فعلوا ذلك «فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ» لأنها لم تقع على الوجوه التى يستحق عليها الثواب إذ لم يقصدوا بها وجه الله تعالى و فى هذا دلالة على صحه مذهبنا فى الإحباط لأن المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط فليس إلا أن

جهادهم الذى لم يقارنه إيمان لم يستحقوا عليه ثوابا «وَ كَانَ ذَلِكَ» الإحباط أو كان نفاقهم «عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» أى هينا ثم وصف سبحانه هؤلاء المنافقين فقال «يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا» أى يظنون أن الجماعات من قريش و غطفان و أسد و اليهود الذين تحزبوا على رسول الله ص لم ينصرفوا و قد انصرفوا و إنما ظنوا ذلك لجنهم و فرط حبههم قهر المسلمين «وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ» أى و إن يرجع الأحزاب إليهم ثانياه للقتال «يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ» أى يود هؤلاء المنافقون أن يكونوا فى البادية مع الأعراب يسألون عن أخباركم و لا يكونوا معكم حذرا من القتل و تربصا للدوائر «وَ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا» أى و لو كان هؤلاء المنافقون معكم و فيكم لم يقاتلوا معكم إلا قدرا يسيرا ليوهموا أنهم فى جملتكم لا لينصروكم و يجاهدوا معكم و قيل معناه قتالا قليلا رياء و سمعه من غير احتساب و لو كان هؤلاء المنافقون معكم و فيكم لم يقاتلوا معكم إلا قدرا يسيرا ليوهموا أنهم فى جملتكم لا لينصروكم و يجاهدوا معكم و قيل معناه قتالا قليلا رياء و سمعه من غير احتساب و لو كان لله تعالى لم يكن قليلا عن الجبائى و مقاتل.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشارة

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا (٢١) وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا يَدَّبُلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيُجْزَى اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذَّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا (٢٥)

قرأ عاصم «أُسْوَةٌ» بضم الألف حيث كان فى جميع القرآن و الباقون بكسر الألف و هما لغتان و معناهما قدوه.

اللغه

النحب النذر قال بشر بن أبى حازم:

و إنى و الهجاء لآل لام كذات النحب توفى بالنذور

و النحب الموت قال ذو الرمه:

عشيه مر الحارثيون بعد ما قضى نجه فى ملتقى الخيل هوبر

و هوبر اسم رجل و النحب الخطر قال جرير:

بطخفه جالدنا الملوك و خيلنا عشيه بسطام جرير على نحب

أى على خطر و النحب المد فى السير يوما و ليله.

المعنى

ثم حث سبحانه على الجهاد و الصبر عليه فقال «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ» معاشر المكلفين «فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أى قدوه صالحه يقال لى فى فلان أسوه أى لى به اقتداء و الأسوه من الاتساء كما أن القدره من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر و المعنى كان لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به فى نصرته و الصبر معه فى مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ انكسرت رباعيته و شج حاجبه و قتل عمه فواساكم مع ذلك بنفسه فهلا- فعلتم مثل ما فعله هو و قوله «لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ» بدل من قوله «لَكُمْ» و هو تخصيص بعد العموم للمؤمنين يعنى أن الأسوه برسول الله إنما تكون «لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ» أى يرجو ما عند الله من الثواب و النعيم عن ابن عباس و قيل معناه يخشى الله و يخشى البعث الذى فيه جزاء الأعمال و هو قوله «وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ» عن مقاتل «وَ ذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا» أى ذكرا كثيرا و ذلك أن ذاك الله متبع لأوامره بخلاف الغافل عن ذكره ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأحزاب فقال «وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ

الأحزاب» أى و لما عين المصدقون بالله و رسوله الجماعه التى تحزبت على قتال النبى ص مع كثرتهم «قالوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» اختلف فى معناه على قولين (أحدهما) أن النبى ص كان قد أخبرهم أنه يتظاهر عليهم الأحزاب و يقاتلونهم و وعدهم الظفر بهم فلما رأوهم تبين لهم مصداق قوله و كان ذلك معجزا له «وَ مَا زَادَهُمْ» مشاهده عدوهم «إِلَّا إِيمَانًا» أى تصديقا بالله و رسوله «وَ تَسْلِيمًا» لأمره عن الجبائى (و الآخر) أن الله تعالى وعدهم فى سوره البقره بقوله «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا» إلى قوله «إِنَّ نَظِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» ما سيكون من الشده التى تلحقهم من عدوهم فلما رأوا الأحزاب يوم الخندق قالوا هذه المقاله علما منهم أنه لا يصيبهم إلا ما أصاب الأنبياء و المؤمنين قبلهم و زادهم كثره المشركين تصديقا و يقينا و ثباتا فى الحرب عن قتاده و غيره «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» أى بايعوا أن لا يفرؤا فصدقوا فى لقاءهم العدو «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ» أى مات أو قتل فى سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النجب و قيل قضى نجه معناه فرغ من عمله و رجع إلى ربه يعنى من استشهد يوم أحد عن محمد بن إسحاق و قيل معناه قضى أجله على الوفاء و الصدق عن الحسن و قال ابن قتيبه أصل النجب النذر و كأن قوما نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا فليل فلان قضى نجه إذا قتل و روى عن أنس بن مالك أن عمه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله مع المشركين لئن أرانى الله قتالا- للمشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين و أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فلقية سعد دون أحد فقال أنا معك قال سعد فلم أستطع أن أصنع ما صنع فوجد فيه بضع و ثمانون ما بين ضربه بسيف و طعنه برمح و رميه بسهم كنا نقول فيه و فى أصحابه نزلت «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» رواه البخارى فى الصحيح عن محمد بن سعيد الخزامى عن عبد الأعلى عن حميد بن أنس و قال ابن إسحاق «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ» من استشهد يوم بدر و أحد «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» ما وعد الله من نصره أو شهاده على ما مضى عليه أصحابه «وَ مَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا» أى ما غيروا العهد الذى عاهدوا ربهم كما غير المنافقون قال ابن عباس «مَنْ قَضَى نَجْبَهُ» حمزه بن عبد المطلب و من قتل معه و أنس بن النضر و أصحابه و قال الكلبي ما بدلوا العهد بالصبر و لا نكثوه بالفرار و

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبى إسحاق عن على (عليه السلام) قال فينا نزلت «رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» فأنا و الله المنتظر و ما بدلت تبديلا

«لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ» أى صدق المؤمنون فى عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم «وَ يُعَذِّبَ

الْمُنَافِقِينَ» بنقض العهد «إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» إن تابوا و يكون معناه أنه سبحانه إن شاء قبل توبتهم و أسقط عقابهم و إن شاء لم يقبل توبتهم و عذبهم فإن إسقاط العذاب على المذهب الصحيح بالتوبه تفضل من الله تعالى لا يجب عقلا و إنما علمنا ذلك بالسمع و الإجماع على أن الله سبحانه يفعل ذلك فالآيه قاضيه بما يقتضيه العقل من الحكم و يؤكد ذلك قوله «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» لأن المدح إنما يحصل إذا رحم سبحانه من يستحق العقاب و يغفر ما جاز له المؤاخذة به و لا مدح في مغفره و رحمه من يجب عليه غفرانه و رحمته و قيل معناه و يعذب المنافقين بعذاب عاجل في الدنيا إن شاء أو يتوبوا عن الجبائي ثم عاد سبحانه إلى تعداد نعمه فقال «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى الأحزاب أبا سفيان و جنوده و غطفان و من معهم من قبائل العرب «بِعَيْظِهِمْ» أى بغمهم الذى جاءوا به و حنقهم لم يشفوا بنيل ما أرادوا و «لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا» أملوه و أرادوه من الظفر بالنبى و المؤمنين و إنما سماه خيرا لأن ذلك كان خيرا عندهم و قيل أراد بالخير المال كما فى قوله «وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ» أى مباشره القتال بما أنزل الله على المشركين من الريح الشديده الباردة التى أزعجتهم عن أماكنهم و بما أرسل من الملائكه و بما قذف فى قلوبهم من الرعب و

قيل بعلى بن أبى طالب (عليه السلام) و قتل عمرو بن عبد ود و كان ذلك سبب هزيمه القوم عن عبد الله بن مسعود و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا» أى قادرا على ما يشاء «عَزِيزًا» لا يمتنع عليه شىء من الأشياء و قيل قويا فى ملكه و سلطانه عزيزا فى قهره و انتقاله.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٦ الى ٢٧]

إشاره

وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)

اللغه

المظاهره المعاونه و هى زياده القوه بأن يكون المعاونه ظهيرا لصاحبه فى الدفع عنه و الظهير المعين و الصياصى الحصون التى يمتنع بها واحدها صيصيه يقال جذ الله صيصيه فلان أى حصنه الذى يمتنع به و كل ما امتنع به فهو صيصيه و منه يقال لقرون البقر

و الطباء صياصى و يقال أيضا لشوكة الديك و شوكة الحايك صيصيه قال:

"كوقع الصياصى فى النسيج الممدد"

. المعنى

ثم ذكر سبحانه ما فعل باليهود من بنى قريظه فقال «وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ» أى عاونوا المشركين من الأحزاب و نقضوا العهد الذى بينهم و بين رسول الله ص أن لا ينصروا عليه عدوا «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعنى من اليهود و اتفق المفسرون على أنهم بنو قريظه إلا الحسن فإنه قال هم بنو النضير و الأول أصح و أليق بسياق الآيات لأن بنى النضير لم يكن لهم فى قتال أهل الأحزاب شىء و كانوا قد انجلوا قبل ذلك «مِنْ صَيَاصِيَّيِهِمْ» أى من حصونهم «وَ قَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» أى ألقى فى قلوبهم الخوف من النبى ص و أصحابه المؤمنين «فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» منهم يعنى الرجال «وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا» يعنى الذرارى و النساء «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ» أى و أعطاكم أرضهم «وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطُوهَا» أى و أورثكم أرضا لم تطوها بأقدامكم بعد و سيفتحها الله عليكم و هى خيبر فتحها الله عليهم بعد بنى قريظه عن ابن زيد و يزيد بن رومان و مقاتل و قيل هى مكه عن قتاده و قيل هى الروم و فارس عن الحسن و قيل هى كل أرض تفتح إلى يوم القيامة عن عكرمه و قيل هى ما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب عن أبى مسلم «وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» ظاهر المعنى.

[القصة]

روى الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال لما انصرف النبى ص مع المسلمين عن الخندق و وضع عنه اللأمة و اغتسل و استحجم تبدى له جبرائيل (عليه السلام) فقال عذيرك من محارب ألا أراك قد وضعت عنك اللأمة و ما وضعناها بعد فوثب رسول الله ص فزعا فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظه فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنو قريظه حتى غربت الشمس و اختصم الناس فقال بعضهم إن رسول الله ص عزم علينا أن لا نصلى حتى نأتى قريظه فإنما نحن فى عزمه رسول الله فليس علينا إثم و صلى طائفه من الناس احتسابا و تركت طائفه منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاءوا بنى قريظه احتسابا فلم يعنف رسول الله ص واحدا من الفريقين

ص: ١٣٠

و ذكر عروه أنه بعث على بن أبي طالب (عليه السلام) على المقدم و دفع إليه اللواء و أمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بنى قريظه ففعل و خرج رسول الله ص على آثارهم فمر على مجلس من الأنصار فى بنى غنم ينتظرون رسول الله ص فرعموا أنه قال مر بكم الفارس آنفا فقالوا مر بنا دحيه الكلبى على بغله شهاء تحته قطيفه ديباج فقال رسول الله ص ليس ذلك بدحيه و لكنه جبرائيل (عليه السلام) أرسل إلى بنى قريظه ليزلزلهم و يقذف فى قلوبهم الرعب قالوا و سار على (عليه السلام) حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحه لرسول الله ص فرجع حتى لقي رسول الله ص بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال أظنك سمعت لى منهم أذى فقال نعم يا رسول الله فقال لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله ص من حصونهم قال يا إخوه القرده و الخنازير هل أخزاكم الله و أنزل بكم نقمته فقالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا و حاصرهم رسول الله ص خمسا و عشرين ليله حتى أجهدهم الحصار و قذف الله فى قلوبهم الرعب و كان حيبى بن أخطب دخل مع بنى قريظه فى حصنهم حين رجعت قريش و غطفان فلما أيقنوا أن رسول الله ص غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون و أنى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا ما هن قال نبايع هذا الرجل و نصدقه فو الله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل و أنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على دمائكم و أموالكم و نساءكم فقالوا لا نفارق حكم التوراه أبدا و لا نستبدل به غيره قال فإذا أبيت على هذا فهلموا فلنقتل أبناءنا و نساءنا ثم نخرج إلى محمد رجلا مصلتين بالسيوف و لم نترك وراءنا ثقلا يهمننا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد فإن نهلك نهلك و لم نترك وراءنا نسلا يهمننا و إن نظر لنجدن النساء و الأبناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير فى العيش بعدهم قال فإذا أبيت على هذه فإن الليله ليله السبت و عسى أن يكون محمد و أصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا فعلنا نصيب منهم غره فقالوا نفسد سبتنا و نحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليله واحده من الدهر حازما قال الزهرى و قال رسول الله ص حين سألوه أن يحكم فيهم رجلا اختاروا من شئتم من أصحابى فاختاروا سعد بن معاذ فرضى بذلك رسول الله ص فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ص بسلاحهم فجعل فى قبته و أمر بهم فكتفوا و أوثقوا و جعلوا فى دار أسامه و بعث رسول الله ص إلى سعد بن معاذ فجىء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم و تسبى ذراريهم و نساؤهم و تغنم أموالهم و أن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار و قال للأنصار إنكم ذوو عقار و ليس للمهاجرين عقار فكبر رسول الله و قال لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله عز و جل و فى بعض الروايات لقد حكمت فيهم

بحكم الله من فوق سبعة أرقعه و أرقعه جمع رقيع اسم سماء الدنيا فقتل رسول الله ص مقاتليهم و كانوا فيما زعموا ست مائه مقاتل و قيل قتل منهم أربع مائه و خمسين رجلا و سبى سبعمائه و خمسين و روى أنهم قالوا لكعب بن أسد و هم يذهب بهم إلى رسول الله ص إرسالا يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال كعب أ في كل موطن تقولون ألا ترون أن الداعي لا ينزع و من يذهب منكم لا- يرجع هو و الله القتل و أتى بحبي بن أخطب عدو الله عليه حله فاخيه قد شقها عليه من كل ناحيه كموضع الأنمله لثلا يسلبها مجموععه يدها إلى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله ص فقال أما و الله ما لمت نفسي على عداوتك و لكنه من يخذل الله يخذل ثم قال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب الله و قدره ملحمة كتبت على بنى إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه ثم قسم رسول الله ص نساءهم و أبناءهم و أموالهم على المسلمين و بعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصاري فابتاع بهم خيلا و سلاحا قالوا فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله ص إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد

و

روى عن جابر بن عبد الله قال جاء جبرائيل (عليه السلام) إلى رسول الله ص فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء و تحرك له العرش فخرج رسول الله ص فإذا سعد بن معاذ قد قبض.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٨ إلى ٣١]

إشاره

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِيَّتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُمْ وَأَسْرِحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَ مَنْ يَفْعَلْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)

القرءاءه

قرأ ابن كثير و ابن عامر نضعف بالنون و التشديد العذاب بالنصب و قرأ أبو

ص: ١٣٢

جعفر و أهل البصره يضعف بالياء و التشديد «الْعِذَابُ» بالرفع و الباقون «يُضَاعَفُ» بالياء و الألف و فتح العين و قرأ أهل الكوفه غير عاصم «وَمَنْ يَقْنُتْ» و يعمل صالحا يؤتها الجميع بالياء و قرأ روح و زيد من تأت و من تقنت و «تَعْمَلُ» كلها بالتاء «نُؤْتِهَا» بالنون و الباقون «مَنْ يَأْتِ» و «مَنْ يَقْنُتْ» بالياء و «تَعْمَلُ» بالتاء و «نُؤْتِهَا» بالنون.

الحجه

قال أبو على ضاعف و ضعف بمعنى فمن لم يسم الفاعل أسند الفعل إلى العذاب و من قرأ بكسر العين فالفعل مسند إلى ضمير اسم الله تعالى و معنى «يُضَاعَفُ لَهَا الْعِذَابُ ضِعْفَيْنِ» أنها لما تشاهد من الزواجر الرادعه عن مواقعه الذنوب ينبغى أن يمتنع منها أكثر مما يمتنع من لا يشاهد ذلك و قال «يُضَاعَفُ لَهَا الْعِذَابُ» فعاد الضمير إلى معنى من دون لفظه و لو عاد على لفظه لذكره و من قرأ «يَقْنُتْ» بالياء فلان الفعل مسند إلى ضمير من و لم يتبين فاعل الفعل بعد فلما ذكر ما دل على أن الفعل لمؤنث حمل على المعنى فأنث و كذلك قوله مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ و من قرأ كل ذلك بالياء فإنه حمل على اللفظ دون المعنى و من قرأ من تأت بالتاء حمل على المعنى فكأنه قال أيه امرأه منكن أتت بفاحشه أو تأت بفاحشه و مثله فى الكلام كثير للبيان كقوله سبحانه وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ و قول الفرزدق:

تعش فإن عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

أى مثل اللذين يصطحبان قال ابن جنى أن تكون من هنا على الصله أولى من أن تكون على الصفه.

اللغه

الضعف مثل الشىء الذى يضم إليه يقال ضاعفته أى زدت عليه مثله و منه الضعف و هو نقصان القوه بأن يذهب أحد ضعفيها فهو ذهاب ضعف القوه.

التزول

قال المفسرون إن أزواج النبی ص سأله شيئا من عرض الدنيا و طلبن منه زياده فى النفقه و آذينه لغيره بعضهن على بعض فألى رسول الله ص منهن شهرا فنزلت آيه التخيير و هو قوله «قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ» و كن يومئذ تسعا عائشه و حفصه و أم حبيبه بنت أبى سفيان و سوده بنت زمعه و أم سلمه بنت أبى أميه فهؤلاء من قريش و صفيه بنت حبي الخيبريه و ميمونه بنت

الحارث الهلاليه و زينب بنت جحش الأسديه و جويره بنت الحارث المصطلقه و

روى الواحدى بالإسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ص جالسا مع حفصه فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك أن أجعل بينى وبينك رجلا قالت نعم فأرسل إلى عمر فلما أن دخل عليهما قال لها تكلمى فقالت يا رسول الله تكلم و لا تقل إلا حقا فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها فقال له النبى ص كف فقال عمر يا عدوه الله النبى لا يقول إلا حقا و الذى بعته بالحق لو لا مجلسه ما رفعت يدى حتى تموتى فقام النبى ص فصعد إلى غرفه فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتعدى و يتعشى فيها فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر نساء النبى ص فقال مخاطبا لنبيه ص أمرا له أن يخير أزواجه فقال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا» أى سعه العيش فى الدنيا و كثره المال «فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ» أى أعطكن متعه الطلاق و قد مر بيانها فى سورة البقره و قيل أمتعن بتوفير المهر «وَ أُسَيِّرُحُكَّنَّ» أى أطلقكن «سَيِّرَاحاً جَمِيلاً» و السراح الجميل الطلاق من غير خصومه و لا مشاجره بين الزوجين «وَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ» أى و إن أردتن طاعه الله و طاعه رسوله و الصبر على ضيق العيش و الجنه «فَمِإِنَّ اللَّهَ أَعِدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ» أى العارفات المريدات الإحسان المطيعات له «مِنْكُمْ أَجْراً عَظِيماً» و اختلف فى هذا التخيير فقيل إنه خيرهن بين الدنيا و الآخره فإن هن اخترن الدنيا و محبتها استأنف حينئذ طلاقهن بقوله «أُمَتِّعَنَّ وَ أُسَيِّرُحُكَّنَّ سَرِاحاً جَمِيلاً» عن الحسن و قيل خيرهن بين الطلاق و المقام معه عن مجاهد و الشعبى و جماعه من المفسرين و اختلف العلماء فى حكم التخيير على أقوال (أحدها) أن الرجل إذا خير امرأته فاخترت زوجها فلا شىء و إن اختارت نفسها تقع تطليقه واحده و هو قول عمر بن الخطاب و ابن مسعود و إليه ذهب أبو حنيفه و أصحابه (و ثانيها) أنه إذا اختارت نفسها تقع ثلاث تطليقات و إن اختارت زوجها تقع واحده و هو قول زيد بن ثابت و إليه ذهب مالك (و ثالثها) أنه إن نوى الطلاق كان طلاقا و إلا فلا و هو مذهب الشافعى (و رابعها)

أنه لا يقع بالتخيير طلاق و إنما كان ذلك للنبى ص خاصه و لو اخترن أنفسهن لما خيرهن لبن منه فأما غيره فلا يجوز له ذلك و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

ثم خاطب سبحانه نساء النبى ص فقال «يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» أى بمعصيه ظاهره «يُضَاعَفْ لَهَا الْعِذَابُ» فى الآخره «ضِعْفَيْنِ» أى مثلى ما يكون على غيرهن و ذلك لأن نعم الله سبحانه عليهن أكثر لمكان النبى ص منهن و لتزول الوحي فى بيوتهن فإذا كانت النعمه عليهن أعظم و أوفر كانت المعصيه منهن أفحش و العقوبه بها أعظم و أكثر و قال أبو عبيده الضعفان أن يجعل الواحد ثلاثه فيكون عليهن ثلاثه حدود لأن ضعف

الواحد مثله و ضعفى الشىء مثلاه و قال غيره المراد بالضعف المثل فالمعنى أنها يزداد فى عذابها ضعف كما زيد فى ثوابها ضعف فى قوله «نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» (وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) أى كان عذابها على الله هينا عن مقاتل «وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى و من يطع الله و رسوله و القنوت الطاعة و قيل معناه من يواظب منكن على الطاعة لله و لرسوله و منه القنوت فى الصلاة و هو المداومه على الدعاء المعروف «وَ تَعْمَلُ صَالِحًا» فيما بينها و بين ربها «نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» أى نُؤْتِهَا ثَوَابَهَا مِثْلَى ثَوَابِهَا وَ روى أبو حمزه الثمالى عن زيد بن على (عليه السلام) أنه قال إني لأرجو للمحسن منا أجرين و أخاف على المسىء منا أن يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد أزواج النبی ص و

روى محمد بن أبى عمير عن إبراهيم ابن عبد الحميد عن على بن عبد الله بن الحسين عن أبيه عن على بن الحسين زين العابدين أنه قال له رجل إنكم أهل بيت مغفور لكم قال فغضب و قال نحن أحرى أن يجرى فينا ما أجرى الله فى أزواج النبی ص من أن نكون كما تقول إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر و لمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الآيتين

«وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا» أى عظيم القدر رفيع الخيار و قيل إن الرزق الكريم ما سلم من كل آفة و قيل هو الثواب الذى لا يحسن الابتداء بمثله.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٢ الى ٣٥]

إشارة

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسِيْتُمْ كَأَنتُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُمْ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَ أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَ أطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْعَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيرًا (٣٣) وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنْ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنْ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)

قرأ أهل المدينة و عاصم «وَقَرْنَ» بفتح القاف و قرأ الباقون و هبیره عن حفص عن عاصم و قرن بكسر القاف و فى الشواذ قراءة الأعرج و أبان بن عثمان فيطمع الذى بكسر العين.

الحجج

قال أبو على قوله و قرن لا- يخلو إما أن يكون من القرار أو من الوقار فإن كان من الوقار فهو مثل عدن و كلن مما يحذف فيه الفاء و هى واو فيبقى من الكلمه علقن و إن كان من القرار فيكون الأمر اقرن فيبدل من العين الياء كراهه التضعيف كما أبدل فى قيراط و دينار فيصير لها حركة الحرف المبدل منه ثم تلقى الحركة على الفاء فتسقط همزه الوصل لتحرك ما بعدها فتقول قرن لأن حركة الراء كانت كسره فى تقرأ لا ترى أن القاف متحرك بها و أما من فتح فقال قرن فمن لم يجز قررت بالمكان أقر و إنما يقول قررت أقر فإن فتح الفاء عنده لا يجوز و من أجاز ذلك جاز على قوله «قَرْنَ» كما جاز قرن و هى لغه حكاهما الكسائى و قال أبو عثمان يقال قررت به عينا أقر و لا- يقال قررت فى هذا المعنى و قررت فى المكان فأنا أقر فيه يقال قررت فى هذا المعنى و من قرأ فيطمع الذى بالكسر فهو معطوف على «فَلَا تَخْضَعَنَّ» أى فلا يطمع الذى فى قلبه مرض فكلاهما منهى عنه إلا أن النصب أقوى لأنه يكون بمعنى أن طمعه مسبب عن خضوعهن بالقول و إذا كان عطفاً كان نهياً لهن و له و ليس فيه دليل على أن الطمع واقع من أجلهن.

اللغة

التبرج إظهار المرأه محاسنها مأخوذ من البرج و هو السعه فى العين و طعنه برجاء واسع و فى أسنانه برج إذا تفرق ما بينها.

الإعراب

قوله «لِيَذْهَبَ» اللام يتعلق بمحذوف تقديره و إرادته ليذهب و يجوز أن يتعلق بيريد. «أَهْلَ الْبَيْتِ» منصوب على المدح تقديره أعنى أهل البيت و يجوز أن يكون منادى مضافاً و يجوز فى العريه جر اللام و رفعها فالجر على أن يكون بدلاً من كم و الرفع

المعنى

ثم أظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النسوان بقوله «يا نساء النبي لشيئت كآحد من النساء» قال الزجاج لم يقل كواحدة من النساء لأن أحدا للنفي العام و قال ابن عباس معناه ليس قدر كن عندي كقدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم على فأنا بكن أرحم و ثوابكن أعظم لمكانكن من رسول الله ص «إن اتقيتن» الله شرط عليهن التقوى ليبين سبحانه أن فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ص «فلا تخضعن بالقول» أى لا ترققن القول و لا تلن الكلام للرجال و لا تخاطبن الأجانب مخاطبه تؤدي إلى طمعهم فتكن كما تفعل المرأة التي تظهر الرغبة في الرجال «فيطمع الذي في قلبه مرض» أى نفاق و فجور عن قتاده و قيل من في قلبه شهوة للزنا عن عكرمه و قيل أن المرأة مندوبه إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في مقاله لأن ذلك أبعد من الطمع في الريه «و قلن قولنا معروفا» أى مستقيما جميلا- بريئا من التهمه بعيدا من الريه موافقا للدين و الإسلام «و قرن في بيوتكن» أمرهن بالاستقرار في بيوتهن و المعنى اثبتن في منازلكن و الزمنها و إن كان من وقر يقر فمعناه كن أهل وقار و سكينه «و لا تبرجن تبرج الجاهليه الأولى» أى لا تخرجن على عادة النساء اللاتي في الجاهليه و لا تظهرن زينتكن كما كن يظهرن ذلك و قيل التبرج التبخر و التكبر في المشى عن قتاده و مجاهد و قيل هو أن تلقى الخمار على رأسها و لا تشده فتوارى قلائدها و قرطياها فيبدو ذلك منها عن مقاتل و المراد بالجاهليه الأولى ما كان قبل الإسلام عن قتاده و قيل ما كان بين آدم (عليه السلام) و نوح (عليه السلام) ثمان مائه سنه عن الحكم و قيل ما بين عيسى و محمد عن الشعبي قال و هذا لا يقتضى أن يكون بعدها جاهليه في الإسلام لأن الأول اسم للسابق تأخر عنه غيره أو لم يتأخر و قيل أن معنى «تبرج الجاهليه الأولى» أنهم كانوا يجوزون أن تجمع امرأة واحده زوجا و خلا فتجعل لزوجها نصفها الأسفل و لخلها نصفها الأعلى يقبلها و يعانقها ثم قال «و أقم الصلاة» أى أدينها في أوقاتها بشرائطها «و آتين الزكاة» المفروضه في أموالكن «و أطعن الله و رسوله» فيما يأمرانكن به و ينهانكن عنه ثم قال عز و جل «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» قال ابن عباس الرجس عمل الشيطان و ما ليس لله فيه رضى و البيت التعريف فيه للعهد و المراد به بيت النبوه و الرساله و العرب تسمى ما يلتجأ إليه بيتا و لهذا سمو الأنساب بيوتا و قالوا بيوتات العرب يريدون النسب قال:

ألا يا بيت بالعلياء بيت و لو لا حب أهلك ما أتيت

ألا يا بيت أهلك أوعدونى كأنى كل ذنبهم جنيت

يريد بيت النسب و بيت النبوه و الرساله كبيت النسب قال الفرزدق:

بيت زراره محتب بفنائه و مجاشع و أبو الفوارس نهشل

لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم أبدا إذا عد الأكمل.

و قيل البيت بيت الحرام و أهله هم المتقون على الإطلاق لقوله *إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ* و قيل البيت مسجد رسول الله ص و أهله من مكنه رسول الله ص فيه و لم يخرججه و لم يسد بابه و قد اتفقت الأئمه بأجمعها على أن المراد بأهل البيت فى الآية أهل بيت نبينا ص ثم اختلفوا فقال عكرمه أراد أزواج النبى لأن أول الآية متوجه إليهن و قال أبو سعيد الخدرى و أنس بن مالك و واثله بن الأسقع و عائشه و أم سلمه أن الآية مختصه برسول الله ص و على و فاطمه و الحسن و الحسين ع

ذكر أبو حمزه الثمالى فى تفسيره حدثنى شهر بن حوشب عن أم سلمه قالت جاءت فاطمه (عليه السلام) إلى النبى ص تحمل حريره لها فقال ادعى زوجك و ابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم ألقى عليهم كساء له خيريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتى و عترتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فقلت يا رسول الله و أنا معهم قال أنت إلى خير

و

روى الثعلبى فى تفسيره أيضا بالإسناد عن أم سلمه أن النبى ص كان فى بيتها فأتته فاطمه (عليه السلام) ببرمه فيها حريره فقال لها ادعى زوجك و ابنيك فذكرت الحديث نحو ذلك ثم قالت فأنزل الله تعالى *«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ»* الآية قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى يده بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى و حامتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فأدخلت رأسى البيت و قلت و أنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير أنك إلى خير

و بإسناده قال مجمع دخلت مع أمى على عائشه فسألته أمى أ رأيت خروجك يوم الجمل قالت أنه كان قدرا من الله فسألته عن على (عليه السلام) فقالت تسألينى عن أحب الناس كان إلى رسول الله ص و زوج أحب الناس كان إلى رسول الله ص

لقد رأيت عليا و فاطمه و حسنا و حسينا (عليه السلام) و جمع رسول الله ص بثوب عليهم ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى و حامتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا قالت فقلت يا رسول الله أنا من أهلك قال تنحى فإنك إلى خير

و

بإسناده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ص قال نزلت هذه الآية فى خمسة فى و فى على و حسن و حسين و فاطمه (عليه السلام)

و

أخبرنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثونا عن أبي

ص: ١٣٨

بكر السبيعي قال حدثنا أبو عروه الحراني قال حدثنا ابن مصغى قال حدثنا عبد الرحيم بن واقد عن أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر قال نزلت هذه الآية على النبي ص و ليست فى البيت إلا فاطمه و الحسن و الحسين (عليه السلام) و على (عليه السلام) «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» فقال النبي ص اللهم هؤلاء أهلى

و

حدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم بإسناده عن زاذان عن الحسن بن على (عليه السلام) قال لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله ص و إياه فى كساء لأم سلمه خيبرى ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى و عترتى

و الروايات فى هذا كثيره من طريق العامه و الخاصه لو قصدنا إلى إيرادها لطال الكتاب و فيما أوردناه كفايه و استدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسه (عليه السلام) بأن قالوا إن لفظه إنما محققه لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت فإن قول القائل إنما لك عندى درهم و إنما فى الدار زيد يقتضى أنه ليس عنده سوى الدرهم و ليس فى الدار سوى زيد و إذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة فى الآية أن تكون هى الإرادة المحضه أو الإرادة التى يتبعها التطهير و إذهاب الرجس و لا يجوز الوجه الأول لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق و لأن هذا القول يقتضى المدح و التعظيم لهم بغير شك و شبهه و لا مدح فى الإرادة المجردة فثبت الوجه الثانى و فى ثبوته ثبوت عصمه المعنيين بالآيه من جميع القبائح و قد علمنا أن من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت أن الآية مختصه بهم لبطان تعلقها بغيرهم و متى قيل أن صدر الآية و ما بعدها فى الأزواج فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء فى كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره و يعودون إليه و القرآن من ذلك مملوء و كذلك كلام العرب و أشعارهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأزواج فقال «وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ» معناه و اشكرن الله تعالى إذ صيركن فى بيوت يتلى فيها القرآن و السنه عن قتاده و قيل اذكرن أى احفظن ذلك و ليكن منكن على بال أبدا لتعملن بموجبه و هذا حث لهن على حفظ القرآن و الأخبار و مذاكرتهن بهما و الخطاب و إن اختص بهن فغيرهن يشاركن فيه لأن بناء الشريعة على القرآن و السنه «إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا» بأوليائه «خَيْرًا» بجميع خلقه و قيل لطيفا فى تدبير خلقه و إيصال المنافع إليهم خيرا بما يكون منهم و مصالحهم و مفاسدهم فإمرهم بفعل ما فيه صلاحهم و اجتناب ما فيه فسادهم

قال مقاتل بن حيان لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشه مع زوجها جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) دخلت على نساء رسول الله ص فقالت هل نزل فىنا شىء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله ص فقالت يا رسول الله إن النساء لفى خيبه و خسار فقال ص و مم ذلك قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله تعالى هذه

ص: ١٣٩

«إِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكِيَّاتِ» أى المخلصين الطاعة لله و المخلصات من قوله و رجلا- سلما لرجل أى خالصا و قيل معناه إن الداخلين فى الإسلام من الرجال و النساء و قيل يعنى المستسلمين لأوامر الله و المنقادين له من الرجال و النساء «وَالْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» أى و المصدقين بالتوحيد و المصدقات و الإسلام و الإيمان واحد عند أكثر المفسرين و إنما كرر لاختلاف اللفظين و قيل إنهما مختلفان فالإسلام الإقرار باللسان و الإيمان التصديق بالقلب و يعضده قوله قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ قيل الإسلام هو اسم الدين و الإيمان التصديق به

قال البلخى فسر رسول الله ص المسلم و المؤمن بقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و المؤمن من أمن جاره بوائقه و ما آمن بى من بات شبعا و جاره طاو

«وَالْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ» يعنى الدائمين على الأعمال الصالحات و الدائمات و قيل يعنى الداعين و الداعيات «وَالصَّادِقِينَ» فى إيمانهم و فيما ساءهم و سرهم «وَالصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ» على طاعة الله و على ما ابتلاهم الله به «وَالصَّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ» أى المتواضعين الخاضعين لله تعالى «وَالْخَاشِعَاتِ» و قيل معناه و الخائفين و الخائفات «وَالْمُتَصِّدِّقِينَ» أى المخرجين الصدقات و الزكوات «وَالْمُتَصِّدِّقَاتِ وَ الصَّائِمِينَ» لله تعالى بنيه صادق «وَالصَّائِمَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ» من الزنا و ارتكاب الفجور «وَالْحَافِظَاتِ» فوجهن فحذف لدلاله الكلام عليه «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ» الله كثيرا و حذف أيضا للدلاله عليه «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» أى لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات و الخصال «مَغْفِرَةً» لذنوبهم «وَ أَجْرًا عَظِيمًا» فى الآخرة و

روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ص قال إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضئا و صليا كتبا من الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات

و قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما و قاعدا و مضطجعا و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال من بات على تسبيح فاطمه (عليه السلام) كان من الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشارة

وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفَى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا وَ زَوَّجْنَاكَهَا لَكِنِ لَآ يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)

قرأ أهل الكوفه و هشام «أَنْ يَكُونَ» بالياء و الباقون بالتاء و قرأ عاصم وحده «وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ» بفتح التاء و الباقون بكسرها.

الحجه

قال أبو على التذكير و التأنيث حسان و هذه الآيه تدل على أن ما فى قوله يَخْلُقُ ما يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ ما كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ نفى و ليست بموصوله و من كسر التاء من خاتم فإنه ختمهم فهو خاتمهم و من فتح التاء فمعناه آخر النبيين لا نبى بعده قال الحسن خاتم الذى ختم به قال المبرد خاتم فعل ماض على فاعل و هو فى معنى ختم النبيين و نصب النبيين على هذا الوجه بأنه مفعول به و فى حرف عبد الله و لكن نيا و ختم النبيين.

اللغه

قال الزجاج الخيره التخير و قال على بن عيسى الخيره إرادته اختيار الشىء على غيره و الوطر الإرب و الحاجه و قضاء الشهوه قال:

و كيف ثوائى فى المدينه بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر

قال الخليل الوطر كل حاجه يكون لك فيها همه فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره و أربه.

الإعراب

«سُنَّةَ اللَّهِ» منصوب على المصدر تقديره سن الله له سنه. «الَّذِينَ يُبْلَغُونَ» يجوز أن يكون رفعا على المدح تقديره هم الذين يبلغون رسالات الله و يجوز أن يكون نصبا على أعنى الذين. «وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ» تقديره و لكن كان رسول الله و كان خاتم النبيين و لو قرئ رسول الله و خاتم النبيين بالرفع لجاز أى و لكن هو رسول الله و خاتم النبيين.

النزول

نزلت فى زينب بنت جحش الأسديه و كانت بنت أميمه بنت عبد المطلب عمه رسول الله ص فخطبها رسول الله ص على مولاه زيد بن حارثه و رأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد أبت و أنكرت و قالت أنا ابنه عمتك فلم أكن لأفعل و كذلك قال أخوها عبد الله بن جحش فنزل «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ الْآيَةَ يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَأَخْتَهُ زَيْنَبَ فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةَ قَالَتْ رَضِيَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ جَعَلَتْ أَمْرَهَا بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ كَذَلِكَ أَخْوَاهَا فَأَنْكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص زَيْدًا فَدَخَلَ بِهَا وَ سَاقَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ص عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ وَ سَتِينَ دَرَهْمًا مَهْرًا وَ خَمَارًا وَ مَلْحَفَةً وَ دَرْعًا وَ إِزَارًا وَ خَمْسِينَ مَدًا مِنْ طَعَامٍ وَ ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ مُجَاهِدٍ وَ قَتَادَةَ وَ قَالَتْ زَيْنَبُ خَطْبَنِي عَدَهُ مِنْ قَرِيْشٍ فَبِعْتُهُ أُخْتِي حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص أَسْتَشِيرُهُ فَأَشَارَ بَزَيْدٍ فَغَضِبْتُ أُخْتِي وَ قَالَتْ تَزَوَّجَ بِنْتَ عَمَّتِكَ مَوْلَاكَ ثُمَّ أَعْلَمْتَنِي فَغَضِبْتُ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهَا فَنَزَلَتِ الْآيَةَ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قُلْتُ زَوْجَنِي مِمَّنْ شِئْتُ فزَوْجَنِي مِنْ زَيْدٍ وَ قِيلَ نَزَلَتْ فِي أُمِّ كَلْثُومَ بِنْتِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ وَ كَانَتْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ص فَقَالَ قَدْ قَبِلْتُ وَ زَوْجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَسَخَطَتْ هِيَ وَ أَخْوَاهَا وَ قَالَا إِنَّمَا أَرَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ص فزَوْجَنَا عَبْدَهُ فَنَزَلَتِ الْآيَةَ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ وَ

ذكر على بن إبراهيم فى تفسيره أن رسول الله ص كان شديد الحب لزيد و كان إذا أبطأ عليه زيد أتى منزله فيسأل عنه فأبطأ عليه يوما فأتى رسول الله ص منزله فإذا زينب جالسه وسط حجرتها تسحق طيبا بفهر لها قال فدفع رسول الله ص الباب فلما نظر إليها قال سبحان الله خالق النور تبارك الله أحسن الخالقين و رجع فجاء زيد و أخبرته زينب بما كان فقال لها لعلك وقع فى قلب رسول الله ص فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول الله ص فقالت أخشى إن تطلقنى و لا يتزوجنى فجاء زيد إلى رسول الله ص تمام القصه فنزلت الآيه

«وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» الْآيَةَ.

لما تقدم ذكر نساء النبي ص عقبه سبحانه بذكر زيد و زوجته فقال «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ» أى إذا أوجب الله و رسوله «أَمْراً» و ألزماءه و حكما به «أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» أى الاختيار «مِنْ أَمْرِهِمْ» على اختيار الله تعالى و المعنى أن كل شىء أمر الله تعالى به أو حكم به فليس لأحد مخالفته و ترك ما أمر به إلى غيره «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فيما يختاران له «فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» أى ذهب عن الحق ذهابا ظاهرا ثم خاطب النبي ص فقال «وَإِذْ تَقُولُ» أى و اذكر يا محمد حين تقول «لَلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» بالهدايه إلى الإيمان «وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» بالعنق و قيل أنعم الله عليه بمحبه رسوله و أنعم الرسول عليه بالتبني عن السدى و الثورى و هو زيد بن حارثه «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» يعنى زوجك زينب تقول احبسها و لا تطلقها و هذا الكلام يقتضى مشاجره جرت بينهما حتى وعظه الرسول و قال له أمسكها «وَأَتَقِ اللَّهَ» فى مفارقتها و مضارتها «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» و الذى أخفاه فى نفسه هو أنه أن طلقها زيد تزوجها و خشى لائمه الناس أن يقولوا أمره بطلاقها ثم تزوجها و

قيل أن الذى أخفاه فى نفسه هو أن الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه و أن زيدا سيطلقها فلما جاء زيد و قال له أريد أن أطلق زينب قال له أمسك عليك زوجك فقال سبحانه لم قلت أمسك عليك زوجك و قد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك روى ذلك عن على بن الحسين (عليه السلام)

و هذا التأويل مطابق لتلاوه الآيه و ذلك أنه سبحانه أعلم أنه يبدى ما أخفاه و لم يظهر غير التزويج قال «زَوَّجْنَاكَهَا» فلو كان الذى أضمره محبتها أو إرادته طلاقها لأظهر الله تعالى ذلك مع وعده بأنه يبدى فدل ذلك على أنه إنما عوتب على قوله «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجِكَ» مع علمه بأنها ستكون زوجته و كتمانها ما أعلمه الله به حيث استحيا أن يقول لزيد أن التى تحتك ستكون امرأتى قال البلخى و يجوز أن يكون أيضا على ما يقولونه أن النبي استحسناها فتمنى أن يفارقها زيد فيتزوجها و كتم ذلك لأن هذا التمنى قد طبع عليه البشر و لا حرج على أحد فى أن يتمنى شيئا استحسناه و قيل أنه إنما أضمر أن يتزوجها إن طلقها زيد من حيث أنها كانت ابنه عمته فأراد ضمها إلى نفسه لئلا يصيبها ضيعه كما يفعل الرجل بأقاربه عن الجبائى قال فأخبر الله سبحانه الناس بما كان يضمره من إيثار ضمها إلى نفسه ليكون ظاهره مطابقا لباطنه و لهذا المعنى

قال ص لأصحابه يوم فتح مكه و قد جاءه عثمان بعبد الله بن سعد بن أبى سرح يستأمنه منه و كان ص قبل ذلك قد أهدر دمه و أمر بقتله فلما رأى عثمان استحيا من رده و سكت طويلا ليقتله بعض المؤمنين ثم آمنه بعد تردد المسأله من عثمان و قال أ ما كان منكم رجل رشيد يقوم إلى هذا فيقتله فقال له عباد بن بشر يا رسول الله إن عيني ما زالت فى عينك انتظار

أن تؤمى إلى فأقتله فقال أن الأنبياء لا تكون لهم خائنه أعين فلم يستحب الإشارة إلى قتل كافر و إن كان مباحا

و قيل كان النبي ص يريد أن يتزوج بها إذا فارقها و لكنه عزم أن لا يتزوجها مخافه أن يطعنوا عليه فأنزل الله هذه الآية كيلا يمتنع عن فعل المباح خشيه الناس و لم يرد بقوله «وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» خشيه التقوى لأنه ص كان يتقى الله حق تقاته و يخشاه فيما يجب أن يخشى فيه و لكنه أراد خشيه الاستحياء لأن الحياء كان غالبا على شيمته الكريمه ص كما قال سبحانه «إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ يُؤَذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ» و قيل أن زينب كانت شريفه فزوجها رسول الله ص من زيد مولاه و لحقها بذلك بعض العار فأراد ص أن يزيدها شرفا بأن يتزوجها لأنه كان السبب فى تزويجها من زيد فعزم أن يتزوج بها إذا فارقها و قيل أن العرب كانوا ينزلون الأدياء منزله الأبناء فى الحكم فأراد ص أن يبطل ذلك بالكليه و ينسخ سنه الجاهليه فكان يخفى فى نفسه تزويجها لهذا الغرض كيلا- يقول الناس أنه تزوج بامرأه ابنه و يقرفونه بما هو منزله عنه و لهذا قال «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» عن أبى مسلم و يشهد لهذا التأويل قوله فيما بعد «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا» و معناه فلما قضى زيد حاجته من نكاحها فطلقها و انقضت عدتها و لم يكن فى قلبه ميل إليها و لا وحشه من فراقها فإن معنى القضاء هو الفراغ من الشىء على التام «زَوَّجْنَا كَهَا» أى أذنا لك فى تزويجها و إنما فعلنا ذلك توسعه على المؤمنين حتى لا يكون عليهم إثم فى أن يتزوجوا أزواج أديائهم الذين تبوهم إذا قضى الأدياء منهن حاجتهم و فارقوهن فبين سبحانه أن الغرض فى ذلك أن لا- يجرى المتبنى فى تحريم امرأته إذا طلقها على المتبنى مجرى الابن من النسب و الرضاع فى تحريم امرأته إذا طلقها على الأب «وَوَكَانَ أَمْرٌ لِلَّهِ مَفْعُولًا» أى كائنا لا محاله و فى الحديث أن زينب كانت تفتخر على سائر نساء النبي و تقول زوجنى الله من النبي و أنتن إنما زوجكن أولياؤكن و

روى ثابت عن أنس بن مالك قال لما انقضت عده زينب قال رسول الله ص لزيد اذهب فاذكرها على قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب أبشرى قد أرسلنى رسول الله ص يذكرك و نزل القرآن و جاء رسول الله ص فدخل عليها بغير إذن لقوله تعالى «زَوَّجْنَا كَهَا»

و

فى روايه أخرى قال زيد فانطلقت فإذا هى تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت فى نفسى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله ص ذكرها فوليتها ظهري و قلت يا زينب أبشرى أن رسول الله ص يخطبك ففرحت بذلك و قالت ما أنا بصانعها شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدنا و نزل «زَوَّجْنَا كَهَا» فتزوجها رسول الله ص و دخل بها و ما أولم على امرأه من نساءه ما أولم عليها ذبح شاه و أطعم الناس الخبز و اللحم حتى امتد النهار

و عن الشعبى قال كانت زينب تقول

لنبي ص إنى لأدلل عليك بثلاث ما من نسائك امرأه تدل بهن جدى و جدك واحد و إنى أنكحنيك الله فى السماء و أن السفير لى جبرائيل (عليه السلام) ثم قال سبحانه «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له» أى ما كان على النبي من إثم و ضيق فيما أحل الله له من التزويج بامرأه الابن المتبنى و قيل فيما فرض و أوجب عليه من التزويج بها ليطلب حكم الجاهليه فى الأدياء «سنة الله فى الذين خلوا من قبل» أى كسنة الله فى الأنبياء الماضين و طريقته و شريعته فيهم فى زوال الحرج عنهم و عن أممهم بما أحل سبحانه لهم من ملازهم و قيل فى كثره الأزواج كما فعله داود و سليمان (عليه السلام) و كان لداود مائه امرأه و لسليمان ثلاثمائه امرأه و سبعمائه سريه و قيل أشار بالسنة إلى أن النكاح من سنة الأنبياء

كما قال النكاح من سنتى فمن رغب عنه فقد رغب عن سنتى

«وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا» أى كان ما ينزله الله على أنبيائه من الأمر الذى يريده قضاء مقضيا و قيل معناه جاريا على مقدار لا يكون فيه تفاوت من جهه الحكمة و قيل أن القدر المقدر هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زياده و لا نقصان و عليه قول الشاعر:

و أعلم بأن ذا الجلال قد قدر فى الصحف الألى التى كان سطر

ثم وصف سبحانه الأنبياء الماضين و أثنى عليهم فقال «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ» أى يؤدونها إلى من بعثوا إليهم و لا يكتمونها «وَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ» أى و يخافون الله مع ذلك فى ترك ما أوجبه عليهم «وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» و لا يخافون من سوى الله فيما يتعلق بالأداء و التبليغ و فى هذا دلالة على أن الأنبياء لا يجوز عليهم التقيه فى تبليغ الرسالة و متى قيل فكيف ما قال لنبينا ص و تخشى الناس فالقول إنه لم يكن ذلك فيما يتعلق بالتبليغ و إنما خشى مقاله القبيحه فيه و العاقل كما يتحرز عن المضار يتحرز من إساءه الظنون به و القول السيئ فيه و لا يتعلق شىء من ذلك بالتكليف «وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» أى حافظا لأعمال خلقه و محاسبا مجازيا عليها و لما تزوج زينب بنت جحش قال الناس إن محمدا تزوج امرأه ابنه فقال سبحانه «ما كان مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ» الذين لم يلداهم و فى هذا بيان أنه ليس باب لزيد فتحرم عليه زوجته فإن تحريم زوجه الابن معلق بثبوت النسب فمن لا نسب له لا حرمه لامرأته و لهذا أشار إليهم فقال «مِنْ رِجَالِكُمْ» و قد ولد له ص أولاد ذكور إبراهيم و القاسم و الطيب و المطهر فكان أباهم و قد صح

أنه قال للحسن إن ابني هذا سيد

و

قال أيضا للحسن و الحسين ابناى هذان إمامان قاما أو قعدا

و

قال ص إن كل بنى بنت ينتسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمه فإنى أنا أبوهم

و قيل أراد بقوله «رِجَالِكُمْ» البالغين من رجال ذلك الوقت و لم يكن

أحد من أبنائه رجلا- في ذلك الوقت «وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ» أى و لكن كان رسول الله لا يترك ما أباحه الله بقول الجاهل و قيل إن الوجه في اتصاله بما قبله أنه أراد سبحانه ليس يلزم طاعته و تعظيمه لمكان النسب بينه و بينكم و لمكان الأبوه بل إنما يجب ذلك عليكم لمكان النبوه، «وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ» أى و آخر النبيين ختمت النبوه به فشريعته باقيه إلى يوم الدين و هذا فضيله له صلوات الله عليه و آله اختص بها من بين سائر المرسلين فإن قيل إن اليهود يدعون في موسى مثل ذلك فالجواب أن بعض اليهود يدعون أن شريعته لا تنسخ و هم مع ذلك يجوزون أن يكون بعده أنبياء و نحن إذا أثبتنا نبوه نبينا ص بالمعجزات القاهره و جب نسخ شريعته بذلك «وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» لا يخفى عليه شىء من مصالح العباد و صح

الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبي ص قال إنما مثلى فى الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها و حسنها موضع لبنة فكان من دخل فيها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة قال ص فأنا موضع اللبنة ختم بى الأنبياء أورده البخارى و مسلم فى صحيحهما.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤١ الى ٤٨]

اشاره

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَيِّرُ لِي عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتَهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا (٤٥)

وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سَرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَ لا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعَا أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ كَيْلًا (٤٨)

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»

روى ابن عباس عن النبي ص قال من عجز عن الليل أن يكابده و جبن عن العدو أن

يجاهده و بخل بالمال أن ينفقه فليكثر ذكر الله عز و جل

ثم اختلف فى معنى الذكر الكثير ف قيل هو أن لا ينساه أبدا عن مجاهد و قيل هو أن يذكره سبحانه بصفاته العلى و أسمائه الحسنى و ينزهه عما لا يليق به و قيل هو أن يقول سبحانه الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر على كل حال عن مقاتل و

قد ورد عن أئمتنا (عليه السلام) أنهم قالوا من قالها ثلاثين مره فقد ذكر الله ذكرا كثيرا.

و

عن زراره و حمران ابنى أعين عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من سبح تسبيح فاطمه الزهراء (عليه السلام) فقد ذكر الله ذكرا كثيرا

و

روى الواحدى بإسناده عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال جاء جبرائيل (عليه السلام) إلى النبى ص فقال يا محمد قل سبحانه الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله عدد ما علم و زنه ما علم و ملء ما علم فإن من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا و كان أفضل من ذكره بالليل و النهار و كن له غرسا فى الجنة و تحاتت عنه خطايا كما تحات ورق الشجره اليابسه و ينظر الله إليه و من نظر الله إليه لم يعذبه

«وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً» أى و نزوهه سبحانه عن جميع ما لا يليق به بالغداه و العشى و الأصيل العشى و قيل يعنى به صلاه الصبح و صلاه العصر عن قتاده و صلاه الصبح و صلاه العشاء الآخره خصهما بالذكر لأن لهما مزيه على غيرهما من حيث أن ملائكه الليل و النهار يجتمعون فيهما و قال الكلبي أما بكره فصلاه الفجر و أما أصيلا فصلاه الظهر و العصر و المغرب و العشاء الآخره و سمى الصلاه تسبيحا لما فيها من التسبيح و التنزيه «هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ» الصلاه من الله تعالى المغفره و الرحمه عن سعيد بن جبير و الحسن و قيل الثناء عن أبى العالى و قيل هى الكرامه عن سفيان و أما صلاه الملائكه فهى دعاؤهم عن ابن عباس و أبى العالى و قيل طلبهم إنزال الرحمه من الله تعالى «لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أى من الجهل بالله سبحانه إلى معرفته فشبه الجهل بالظلمات و شبه المعرفه بالنور لأن هذا يقود إلى الجنة و ذلك يقود إلى النار و قيل من الضلاله إلى الهدى بألطافه و هدايته و قيل من ظلمات النار إلى نور الجنة «وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً» خص المؤمنين بالرحمه دون غيرهم لأنه سبحانه جعل الإيمان بمنزله العله فى إيجاب الرحمه و النعمه العظيمه التى هو الثواب «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ» أى يحيى بعضهم بعضا يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا السلامه لكم من جميع الآفات و لقاء الله سبحانه معناه لقاء ثوابه كما سبق القول فيه و روى عن البراء بن عازب أنه قال يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه فعلى هذا يكون المعنى تحيه المؤمنين من ملك الموت يوم يلقونه أن يسلم عليهم و ملك الموت

مذكور في الملائكة «وَأَعِدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا» أي ثواباً جزيلاً ثم خاطب نبيه ص فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِكَ فِيمَا يَفْعَلُونَ مِنْ طَاعِهِ أَوْ مَعْصِيهِ وَإِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ لِتَشْهَدَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَجَازِيهِمْ بِحَسَبِهِ «وَمُبَشِّرًا» أي ومبشراً لمن أطاعني وأطاعك بالجنة «وَنَذِيرًا» لمن عصاني وعصاك بالنار «وَدَاعِيًا» أي وبعثناك داعياً «إِلَى اللَّهِ» والإقرار بوحدايته وامتثال أوامره ونواهيه «بِإِذْنِهِ» أي بعلمه وأمره «وَسِرَاجًا مُنِيرًا» يهتدى بك في الدين كما يهتدى بالسراج والمنير الذي يصدر النور من جهته إما بفعله وإما لأنه سبب له فالقمر منير والسراج منير بهذا المعنى والله منير السماوات والأرض وقيل عنى بالسراج المنير القرآن والتقدير وبعثناك ذا سراج منير فحذف المضاف عن الزجاج «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا» زياده على ما يستحقونه من الثواب «وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ» هو مفسر في أول السورة «وَدَعُ أَذَاهُمْ» أي وأعرض عن أذاهم فإنني سأكفيك أمرهم إذا توكلت على وعملت بطاعتي فإن جميعهم في سلطاني بمنزله ما هو في قبضه عبدي وقيل معناه كف عن أذاهم وقاتلهم وذلك قبل أن يؤثر بالقتال عن الكلبى «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» أي وأسند أمرك إلى الله ينصرك عليهم «وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا» أي كافياً ومتكفلاً بما يسند إليه.

النظم

إنما اتصلت الآيه بما تقدمها من قوله وَ لَكِن رَسُوْلَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مِنْ عَلَيْهِمْ بِهِ ثُمَّ أَمْرُهُمْ بِأَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَوْلُهُ هُوَ الَّذِي يُصَيِّلِي عَلَيْكُمْ يَتَّصِلُ بِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالذِّكْرِ وَ التَّقْدِيرِ إِنْ اللَّهُ عَزَّ اسْمُهُ مَعَ غِنَا عَنْكُمْ يَذْكُرُكُمْ فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِأَنْ تَذْكُرُوهُ وَ تَقْبَلُوا عَلَيْهِ مَعَ احْتِيَاجِكُمْ إِلَيْهِ وَقِيلَ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ عَدَدُ نِعْمَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ عَدَدُ مِنْ جَمَلَتِهَا صَلَاتُهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ بَيْنَ إِرسَالِهِ النَّبِيَّ إِلَيْهِمْ مَعَ جَلَالِهِ قَدْرَهُ وَ عُلُوِّ أَمْرِهِ.

[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٩ إلى ٥٠]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَ سَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِيَّاتِ آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَ بَنَاتِ خَالَكَ وَ بَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِيَّاتِ هَاجِرُونَ مَعَكَ وَ امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لَكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)

فى الشواذ قراءه أبى بن كعب و الحسن و الثقفى أن وهبت بفتح الألف.

الحجه

قال ابن جنى تقديره لأن وهبت نفسها أى إنها تحل له من أجل أن وهبت نفسها له و ليس يعنى بذلك امرأه بعينها قد كانت وهبت نفسها له و إنما محصولة أنه إن وهبت امرأه نفسها للنبي حلت له من أجل هبتها إياه فالحل إنما هو مسبب عن الهبة متى كانت و يؤكد ذلك القراءه بالكسر فصح به الشرط.

الإعراب

العامل فى الظرف من قوله «إِذَا نَكَحْتُمْ» ما يتعلق به لكم و التقدير إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن لم يثبت لكم عليهن عده. «مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال من الضمير المحذوف فى قوله «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» أى ما ملكته. «إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ» جزاء شرط محذوف تقديره إن وهبت نفسها للنبي أحلناها له و جزاء الشرط الذى هو إن أراد النبي أن يستنكحها الشرط و الجزاء المتقدم تقديره إن أراد النبي أن يستنكحها إن وهبت نفسها له أحلناها له و «أَنْ يَسْتَنكِحَهَا» فى موضع نصب بأنه مفعول أراد. «خَالِصَةً لَكَ» نصب على الحال و الهاء فيه للمبالغة.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر النساء فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ» أى من قبل أن تدخلوا بهن «فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا» أى تستوفونها بالعدد و تحصون عليها بالأقراء و بالأشهر أسقط الله سبحانه العده عن المطلقة قبل المسيس لبراءه رحمها فإن شاءت تزوجت من يومها «فَمَتَّعُوهُنَّ»

قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمى لها صداقا فإذا فرض لها صداقا فلها نصفه و لا تستحق المتعه و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

فالآيه محموله عندنا على التى لم يسم لها مهرا فيجب لها المتعه «وَسَيَّرْجُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً» أى طلقوهن طلاقا للسنه من غير ظلم عليهن عن الجبائى و قيل سرحوهن عن البيت فإنه ليس عليها عده فلا يلزمها المقام فى منزل الزوج سراحا جميلا بغير

جفوه ولا أذيه وقيل السراح الجميل هو رفع المتعه بحسب الميسره والعسره

عن حبيب بن أبي ثابت قال كنت قاعدا عند علي بن الحسين (عليه السلام) فجاءه رجل فقال إني قلت يوم أتزوج فلانه فهي طالق فقال اذهب فتزوجها فإن الله تعالى بدأ بالنكاح قبل الطلاق وقرأ هذه الآية

ثم خاطب النبي ص فقال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ» أي أعطيت مهورهن و الإيتاء قد يكون بالأداء وقد يكون بالالتزام «وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» أي و أحللنا لك ما ملكت يمينك من الإماء «مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» من الغنائم و الأنفال فكانت من الغنائم ماريه القبطيه أم ابنه إبراهيم و من الأنفال صفيه و جويريه أعتقهما و تزوجهما «وَ بَنَاتِ عَمِّكَ» أي و أحللنا لك بنات عمك «وَ بَنَاتِ عَمَّاتِكَ» يعني نساء قريش «وَ بَنَاتِ خَالَاتِكَ» يعني نساء بني زهره «اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ» إلى المدينه و هذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجره فى التحليل «وَ امْرَأَهُ الْمُؤْمِنَةَ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ» أي و أحللنا لك امرأه مصدقه بتوحيد الله تعالى و هبت نفسها منك بغير صداق و غير المؤمنه إن وهبت نفسها منك لا- تحل لك «إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا» أي أثر النبي ص نكاحها و رغب فيها «خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» أي خالصه لك دون غيرك قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لغيرك و هو لك حلال و هذا من خصائصه فى النكاح فكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبه و لا ينعقد ذلك لأحد غيره و اختلف فى أنه هل كانت عند النبي ص امرأه وهبت نفسها له أم لا فقيل إنه لم يكن عنده امرأه وهبت نفسها له عن ابن عباس و مجاهد و قيل بل كانت عنده ميمونه بنت الحرث بلا مهر قد وهبت نفسها للنبي فى روايه أخرى عن ابن عباس و قتاده و قيل هى زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأه من الأنصار عن الشعبي و

قيل هى امرأه من بنى أسد يقال لها أم شريك بنت جابر عن علي بن الحسين (عليه السلام)

و الضحاك و مقاتل و قيل هى خوله بنت حكيم عن عروه بن الزبير و

قيل إنها لما وهبت نفسها للنبي ص قالت عائشه ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشه ما أرى الله تعالى إلا يسارع فى هواك فقال رسول الله ص و إنك إن أطعت الله سارع فى هواك

«قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ» معناه قد علمنا ما أخذنا على المؤمنين فى أزواجهم من المهر و الحضر بعدد محصور و وضعناه عنك تخفيفا عنك «وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» أي و ما أخذنا عليهم فى ملك اليمين أن لا يقع لهم الملك إلا بوجوه معلومه من الشراء و الهبه و الإرث و السبى و أبحننا لك غير ذلك و هو الصفى الذى تصطفيه لنفسك من السبى و إنما خصصناك على علم منا بالمصلحه فيه من غير محاباه و لا جزاف «لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ» أي ليرتفع عنك الحرج و هو الضيق و الإثم «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» لذنوب عباده «رَحِيمًا» بهم أو رحيمًا بك فى رفع الحرج عنك.

تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْئَلْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْئَلُكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر إلا- الأعشى و عباس و أهل المدينة «تُزجِي» بغير همز و الباقون بالهمز و قرأ أبو عمرو و يعقوب لا تحل بالتاء و الباقون بالياء و سهل أبو حاتم يجيز فيهما.

الحج

قال أبو علي جاء في هذا الحرف الهمز و غيره و كذلك أُرجه و أرجه فالقراءة بكل واحد من الأمرين حسنة و التاء و الياء في لا تحل حسنان لأن النساء تأتيه غير حقيقى إنما هو تأنيث الجمع فالتأنيث حسن و التذكير كذلك.

اللغة

الإرجاء هو التأخير و يكون من تباعد وقت الشىء عن وقت غيره و منه الإرجاء فى فساق أهل الصلاة و هو تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله تعالى و الإيواء ضم القادر غيره من الأحياء هم الذين من جنس ما يعقل إلى ناحيته يقال آويت الإنسان أويه إيواء و أوى هو يأوى أوياء إذا انضم إلى مأواه و يقال أنى الطعام يأنى إنى مقصورا إذا بلغ حاله النضج و أدرك وقته و إذا فتح مد فقيل أناء قال الحطيئة:

" و آنت العشاء إلى سهيل أ و الشعرى فطال بى الإناء "

و الاستئناس ضد الاستيحاش و الإنس ضد الوحشه.

الإعراب

«ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ» تقديره من أن تقر أو إلى أن تقر أعينهن. كلهن تأكيد للضمير و هو النون فى يرضين و لو نصب جاز على تأكيد قوله هن فى «آتَيْتَهُنَّ». «غَيْرَ نَاطِرِينَ» منصوب على الحال «وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ» معطوف عليه فهو حال معطوف على حال قبله و تقديره و لا تدخلوا مستأنسين لحديث.

النزول

نزلت الآيه الأولى حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبى ص و طلب بعضهن زياده النفقه فهجرهن شهرا حتى نزلت آيه التخير فأمره الله تعالى أن يخيرهن بين الدنيا و الآخرة و أن يخلى سبيل من اختار الدنيا و يمسك من اختار الله تعالى و رسوله على أنهن أمهات المؤمنين و لا ينكحن أبدا و على أنه يؤوى من يشاء منهن و يرجى من يشاء منهن و يرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن و لم يقسم لبعضهن أو فضل لبعضهن على بعض فى النفقه و القسمه و العشره أو سوى بينهن و الأمر فى ذلك إليه يفعل ما يشاء و هذه من خصائصه ص فرضين بذلك كله و اخترنه على هذا الشرط فكان ص يسوى بينهن مع هذا إلا امرأه منهن أراد طلاقها و هى سوده بنت زمعه فرضيت بترك القسم و جعلت يومها لعائشه عن ابن زيد و غيره و قيل لما نزلت آيه التخير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك

و نفسك ما شئت و دعنا على حالنا فنزلت الآية و كان ممن أرجى منهن سوده و صفيه و جويريه و ميمونه و أم حبيبه فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء و كان ممن آوى إليه عائشه و حفصه و أم سلمه و زينب و كان يقسم بينهن على السواء لا يفضل بعضهن على بعض عن ابن رزين و

نزلت آيه الحجاب لما بنى رسول الله ص بزینب بنت جحش و أولم عليها قال أنس أولم عليها بتمر و سويق و ذبح شاه و بعثت إليه أمى أم سليم بحيس فى تور من حجاره فأمرنى رسول الله ص أن أدعو أصحابه إلى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون و يأكلون و يخرجون ثم يجىء القوم فىأكلون و يخرجون قلت يا نبى الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا طعامهم و خرج القوم و بقى ثلاثه نفر يتحدثون فى البيت فأطالوا المكث فقام ص و قمت معه لكى يخرجوا فمشى حتى بلغ حجره عائشه ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع و رجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم فنزلت الآية

و

روى مثل ذلك عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال و كان رسول الله ص يريد أن يخلو له المنزل لأنه كان حديث عهد بعرس و كان محبا لزينب و كان يكره أذى المؤمنين

و قيل كان رسول الله ص يطعم معه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشه و كانت معهم فكره ص ذلك فنزلت آيه الحجاب عن مجاهد و نزل قوله «و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله» إلى آخر الآية فى رجل من الصحابه قال لئن قبض رسول الله ص لأنكحن عائشه بنت أبى بكر عن ابن عباس قال مقاتل و هو طلحه بن عبيد الله و قيل إن رجلين قالوا أ ينكح محمد نساءنا و لا ننكح نساءه و الله لئن مات لنكحن نساءه و كان أحدهما يريد عائشه و الآخر يريد أم سلمه عن أبى حمزه الثمالى.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص يخيره فى نسائه فقال «تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ» أى تؤخر و تبعد من تشاء من أزواجك و تضم إليك من تشاء منهن و اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أن المراد تقدم من تشاء من نسائك فى الإيواء إليك و هو الدعاء إلى الفراش و تؤخر من تشاء فى ذلك و تدخل من تشاء منهن فى القسم و لا تدخل من تشاء عن قتاده قال و كان رسول الله ص يقسم بين أزواجه و أباح الله له ترك ذلك (و ثانيها) أن المراد تعزل من تشاء منهن بغير طلاق و ترد إليك من تشاء منهن بعد عزلك إياها بلا تجديد عقد عن مجاهد و الجبائى و أبى مسلم (و ثالثها) أن المراد تطلق من تشاء منهن و تمسك من تشاء عن ابن عباس (و رابعها) أن المراد تترك نكاح من تشاء من نساء أمتك و تنكح منهن من تشاء عن الحسن قال و كان ص إذا خطب امرأه لم يكن لغيره أن يخطبها حتى يتزوجها أو

يتركها (و خامسها) تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهين أنفسهن لك فتؤويها إليك و تترك من تشاء منهن فلا تقبلها عن زيد بن أسلم و الطبري

قال أبو جعفر و أبو عبد الله (عليه السلام) من أرجى لم ينكح و من أوى فقد نكح

«وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» أى إن أردت أن تؤوى إليك امرأه ممن عزلتهن عن ذلك و تضمها إليك فلا سبيل عليك بلوم و لا عتب و لا إثم عليك فى ابتغائها أباح الله سبحانه له ترك القسم فى النساء حتى يؤخر من يشاء عن وقت نوبتها و يطأ من يشاء فى غير وقت نوبتها و له أن يعزل من يشاء و له أن يرد المعزولة إن شاء فضله الله تعالى بذلك على جميع الخلق «ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَ لَا يَحْزَنَ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ» معناه أنهن إذا علمن أن له ردهن إلى فراشه بعد ما اعتزلهن قرت أعينهن و لم يحزن و يرضين بما يفعله النبى ص من التسويه و التفضيل لأنهن يعلمن أنهن لم يطلقن عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه ذلك أطيب لنفوسهن و أقل لحزنهن إذا علمن أن لك الرخصه بذلك من الله تعالى و يرضين بما يفعله النبى ص من التسويه و التفضيل عن قتاده و قره العين عباره عن السرور و قيل ذلك المعرفه منهن بأنك إذا عزلت واحده كان لك أن تؤويها بعد ذلك أدنى بسرورهن و قره أعينهن عن الجبائى و قيل معناه نزول الرخصه من الله تعالى أقر لأعينهن و أدنى إلى رضاهن بذلك لعلمهن بما لهن فى ذلك من الثواب فى طاعه الله تعالى و لو كان ذلك من قبلك لحزن و حملن ذلك على ميلك إلى بعضهن «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» من الرضاء و السخط و الميل إلى بعض النساء دون بعض «وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا» بمصالح عبادہ «حَلِيمًا» فى ترك معاجلتهم بالعقوبه «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ» أى من بعد النساء اللواتى أحللناهن لك فى قوله «إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ الْآيَهُ وَ هُنَّ سِتْرٌ لَكَ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي آتَاهُنَّ أُجُورَهُنَّ أَى أعطاهن مهورهن و بنات عمه و بنات عماتہ و بنات خاله و بنات خالاته اللاتى هاجرن معه و من وهبت نفسها له يجمع ما شاء من العدد و لا تحل له غيرهن من النساء عن أبى بن كعب و عكرمه و الضحاك و

قيل يريد المحرمات فى سوره النساء عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل معناه لا تحل لك اليهوديات و لا النصرانيات «وَ لَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» و لا أن تبدل الكتابيات بالمسلمات لأنه لا ينبغى أن يكن أمهات المؤمنين «إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» من الكتابيات فأحل له أن يتسراهن عن مجاهد و سعيد بن جبیر و قيل معناه لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتى خيرتهن فاخرن الله و رسوله و هن التسع صرت مقصورا عليهن و ممنوعا من غيرهن و من أن تستبدل بهن غيرهن «وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ» أى وقع فى قلبك حسنهن مكافاه لهن على اختيارهن الله و رسوله عن الحسن و الشعبى و قيل إن التى أعجبه حسنہا أسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن أبى طالب عنها و قيل إنه منع من

طلاق من اختارته من نسائه كما أمر بطلاق من لم تختره فأما تحريم النكاح عليه فلا عن الضحاك و قيل أيضا إن هذه الآية منسوخة و أبيض له بعدها تزويج ما شاء فروى عن عائشه أنها قالت ما فارق رسول الله ص الدنيا حتى حلل له ما أراد من النساء و قوله «وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» فقيل أيضا فى معناه أن العرب كانت تتبادل بأزواجهم فيعطى أحدهم زوجته رجلا فيأخذ بها زوجته منه بدلا عنها فنهى عن ذلك و

قيل فى قوله «وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ» يعنى إن أعجبك حسن ما حرم عليك من جملتهن و لم يحللن لك و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا» أى عالما حافظا عن الحسن و قتاده «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ» نهاهم سبحانه عن دخول دار النبى ص بغير إذن و هو قوله «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» أى فى الدخول يعنى إلا- أن يدعوكم إلى طعام فادخلوا غير ناظرين إناه أى غير منتظرين إدراك الطعام فيطول مقامكم فى منزله و المعنى لا تدخلوا بغير إذن و قيل نضج الطعام انتظارا لنضجه فيطول لبثكم و مقامكم «وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا» أى فإذا أكلتم الطعام فتفرقوا و أخرجوا «وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ» أى و لا تدخلوا فتقعدوا بعد الأكل متحدثين يحدث بعضكم بعضا ليؤنسه ثم بين المعنى فى ذلك فقال «إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ» أى طول مقامكم فى منزل النبى ص يؤذيه لضيق منزله فيمنعه الحياء أن يأمركم بالخروج من المنزل «وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ» أى لا يترك إبانة الحق فيأمركم بتعظيم رسوله و ترك دخول بيته من غير إذن و الامتناع عما يؤدى إلى أذاه و كراهيته قالت عائشه يحسب الثقلاء أن الله سبحانه لم يحتملهم فقال «فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا» و قال بعض العلماء هذا أدب أدب الله به الثقلاء «وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» يعنى فإذا سألتم أزواج النبى ص شيئا تحتاجون إليه فاسألوهن من وراء الستر قال مقاتل أمر الله المؤمنين ألا يكلموا نساء النبى ص إلا من وراء حجاب و

روى مجاهد عن عائشه قالت كنت آكل مع النبى ص حيسا فى قعب فمر بنا عمر فدعاه فأكل فأصابت إصبعة إصبعى فقال حس لو أطاع فيكن ما رأتن عين فنزل الحجاب

«ذَلِكَ» أى سؤالكم إياهن المتاع من وراء حجاب «أَطَهَّرْ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبَهُنَّ» من الريبه و من خواطر الشيطان التى تدعو إلى ميل الرجال إلى النساء و النساء إلى الرجال «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» أى ليس لكم إيذاء رسول الله ص بمخالفه ما أمر به فى

نسائه ولا فى شىء من الأشياء «وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا» أى من بعد وفاته المعنى ولا يحل لكم أن تزوجوا واحده من نسائه بعد مماته كما لا تحل لكم أن تؤذوه فى حال حياته وقيل من بعده أى من بعد فراقه فى حياته كما

قال بسما خلفتمونى من بعدى

«إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا» أى إيذاء الرسول بما ذكرنا كان ذنبا عظيم الموقع عند الله تعالى «إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ» أى تظهروا شيئا أو تضمروه مما نهيتم عنه من تزويجهن «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» من الظاهر والسرائر وهذا تهديد وروى عن حذيفه أنه قال لامرأته تريدى أن تكونى زوجتى فى الجنة فلا- تتزوجى بعدى فإن المرأه لآخر أزواجها فلذلك حرم الله تعالى على أزواج النبى ص أن يتزوجن بعده و

روى عن النبى سئل عن المرأه تكون لها زوجان فتموت فتدخل الجنة فلايهما تكون قال لأحسنهما خلقا كان معها فى الدنيا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة

ولما نزلت آيه الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى قوله «لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ» أن يروهن ولا يحتجن عنهن «وَلَا نِسَائِهِنَّ» قيل نريد نساء المؤمنين لا نساء اليهود ولا النصرارى فيصنف نساء رسول الله لأزواجهن إن رأينهن عن ابن عباس وقيل يريد جميع النساء «وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» يعنى العبيد والإماء «وَأَتَقِينَ اللَّهَ» أى اتركن معاصيه وقيل اتقين عقاب الله من دخول الأجانب عليكن «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا» أى حفيظا لا يغيب عنه شىء قال الشعبى وعكرمه وإنما لم يذكر العم والخال لثلاثا ينعتهن لأبنائهما.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٦ الى ٦٢]

إشارة

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠)

مَلْعُونِينَ أَيْمًا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سَنَّهُ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)

فى الشواذ قراءة الحسن فصلوا عليه.

الحج

إنما جاز دخول الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط و ذلك أن الصلاة إنما وجبت عليه منا لأن الله قد صلى عليه و ملائكته فجرى مجرى قول القائل قد أعطيتك فخذ أى إنما وجب عليك الأخذ من أجل العطية.

اللغة

الجلباب خمار المرأة الذى يغطى رأسها و وجهها إذا خرجت لحاجه و الإرجاف إشاعه الباطل للاغتمام به و أصله الاضطراب و منه يقال للبحر رجاف لاضطرابه فأرجاف الناس بالشىء اضطرابهم بالخوض فيه و منه ترجف الراجفه و الإغراء الدعاء إلى تناول الشىء بالتحريض عليه يقال أغراه بالشىء إغراء فغرى به أى أولع به.

الإغراب

«يُدْنِينَ» فى موضع جزم بأنه جواب شرط مقدر و تقديره قل لأزواجك أدنين عليك من جلابيبك فإنك إن تقل ذلك يدنين. «مَلْعُونِينَ» نصب على الذم. «أَيْتَمَا تُقْفُوا أُخِذُوا» شرط و جزاء و أين ظرف لثقفوا و معمول له و إنما جاز ذلك لأن الجازم فى الأصل إن المحذوفه فصار «أَيْتَمَا» يتضمنها فيغنى عنها و يقوم مقامها و لا يجوز أن يعمل فيه «أُخِذُوا» لأنه جواب الشرط و لا يعمل الجواب فيما قبل الشرط.

المعنى

لما صدر سبحانه هذه السوره بذكر النبى ص و قرر فى أثناء السوره ذكر تعظيمه ختم ذلك بالتعظيم الذى ليس يقاربه تعظيم و لا يدانيه فقال «إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» معناه إن الله يصلى على النبى ص و يثنى عليه بالثناء الجميل و يبجله بأعظم التبجيل و ملائكته يصلون عليه [يثنون عليه] بأحسن الثناء و يدعون له بأزكى الدعاء «يا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»

قال أبو حمزة الثمالي حدثني السدي و حميد بن سعد الأنصاري و بريد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد

حدث عن عبد الله بن مسعود قال إذا صليتم على النبي ص فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلاتك و رحمتك و بركاتك على سيد المرسلين و إمام المتقين و خاتم النبيين محمد عبدك و رسولك إمام الدين و قائد الخير و رسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون و الآخرون اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد

حدث عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية فقلت كيف صلاة الله على رسوله فقال يا أبا محمد تركيته له في السماوات العلى فقلت قد عرفت صلواتنا عليه فكيف التسليم فقال هو التسليم له في الأمور

فعلى هذا يكون معنى قوله «وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» انقادوا لأوامره و ابذلوا الجهد في طاعته و في جميع ما يأمركم به و قيل معناه سلموا عليه بالدعاء أى قولوا السلام عليكم يا رسول الله (الحديث) و

حدث عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال دخلت على النبي ص فلم أره أشد استبشارا منه يومئذ و لا- أطيب نفسا قلت يا رسول الله ما رأيتك قط أطيب نفسا و لا أشد استبشارا منك اليوم فقال و ما يمنعني و قد خرج أنفا جبرائيل من عندي قال قال الله تعالى من صلى عليك صلاة صليت بها عليه عشر صلوات و محوت عنه عشر سيئات و كتبت له عشر حسنات

«إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» قيل هم المنافقون و الكافرون و الذين وصفوا الله بما لا يليق به و كذبوا رسله و كذبوا عليه فعلى هذا يكون معنى يؤذون الله يخالفون أمره و يصفونه بما هو منزه عنه و يشبهونه بغيره فإن الله عز اسمه لا يلحقه أذى و لكن لما كانت مخالفه الأمر فيما بيننا تسمى إيذاء خوطبنا بما نتعارفه و قيل يؤذون الله يلحدون في أسمائه و صفاته و قيل معناه يؤذون رسول الله فقدم ذكر الله على وجه التعظيم إذ جعل أذى رسوله أذى له تشريفا له و تكريما فكأنه يقول لو جاز أن يناله أذى من شىء لكان ينالني من هذا و اتصاله بما قبله أنه كأنه يقول صلوا عليه و لا تؤذوا فإن من آذاه فهو كافر ثم أوعده عليه بقوله «لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ» أى يبعدهم الله من رحمته و يحل بهم وبال نقمته بحرمان زيادات الهدى في الدنيا و الخلود في النار في الآخرة «وَأَعَدَّ لَهُمْ» في الآخرة «عَذَابًا مُّهِينًا» أى مذلا لهم

حدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ قال

حدثنا أحمد بن محمد بن أبي دارم الحافظ قال حدثنا علي بن أحمد العجلي قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا أرتاه بن حبيب قال حدثنا أبو خالد الواسطي و هو أخذ بشعره قال حدثني زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) و هو أخذ بشعره قال حدثني علي بن الحسن و هو أخذ بشعره قال حدثني الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و هو أخذ بشعره قال حدثني علي بن أبي طالب و هو أخذ بشعره قال حدثني رسول الله ص و هو أخذ بشعره فقال من أذى شعره منك فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله و من آذى الله فعليه لعنة الله

«وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا» أى يؤذونهم من غير أن عملوا ما يوجب أذاهم «فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا» أى فقد فعلوا ما هو أعظم الإثم مع البهتان و هو الكذب على الغير يواجهه به فجعل إيذاء المؤمنين و المؤمنات مثل البهتان و قيل يعنى بذلك أذيه اللسان فيتحقق فيها البهتان «وَ إِثْمًا مُّبِينًا» أى و معصيه ظاهره قال قتاده و الحسن إياكم و أذى المؤمنين فإن الله تعالى يغضب له و قيل نزلت فى قوم من الزناه كانوا يمشون فى الطرقات ليلا فإذا رأوا امرأة غمزوها و كانوا يطلبون الإماء عن الضحاك و السدى و الكلبي ثم خاطب النبي ص فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَ بَنَاتِكُمْ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ» أى قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب و هو الملاءة التى تشتمل بها المرأة عن الحسن و قيل الجلباب مقنعه المرأة أى يغطين جباههن و رءوسهن إذا خرجن لحاجه بخلاف الإماء اللاتى يخرجن مكشفات الرؤوس و الجباه عن ابن عباس و مجاهد و قيل أراد بالجلابيب الثياب و القميص و الخمار و ما تستتر به المرأة عن الجبائى و أبى مسلم «ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ» أى ذلك أقرب إلى أن يعرفن بزيهن أنهن حرائر و لسن ياماء فلا يؤذيهن أهل الرية فإنهم كانوا يمازحون الإماء و ربما كان يتجاوز المنافقون إلى ممازحه الحرائر فإذا قيل لهم فى ذلك قالوا حسبناهن إماء فقطع الله عذرهم و قيل معناه ذلك أقرب إلى أن يعرفن بالستر و الصلاح فلا يتعرض لهن لأن الفاسق إذا عرف امرأة بالستر و الصلاح لم يتعرض لها عن الجبائى «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» أى ستارا لذنوب عباده «رَحِيمًا» بهم ثم أوعده سبحانه هؤلاء الفساق فقال «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ» أى لئن لم يمتنع المنافقون «وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى فجور و ضعف فى الإيمان و هم الذين لا دين لهم عما ذكرناه من مراوده النساء و إيذائهن «وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ» و هم المنافقون أيضا الذين كانوا يرجفون فى المدينة بالأخبار الكاذبه المضعفه لقلوب المسلمين بأن يقولوا اجتمع المشركون فى موضع كذا قاصدين لحرب المسلمين و نحو ذلك و يقولوا لسرايا المسلمين إنهم قتلوا و هزموا و فى الكلام حذف و تقديره لئن لم ينته هؤلاء عن أذى المسلمين و عن الإرجاف بما يشغل قلوبهم «لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ» أى لنسلطنك

عليهم يا محمد عن ابن عباس و المعنى أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم و تخلى عنهم المدينة و قد حصل الإغراء بهم بقوله جاهد الكفار و المنافقين عن أبي مسلم و قيل لم يحصل الإغراء بهم لأنهم انتهوا عن الجبائي قال و لو حصل الإغراء لقتلوا و شردوا و أخرجوا عن المدينة «ثم لا يُجاوِزُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا» أى ثم لا يساكنونك فى المدينة إلا يسيرا و هو ما بين الأمر بالقتل و ما بين قتلهم «مَلْعُونِينَ» أى مطرودين منفين عن المدينة مبعدين عن الرحمه و قيل ملعونين على السنه المؤمنين «أَيْنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِلُوا تَقْتِيلًا» أى أينما وجدوا و ظفر بهم أخذوا و قتلوا أبلغ القتل «سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» و السنه الطريقه فى تدبير الحكم و سنه رسول الله ص طريقته التى أجزاها بأمر الله تعالى فأضيفت إليه و لا- يقال سنته إذا فعلها مره أو مرتين لأن السنه الطريقه الجاريه و المعنى سن الله فى الذين ينافقون الأنبياء و يرجفون بهم أن يقتلوا حيثما ثقفوا عن الزجاج «وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أى تحويلا و تغييرا أى لا يتهيا لأحد تغييرها و لا قلبها من جهتها لأنه سبحانه القادر الذى لا يتهيا لأحد منعه مما أراد فعله.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٣ الى ٦٩]

اشاره

يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَ قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ (٦٧)

رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا- تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)

قرأ ابن عامر و يعقوب و سهل ساداتنا بالألف و كسر التاء و الباقون «سادتنا» بغير ألف و قرأ عاصم «كبيراً» بالباء و الباقون كثيراً بالثاء و فى الشواذ قراءه عيسى بن عمر يوم تقلب و جوههم و قراءه ابن مسعود و الأعمش و كان عبدا لله و جيتها.

الحجه

قال أبو على ساده فعله مثل كتبه و فجره قال:

سليل قروم ساده مثل ذاده يبدون أهل الجمع يوم المحصب

و وجه الجمع بالألف و التاء أنهم قد قالوا الطرقات و المعنات فى المعن جمع معين قال الأعشى:

جندك التالد الطريف من السادات أهل القباب و الآكال

قال أبو الحسن هى غريبه و الكبر مثل العظم و الكثيره أشبه بالموضع لأنهم يلعنون مره بعد مره و قد جاء يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون فالكثيره أشبه بالمرار المتكرره من الكبر و قوله «يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ» تقديره يوم تقلب السعير و جوههم نسب الفعل إلى النار لما كان التقليل فيها كما قال مكرز الليل و النهار لوقوع المكر فيهما و عليه قول رؤبه:

"فنام ليلي و تجلى همى"

و قوله عبدا لله و جيتها لا يهم منه و جاهته عند الله فقراءه الناس المشهوره أقوى منه لإسناده و جاهته إلى الله سبحانه.

المعنى

ثم قال سبحانه «يَسْئَلُكَ» يا محمد «النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ» يعنى القيامة «قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ» لا يعلمها غيره «وَمَا يُدْرِيكَ» يا محمد أى شىء يعلمك من أمر الساعه و متى يكون قيامها أى أنت لا تعرفه ثم قال «لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» أى قريبا مجيئها و يجوز أن يكون أمره أن يجيب كل من يسأله عن الساعه بهذا فيقول لعل ما تستبطئه قريب و ما تنكره كائن و يجوز أن يكون تسليه له ص أى فاعلم أنه قريب فلا يضيعن صدرك باستهزائهم بإخفائها «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» أى نارا تستعر و تلتهب «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» أى وليا ينصرهم يدفع عنهم «يَوْمَ تَقَلَّبُ

وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ الْعَامِل فِي «يَوْمَ تُقَلَّبُ» قَوْلُهُ «وَأَعِدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» وَالتَّقْلِيْبُ تَصْرِيْفُ الشَّيْءِ فِي الْجِهَاتِ وَ مَعْنَاهُ تَقْلِبُ وَجْهِ هَؤُلَاءِ السَّائِلِيْنَ عَنِ السَّاعَةِ وَ أَشْبَاهِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ فَتَسْوَدُ وَ تَصْفَرُ وَ تَصِيرُ كَالْحَدِيدِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ تَنْقَلُ وَجْهَهُمْ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ فِي النَّارِ فَيَكُونُ أَبْلَغُ فِيمَا يَصِلُ إِلَيْهَا مِنَ الْعَذَابِ «يَقُولُونَ» مَتَمْنِيْنَ مَتَأَسْفِيْنَ «يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ» فِيمَا أَمَرْنَا بِهِ وَ نَهَانَا عَنْهُ «وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ» فِيمَا دَعَانَا إِلَيْهِ «وَ قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا» فِيمَا فَعَلْنَا «سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا» وَ السَّيِّدُ الْمَالِكُ الْمَعْظَمُ الَّذِي يَمْلِكُ تَدْبِيرَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَ هُوَ الْجَمْعُ الْأَكْثَرُ قَالَ مَقَاتِلُ هُمُ الْمُطْعَمُونَ فِي غَزْوِهِ بِدَرٍ وَ قَالَ طَاوُوسُ هُمُ الْعُلَمَاءُ وَ الْوَجْهُ أَنْ الْمُرَادُ جَمِيعُ قَادَةِ الْكُفْرِ وَ أَيْمَةُ الضَّلَالِ «فَأَضَلُّوْنَا السَّبِيلَ» أَيْ أَضَلُّنَا هَؤُلَاءِ عَنِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَ طَرِيقِ الرَّشَادِ «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ» بِضَلَالِهِمْ فِي نَفْسِهِمْ وَ إِضْلَالِهِمْ إِيَّانَا أَيْ عَذَبَهُمْ مِثْلِي مَا تَعَذَّبَ غَيْرَهُمْ «وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَ زَدَهُمْ غَضَبًا إِلَى غَضَبِكَ وَ سَخَطًا إِلَى سَخَطِكَ ثُمَّ خَاطَبَ سَبْحَانَهُ الْمُظْهَرِيْنَ لِلْإِيْمَانِ فَقَالَ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا» أَيْ لَا تَوَذُّوا مُحَمَّدًا ص كَمَا آذَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فَإِنَّ حَقَّ النَّبِيِّ ص أَنْ يَعْظُمَ وَ يَجْعَلَ لَا أَنْ يُؤْذَى وَ اخْتَلَفُوا فِيمَا أُوذِيَ بِهِ مُوسَى عَلَى أَقْوَالٍ (أَحَدُهَا)

أَنْ مُوسَى وَ هَارُونَ صَعِدَا الْجَبَلَ فَمَاتَ هَارُونَ فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْتَ قَتَلْتَهُ فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَحَمَلْتَهُ حَتَّى مَرُوا بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ تَكَلَّمَتِ الْمَلَائِكَةُ بِمَوْتِهِ حَتَّى عَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ وَ بَرَّأَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ اخْتَارَهُ الْجَبَائِيَّ (وَ ثَانِيهَا) أَنْ مُوسَى كَانَ حَيًّا سَتِيرًا يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ مِنَّا إِلَّا لَعِبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَ إِمَّا أَدْرَهُ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَمَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَطَلَبَهُ مُوسَى فَرَأَاهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَرِيَانًا كَأَحْسَنِ الرِّجَالِ خَلْقًا فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا وَ قَالَ قَوْمٌ إِنْ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ لِأَنَّ فِيهِ إِشْهَارَ النَّبِيِّ وَ إِبْدَاءَ سَوَاتِهِ عَلَى رِءُوسِ الْأَشْهَادِ وَ ذَلِكَ يَنْفِرُ عَنْهُ (وَ ثَالِثُهَا) أَنْ قَارُونَ اسْتَأْجَرَ مُوسَى لِيَقْتُلَهُ مُوسَى بِنَفْسِهَا عَلَى رَأْسِ الْمَلَأِ فَعَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا مَرَّ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ (وَ رَابِعُهَا) أَنَّهُمْ آذَوْهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ نَسَبُوهُ إِلَى السِّحْرِ وَ الْجُنُونِ وَ الْكُذْبِ بَعْدَ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ «وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا» أَيْ عَظِيمُ الْقَدْرِ رَفِيعُ الْمَنْزِلَةِ يُقَالُ وَجَاهٌ فَهُوَ وَجِيهٌ إِذَا كَانَ ذَا جَاهٍ وَ قَدَرٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ خَطِيرًا لَا يَسْأَلُهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أشفقنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ وَ يُتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣)

المعنى

ثم أمر الله سبحانه أهل الإيمان و التوحيد بالتقوى و القول السديد فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ» أى اتقوا عقاب الله باجتناب معاصيه و فعل واجباته «وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» أى صوابا بريئا من الفساد خالصا من شائقه الكذب و اللغو موافق للظاهر و للباطن و قال الحسن و عكرمه صادقاً يعنى كلمه التوحيد لا إله إلا الله و قال مقاتل هذا يتصل بالنهى عن الإيذاء أى قولوا قولاً صواباً و لا- تنسبوا رسول الله ص إلى ما لا يجمل و لا يليق به «يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ» معناه إن فعلتم ذلك يصلح لكم أعمالكم بأن يلفظ لكم فيها حتى تستقيموا على الطريقه المستقيمه السليمه من الفساد و يوفقكم لما فيه الصلاح و الرشاد و قيل معناه يزكى أعمالكم و يتقبل حسناتكم عن ابن عباس و مقاتل «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» باستقامتكم فى الأقوال و الأفعال «وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فى الأوامر و النواهي «فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» أى فقد أفلح إفلحاً عظيماً و قيل فقد ظفر برضوان الله و كرامته «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ» اختلف فى معنى الأمانه فقول هو ما أمر الله به من طاعته و نهى عنه من معصيته عن أبى العالیه و قيل هى الأحكام و الفرائض التى أوجبها الله تعالى على العباد عن ابن عباس و مجاهد و هذان القولان متقاربان و قيل هى أمانات الناس و الوفاء بالعهود فأولها ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله و ولده حين أراد التوجه إلى مكه عن أمر ربه فخان قابيل

إذ قتل هابيل عن السدى والضحاك و اختلف فى معنى عرض الأمانة على هذه الأشياء و قيل فيه أقوال (أحدها) أن المراد العرض على أهلها فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و عرضها عليهم هو تعريفه إياهم أن فى تضييع الأمانة الإثم العظيم و كذلك فى ترك أوامر الله تعالى و أحكامه فبين سبحانه جراه الإنسان على المعاصى و إسفاف الملائكة من ذلك فىكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات و الأرض و الجبال من الملائكة و الجن و الإنس «فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا» أى فأبى أهلهم أن يحملوا تركها و عقابها و المآثم فيها «وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا» أى و أشفقن أهلهم من حملها «وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا» لنفسه بارتكاب المعاصى «جَهُولًا» بموضع الأمانة فى استحقاق العقاب على الخيانة فيها عن أبى على الجبائى و قال إذا لم يصح حمله على نفس السماوات و الأرض و الجبال فلا- بد أن يكون المراد به أهلها لأنه يجب أن يكون المراد به المكلفين دون غيرهم لأن ذلك لا- يصح إلا فيهم و لا بد من أن يكون المراد بحمل الأمانة تضييعها لأن نفس الأمانة قد حملتها الملائكة و قامت بها قال الزجاج كل من خان الأمانة فقد حملها و من لم يحمل الأمانة فقد أداها و كذلك كل من أثم فقد احتل الإثم قال الله سبحانه وَ لِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ فقد أعلم الله سبحانه أن من باء بالإثم يسمى حاملا للإثم و هو قول الحسن لأنه قال الكافر و المنافق حملا الأمانة أى خانا و لم يطيعا و أنشد بعضهم فى حمل الأمانة بمعنى الخيانة قول الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدى أمانه و تحمل أخرى أفرحتك الودائع

و أقول أن الظاهر لا- يدل على ذلك لأنه لا- يجوز أن يكون المراد بالحمل هنا قبول الأمانة لأن الشاعر جعله فى مقابلة الأداء فكأنه قال إذا كنت لا تزال تقبل أمانه و تؤدى أخرى شغلت نفسك بقبول الودائع و أدائها فأثقلتك (و ثانيها) أن معنى عرضنا عارضنا و قابلنا فإن عرض الشىء على الشىء و معارضته به سواء و الأمانة ما عهد الله سبحانه إلى عباده من أمره و نهييه و أنزل فيه الكتب و أرسل الرسل و أخذ عليه الميثاق و المعنى أن هذه الأمانة فى جلاله موقعها و عظم شأنها لو قيست بالسماوات و الأرض و الجبال و عورضت بها لكانت هذه الأمانة أرجح و أثقل وزنا و معنى قوله «فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا» ضعفن عن حملها كذلك «وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا» لأن الشفقة ضعف القلب و لذلك صار كناية عن الخوف الذى يضعف عنده القلب ثم قال إن هذه الأمانة التى من صفتها أنها أعظم من هذه الأشياء العظيمة تقلدها الإنسان فلم يحفظها بل

حملها وضيعها لظلمه على نفسه و لجهله بمبلغ الثواب و العقاب عن أبى مسلم (و ثالثها) أنه على وجه التقدير إلا أنه أجرى عليه لفظ الواقع لأن الواقع أبلغ من المقدر. معناه لو كانت السماوات و الأرض و الجبال عاقله ثم عرضت عليها الأمانه و هى وظائف الدين أصولا و فروعا و ما ذكرناه من الأقاويل فيها بما فيها من الوعد و الوعيد عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها و شدتها و قوتها و لامتنعت من حملها خوفا من القصور عن أداء حقها ثم حملها الإنسان مع ضعف جسمه و لم يخف الوعيد لظلمه و جهله و على هذا يحمل ما روى عن ابن عباس أنها عرضت على نفس السماوات و الأرض فامتنعت من حملها (و رابعها) أن معنى العرض و الإيباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام بل المراد تعظيم شأن الأمانه لا مخاطبه الجماد و العرب تقول سألت الربيع و خاطبت الدار فامتنعت عن الجواب و إنما هو إخبار عن الحال عبر عنه بذكر الجواب و السؤال و تقول أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال و قال سبحانه فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ و خطاب من لا يفهم لا يصح و قال الشاعر:

فأجهشت للبوابه حين رأيتَه و كبر للرحمن حين رآنى

فقلت له أين الذين عهدتهم بجنبك فى خفض و طيب زمان

فقال مضوا و استودعوني بلادهم و من ذا الذى يبقى على الحداثان

و قال آخر:

فقال لى البحر إذ جئته و كيف يجيب ضرير ضريرا

فالأمانه على هذا ما أودع الله السماوات و الأرض و الجبال من الدلائل على وحدانيته و ربوبيته فأظهرتها و الإنسان الكافر كتمها و جحدتها لظلمه و جهله و بالله التوفيق و لم يرد بقوله الإنسان جميع الناس بل هو مثل قوله «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ و إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» و فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَيَّا ابْتِلَاءَ رَبِّهِ و الأنبياء و الأولياء و المؤمنون عن عموم هذه الآيه خارجون و لا يجوز أن يكون الإنسان محمولا على آدم (عليه السلام) لقوله «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ» و كيف يكون من اصطفاه الله من بين خلقه موصوفا بالظلم و الجهل ثم بين سبحانه الغرض الصحيح و الحكمة

ص: ١٦٥

البالغ في عرضه هذه الأمانة فقال «لِيُعَدِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ» يعنى بتضييع الأمانة قال الحسن هما اللذان حملاهما ظلما و جهلا «وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» بحفظهم الأمانة و وفائهم و هذا هو الغرض بالتكليف عند من عرف المكلف و المكلف فالمعنى أنا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق و شرك المشرك فيعذبهم الله و يظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» أى ستارا لذنوب المؤمنين «رَحِيمًا» بهم.

ص: ١٦٦

(٣٤) سورة سبأ مكيه و آياتها أربع و خمسون (٥٤)

اشاره

عدد آياتها

خمس و خمسون آيه شامى أربع فى الباقون.

اختلافها

آيه عن يمين و شمال.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة سبأ لم يبق نبى و لا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقا و مصافحا

و

روى ابن أذينة عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ الحمدین جميعا سبأ و فاطر فى ليله لم يزل ليلته فى حفظ الله تعالى و كلاته فإن قرأهما فى نهاره لم يصبه فى نهاره مكروه و أعطى من خير الدنيا و خير الآخرة ما لم يخطر على قلبه و لم يبلغ مناه.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الأحزاب ببيان الغرض فى التكليف و أنه سبحانه يجزى المحسن بإحسانه و المسىء بإساءته افتتح هذه السورة بالحمد له على نعمته و كمال قدرته فقال:

[سورة سبأ (٣٤): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِیْ لَهُ مَا فِی السَّمٰوٰتِ وَ مَا فِی الْاَرْضِ وَ لَهُ الْاٰخِرَةُ وَ الْاَوَّلٰتُ وَ هُوَ الْحَكِیْمُ الْحَیْبُ (١) یَعْلَمُ مَا یَلْجُ فِی الْاَرْضِ وَ مَا یَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا یَنْزِلُ مِنَ السَّمٰءِ وَ مَا یَعْرُجُ فِیْهَا وَ هُوَ الرَّحِیْمُ الْغَفُوْرُ (٢) وَ قَالَ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلٰی وَ رَبِّیْ لَتَأْتِیَنَّكُمْ عَالَمٌ الْغَیْبِ لَا یَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِی السَّمٰوٰتِ وَ لَا فِی الْاَرْضِ وَ لَا اَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَ لَا اَكْبَرُ اِلَّا فِی كِتٰبٍ مُّبِیْنٍ (٣) لَیَجْزِی الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِیْمٌ (٤)

وَ الَّذِیْنَ سَعَوْا فِی آیٰتِنَا مُعٰجِزِیْنَ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِّجْزٍ اَلِیْمٍ (٥)

قرأ أهل المدينة و الشام عالم الغيب بالرفع و قرأ حمزه و الكسائي علام الغيب بالجر و اللام قبل الألف و الباقون «عالم الغيب» بالجر و قرأ ابن كثير و حفص و يعقوب من رجز أليم هنا و فى الجائيه أيضا بالرفع و الباقون بالجر.

الحجه

قال أبو على الجر على قوله الحمد لله عالم الغيب و قال غيره عالم الغيب بالجر صفه لقوله «و رَبِّي» أو بدل منه فأما الرفع فيجوز أن يكون خير مبتدأ محذوف تقديره هو عالم الغيب و أن يكون ابتداء و خبره لا يعزب و علام أبلغ من عالم و الرجز العذاب بدلاله قوله لئن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ وَ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ فَإِذَا كَانَ الْعَذَابُ يُوصَفُ بِالْأَلِيمِ كَمَا أَنَّهُ نَفْسُ الْعَذَابِ جَازٍ أَنْ يُوصَفَ بِهِ وَ الْجَرُّ فِي أَلِيمٍ أَبِينٌ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَذَابٌ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ كَانَ الْعَذَابُ الْأَوَّلُ أَلِيمًا وَ إِذَا جَرَى الْأَلِيمُ عَلَى الْعَذَابِ كَانَ الْمَعْنَى عَذَابُ أَلِيمٍ مِّنْ عَذَابٍ وَ الْأَوَّلُ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ.

اللغه

الحمد هو الوصف بالجميل على جهه التعظيم و نقيضه الذم و هو الوصف بالقبيح على جهه التحقير ثم ينقسم فمنه ما هو أعلى و منه ما هو أدنى و الأعلى ما يقع على وجه العباده و لا يستحقها إلا الله سبحانه لأن إحسان الله عز اسمه لا يوازيه إحسان أحد من المخلوقين و يستحق الحمد على الإحسان و الإنعام فلا يستحق أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه و الولوج الدخول و العروج الصعود و المعارج الدرج من هذا و عزب عنه يعزب و يعزب إذا بعد و

فى الحديث من قرأ القرآن فى أربعين ليلة فقد عزب

أى بعد عهده بما ابتدأ منه و أبطأ فى تلاوته.

«لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا» يتعلق بقوله «لا يَغْرُبُ».

المعنى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ» معناه قولوا الحمد لله و هو تعريف لوجوب الشكر على نعم الله سبحانه و تعليم لكيفية الشكر «الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» أى الذى يملك التصرف فى جميع ما فى السماوات و جميع ما فى الأرض ليس لأحد الاعتراض عليه و لا منعه «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ» أى هو المستحق للحمد على أفعاله الحسنى فى الدارين لكونه منعما فيهما و الآخره و إن كانت ليست بدار تكليف فلا يسقط فيها الحمد و الاعتراف بنعم الله تعالى بل العباد ملجئون إلى ذلك لمعرفة الضرورى بنعم الله عليهم من الثواب و العوض و ضرور التفضل و من حمد أهل الجنة قولهم «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا و الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعُودَهُ و قِيلَ إِنَّمَا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا عَلَى جَهَنَّمَ لَكِن عَلَى جَهَنَّمَ السَّرُورِ و التلذذ بالحمد و لا يكون بالحمد عليهم فيه تعب و لا مشقه و قيل يحمده أهل الجنة على نعمه و فضله و يحمده أهل النار على عدله «وَهُوَ الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله لأنها كلها واقعه على وجه الحكمة «الْخَبِيرُ» بجميع المعلومات «يَعْلَمُ مَا يَلْبِغُ فِي الْأَرْضِ» أى ما يدخل فيها من مطر و كنز أو ميت «وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا» من زرع و نبات أو جواهر أو حيوان «وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ» من مطر أو رزق أو ملك «وَمَا يَعْزُجُ» أى يصعد «فيها» من الملائكة و أعمال العباد فهو يجرى جميع ذلك على تقدير تقتضيه الحكمة و تدبير توجهه المصلحه «وَهُوَ الرَّحِيمُ» بعباده مع علمه بما يعملون من المعاصى فلا يعاجلهم بالعقوبه و يمهلهم للتوبه «الْغُفُورُ» أى الساتر عليهم ذنوبهم فى الدنيا المتجاوز عنها فى العقبي كما قال «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى منكرو البعث و النشور «لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ» يعنى القيامة «قُلْ» لهم يا محمد «بَلَى وَ رَبِّي» أى و حق الله ربي الذى خلقنى و أوجدنى «لَتَأْتِيَنَّكُمْ» القيامة «عَالِمِ الْغَيْبِ» يعمل كل شىء يغيب عن العباد علمه «لَا يَغْرُبُ عَنْهُ» أى لا يفوته «مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ» بل هو عالم بجميع ذلك «وَلَا أَضِغْرُ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبِيرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» يعنى اللوح المحفوظ و قد مضى هذا مفسرا فى سورة يونس كذب الله سبحانه فى هذه الآيه الكفار الجاحده للبعث و بين أن القيامة آتية كائنه لا محاله و أمر رسوله ص بأن يحلف على ذلك تأكيدا له ثم مدح نفسه بأنه يعلم ما غاب عن العباد علمه مما هو كائن أو سيكون و لم يوجد بعد ثم قال «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى إنما أثبت ذلك فى الكتاب المبين ليكافئهم بما يستحقونه من الثواب على صالح أعمالهم «أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» لذنوبهم و ستر لها و لهم مع ذلك «رِزْقٌ كَرِيمٌ» أى هنىء لا تنغيص فيه و لا تكدير و قيل هو الجنة عن قتاده «وَالَّذِينَ سَاءُوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ» أى

عملوا بجهدهم و جدهم فى إبطال حججنا و فى تزهد الناس عن قبولها مقدرين إعجاز ربهم و ظانين أنهم يفوتونه و قيل معاجزين مسابقين و معجزين و مثبطين و قد مضى تفسير هذه الآية فى سورة الحج «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ أَيْ سِىءِ الْعَذَابِ عَنْ قِتَادِهِ «أَلَيْمٌ» أَيْ مَوْلِمٌ.

النظم

وجه اتصال قوله «عَالِمِ الْغَيْبِ» بما قبله أنه سبحانه لما حكى عن المشركين ما يضاد الإقرار له بالربوبية و الاعتراف بالنعمة من إنكار القيامة ذكر بعده أن من يعلم أفعال العباد و ما يستحقونه من الجزاء لو لم يجعل داراً أخرى يجازى فيها المحسن على إحسانه و المسىء على إساءته و ينتصف للمظلوم من الظالم كان ذلك خروجاً عن موجب الحكمة.

[سورة سبأ (٣٤): الآيات ٦ الى ٩]

أشاره

وَ يَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مَرَّقْتُمْ كُلَّ مَمْرَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفَتُرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَ الضَّلَالِ الْبُعِيدِ (٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ نَشْأاً نَخِيفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَافاً مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائى و خلف إن يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط بالياء فى الجميع و الباقون كل ذلك بالنون و أدغم الكسائى وحده الفاء فى الباء فى يخسف بهم.

الحججه

قال أبو على حجه النون قوله وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ فَالنون أشبهه بآتيناً و حجه الياء قوله «أَفَتُرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» فحمل على اسم الله تعالى قال و إدغام الفاء فى الباء لا يجوز لأن الفاء من باطن الشفه السفلى و أطراف الثنايا العليا و انحدر الصوت به إلى الفم حتى اتصل

بمخرج الثاء حتى جاء مثل الجحدث و الجدف و المغاثير و المغاير فتعاقبا للمقاربه بينهما فلما اتصلت بمخرج الثاء صارت بمنزله حرف من تلك الحروف فلم يجز إدغامها في الباء لأنه إذا اتصل بما ذكرنا صار كحرف من ذلك الموضع فكما أن ذلك الحرف الذى اتصل بالفاء لا يدغم في الباء كذلك الفاء لا يدغم في الباء و كذلك لا يجوز أن يدغم الفاء في الباء لزياده صوتها المتصل بحرف من حروف الفم.

الإعراب

«وَيَرَى» يحتمل أن يكون منصوبا عطفا على لِيَجْزَى و يحتمل أن يكون مرفوعا على الاستئناف و «الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ» فى موضع نصب لأنه مفعول يرى و هو فصل و الحق مفعول ثان ليرى و قوله «إِذَا مُرِّقْتُمْ» قال الزجاج إذا فى موضع نصب بمزقتم و لا يجوز أن يعمل فيها جديد لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها و التأويل هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم تبعثون و يكون إذا بمنزله إن الجزاء يعمل فيها الذى يليها قال قيس بن الخطيم:

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

و المعنى يكن وصلها و الدليل عليه جزم فنضارب و يجوز أن يكون العامل فى إذا مضمرا يدل عليه «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» و يكون المعنى هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم بعثتم قال أبو على إن جعل موضع إذا نصبا بمزقتم لزم أن يحكم على موضعه بالجزم لأن إذا هذه لا يجوز أن ينتصب به حتى يقدر جزم الفعل الذى هو الشرط بها و الجزم بها لا يسوغ أن يحمل عليه الكتاب لأن ذلك إنما يكون فى ضروره الشعر فإن حمل موضع إذا على أنه نصب و الفعل غير مقدر فى موضعه الجزم لم يجز لأنه إذا لم يجاز بها أضيفت إلى الفعل و المضاف إليه لا يعمل فى المضاف و لا فيما قبله و موضع الفعل الواقع بعد إذا خفض فلما لم يجز زيدا غلام ضارب عندك تريد غلام ضارب زيدا عندك فكذلك لا يجوز أن يكون موضع إذا نصبا بمزقتم فالتقدير يبنئكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم أو نشرتم أو ما أشبه ذلك من الأفعال التى يكون قوله «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» دالا عليه و مفسر له و إن قدر هذا الفعل قبل إذا كان سائغا فيكون التقدير يبنئكم فيقول لكم تبعثون إذا مزقتم كل ممزق و يكون جواب إذا على هذا التقدير مضمرا كأنه تبعثون إذا مزقتم كل ممزق بعثتم فيستغنى إذا عن إظهار الجواب إذا تقدمها ما يدل عليه نحو أنت ظالم إن فعلت و كذلك يحذف الشرط لدلاله الجزاء عليه إذا وقع بعد كلام غير واجب نحو الأمر و الاستفهام و ما أشبه ذلك فافهم ذلك فإنه فصل جليل

الموقع فى النحو استخرجته من كلام أبى على. «أفترى» أصله أفترى دخلت همزه الاستفهام على همزه الوصل فأسقطتها.

المعنى

ثم ذكر سبحانه المؤمنين و اعترفهم بما جحدہ من تقدم ذكرهم من الكافرين فقال «وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» أى و يعلم الذين أعطوا المعرفة بوحداية الله تعالى و هم أصحاب محمد ص عن قتاده و قيل هم المؤمنون من أهل الكتاب عن الضحاك و قيل هم كل من أوتى العلم بالدين و هذا أولى لعمومه «الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ» يعنى القرآن «هُوَ الْحَقُّ» أى يعلمونه الحق لأنهم يتدبرونه و يتفكرون فيه فيعلمون بالنظر و الاستدلال أنه ليس من قبل البشر فهؤلاء لطف الله سبحانه لهم بما أداهم إلى العلم فكأنه سبحانه قد أتاهم العلم و قوله «وَيَهْدِي» أى و يعلمون أنه يهدى إلى القرآن و يرشد «إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» أى دين القادر الذى لا يغالب المحمود على جميع أفعاله و هو الله تعالى و فى هذه الآية دلالة على فضيلة العلم و شرف العلماء و عظم أقدارهم ثم عاد سبحانه إلى الحكاياه عن الكفار فقال «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى بعضهم لبعض أو القادة للتأباع على وجه الاستبعاد و التعجب «هَيْلٌ نَدُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ» يعنون محمدا ص «يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» أى يزعم أنكم تبعثون بعد أن تكونوا عظاما و رفاتا و ترابا و هو قوله «إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ» أى فرقتم كل تفريق و قطعتم كل تقطيع و أكلتكم الأرض و السباع و الطيور و الجديد المستأنف المعاد و المعنى إنكم يحدد خلقكم بأن تنشروا و تبعثوا «أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» معناه هل كذب على الله متعمدا حين زعم أنا نبعث بعد الموت و هو استفهام تعجب و إنكار «أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» أى جنون فهو يتكلم بما لا يعلم ثم رد سبحانه عليهم قولهم فقال «بَلِ» ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء و الجنون «الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أى هؤلاء الذين لا يصدقون بالبعث و الجزاء و الثواب و العقاب «فِي الْعَذَابِ» فى الآخرة «وَالضَّلَالِ الْبُعِيدِ» من الحق فى الدنيا ثم وعظهم سبحانه ليعتبروا فقال «أَفَلَمْ يَرَوْا» أى أفلم ينظر هؤلاء الكفار «إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» كيف أحاطت بهم و ذلك أن الإنسان حيث ما نظر رأى السماء و الأرض قدامه و خلفه و عن يمينه و عن شماله فلا يقدر على الخروج منها و قيل معناه أفلم يتدبروا و يتفكروا فى السماء و الأرض فيستدلوا بذلك على قدره الله تعالى ثم ذكر سبحانه قدرته على إهلاكهم فقال «إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ» كما خسفنا بقارون «أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ» أى قطعه من السماء تغطيهم و تهلكهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» معناه إن فيما ترون من السماء و الأرض لدلالة على قدره الله على البعث

و على ما يشاء من الخسف بهم «لِكَلِّ عَيْدٍ مُنِيبٍ» أناب إلى الله و رجع إلى طاعته أ فلا يرتدع هؤلاء عن التكذيب بآيات الله و الإنكار لقدرته على البعث.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ١٠ الى ١٤]

اشاره

و لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِيبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اِعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَ لَسِيْلِيْمَانَ الرِّيْحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ وَ أَسْلَمْنَا لَهُ الْفِطْرَ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مِنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَ تَمَائِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ سُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَىٰ بِنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)

القراءه

قرأ يعقوب و عبيد بن عمير و الأعرج و الطير بالرفع و قرأ سائر القراء «وَ الطَّيْرَ» بالنصب و قرأ أبو بكر و لسليمان الريح بالرفع و الباقر بالنصب و قرأ ابن كثير و أبو عمرو كالجوابى بالياء فى الوصل إلا ابن كثير وقف بياء و أبو عمرو بغير ياء و الباقر بغير ياء فى الوصل و الوقف و قرأ أهل المدينة و أبو عمرو و ابن فليح و زيد عن يعقوب منسأته بغير همز و قرأ ابن عامر منسأته بهمزه ساكنه و الباقر بهمزه مفتوحه و قرأ يعقوب تبينت الجن بضم التاء و الباء و كسر الياء و الباقر «تَبَيَّنَتِ» بفتح الجميع و فى الشواذ قراءه ابن عباس و الضحاك

تبينت الإنس

ص: ١٧٣

و هو قراءه على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام).

الحجه

قال الزجاج أما الرفع فى و الطير ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون نسقا على الياء فى أو بى المعنى يا جبال رجعى التسييح أنت معه و الطير (و الآخر) أن يكون معطوفا على لفظ جبال التقدير يا جبال و الطير و أما النصب ففيه ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون عطفا على فضلا أى آتينا داود منا فضلا و الطير بمعنى و سخرنا له الطير حكى ذلك أبو عبيده عن أبى عمرو بن العلاء (و الثانى) أن يكون نصبا على النداء و يكون معطوفا على محل جبال كأنه قال أدعو الجبال و الطير (و الثالث) أن يكون منصوبا على معنى مع و المعنى أو بى معه و مع الطير قال أبو على من قرأ «و لِسَيْلِمَانَ الرِّيحَ» بالنصب حمله على التسخير فى قوله فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ و يقوى ذلك قوله وَ لِسَيْلِمَانَ الرِّيحَ عاصِمَةً و وجه الرفع أن الريح إذا سخرت لسليمان جاز أن يقال له الريح على معنى له تسخير الريح فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب لأن المصدر المقدر فى تقدير الإضافة إلى المفعول به قال و القياس فى الجوابى أن يثبت الياء مع الألف و اللام و إنما وقف أبو عمرو بغير ياء لأنه فاصله أى مشبه بها من حيث تم الكلام و من حذف الياء فى الوصل و الوقف فلأن هذا النحو قد يحذف كثيرا و القياس فى همزه منسأته إذا خففت الهمزه منها أن تجعل بين بين إلا أنهم خففوا همزتها على غير القياس قال الشاعر أنشده أبو الحسن:

إذا دببت على المنسأه من هرم فقد تباعد عنك اللهو و الغزل

و أما قوله تبينت الإنس فمعناه تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب و هكذا هو فى مصحف عبد الله و يؤول إلى هذا المعنى قراءه يعقوب «تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ».

اللغه

التأويب الترجيع بالتسييح قال سلامه بن جندل:

يومان يوم مقامات و أنديه و يوم سير إلى الأعداء تأويب

أى رجوع بعد رجوع و السايف التام من اللباس و سرد الحديد نظمه قال الشاعر:

على ابن أبى العاصى دلاص حصينه أجاد المسدى سردها و أذالها

و قال أبو ذؤيب:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

و هو مأخوذ من سرد الكلام يسرد سردا إذا تابع بين بعض حروفه و بعض قال المبرد لا يسمى محرابا إلا ما يرتقى إليه بدرج قال عدى بن زيد:

كدمى العاج فى المحاريب أو كالبيض فى الروض زهره مستنير

و قال وضاح اليمىن:

ربه محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقى سلما

و التماثيل صور الأشياء واحدا تماثل و أصلها من المثل و هو القيام كأنه نصب قائما و منه

الحديث من سره أن يمثل له الناس فليتبوأ مقعده من النار

و الجوابى جمع جابيه و هى الحوض العظيم يجبى فيه الماء قال الأعشى:

تروح على آل المحلق جفنه كجابيه الشيخ العراقى تفهق

و المنسأه العصا الكبيره التى يسوق بها الراعى غنمه مفعله من نسأت الناقه و البعير إذا زجرته.

الإعراب

«أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ» أن هاهنا فى تأويل التفسير و القول و هى تدعى المفسره بمعنى أى كأنه قيل و أُلنا له الحديد أى اعمل سابغات و التقدير قلنا له اعمل و يكون فى معنى لأن يعمل و لنا تصل أن هذه بلفظ الأمر و مثله فى الكلام أرسل إليه أن قم إلى فلان و قدر مفعوله محذوف أى قدر الحلق و المسامير و قوله «غُدُّوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَّاحُهَا شَهْرٌ» فى موضع نصب على الحال و التقدير غدوها مسيره شهر و رواحها كذلك فحذف المضاف و العامل فى الحال

ص: ١٧٥

معنى التسخير في قوله «وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ» و «مَنْ يَعْمَلُ» في موضع نصب على تقدير و سخرنا من الجن من يعمل. شكرا يجوز أن يكون مفعول اعملوا على تقدير اشكروا شكرا كما تقول أحمد الله شكرا فيكون مفعولا مطلقا و هو المصدر و يجوز أن يكون مفعولا- له و مفعول اعمل محذوف و تقديره اعملوا الطاعة شكرا و قوله «أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ» أن هذه مخففة من الثقيلة على تقدير أنهم لو كانوا يعلمون الغيب قال أبو علي و التقدير فلما خر تبين أمر الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب فحذف المضاف فإن لو كانوا بدل من الجن و لفظ تبين هنا لازم غير متعدد مثله في قوله وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ و قوله فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و المعنى فلما خر انكشف للإنس أمر الجن من جهلهم بالغيب و ذلك لأن الجن ما ادعوا علم الغيب و إنما اعتقد الإنس فيهم أنهم يعلمون الغيب فأبطل الله عقيدتهم فيهم بموت سليمان.

المعنى

لما تقدم ذكر عباد الله المنيبين إليه وصله سبحانه بذكر داود و سليمان فقال «وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا» معناه و لقد أعطينا داود من عندنا نعمه و إحسانا أى فضلناه على غيره بما أعطيناه من النبوه و الكتاب و فصل الخطاب و المعجزات ثم فصل سبحانه ما أعطاه فقال «يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرُ» أى قلنا للجبال يا جبال سبحي معه إذا سبح عن ابن عباس الحسن و قتاده و مجاهد قالوا أمر الله الجبال أن تسبح معه إذا سبح فسبحت معه و تأوله عند أهل اللغة رجعى معه التسييح من آب يؤوب و يجوز أن يكون سبحانه فعل فى الجبال ما يأتى به منها التسييح معجزا له و أما الطير فيجوز أن يسبح و يحصل له من التمييز ما يتأتى منه ذلك بأن يزيد الله فى فطنته فيفهم ذلك و قيل معناه سيرى معه فكانت الجبال و الطير تسير معه أينما سار و كان ذلك معجزا له عن الجبائى و التأويب السير بالنهار و قيل معناه ارجعى إلى مراد داود فيما يريد من حفر بئر و استنباط عين و استخراج معدن و وضع طريق «وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ» فصار فى يده كالشمع يعمل به ما شاء من غير أن يدخله النار و لا أن يضربه بالمطرقة عن قتاده «أَنْ اَعْمَلَ سَابِغَاتٍ» أى قلنا له اعمل من الحديد دروعا تامات و إنما ألان الله تعالى الحديد لداود لأنه أحب أن يأكل من كسب يده فألان الحديد له و علمه صنعه الدرع و كان أول من اتخذها و كان يبيعها و يأكل من ثمنها و يطعم عياله و يتصدق منه و

روى عن الصادق (عليه السلام) قال إن الله أوحى إلى داود (عليه السلام) نعم العبد أنت إلا- أنك تأكل من بيت المال فبكى داود أربعين صباحا فألان الله له الحديد و كان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة و ستين درعا فباعها بثلاثمائة و ستين ألفا فاستغنى عن بيت المال

«وَ قَدَّرَ فِي السُّرُدِ» أى عدل فى نسج الدروع و منه قيل لصانعها سراد و زراد و المعنى لا تجعل

المسامير دقاقا فتفلق و لا غلاظا فتكسر الحلق و قيل السرد المسامير التي في حلق الدرود عن قتاده حكى أن لقمان حضر داود عند أول درع عملها فجعل يتفكر فيها و لا يدري ما يريد و لم يسأله حتى فرغ منها ثم قام فلبسها و قال نعم جنبه الحرب هذه فقال لقمان عند ذلك الصمت حكمه و قليل فاعله «وَأَعْمَلُوا صَالِحًا» أى و قلنا اعمل أنت و أهلك الصالحات و هى الطاعات شكرا لله سبحانه على عظيم نعمه «إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى أنا عالم بما تفعلونه لا يخفى على شىء من أعمالكم ثم ذكر سبحانه سليمان و ما أتاه من الفضل و الكرامه فقال «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ» أى و سخرنا لسليمان الريح «عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ» أى مسير غدو تلك الريح المسخره له مسيره شهر و مسير رواح تلك الريح مسيره شهر و المعنى أنها كانت تسير فى اليوم مسيره شهرين للراكب قال قتاده كان يغدو مسيره شهر إلى نصف النهار و يروح مسيره شهر إلى آخر النهار و قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل بإصطخر من أرض أصفهان و بينهما مسيره شهر للمسرع و يروح من إصطخر فيبيت بكابل و بينهما مسيره شهر تحمله الريح مع جنوده أعطاه الله الريح بدلا من الصافنات الجياد «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ» أى أذبنا له عين النحاس و أظهرناها له قالوا أجريت له عين الصفر ثلاثه أيام بلياليهن جعلها الله له كالماء و إنما يعمل الناس بما أعطى سليمان منه «وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ» المعنى و سخرنا له من الجن من يعمل له بحضرتة و أمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدمى بين يدى الآدمى بأمر ربه تعالى و كان يكلفهم الأعمال الشاقه مثل عمل الطين و غيره و قال ابن عباس سخرهم الله لسليمان و أمرهم بطاعته فيما يأمرهم به و فى هذا دلالة على أنه قد كان من الجن من هو غير مسخر له «وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» المعنى و من يعدل من هؤلاء الجن الذين سخرناهم لسليمان عما أمرناهم به من طاعه سليمان نذقه من عذاب السعير أى عذاب النار فى الآخرة عن أكثر المفسرين و فى هذا دلالة على أنهم قد كانوا مكلفين و قيل معناه نذيقه العذاب فى الدنيا و أن الله سبحانه و كل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعه سليمان ضربه ضربه أحرقتة «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ» و هى بيوت الشريعة و قيل هى القصور و المساجد يتعبد فيها عن قتاده و الجبائى قال و كان مما عملوه بيت المقدس و قد كان الله عز و جل سلط على بنى إسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير فى يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا و يبرزوا إلى الصعيد بالذرارى و الأهلين و يتضرعون إلى الله لعله يرحمهم و ذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد و ارتفع داود فوق الصخره فخر ساجدا يبتهل إلى الله سبحانه و سجدوا معه فلم يرفعوا رءوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما أن شفع الله داود فى بنى إسرائيل

جمعهم داود بعد ثلاث و قال لهم أن الله تعالى قد من عليكم و رحمكم فجددوا له شكرا بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذى رحمكم فيه مسجدا ففعلوا و أخذوا فى بناء بيت المقدس و كان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقه و كذلك خيار بنى إسرائيل حتى رفعوه قامه و لداود يومئذ سبع و عشرون و مائه سنة فأوحى الله إلى داود أن تمام بنائه يكون على يدى ابنه سليمان فلما صار داود ابن أربعين و مائه سنة توفاه الله و استخلف سليمان فأحب إتمام بيت المقدس فجمع الجن و الشياطين و قسم عليهم الأعمال يخص كل طائفه منهم بعمل فأرسل الجن و الشياطين فى تحصيل الرخام و ألمها الأبيض الصافى من معادنه و أمر ببناء المدينة من الرخام و الصفاح و جعلها اثنى عشر ربضا و أنزل كل ربض منها سبطا من الأسباط و لما فرغ من بناء المدينة ابتداء فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقه يستخرجون الذهب و اليواقيت من معادنها و فرقه يقلعون الجواهر و الأحجار من أماكنها و فرقه يأتون بالمسك و العنبر و سائر الطيب و فرقه يأتون بالدر من البحار فأوتى من ذلك بشىء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع و أمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيروها ألواحا و معالجه تلك الجواهر و اللاكئ قال و بنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض و الأصفر و الأخضر و عمدته بأساطين ألمها الصافى و سقفه بالواح الجواهر و فضض سقوفه و حيطانه باللاكئ و اليواقيت و الجواهر و بسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن فى الأرض بيت أبهى و لا أنور من ذلك المسجد كان يضىء فى الظلمه كالقمر ليله البدر فلما فرغ منه جمع إليه أخبار بنى إسرائيل فأعلمهم أنه بناه الله تعالى و اتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بنى إسرائيل فخرّب المدينة و هدمها و نقض المسجد و أخذ ما فى سقوفه و حيطانه من الذهب و الفضة و الدر و اليواقيت و الجواهر فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال فى دعائه بصلوات أبى داود إلا فتحت الأبواب ففتحت ففرغ له سليمان عشره آلاف من قراء بنى إسرائيل خمسه آلاف بالليل و خمسه آلاف بالنهار فلا تأتى ساعه من ليل و لا نهار إلا و يعبد الله فيها «و تماثيل» يعنى صوراً من نحاس و شبه و زجاج و رخام كانت الجن تعملها ثم اختلفوا فقال بعضهم كانت صور للحيوانات و قال آخرون كانوا يعملون صور.

السباع و البهائم على كرسیه ليكون أهيب له فذكروا أنهم صوروا أسدين أسفل كرسیه و نسرین فوق عمودی كرسیه فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيهما و إذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتهما فظللاه من الشمس و يقال أن ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بنى إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدها فوق مغشيا عليه فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسي قال الحسن و لم تكن يومئذ التصاوير محرمة و هي محظوره فى شريعته نبينا ص فإنه

قال لعن الله المصورين

و يجوز أن يكره ذلك فى زمن دون زمن و قد بين الله سبحانه أن المسيح كان يصور بأمر الله من الطين كهيئه الطير و قال ابن عباس كانوا يعملون صور الأنبياء و العباد فى المساجد ليقصدى بهم و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال و الله ما هى تماثيل النساء و الرجال و لكنه الشجر و ما أشبهه

«و جفان كالجواب» أى صحاف كالحياض التى يجبى فيها الماء أى يجمع و كان سليمان (عليه السلام) يصلح طعام جيشه فى مثل هذه الجفان فإنه لم يمكنه أن يطعمهم فى مثل قصاع الناس لكثرتهم و قيل أنه كان يجمع على كل جفنه ألف رجل يأكلون بين يديه «و قعدور راسيات» أى ثابتات لا- يزلن عن أمكنتهن لعظمتن عن قتاده و كانت باليمن و قيل كانت عظيمه كالجبال يحملونها مع أنفسهم و كان سليمان يطعم جنده ثم نادى سبحانه آل داود و أمرهم بالشكر على ما أنعم به عليهم من هذه النعمة العجيبه لأن نعمته على سليمان نعمة عليهم فقال «اعملوا آل داود شكراً» أى قلنا لهم يا آل داود اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما آتاكم من النعم عن مجاهد و فى هذا دلالة على وجوب شكر النعمة و أن الشكر طاعه المنعم و تعظيمه و فيه إشارة أيضاً إلى أن لقربه أنبياء الله تعالى أثرا فى القرب إلى رضى الله حين خص آل داود بالأمر «و قليل من عبادى الشكور» و الفرق بين الشكور و الشاكر أن الشكور من تكرر منه الشكر و الشاكر من وقع منه الشكر قال ابن عباس أراد به المؤمن الموحد و فى هذا دلالة على أن المؤمن الشاكر يقل فى كل عصر «فَلَمَّا قَضَىٰ نَبَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ» أى فلما حكمنا على سليمان بالموت و قيل معناه أوجبنا على سليمان الموت «ما دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنِّي» أى ما دل الجن على موته إلا- الأرضه و لم يعلموا موته حتى أكلت عصاه فسقط فعلموا أنه ميت و قيل أن سليمان كان يعتكف فى مسجد بيت المقدس السنه و السنتين و الشهر و الشهرين و أقل و أكثر يدخل فيه طعامه و شرابه و يتعبد فيه فلما كان فى المره التى مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلا و تنبت شجره كان يسألها سليمان فتخبره عن اسمها و نفعها و ضررها فرأى يوماً نبثا فقال ما اسمك قال الخرنوب قال لأى شىء أنت قال للخراب فعلم أنه سيموت فقال اللهم عم على

الجن موتى ليعلم الإنس أنهم لا- يعلمون الغيب و كان قد بقى من بنائه سنه و قال لأهله لا تخبروا الجن بموتى حتى يفرغوا من بنائه و دخل محرابه و قام متكئا على عصاه فمات و بقى قائما سنه و تم البناء ثم سلط الله على منسأته الأرضه حتى أكلتها فخر ميتا فعرف الجن موته و كانوا يحسبونه حيا لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك و قيل أن فى إمامته قائما و بقاءه كذلك أغراضا منها إتمام البناء و منها أن يعلم الإنس أن الجن لا- تعلم الغيب و أنهم فى ادعاء ذلك كاذبون و منها أن يعلم أن من حضر أجله فلا- يتأخر إذ لم يؤخر سليمان مع جلالته و روى أنه أطلع الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل و تحنط و تكفن و الجن فى عملهم و

روى أبو بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال أن سليمان أمر الشياطين فعملوا له قبه من قوارير فبينا هو قائم متكئ على عصاه فى القبه ينظر إلى الجن كيف يعملون و هم ينظرون إليه و لا- يصلون إليه إذا رجل معه فى القبه فقال من أنت فقال أنا الذى لا أقبل الرشى و لا- أهاب الملوك فقبضه و هو قائم متكئ على عصاه فى القبه قال فمكثوا سنه يعملون له حتى بعث الله الأرضه فأكلت منسأته

و فى حديث آخر

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال فكان آصف يدبر أمره حتى دبت الأرضه

«فَلَمَّا حَرَ» أى سقط سليمان ميتا «تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ» أى ظهرت الجن فانكشف للناس «أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» معناه فى الأعمال الشاقه و إنما سماها عذابا للمشاق التى فيها لا أنه كان عذابا فليس ذلك إلا أن يكون عباده له أو بمنزله ما يعوضون عليه أى ما عملوا مسخرين لسليمان و هو ميت و هم يظنون أنه حى و قيل أن المعنى تبينت عامه الجن و ضعفتم أن رؤساءهم لا- يعلمون الغيب لأنهم كانوا يوهمونهم أنهم يعلمون الغيب و قيل معناه تبينت الإنس أن الجن كانوا لا يعلمون الغيب فإنهم كانوا يوهمون الإنس إنا نعلم الغيب و إنما قال تبينت الجن كما يقول من يناظر غيره و يلزمه الحجه هل تبين لك أنك على باطل و على هذا تدل قراءه من قرأ تبينت الإنس و قد مضى بيانه و ذكر أهل التاريخ أن عمر سليمان كان ثلاثا و خمسين سنه مده ملكه منها أربعون سنه و ملك يوم ملك و هو ابن ثلاث عشره سنه و ابتدأ فى بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه و الله أعلم و أما الوجه فى عمل الجن تلك الأعمال العظيمه فهو أن الله تعالى زاد فى أجسامهم و قوتهم و غير خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون للطافتهم و رقه أجسامهم على سبيل الإعجاز الدال على نبوه سليمان فكانوا بمنزله الأسراء فى يده و كانوا تنهياً لهم الأعمال التى كان يكلفها إياهم ثم لما مات (عليه السلام) جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهياً لهم فى هذا الزمان شىء من ذلك.

[سوره سبا (۳۴): الآيات ۱۵ الى ۱۹]

اشاره

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْئَلِكِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَهُ وَ رَبُّ غَفُورٌ (۱۵) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَ يَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أثلٍ وَ شِئٍ ءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (۱۶) ذَلِكُمْ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (۱۷) وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقَرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ

أَيَّاماً آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفَنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)

ص: ١٨٠

قرأ «مَسْكِينِهِمْ» على التوحيد بفتح الكاف حمزه و حفص و بكسر الكاف الكسائي و خلف و الباقون مساكنهم على الجمع وقرأ
أكل خمط مضاف غير منون أهل البصره وقرأ الباقون غير مضاف بالتثنية وقرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و يعقوب «وَهَلْ
نُجَازِي» بالنون و كسر الزاى «إِلَّا الْكُفُورَ» بالنصب و أدغم الكسائي اللام من هل فى النون و غيره لم يدغم و الباقون يجازى بالياء
و فتح الزاى و الكفور بالرفع وقرأ أبو عمرو و ابن كثير و هشام باعد بين أسفارنا بالتشديد على لفظ الأمر وقرأ يعقوب و سهل
ربنا بالضم باعد بالألف و فتح الباء و العين و الدال مخففة و هو قراءه محمد بن على الباقر (عليه السلام) و ابن عباس وقرأ
الباقون «رَبَّنَا» بالنصب «بَاعِدْ» بالألف على الدعاء و فى الشواذ قراءه ابن يعمر و محمد بن السميع «رَبَّنَا» بالنصب بعد بفتح الباء و
الدال و ضم العين بين أسفارنا بالرفع.

الحجه

قال أبو على من قرأ مساكنهم أتى باللفظ وفقا للمعنى لأن لكل ساكن مسكنا و من قرأ «مَسْكِينِهِمْ» فيشبه أن يكون جعل المسكن
مصدرا و حذف المضاف و التقدير فى مواضع سكناهم فلما جعل المسكن كالمسكنى و السكون أفرد كما يفرد المصدر و هذا
أشبه من أن تحمله على نحو:

"كلوا فى بعض بطنكم"

و على هذا قوله تعالى فى مَقْعَدِ صِدْقٍ أَى فى

موضع قعود ألا ترى أن لكل واحد من المتقين موضع قعود و الأشبه في الكاف الفتح لأن اسم المكان و المصدر من باب يفعل على المفعول و قد يشد على القياس نحو هذا كما جاء المسجد و سيبويه يحمله على اسم البيت و كذلك المطلع إلا أن أبا الحسن يقول إن المسكن إذا كسرتة لغه كثيره و هى لغه الناس اليوم و الفتح لغه أهل الحجاز فأما الإضافه فى «أَكُلِ خَمَطٍ» فإن أبا عبيده قال الخمط كل شجره مره ذات شوكة و الأكل الجنى فعلى هذا التفسير تحسن الإضافه و ذلك أن الأكل إذا كان الجنى فإن جنى كل شجره منه و غير الإضافه ليس فى حسن الإضافه لأن الخمط إنما هو اسم شجره و ليس بوصف فإذا لم يكن وصفا لم يجر على ما قبله كما يجرى الوصف على الموصوف و البديل ليس بالسهل أيضا لأنه ليس هو هو و لا بعضه لأن الجنى من الشجر و ليس الشجر من الجنى فيكون إجراؤه عليه على وجه العطف البيان كأنه بين أن الجنى لهذا الشجر و منه قال أبو الحسن الأ-حسن فى كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل دار آجر و ثوب خز قال فأكل خمط قراءه كثيره و ليست بجيده فى العرييه و حجه من قرأ «وَهَيْلٌ نُجَازِي» بالنون قوله «جَزَيْنَاهُمْ» و من قرأ يجازى على بناء الفعل للمفعول فإن المجازى أيضا هو الله تعالى و إنما خص الكفور بالجزاء لأن المؤمن قد يكفر عن سيئاته قال سبحانه وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ قَالَ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ و ليس كذلك الكافر فإنه يجازى بكل سوء يعمله و أما إدغام الكسائى اللام فى النون فجائز حكاه سيبويه و البيان أحسن و أما قوله «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» فذكر سيبويه أن فاعل و فعل يجيئان بمعنى كقولهم ضاعف و ضعف و قارب و قرب و اللفظان جميعا على معنى الطلب و الدعاء قال ابن جنى بين منصوب نصب المفعول به أى بعد و باعد مسافه أسفارنا و ليس نصبه على الظرف يدلك على ذلك قراءه من قرأ بعد بين أسفارنا كما تقول بعد مدى أسفارنا فرفعه دليل كونه اسما و عليه قوله:

كان رماحهم أشطان بثر بعيد بين جاليها جرور

أى بعيد مدى جاليها أو مسافه جاليها.

اللغه

العرم المسناه التى تحبس الماء واحدها عرمة أخذ من عرامه الماء و هى ذهابه كل مذهب قال الأعشى:

ففى ذاك للمؤتسى أسوه و مأرب قفى عليه العرم

ص: ١٨٢

رخام بنته له حمير إذا جاء مأوهم لم يرم

وقيل العرم اسم واد كان يجتمع فيه سيول من أوديه شتى وقيل العرم هنا اسم الجرد الذى نقب السكر عليهم وهو الذى يقال له الخلد وقيل العرم المطر الشديد.

الإعراب

«آيَةٌ» اسم كان. «جَنَّتَانٍ» رفع على أنه بدل من آيه ويجوز أن يكون خبرا لمبتداء محذوف كأنه قيل ما الآيه فقال الآيه جنتان و «عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ» صفة لجنتان وعلى هذا تقف على قوله «آيَةٌ» و تبتدئ بقوله «جَنَّتَانٍ». «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ» أى يقال كلوا من رزق ربكم منهما فحذف العائد من الصفة إلى الموصوف كما حذف القول. «بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ» تقديره هذه بلده طيبه والله رب غفور.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قصه سبيا بما دل على حسن عاقبه الشكور و سوء عاقبه الكفور فقال «لَقَدْ كَانَ لِسَيِّئًا» وهو أبو عرب اليمن كلها وقد تسمى به القبيله و فى الحديث

عن فروه بن مسيكة أنه قال سألت رسول الله ص عن سبيا أ رجل هو أم امرأه فقال هو رجل من العرب ولد له عشرة تيامن منهم ستة و تشاءم منهم أربعة فأما الذين تيامنوا فالأزد و كنده و مذحج و الأشعرون و أنمار و حمير فقال رجل من القوم ما أنمار قال الذين منهم خثعم و بجيله و أما الذين تشاءموا فعامله و جذام و نخم و غسان

فالمراد بسبيا هاهنا القبيله الذين هم أولاد سبيا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان «فِي مَسْكِنِهِمْ» أى فى بلدهم «آيَةٌ» أى حجه على وحدانيه الله عز اسمه و كمال قدرته و علامه على سبوغ نعمه ثم فسر سبحانه الآيه فقال «جَنَّتَانٍ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ» أى بستانين عن يمين من أتاها و شماله و قيل عن يمين البلد و شماله و قيل أنه لم يرد جنتين اثنتين و المراد كانت ديارهم على وتيره واحده إذا كانت البساتين عن يمينهم و شمالهم متصله بعضها ببعض و كان من كثره النعم أن المرأه كانت تمشى و المكتل على رأسها فيمتلى بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئا و قيل الآيه المذكوره هى أنه لم يكن فى قريتهم بعوضه و لا ذباب و لا برغوث و لا عقرب و لا حيه و كان الغريب إذا دخل بلدهم و فى ثيابه قمل و دواب ماتت عن ابن زيد و قيل إن المراد بالآيه خروج الأزهار و الثمار من الأشجار على اختلاف ألوانها و طعومها و قيل إنما كانت ثلاث عشره قريه فى كل قريه نبي يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ» أى كلوا مما رزقكم الله فى هذه الجنان و اشكروا له يزيدكم من نعمه و استغفروه يغفر لكم «بَلَدَةٌ

طَبِيَّةٌ» أى هذه بلده مخصبه نزهه أرضها عذبه تخرج النبات و ليست بسبخه و ليس فيها شىء من الهوام المؤذيه قيل أراد به صحه هواها و عذوبه مائها و سلامه تربتها و أنه ليس فيها حر يؤذى فى القيظ و لا برد يؤذى فى الشتاء «وَرَبُّ غَفُورٌ» أى كثير المغفره للذنوب «فَأَعْرَضُوا» عن الحق و لم يشكروا الله سبحانه و لم يقبلوا من دعاهم إلى الله من أنبيائه «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ» و ذلك أن الماء كان يأتى أرض سبأ من أوديه اليمن و كان هناك جبلان يجتمع ماء المطر و السيول بينهما فسدوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد بقدر الحاجه فكانوا يسقون زروعهم و بساتينهم فلما كذبوا رسلهم و تركوا أمر الله بعث الله جرذا نقتب ذلك الردم و فاض الماء عليهم فأغرقهم عن وهب و قد مر تفسير العرم و قال ابن الأعرابى العرم السيل الذى لا يطاق «وَبَدَّلْنَا هُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ» اللتين فيهما أنواع الفواكه و الخيرات «جَنَّتَيْنِ» أخرابين سماها جنتين لآزدواج الكلام كما قال و مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ «ذَوَاتِنِ أَكُلِ خَمَطٍ وَ أَثَلٍ» أى صاحبتى أكل و هو اسم لثمر كل شجره و ثمر الخمط البرير قال ابن عباس و الخمط هو الأراك و قيل هو شجر الغضا و قيل هو كل شجر له شوكة و الأثل الطرفاء عن ابن عباس و قيل ضرب من الخشب عن قتاده و قيل هو السممر «وَ شَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ» يعنى. أن الأثل و الخمط كانا أكثر فيهما من السدر و هو النبق قال قتاده كان شجرهم خير شجر فصيره الله شر شجر بسوء أعمالهم «ذَلِكَ» أى ما فعلنا بهم «جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا» أى بكفرهم «وَ هَلْ نُجَازِي» بهذا الجزاء «إِلَّا الْكُفُورَ» الذى يكفر نعم الله و قد استدل الخوارج بهذا على أن مرتكب الكبيره كافر و هذا الاستدلال غير سديد من حيث إنه سبحانه إنما بين بذلك أنه لا يجازى بهذا النوع من العذاب الذى هو الاستئصال إلا الكافر و يجوز أن يعذب الفاسق بغير ذلك العذاب و قيل إن معناه هل نجازى بجميع سيئاته إلا الكافر لأن المؤمن قد يكفر عنه بعض سيئاته و قيل إن المجازاه من التجازى و هو التقاضى أى لا يقتضى و لا يرتجع ما أعطى إلا الكافر و إنهم لما كفروا النعمه اقتضوا ما أعطوا أى ارتجع منهم عن أبى مسلم «وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً» أى و قد كان من قصتهم أننا جعلنا بينهم و بين قري الشام التى باركنا فيها بالماء و الشجر قري متواصله و كان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام و كانوا يبيتون بقريه و يقلون بأخرى حتى يرجعوا و كانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادى سبأ إلى الشام و معنى الظاهره أن الثانيه كانت ترى من الأولى لقربها منها «وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ» أى جعلنا السير من القريه إلى القريه مقداراً واحداً نصف يوم و قلنا لهم «سَيِّرُوا فِيهَا» أى فى تلك القري «لِيَالِي وَ أَيَّاماً» أى ليلا شتتم المسير أو نهارة «آمِنِينَ» من الجوع و العطش و التعب و من السباع و كل المخاوف و فى هذا إشاره إلى تكامل

نعمه عليهم فى السفر كما أنه كذلك فى الحضر ثم أخبر سبحانه أنهم بطروا و بغوا «فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» أى اجعل بيننا و بين الشام فلوأت و مفاوز لنركب إليها الرواحل و نقطع المنازل و هذا كما قالت بنو إسرائيل لما ملوا النعمة أخرج إلينا مما تنبت الأرض من بقلها بدلا من المن و السلوى «و ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بارتكاب المعاصى و الكفر «فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ» لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم و شأنهم و يضربون بهم المثل فيقولون تفرقوا أيادى سبأ إذا تشتتوا أعظم التشتت «و مَرَّفْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ» أى فرقناهم فى كل وجه من البلاد كل تفریق «إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ» أى دلالات «لِكُلِّ صَبَّارٍ» على الشدائد «شَكُورٍ» على النعماء و قيل لكل صبار عن المعاصى شكور للنعم بالطاعات.

[القصة]

عن الكلبى عن أبى صالح قال ألفت طريفه الكاهنه إلى عمرو بن عامر الذى يقال له مزيقياء بن ماء السماء و كانت قد رأت فى كهانتها أن سد مأرب سيخرب و أنه سيأتى سيل العرم فيخرب الجنتين فباع عمرو بن عامر أمواله و سار هو و قومه حتى انتهوا إلى مکه فأقاموا بها و ما حولها فأصابتهم الحمى و كانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى فدعوا طريفه فشكوا إليها الذى أصابهم فقالت لهم قد أصابنى الذى تشكون و هو مفرق بيننا قالوا فما ذا تأمرين قالت من كان منكم ذا هم بعيد و جمل شديد و مزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد و كانت أزد عمان ثم قالت من كان منكم ذا جلد و قسر و صبر على أزمت الدهر فعليه بالأراك من بطن مر و كانت خزاعه ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل و كانت الأوس و الخزرج ثم قالت من كان منكم يريد الخمر و الخمير و الملك و التأمير و ملابس التاج و الحرير فليلحق ببصرى و غوير و هما من أرض الشام و كان الذين سكنوها آل جفنه بن غسان ثم قالت من كان منكم يريد الثياب الرقاق و الخيل العتاق و كنوز الأرزاق و الدم المهرق فليلحق بأرض العراق و كان الذين سكنوها آل جذيمه الأبرش و من كان بالحيره و آل محرق.

[سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٠ إلى ٢٥]

إشارة

و لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) و ما كان له عليهم من سلطانٍ إلا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِى الْأَرْضِ وَ مَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَ مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) قُلْ مَنْ يُزِقُّكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤)

قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرْنَا وَ لَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥)

قرأ أهل الكوفه «صَدَّقَ» بتشديد الدال و الباقون بتخفيفها و قرأ يعقوب و سهل «صَدَّقَ» بالتشديد إبليس بالنصب ظنه بالرفع و قرأ أبو عمرو و أهل الكوفه غير عاصم إلا الأعشى و البرجمي أذن بضم الهمزه و الباقون بفتحها و قرأ ابن عامر و يعقوب فرع بفتح الفاء و الزاى و الباقون بضم الفاء و كسر الزاى و فى الشواذ قراءه الحسن بخلاف و قتاده فرع بفتح الفاء و الزاى و العين و التشديد و عن الحسن أيضا «فُزَّعَ» بضم الفاء و كسر الزاى و التشديد و عنه عن قتاده فرع بضم الفاء و كسر الزاى و التخفيف.

الحجه

قال أبو على معنى التخفيف فى صدق أنه صدق ظنه بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم و ذلك نحو قوله فَبِمَا أَغْوَيْنِنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ فهذا ظنه لأنه لم يقل ذلك عن يقين فظنه على هذا ينتصب انتصاب المفعول به و يجوز أن ينتصب انتصاب الظرف أى فى ظنه و قد يقال أصاب الظن و أخطأ الظن و قال الشاعر:

إن يك ظنى صادقا و هو صادق بشمله يحبسهم بها محبسا وعرا

فعداه إلى المفعول به و من قرأ بالتشديد نصب الظن على أنه مفعول به و من قرأ صدق عليهم إبليس بالنصب ظنه بالرفع فالمعنى أن إبليس كان سولت له نفسه شيئا فصدقه ظنه و من قرأ «إِلَّا لِمَنْ أَدْنَىٰ لَهُ» فالمعنى لمن أذن الله له أن يشفع و من قرأ أذن له فبنى الفعل للمفعول به فهو يريد هذا المعنى أيضا كما أن قوله «حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ» و فزع و هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ و هل يجازى إلا الكفور واحد فى المعنى و إن اختلفت الألفاظ.

اللغة

يقال صدقت زيدا و صدقته و كذبت و كذبتة و ينشد الأعشى:

" و صدقته و كذبتة و المرء ينفعه كذابه "

أبو عبيده فزع عن قلوبهم نفس عنه يقال فزع و فزع إذا أزيل الفزع عنها.

الإعراب

«لِنَعْلَمَ» قال الزجاج معناه ما امتحناهم فى إبليس إلا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم و هو الذى يجازون عليه. «لَا يَمْلِكُونَ» الأجود أن يكون جملة مستأنفة و يجوز أن يكون حالا و قوله «وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» تقديره و إنا لعلى هدى أو فى ضلال مبين و إنكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» الضمير فى عليهم يعود إلى أهل سبأ و قيل إلى الناس كلهم إلا من أطاع الله عن مجاهد و المعنى أن إبليس كان قال لأغوينهم و لأضلنهم و ما كان ذلك عن علم و تحقيق و إنما قاله ظنا فلما تابعه أهل الزيغ و الشرك صدق ظنه و حقيقه «فَاتَّبَعُوهُ» فيما دعاهم إليه «إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» من هنا للتبيين يعنى المؤمنين كلهم عن ابن عباس أى علموا قبح متابعتة فلم يتبعوه و اتبعوا أمر الله تعالى «وَ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ» أى و لم يكن لإبليس عليهم من سلطنه و لا ولايه يتمكن بها من إجبارهم على الغى و الضلال و إنما كان يمكنه الوسوسة فقط كما قال و ما كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي» «إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ» المعنى أنا لم نمكنه من إغوائهم و وسوستهم إلا لنميز بين من يقبل منه و من يمتنع و يأبى متابعتة فنعذب من تابعه و نثيب من خالفه فعبر عن التمييز بين الفريقين بالعلم و هذا التمييز متجدد لأنه لا يكون إلا بعد وقوع ما يستحقون به ذلك و أما العلم فبخلاف ذلك فإنه سبحانه كان عالما بأحوالهم و بما يكون منهم فيما لم يزل و قيل معناه لتعلم طاعاتهم موجوده أو معاصيهم إن عصوا فنجازيهم بحسبها لأنه سبحانه لا يجازى أحدا على ما يعلم من حاله إلا بعد أن يقع ذلك منه و قيل معناه لتعامله معاملته من كأنه لا يعلم و إنما يعمل ليعلم من يصدق بالآخرة و يعترف بها ممن يرتاب فيها أو يشك «وَ رَبُّكَ» يا محمد «عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ حَفِيظٌ» أى عالم لا يفوته علم شىء من أحوالهم ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أنهم آلهة وأنهم شركاء لله تعالى وأنهم شفعاؤكم و أنها تستحق الإلهية هل يستجيبون لكم إلى ما تسألونهم وهذا نوع توبيخ لا أمر ليعلموا أن أوثانهم لا تنفعهم ولا تضرهم «لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» أى لا يملكون زنه ذره من خير و شر و نفع و ضرر فيهما «وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا» أى و ليس لهم فى خلق السماوات و الأرض «مِنْ شِرْكَ» و نصيب «وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» أى ليس لله سبحانه منهم معاون على خلق السماوات و الأرض و لا على شىء من الأشياء «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» المعنى أنه لا تنفع الشفاعة عند الله تعالى إلا لمن رضيه الله و ارتضاه و أذن له فى الشفاعة مثل الملائكة و الأنبياء و الأولياء و يجوز أن يكن المعنى إلا لمن أذن الله فى أن يشفع له فيكون مثل قوله «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى» و إنما قال سبحانه ذلك لأن الكفار كانوا يقولون نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى و هؤلاء شفعاؤنا عند الله فحكم الله تعالى ببطلان اعتقاداتهم «حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» أى كشف الفزع عن قلوبهم و فرع كشف الله الفزع عن قلوبهم و اختلف فى الضمير فى قوله «قُلُوبِهِمْ» ف قيل يعود إلى المشركين الذين تقدم ذكرهم فيكون المعنى حتى إذا أخرج عن قلوبهم الفزع وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة «قَالُوا» أى قالت الملائكة لهم «مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا» أى قال هؤلاء المشركون مجيبين لهم «الْحَقُّ» أى قال الحق فيعترفون أن ما جاء به الرسل كان حقا عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد و قيل إن الضمير يعود إلى الملائكة ثم اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن الملائكة إذا صعدوا بأعمال العباد و لهم زجل و صوت عظيم فتحسب الملائكة أنها الساعة فيخرون سجدا و يفزعون فإذا علموا أنه ليس ذلك قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق (و ثانيها) أن الفتره لما كانت بين عيسى (عليه السلام) و محمد ص و بعث الله محمدا ص أنزل الله سبحانه جبرائيل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة أنه نزل بشىء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبرائيل يمر بكل سماء و يكشف عنهم الفزع فرفعوا رءوسهم و قال بعضهم لبعض ما ذا قال ربكم قالوا الحق يعنى الوحي عن مقاتل و الكلبي (و ثالثها) أن الله تعالى إذا أوحى إلى بعض ملائكته لحق الملائكة غشى عند سماع الوحي و يصعقون و يخرون سجدا للآيه العظيمه فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذى أوحى إليه ما ذا قال ربك أو يسأل بعضهم بعضا فيعلمون أن الأمر فى غيرهم عن ابن مسعود و اختاره الجبائي «وَهُوَ الْعَلِيُّ» أى السيد القادر المطاع و قيل العلى فى صفاته «الْكَبِيرُ» فى قدرته «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» فإنهم لا يمكنهم أن يقولوا ترزقنا آلهتنا التى نعبدها ثم عند

ذلك «قُلِ اللَّهُ» الذي يرزقكم «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» إنما قال ذلك على وجه الإنصاف في الحجاج دون الشك كما يقول القائل لغيره أهدنا كاذب و إن كان هو عالما بالكاذب و على هذا يقول أبو الأسود الدئلي يمدح أهل البيت (عليه السلام):

يقول الأردلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا

بنو عم النبي و أقربوه أحب الناس كلهم إليا

فإن يك حبهم رشدا أصبه و لست بمخطئ إن كان غيا

لم يقل هذا لكونه شاكا في محبتهم و قد أيقن أن محبتهم رشد و هدى و قيل إنه جمع بين الخبرين و فوض التمييز إلى العقول فكأنه قال أنا على هدى و أنتم على ضلال كقول امرئ القيس:

كان قلوب الطير رطبا و يابساً لدى و كرها العناب و الحشف البالي

فجمع بين القلوب الرطبة و اليابسه و جمع بين العناب و الحشف البالي و قيل إنما قاله على وجه الاستعطاف و المداراه لسمع الكلام و هذا من أحسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى و خصمه إلى الضلال لأنه كلام من لا يكشف خصمه بالتضليل بل ينسبه إليه على أحسن وجه و يحثه على النظر و لا يجب النظر إلا بعد التردد «قُلْ» يا محمد إذا لم ينقادوا للحججه «لَا تُسْأَلُونَ» أيها الكفار «عَمَّا أَجْرَمْنَا» أي اقترفنا من المعاصي «وَلَا تُسْأَلُ» نحن «عَمَّا تَعْمَلُونَ» أي تعملونه أنتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله و يجازى على فعله دون فعل غيره و في هذا دلالة على أن أحدا لا يجوز أن يؤخذ بذنب غيره.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشارة

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَ لَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)

ص: ١٨٩

«الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ» العائد من الصلته إلى الموصول محذوف و التقدير ألحقتموهم به و «شُرَكَاءَ» حال من هم المحذوف و «كَافَّةً» حال من الكاف في «أَرْسَلْنَاكَ» أى ما أرسلناك إلا تكفهم و تردعهم و قيل فى الكلام تقديم و تأخير أى و ما أرسلناك إلا للناس كافة و كافه كالعافيه و العاقبه و ما أشبه ذلك «بَشِيرًا» حال بعد حال و «نَذِيرًا» معطوف عليه.

المعنى

ثم أمر سبحانه أن يحاكمهم إلى الله لإعراضهم عن الحجة فقال «قُلْ» يا محمد «يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا» يوم القيامة «ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا» أى يحكم «بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتْاحُ» أى الحاكم «الْعَلِيمُ» بالحكم لا يخفى عليه شىء منه «قُلْ» يا محمد «أَرْوِنِي الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ شُرَكَاءَ» إنما ذكر هذا سبحانه على وجه التعظيم و التعجيب أى أرونى الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعبدونهم معه و هذا كالتوبيخ لهم فيما اعتقدوه من الإشراك مع الله كما يقول القائل لمن أفسد عملا أرنى ما عملته توبيخا له بما أفسده فإنهم سيفتضحون بذلك إذا أشاروا إلى الأصنام ثم قال سبحانه «كَلَّا» أى ليس كما تزعمون و قيل معناه ارتدعوا عن هذا المقال و تنبهوا من الغى و الضلال «بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ» أى القادر الذى لا يغالب «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله فكيف يكون له شريك ثم بين سبحانه نبوه نبيه ص فقال «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد بالرسالة التى حملناكها «إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ» أى عامه للناس كلهم العرب و العجم و سائر الأمم عن الجبائى و غيره و يؤيده

الحديث المروى عن ابن عباس عن النبى ص أعطيت خمسا و لا- أقول فخرا بعثت إلى الأحمر و الأسود و جعلت لى الأرض طهورا و مسجدا و أحل لى المغنم و لا يحل لأحد قبلى و نصرت بالرعب فهو يسير أمامى مسيره شهر و أعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتى يوم القيامة

و قيل معناه جامعا للناس بالإنذار و الدعوه و قيل كافاً للناس أى مانعا لهم عما هم عليه من الكفر و المعاصى بالأمر و النهى و الوعيد و الإنذار و الهاء للمبالغة عن أبى مسلم «بَشِيرًا» لهم بالجنة «وَ نَذِيرًا» بالنار «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» رسالتك لإعراضهم عن النظر فى معجزتك و قيل لا يعلمون ما لهم فى الآخرة فى اتباعك من الثواب و النعيم و ما عليهم فى مخالفتك من العذاب الأليم ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال «وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» الذى تعدوننا به «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما تقولونه يا معشر

المؤمنين ثم أمر سبحانه نبيه ص بإجابتهم فقال «قُلْ» يا محمد «لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ» أى ميقات يوم ينزل بكم ما وعدتم به وهو يوم القيامة وقيل يوم وفاتهم وقبض أرواحهم عن أبى مسلم «لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ» أى لا تتأخرون عن ذلك اليوم ولا تتقدمون عليه بأن يزداد فى آجالكم أو ينقص منها.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشاره

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا أ نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعِيدٍ إِذْ جَاءَكُمْ بَلٌ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَوْمِهِ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥)

الإعراب

«بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» فيه وجهان (أحدهما) أن يكون مكر مبتدأ وخبره محذوف أى مكركم فى الليل والنهار صدنا عن ذلك حين أمرتمونا أن نكفر بالله (والآخر) أن يكون فاعل فعل محذوف تقديره بل صدنا مكركم فى الليل والنهار والعرب تضيف الأحداث إلى الزمان على سبيل الاتساع فتقول صيام النهار وقيام الليل والمعنى أن الصيام فى النهار

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم

فوصف الليل بالنوم و هذا على حد قولك نهارك صائم و ليلك قائم.

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم فى القيامه فقال حكايه عنهم «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» و هم اليهود و قيل هم مشركو العرب و هو الأصح «لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ» أى لا نصدق بأنه من الله تعالى «وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» من أمر الآخره و قيل يعنون به التوراه و الإنجيل و ذلك أنه لما قال مؤمنوا أهل الكتاب أن صفه محمد ص فى كتابنا و هو نبى مبعوث كفر المشركون بكتابهم ثم قال «وَلَوْ تَرَى» يا محمد «إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى محبسون للحساب يوم القيامه «يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ» أى يرد بعضهم إلى بعض القول فى الجدل «يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا» و هم الأتباع «لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» و هم الأشراف و القاده «لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» مصدقين بتوحيد الله أى أنتم منعتمونا من الإيمان و المعنى لو لا دعاؤكم إيانا إلى الكفر لآمنا بالله فى الدنيا «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُّوا» أى قال المتبوعون للأتباع على طريق الإنكار «أَنْ نَحْنُ صِدْدُكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ» أى لم نصدكم نحن عن قبول الهدى «بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ» أى بل أنتم كفرتم و لم نحملكم على الكفر قهرا فكل واحد من الفريقين وركب الذنب على صاحبه و اتهمه و لم يصف واحد منهم الذنب إلى الله تعالى «وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» يعنى الأتباع للمتبعين «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أى مكركم فى الليل و النهار صدنا عن قبول الهدى «إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا» أى حين أمرتمونا أن نجحد وحدانيه الله تعالى و دعوتمونا إلى أن نجعل له شركاء فى العباده «وَ اسْتَبْرَأُوا النَّدَامَةَ» فيه وجهان (أحدهما) أن معناه أظهروا الندامه (و الآخر) أن المعنى أخفوها و قد فسر الأسرار فى بيت امرئ القيس:

تجاوزت أحراسا إليها و معشرا على حراسا لو يسرون مقتلى

على الوجهين فمن قال بالأول قال معناه أظهر المتبوعون الندامه على الإضلال و أظهر

الأتباع الندامه على الضلال وقيل معناه أقبل بعضهم على بعض يلومه و يظهر ندمه و من قال بالثاني قال معناه أخفوا الندامه فى أنفسهم خوف الفضيحه وقيل معناه أن الرؤساء أخفوا الندامه عن الأتباع «لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ» أى حين رأوا نزول العذاب بهم «وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا» قال ابن عباس غلوا بها فى النيران «هَيْلٌ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى لا يجوزون إلا بأعمالهم التى عملوها على قدر استحقاقهم «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ» أى من نبي مخوف بالله تعالى «إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا» أى جابرتها و أغنياؤها المتنعمون فيها «إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» و فى هذا بيان للنبي ص أن أهل قريته جروا على منهاج الأولين و إشاره إلى أنه كان أتباع الأنبياء فيما مضى الفقراء و أوساط الناس دون الأغنياء ثم بين سبحانه عله كفرهم بأن قال «وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا» أى افتخروا بأموالهم و أولادهم ظنا بأن الله سبحانه إنما خولهم المال و الولد كرامه لهم عنده فقالوا إذا رزقنا و حرمتهم فنحن أكرم منكم و أفضل عند الله تعالى فلا يعذبنا على كفرنا بكم و ذلك قوله «وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ» و لم يعلموا أن الأموال و الأولاد عطاء من الله تعالى يستحق به الشكر عليهم و ليس ذلك للإكرام و التفضل.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشاره

قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَ مَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أِهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)

ص: ١٩٣

قرأ حمزه وحده في الغرفة و الباكون «فِي الْغُرَفَاتِ» على الجمع و قرأ يعقوب جزاء بالنصب. الضعف بالرفع.

الحجج

حججه من قرأ الغرفة قوله تعالى أَوْلَيْكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا و في الجنه غرفات و غرف) غير أن العرب قد تجتري بالواحد عن الجمع إذا كان اسم الجنس قالوا أهلك الناس الدينار و الدرهم و من قرأ «أَوْلَيْكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ» فالتقدير فأولئك لهم الضعف جزاء في حال المجازاه فهو مصدر وضع موضع الحال أي مجزيين جزاء و يجوز أن يكون مفعولا له و أما إضافه جزاء إلى الضعف في القراءة المشهوره فهو على إضافته إلى المفعول.

الإعراب

«زُلْفَى» في موضع نصب على المصدر تقديره تقربكم قربه و تقريبا و قوله «إِلَّا مَنْ آمَنَ» الموصول و الصله في موضع نصب على البدل من الكاف و الميم في تقربكم و يجوز أن يكون نصبا على الاستثناء.

المعنى

لما حكى الله سبحانه عن الكفار أنهم قالوا ما نحن بمعذبين لأن الله تعالى أغنانا في الدنيا فلا يعذبنا في الآخرة قال رادا عليهم «قُلْ» يا محمد «إِنَّ رَبِّي» الذي خلقني «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ» على ما يعلمه من مصلحته و مصلحه غيره «وَيَقْدِرُ» أي و يضيق أيضا على حسب المصلحه فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفايه و القدر تضيقه عن قدر الكفايه «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ذلك بجهلهم بالله و بحكمته فيظنون أن كثره مال الإنسان يدل على كرامته عند الله تعالى ثم صرح بهذا المعنى فقال «و ما أموالكم» أي ليس أموالكم التي خولتموها «و لا أولادكم» التي رزقتموها «بِالَّتِي تَقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى» أي قربي عن مجاهد قال الأ-خفش أراد بالتي تقربكم عندنا تقريبا فلزفي اسم المصدر و قال الفراء التي يجوز أن يقع على الأموال و الأولاد و جاء الخبر بلفظ الواحده و أن دخل فيه الأخرى «إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا» معناه لكن من آمن بالله و عرفه و صدق نبيه ص و أطاعه فيما أمر به و انتهى عما نهاه عنه «فَأَوْلَيْكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا» أي يضاعف الله حسناتهم فيجزى بالحسنه الواحده عشرًا إلى ما زاد و الضعف اسم جنس يدل على الكثير و القليل و يجوز أن يكون الأموال و الأولاد تقرب إلى الله تعالى زلفى بأن يكسب المؤمن المال مستعينا به على القيام بحق التكليف و يستولد الولد كذلك فيقر بأنه عند الله زلفى فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا و لا- يكون بمعنى لكن و قيل أن جزاء الضعف أن يعطيهم في الآخرة مثل ما كان لهم في الدنيا من النعيم و الضعف المثل عن أبي مسلم

«وَهُمْ فِي الْعَرْفَاتِ» أى فى غرف الجنة و هى البيوت فوق الأبنية «آمِنُونَ» فيها لا يخافون شيئاً مما يخاف مثله فى دار الدنيا من الموت و الغير و الآفات و الأـحزان «وَالَّذِينَ يَسْتَعِينُونَ فِي آيَاتِنَا» أى يجتهدون فى إبطال آياتنا و تكذيبها «مُعَاجِزِينَ» لأنبيائنا و معجزين أى مثبتين غيرهم عن أفعال البر «أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ» مر تفسيره و إنما كرهه سبحانه لاختلاف الفائده فالأول توبيخ للكافرين و هم المخاطبون به و الثانى وعظ للمؤمنين فكأنه قال ليس إغناء الكفار و إعطاؤهم بدلاله على كرامتهم و سعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبه و إغناء المؤمنين يجوز أن يكون زياده فى سعادتهم بأن ينفقوها فى سبيل الله و يدل على ذلك قوله «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» أى و ما أخرجتم من أموالكم فى وجوه البر فإنه سبحانه يعطيكم خلفه و عوضه إما فى الدنيا بزياده النعمه و إما فى الآخرة بثواب الجنة يقال أخلف الله له و عليه إذا أبدل له ما ذهب عنه «وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» لأنه يعطى لمنافع عباده لا لدفع ضرر أو جر نفع لاستحاله المنافع و المضار عليه و قال الكلبي ما تصدقتم به فى خير فهو يخلفه أما أن يجعله لكم فى الدنيا أو يدخر لكم فى الآخرة و

روى أبو هريره عن النبي ص قال قال الله عز و جل لى أنفق أنفق عليك

و

روى أنس بن مالك عن النبي ص قال ينادى مناد كل ليله لدوا للموت و ينادى مناد ابنوا للخراب و ينادى مناد اللهم هب للمنفق خلفا و ينادى مناد اللهم هب للممسك تلفا و ينادى مناد ليت الناس لم يخلقوا و ينادى مناد ليتهم إذ خلقوا فكروا فيما له خلقوا

و

عن جابر عن النبي ص قال كل معروف صدقه و ما وقى به الرجل عرضه فهو صدقه و ما أنفق المؤمن من نفقه فعلى الله خلفها ضامنا إلا ما كان من نفقه فى بنية أو معصيه

و

عن أبى أمامه قال إنكم تؤولون هذه الآيه فى غير تأويلها «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» و قد سمعت رسول الله ص يقول و إلا فصمتا إياكم و السرف فى المال و النفقه و عليكم بالاعتصام فما افتقر قوم قط اقتصدوا

ثم قال سبحانه «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً» يعنى يوم القيامة يجمع العابدين لغير الله و المعبودين من الملائكه للحساب «ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ» إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ» أى كانوا يعبدونكم و يقصدونكم بالعباده و على هذا وجه التقرير و الاستشهاد للملائكه على اعتقادات الكفار حتى تبرا الملائكه منهم و من عبادتهم كما قال سبحانه. أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّيِ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنهم لما قالوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا بَيْنَ أَنْ دَعَوَاهُمْ مَرْدُودَةٌ وَ أَنَّهُمْ مَعْدُوبُونَ مَحْجُوجُونَ.

إشارة

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصِيدَ كُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِمَّا كَفَرْنَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ هَذَا وَإِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)

الإعراب

«بَيِّنَاتٍ» نصب على الحال و «آبَاؤُكُمْ» فاعل يعبد و اسم كان محذوف يفسره آباؤكم و التقدير عما كان آباؤكم يعبدون. «يَدْرُسُونَهَا» يجوز أن يكون في محل جر صفة لكتب و يجوز أن يكون في محل نصب على موضع الجار و المجرور لأن المعنى و ما آتيناهم كتباً مدرسه و «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» كيف خبر كان و نكير اسمه و النكير مصدر مثل عذير في قوله:

"عذير الحي من عدوان كانوا حيه الأرض".

المعنى

«قَالُوا» أى قالت الملائكة «سُبْحَانَكَ» أى تنزيها لك عن أن نعبد

سواك و نتخذ معبودا غيرك «أنت» يا الله «ولينا» أى ناصرنا و أولى بنا «من دُونِهِمْ» أى دون هؤلاء الكفار و دون كل أحد و ما كنا نرضى بعبادتهم إيانا مع علمنا بأنك ربنا و ربهم «بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» بطاعتهم إياهم فيما دعوهم إليه من عباده الملائكة و قيل المراد بالجن إبليس و ذريته و أعوانه و «أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ» أى مصدقون بالشیاطين مطيعون لهم ثم يقول الله سبحانه «فَالْيَوْمَ» يعنى فى الآخرة «لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ يَنْصُرُ» يعنى العابدين و المعبودين «نُفْعًا وَلَا ضَرًّا» أى نفعا بالشفاعة و لا ضرا بالتعذيب «وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» بأن عبدوا غير الله «ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ» أى لا تعترفون بها و تجحدونها ثم عاد سبحانه إلى الحكايه عن حال الكفار فى الدنيا فقال «وَإِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا» أى تقرأ عليهم حججنا «بَيِّنَاتٍ» أى واضحات من القرآن الذى أنزلناه على نبينا «قَالُوا» عند ذلك «ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ» أى يمنعكم «عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاءَهُمْ» فزعوا إلى تقليد الآباء لما أعوزتهم الحجه «وَقَالُوا ما هذا» القرآن «إِلَّا إِفْكٌ» أى كذب «مُفْتَرًى» قد تخرسه و افتراه «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ» أى للقرآن «لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا» أى ليس هذا «إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى ظاهر ثم أخبر سبحانه أنهم لم يقولوا ذلك عن بينه فقال «وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا» أى و ما أعطينا مشركى قريش كتابا قط يدرسونه فيعلمون بدرسه أن ما جئت به حق أو باطل و إنما يكذبونك بهوهم من غير حجه «وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ» أى رسول أمرهم بتكذيبك و أخبرهم ببطلان قولك يعنى أنهم لا يرجعون فى تكذيبك إلا إلى الجهل و العناد و اتباع الهوى ثم أخبر سبحانه عن عاقبه من كذب الرسل قبلهم تخويفا لهم فقال «وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» بمن بعث إليهم من الرسل و ما آتاهم الله من الكتب «وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ» أى و ما بلغ قومك يا محمد معشار ما أعطينا من قبلهم من القوه و كثره المال و طول العمر فأهلكهم الله عن ابن عباس و قتاده «فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» أى عقوبتى و تغييرى حالهم و قيل معناه أنظر فى آثارهم كيف كان إنكارى عليهم بالهلاك عن ابن مسلم و المراد أنا كما أهلكنا أولئك حين كذبوا رسلنا فليحذر هؤلاء مثل ما نزل بهم من الهلاك و الاستئصال.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

إشارة

قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ ثُمَّ تَذَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَاقِمَ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَ إِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)

ص: ١٩٧

«أَنْ تَقُومُوا» فى موضع جر على البدل من واحده و يجوز أن يكون فى موضع نصب بحذف حرف الجر و إفضاء الفعل إليه و التقدير أعظمكم بطاعه الله لأن تقوموا أو أعظمكم بأن تقوموا. «مَثْنَى وَفُرَادَى» نصب على الحال. «ما سَأَلْتُكُمْ» ما شرطيه و هى فى محل النصب بأنها مفعول ثان لسألت و يجوز أن تكون موصوله فىكون التقدير ما سألتكموه فىكون مع الصله فى موضع رفع بالابتداء. «عَلَّامُ الْغُيُوبِ» يجوز أن يكون بدلا من الضمير المستكن فى يقذف و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو علام الغيوب و لو نصب على أنه نعت لربى لكان جائزا لكن الرفع أجود لأنه جاء بعد تمام الكلام.

المعنى

ثم خاطب سبحانه النبى ص فقال «قُلْ» يا محمد لهم «إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدِهِ» أى آمركم و أوصيكم بخصله واحده و قيل بكلمه واحده و هى كلمه التوحيد و قيل بطاعه الله عن مجاهد و من قال بالأول قال أنه فسر الواحد بما بعده فقال «أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى» أى اثنين اثنين و واحدا واحدا «ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ» معناه أن يقوم الرجل منكم وحده أو مع غيره ثم تتساءلون هل جربنا على محمد كذبا أو هل رأينا به جنه ففى ذلك دلالة على بطلان ما ذكرتم فيه و ليس معنى القيام هنا القيام على الأرجل و إنما المراد به القصد للإصلاح و الإقبال عليه مناظرا مع غيره و متفكرا فى نفسه لأن الحق إنما يتبين للإنسان بهما و قد تم الكلام عند قوله «تَتَفَكَّرُوا» و ما للنفى قال قتاده أى ليس بمحمد ص جنون و أن جعلت تمام الكلام آخر الآية فالمعنى ثم تتفكروا أى شىء بصاحبكم من الجنون أى هل رأيتم من منشئه إلى مبعثه و صمه تنافى النبوه من كذب أو ضعف فى العقل أو اختلاف فى القول و الفعل فيدل ذلك على الجنون «إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ» أى مخوف من معاصى الله «بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» يعنى عذاب القيامة ثم قال للنبى ص «قُلْ» لهم يا محمد «ما

سَيَأْتِكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ» يعنى لا- أسألکم على تبليغ الرساله شيئاً من عرض الدنيا فتتهمونى فما طلبته منكم من أجر على أداء الرساله و بيان الشريعه فهو لكم و هذا كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصحه ما أعطيتنى من أجر فخذة و ما لى فى هذا فقد وهبته لك يريد ليس لى فيه شىء و منه النصح مجان و قال الماوردى معناه

أن أجر ما دعوتكم إليه من إجابتي و ذخره هو لكم دونى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

«إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ» أى ليس ثواب عملى إلا على الله فهو يثينى عليه و لا يضعيه «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» أى عليم به لم يغب عنه شىء فيعلم ما يلحقنى من أذاكم «قُلْ» يا محمد «إِنَّ رَبِّي يَمْزِفُ بِالْحَقِّ» و يلقيه إلى أنبيائه عن قتاده و مقاتل «عَلَّامُ الْغُيُوبِ» علم جميع الخفيات و ما غاب عن خلقه فى الأرضين و السموات «قُلْ» يا محمد «جَاءَ الْحَقُّ» و هو أمر الله تعالى بالإسلام و التوحيد و قيل هو الجهاد بالسيف عن ابن مسعود «وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ» أى ذهب الباطل ذهاباً لم يبق منه إبداء و لا إعادته و لا إقبال و لا إدبار لأن الحق إذا جاء لا يبقى للباطل بقيه و قيل أن الباطل إبليس لا يبدئ الخلق و لا يعيدهم عن قتاده و قيل معناه ما يبدئ الباطل لأهله خيراً فى الدنيا و لا يعيد خيراً فى الآخرة عن الحسن و قال الزجاج و يجوز أن يكون ما استفهما فى موضع نصب على معنى و أى شىء يبدئ الباطل و أى شىء يعيده

قال ابن مسعود دخل رسول الله ص مكة و حول البيت ثلاثمائة و ستون صنماً فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً «جاء الحق و ما يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ»

«قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ» عن الحق كما تدعون «فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي» أى فإنما يرجع وبال ضلالى على لأنى مأخوذ به دون غيرى «وَ إِنْ اهْتَدَيْتُ» إلى الحق «فَبِمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي» أى بفضل ربى حيث أوحى إلى فله المنه بذلك على دون خلقه «إِنَّهُ سَمِيعٌ» لأقوالنا «قَرِيبٌ» منا فلا يخفى عليه المحق و المبطل.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ٥١ الى ٥٤]

اشاره

وَ لَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَافُسُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَفْسِدُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤)

ص: ١٩٩

قرأ أبو عمرو و أهل الكوفه غير عاصم التناؤش بالمد و الهمز و الباقون بغير مد و لا همز.

الحجه

التناؤش التناول من قولهم نشت أنوش قال الشاعر:

فهى تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع أجواز الفلا

فمن لم يهمز جعله تفاعلا منه و من همز احتمل أمرين (أحدهما) أنه أبدل من الواو و الهمز لانضمامها مثل أقتت و أدور و نحو ذلك (و الآخر) يكون من الناش و هو الطلب قال رؤبه:

أقحمنى جار أبى الخاموش إليك ناش القدر المنتوش

و الناش الحركه فى الإبطاء قال الشاعر:

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى و قد حدثت بعد الأمور أمور

أى تمنى مده مديده فنصب نئيشا على الظرف.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَلَوْ تَرَىٰ» يا محمد «إِذْ فَرَعُوا» أى عند البعث «فَلَا قُوَّةَ» أى فلا يفوتنى منهم أحد و لا ينجو منى ظالم «وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ» يعنى القبور و حيث كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه و جواب لو محذوف و يدل الكلام عليه و التقدير لرأيت أمرا عظيما و قيل إذ فرعوا فى الدنيا حين رأوا بأس الله عند معابنه الملائكه لقبض أرواحهم عن قتاده و قيل هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فرارا من العذاب و لا رجوعا إلى التوبه عن الضحاك و السدى و

قال أبو حمزه الثمالى سمعت على بن الحسين (عليه السلام) و الحسن بن الحسن بن على (عليه السلام) يقولان هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم

قال و حدثنى عمرو بن مره و حمران بن أعين أنهما سمعا مهاجرا المكى

يقول سمعت أم سلمه تقول قال رسول الله ص يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله إليه جيشا حتى إذا كانوا بالبيداء بيداء المدينه خسف

بهم

و

روى عن حذيفه بن اليمان أن النبي ص ذكر فتنه تكون بين أهل المشرق و المغرب قال فيينا هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادى اليابس فى فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا إلى المشرق و آخر إلى المدينه حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينه الملعونه يعنى بغداد فيقتلون أكثر من ثلاثه آلاف و يفضحون أكثر من مائه امرأه و يقتلون بها ثلاثمائه كبش من بنى العباس ثم ينحدرون إلى الكوفه فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فيخرج رايه هدى من الكوفه فيلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا- يفلت منهم مخبر و يستنقذون ما فى أيديهم من السبى و الغنائم و يحل الجيش الثانى بالمدينه فينتهبونها ثلاثه أيام بلياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكه حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربه يخسف الله بهم عندها و لا يفلت منهم إلا رجلا من جهينه فلذلك جاء القول " و عند جهينه الخبر اليقين " فذلك قوله «وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا» إلى آخره أورده الثعلبى فى تفسيره و روى أصحابنا فى أحاديث المهدي عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أبى جعفر (عليه السلام) مثله

«وَقَالُوا» أى و يقولون فى ذلك الوقت و هو يوم القيامه أو عند رؤيه البأس أو عند الخسف فى حديث السفيناني «آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ» أى و من أين لهم الانتفاع بهذا الإيمان الذى ألجئوا إليه بين سبحانه أنهم لا ينالون به نفعا كما لا ينال أحد التناوش «مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» و قيل معناه أنهم طلبوا المرد إلى الدنيا فالمراد أنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال و لم يرد بعد المكان و إنما أراد بعد انتفاعهم بذلك و بعدهم عن الصواب «وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» المعنى و كيف تقبل توبتهم أو يردون إلى الدنيا و قد كفروا بالله من قبل ذلك «وَيَقْدُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» أى و يرجمون بالظن فيقولون لا جنه و لا نار و لا بعث و هذا أبعد ما يكون من الظن عن قتاده و قيل معناه يرمون محمدا ص بالظنون من غير يقين و ذلك قولهم هو ساحر و هو شاعر و هو مجنون و جعله قذفا لخروجه فى غير حق و قيل معناه و يبعدون أمر الآخره فيقولون لأتباعهم هيهات هيهات لما تواعدون و ذلك كالشئى يرى فى موضع بعيد المرمى «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» أى و فرق بينهم و بين مشتياتهم بالموت الذى حل بهم كما حل بأمثالهم عن أبى مسلم و قيل مشتياهم هو التوبه و الإيمان أو الرد إلى الدنيا و قد منعوا منه و قيل هو نعيم الجنه عن الجبائى و قيل معناه منعوا من كل مشتهى

ص: ٢٠١

فيلحق الله تعالى فيهم النفار فلا يدركون شيئاً إلا ويتألمون به «كَمَا فَعَلَ» مثل ذلك «بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ» أى بأمثالهم من الكفار و قيل معناه بموافقيهم و أهل دينهم من الأمم الماضيه حين لم تقبل منهم التوبه وقت رؤيه البأس و العذاب قال الضحاك المراد بذلك أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبه «إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ» من البعث و النشور و قيل فى شك من وقوع العذاب بهم «مُرِيْبٍ» أى مشكك كما قالوا عجب عجب.

(٣٥) سورة فاطر مكيه و آياتها خمس و أربعون (٤٥)

اشاره

[توضيح]

مكيه قال الحسن إلا آيتين «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ» الآية «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ» الآية.

عدد آياتها

ست و أربعون آيه شامى و المدنى الأخير و خمس فى الباقين

اختلافها

سبع آيات «الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» بصرى شامى «جَدِيدٌ» و «الْبَصِيرُ» و «النُّورُ» ثلاثهن غير البصرى «مَنْ فِي الْقُبُورِ» غير شامى «أَنْ تَزُولَا» بصرى «تَبْدِيلًا» بصرى شامى و المدنى الأخير

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الملائكه دعته يوم القيامه ثلاثه أبواب من الجنة أن أدخل من أى الأبواب شئت

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه السوره المتقدمه بالرد على أهل الشرك و الشك و العنود افتتح هذه السوره بذكر كمال قدرته و وحدانيته و دلائل التوحيد فقال:

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَ مَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِنِّي تُؤْفَكُونَ (٣) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥)

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و أبو جعفر غير الله بالجر و الباقون بالرفع.

الحجه

قال أبو على من قرأ غير الله بالجر جعله صفه على اللفظ و الخبر «يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» و من قرأ «غَيْرُ اللَّهِ» بالرفع احتمال وجوها (أحدها) أن يكون خبر المبتدأ (و الآخر) أن يكون صفه على الموضع و الخبر مضمر تقديره هل خالق غير الله فى الوجود أو العالم (و الثالث) أن يكون غير استثناء و الخبر مضمر كأنه قال هل من خالق إلا الله و يدل على جواز الاستثناء قوله ما مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ.

اللغه

الفطر الشق عن الشىء بإظهاره للحس و فاطر السموات خالقها.

الإعراب

«مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ» صفه لأجنحه معدوله عن اثنين اثنين و ثلاثه ثلاثه و أربعة أربعة. «ما يَفْتَحِ اللَّهُ» ما شرطيه فى محل النصب لكونها مفعول يفتح.

المعنى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى خالقهما مبتدئا على غير مثال سبق حمد سبحانه نفسه ليعلمنا كيف نحمده و ليبين لنا أن الحمد كله له «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» إلى الأنبياء بالرسالات و الوحي «أُولَى أَعْيُنِهِ مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ» تقدم تفسيرها و إنما جعلهم أولى أجنحه ليتمكنوا بها من العروج إلى السماء و من النزول إلى الأرض فمنهم من له جناحان و منهم من له ثلاثه أجنحه و منهم من له أربعة أجنحه عن قتاده قال و يزيد فيها ما يشاء و هو قوله «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» قال ابن عباس رأى رسول الله ص جبرائيل ليله المعراج و له ستمائه جناح و هذا اختيار الزجاج و الفراء و قيل أراد بقوله «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ»

حسن الصوت عن الزهري و ابن جريج و قيل هو الملاحه فى العينين عن قتاده و

روى أبو هريره عن النبى ص قال هو الوجه الحسن و الصوت الحسن و الشعر الحسن

«إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» لا شىء إلا و هو قادر عليه أو قادر على مثله ثم بين سبحانه أنعامه على خلقه فقال «ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» أى ما يأتيهم به من مطر أو عافيه أو أى نعمه شاء فإن أحدا لا يقدر على إمساكه «وَمَا يُمْسِكُ» من ذلك «فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ» أى فإن أحدا لا يقدر على إرساله و قيل معناه ما يرسل الله من رسول إلى عباده فى وقت دون وقت فلا مانع له لأن إرسال الرسول رحمه من الله كما قال «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» و ما يمسه فى زمان الفتره أو عمن يقترحه من الكفار فلا مرسل له عن الحسن و اللفظ محتمل للجميع «وَهُوَ الْعَزِيزُ» أى القادر الذى لا يعجز «الْحَكِيمُ» فى أفعاله أن أنعم و أن أمسك لأنه يفعل ما تقتضيه الحكمة ثم خاطب المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» الظاهره و الباطنه التى من جملتها أنه خلقكم و أوجدكم و أحياكم و أفدركم و شهاكم و خلق لكم أنواع الملاذ و المنافع «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» هذا استفهام تقرير لهم و معناه النفى ليقروا بأنه لا خالق إلا الله يرزق من السماء بالمطر و من الأرض بالنبات و هل يجوز إطلاق لفظ الخالق على غير الله سبحانه فيه و جهان (أحدهما) أنه لا تطلق هذه اللفظه على أحد سواه و إنما يوصف به غيره على جهة التقييد و إن جاز إطلاق لفظ الصانع و الفاعل نحوهما على غيره (و الآخر) أن المعنى لا خالق يرزق و يخلق الرزق إلا الله تعالى «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا معبود يستحق العباده سواه سبحانه «فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ» أى كيف تصرفون عن طريق الحق إلى الضلال و قيل معناه أنى يعدل بكم عن هذه الأدله التى أقمتموها لكم على التوحيد مع وضوحها ثم سلى سبحانه نبيه ص عن تكذيب قومه إياه فقال «وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ» يا محمد «فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ» وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» فيجازى من كذب رسله و ينصر من كذب من رسله ثم خاطب الخلق فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» من البعث و النشور و الجنه و النار و الجزاء و الحساب «حَقٌّ» صدق كائن لا محاله «فَلَا تُغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» فتغترون بملاذها و نعيمها و لا يخدعنكم حب الرياسه و طول البقاء فإن ذلك عن قليل نافد بائد و يبقى الوبال و الوزر «وَ لَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ» و هو الذى عادته أن يغر غيره و الدنيا و زينتها بهذه الصفه لأن الخلق يغترون بها و قيل أن الغرور الشيطان الذى هو إبليس عن الحسن و مجاهد.

اشاره

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (۶) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (۷) أَمْ مَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مَنْ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسِرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (۸) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (۹) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (۱۰)

القراءة

قرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء نفسك بالنصب و الباقون «فلا تذهب نفسك» و الوجه فيهما ظاهر.

الإعراب

حسرات مصدر فعل محذوف تقديره فلا تذهب نفسك تتحسر عليهم حسرات و جميعا نصب على الحال و العامل فيه ما يتعلق به اللام من لله «و مكر أولئك هو يبور» هو فصل بين المبتدأ و خبره.

المعنى

ثم أنه سبحانه حذرهم الشيطان فقال «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ» يدعوكم إلى ما فيه الهلاك و الخسر و يصرفكم عن أفعال الخير و البر و يدعوكم إلى الشر «فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» أى فعادوه و لا تتبعوه بأن تعملوا على وفق مراده و تدعنوا لانتقياده «إِنَّمَا يَدْعُوا

حِزْبُهُ» أى أتباعه و أوليائه و أصحابه «لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ» أى النار المسعرة و المعنى أنه لا سلطان له على المؤمنين و لكنه يدعو أتباعه إلى ما يستحقون به النار ثم بين سبحانه حال من أجابه و حال من خالفه فقال «الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» جزاء على كفرهم «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» من الله لذنوبهم «وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ» أى ثواب عظيم ثم قال سبحانه مقررًا لهم «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسِينًا» يعنى الكفار زينت لهم نفوسهم أعمالهم السيئه فتصوروها حسنه أو زينها الشيطان لهم بأن أعمالهم إلى الشبه المضله و ترك النظر فى الأدله و أغواهم حتى تشاغلوا بما فيه عاجل اللذنه و طرح الكلفه و خبر قوله «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ» محذوف أى أ هو كمن علم الحسن و القبيح و عمل بما علم و لم يزين له سوء عمله و قيل تقديره كمن هداه الله و قيل كمن زين له صالح عمله «فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» مر بيانه «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسِيرَاتٍ» أى لا تهلك نفسك يا محمد عليهم حسره و لا يغمك حالهم إذ كفروا و استحقوا العقاب و هو مثل قوله «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» و الحسره شدة الحزن على ما فات من الأمر «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» فيجازيهم عليه ثم عاد سبحانه إلى ذكر أدله التوحيد فقال «وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا» أى تهيجه و تزعجه من حيث هو «فَسُدِّقْنَاهُ» أى فسقنا السحاب «إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ» أى قحط و جذب لم يمطر فيمطر على ذلك البلد «فَأَحْيَيْنَاهُ» أى بذلك المطر و الماء «الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» بأن أنبتنا فيها الزرع و الكلاً بعد أن لم يكن «كَذَلِكَ النُّشُورُ» أى كما فعل هذا بهذه الأرض الجدبه من إحيائها بالزرع و النبات ينشر الخلائق بعد موتهم و يحشرهم للجزاء من الثواب و العقاب «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» اختلف فى معناه فقيل المعنى من كان يريد علم العزه و هى القدره على القهر و الغلبه لمن هى فإنها لله جميعا عن الفراء و قيل معناه من أراد العزه فليتعزز بطاعه الله فإن الله تعالى يعزه عن قتاده يعنى أن قوله «فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» معناه الدعاء إلى طاعه من له العزه كما يقال من أراد المال فالمال لفلان أى فليطلبه من عنده يدل على صحه هذا ما رواه

أنس عن النبى ص أنه قال أن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز

«إِلَيْهِ يَصِيءُ عَدُوُّ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» و الكلم جمع الكلمه يقال هذا كلم و هذه كلم فيذكر و يؤنث و كل جمع ليس بينه و بين واحده إلا الهاء يجوز فيه التذكير و التأنيث و معنى الصعود هاهنا القبول من صاحبه و الإثابه عليه و كلما يتقبله الله سبحانه من الطاعات يوصف بالرفع و الصعود لأن الملائكه يكتبون أعمال بنى آدم و يرفعونها إلى حيث شاء الله تعالى و هذا كقوله إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ و قيل معنى إليه يصعد إلى سمائه و إلى حيث لا يملك الحكم

سواه فجعل صعوده إلى سمائه صعوداً إليه تعالى كما يقال ارتفع أمرهم إلى السلطان و الكلم الطيب الكلمات الحسنه من التعظيم و التقديس و أحسن الكلم لا إله إلا الله «و الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» قيل فيه وجوه (أحدها) العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله فالهاء من يرفعه يعود إلى الكلم و هو معنى قول الحسن (و الثانى) على القلب من الأول أى و العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب و المعنى أن العمل الصالح لا ينفع إلا إذا صدر عن التوحيد عن ابن عباس (و الثالث) أن المعنى العمل الصالح يرفعه الله لصاحبه أى يقبله عن قتاده و على هذا فيكون ابتداء إخبار لا- يتعلق بما قبله ثم ذكر سبحانه من لا- يوحد الله سبحانه فقال «و الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ» أى يعملون السيئات عن الكلبي و قيل يمكرون أن يشركون بالله و قيل يعنى الذين مكروا برسول الله ص فى دار الندوه عن أبى العالبيه و هو قوله و إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْآيَةَ «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» فى الآخره ثم أخبر سبحانه أن مكروهم يبطل فقال «و مَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُبْوَرُ» أى يفسد و يهلك و لا يكون شيئاً و لا ينفذ فيما أرادوه.

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ١١ الى ١٧]

إشاره

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا و مَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى و لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ و مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ و لَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١) و مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ و هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ و مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا و تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيهٖ تَلْبَسُونَهَا و تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ و لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ و يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ و سَخَّرَ الشَّمْسَ و الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ و الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ و لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ و يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ و لَا يُبْبِكُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ و اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ و يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) و مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)

القراءة

قرأ روح و زيد عن يعقوب و لا ينقص بفتح الياء و هو قراءة الحسن و ابن سيرين و الباقون «وَلَا يُنْقَصُ» على البناء للمفعول به و قرأ قتيبه عن الكسائي و الذين يدعون بالياء و الباقون بالتاء و فى الشواذ قراءة عيسى الثقفى سيغ شرايه.

الحجه

من قرأ ينقص فالتقدير و لا- ينقص الله من عمره و القراءة المشهوره «وَلَا يُنْقَصُ» و هى أوفق لما تقدمه من قوله «وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ» و كذلك قراءة «تَدْعُونَ» على الخطاب أوفق بما تقدم من الكلام و ما تأخر و يدعون بالياء على الغيبه و من قرأ سيغ شرايه فإنه على التخفيف من سيغ بالتشديد على فيعل و أصله سيوغ مثل هين و هين و ميت و ميت.

اللغه

النطفه الماء القليل و الماء الكثير و هو من الأضداد و منه

قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لما قيل له أن الخوارج عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفه

و العمر البقاء و أصله طول المده و قولهم لعمر الله بالفتح لا- غير و القظمير لفافه النواه و قيل الحبه فى بطن النواه و الجديد القريب العهد بانقطاع العمل عنه و أصله من القطع.

الإعراب

«لَا يُنْقَصُ» تقديره لا ينقص من عمره شىء فمفعول ما لم يسم فاعله محذوف و قوله «إِلَّا فِي كِتَابٍ» الجار و المجرور فى موضع خبر لمبتداء محذوف تقديره إلا- هو كائن فى كتاب. «تَلْبَسُونَهَا» يجوز أن يكون جمله منصوبه الموضع على الحال من «تَسْتَخْرِجُونَ» و يجوز أن يكون صفه لحليه أى حليه ملبوسه و اللام من قوله «لِتَبْتَغُوا» يتعلق بمواخر لأن المعنى أن الفلك يشق الماء للابتغاء من فضل الله و قوله «مِنْ دُونِهِ» فى موضع الحال من الضمير المحذوف من قوله «تَدْعُونَ» و التقدير و الذين تدعونهم كائين من دونه.

المعنى

ثم نسق سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد فقال «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» بأن خلق أباكم آدم منه فإن الشىء يضاف إلى أصله و قيل أراد به آدم (عليه السلام) نفسه «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» أى ماء الرجل و المرأه «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» أى ذكورا و إناثا و قيل ضربا

و أصنافا «و ما تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» أى و ما تحصل من الإناث حامله ولدها فى بطنها إلا بعلم الله تعالى و المعنى إلا و هو عالم بذلك «وَ مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ» معناه و ما يمد فى عمر معمر أى و لا يطول عمر أحد «وَ لَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ» أى من عمر ذلك المعمر بانقضاء الأوقات عليه عن أبى مالك يعنى و لا يذهب بعض عمره بمضى الليل و النهار و قيل معناه و لا ينقص من عمر غير ذلك المعمر عن الحسن و الضحاك و ابن زيد و قيل هو ما يعلمه الله تعالى إن فلانا لو أطاع لبقى إلى وقت كذا و إذا عصى نقص عمره فلا- يبقى فالنقصان على ثلاثة أوجه إما أن يكون من عمر المعمر أو من عمر معمر آخر أو يكون بشرط «إِلَّا فِي كِتَابٍ» أى إلا و ذلك مثبت فى الكتاب و هو الكتاب المحفوظ أثبتته الله تعالى قبل كونه قال سعيد بن جبير مكتوب فى أم الكتاب عمر فلان كذا سنة ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى يأتى على آخر عمره «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» يعنى أن تعمير من يعمره و نقصان من ينقصه و إثبات ذلك فى الكتاب سهل على الله تعالى غير متعذر ثم قال «وَ مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ» يعنى العذب و المالح ثم ذكرهما فقال «هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ» أى طيب بارد «سَائِغٌ شَرَابُهُ» أى جائز فى الحلق هنىء «وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ» شديد الملوحة عن ابن عباس و ما بعد هذا مفسر فى سورة النحل إلى آخر الآيه «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» أى يدخل أحدهما فى الآخر بالزيادة و النقصان «وَ سَيَخْرُ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ» أى يجريهما كما يريد «كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى» أى لوقت معلوم و قد مضى تفسيره «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ» أى مدبر هذه الأمور هو الله خالقكم «لَهُ الْمُلْكُ» فى الدنيا و الآخرة «وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» أى تدعونهم آلهه من الأصنام و الأوثان و توجهون عبادتكم إليهم و «مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ» أى قشر نواه عن ابن عباس أى لا- يقدرون من ذلك على قليل و لا- كثير «إِنْ تَدْعُوهُمْ» لكشف ضر «لا- يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ» لأنها جماد لا تنفع و لا تضر «وَ لَوْ سَمِعُوا» بأن يخلق الله لها سمعا «مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ» أى يتبرءون عن عبادتكم ينطقهم الله يوم القيامة لتوبيخ عابديها فيقولون لم عبدتمونا و ما دعوناكم إلى ذلك قال البلخي و يجوز أن يكون المراد به الملائكة و عيسى و يكون معنى قوله «لا- يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ» أنهم بحيث لا يسمعون أو أنهم مشغولون عنهم لا يلتفتون إليهم و يجوز أن يكون المراد به الأصنام و يكون ما يظهر من بطلان ما ظنوه كفرا بشركهم و جحودا له كما أن ما يحصل فى الجماد من الدلاله على الله تسييح منهم «وَ لَا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» أى لا يخبرك بما فيه الصلاح و الفساد و المنافع و المضار مثل الله سبحانه العليم بالأشياء كلها «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ» المحتاجون «إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ»

عن عبادتكم لا يحتاج إلى شيء «الْحَمِيدُ» المستحق للحمد على جميع أفعاله فلا يفعل إلا ما يستحق به حمدا ثم أخبر عن كمال قدرته فقال «إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبِكُمْ» و يفنكم «وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» سواكم كما خلقكم و لم تكونوا شيئا «وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ» أى ممتنع بل هو عليه هين يسير.

[سوره فاطر (۳۵): الآيات ۱۸ الى ۲۶]

اشاره

وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ مَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (۱۸) وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ الْبَصِيرُ (۱۹) وَ لَا الظُّلُمَاتُ وَ لَا النُّورُ (۲۰) وَ لَا الظُّلُّ وَ لَا الْحُرُورُ (۲۱) وَ مَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَ لَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (۲۲)

إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (۲۳) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (۲۴) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (۲۵) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (۲۶)

اللغه

الحرور السموم و هى الريح الحاره قال الفراء السموم لا يكون إلا بالنهار و الحرور يكون بالليل و النهار و الاستواء حصول أحد الشيتين على مقدار الآخر و منه الاستواء فى العود و الطريق خلاف الاعوجاج لمره على مقدار وضع له من غير انعدال و الأسماع إيجاد المسموع بحيث يدركه السامع.

ثم أخبر سبحانه عن عدله فى حكمه فقال «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أى لا تحمل نفس حامله حمل نفس أخرى أى لا يؤخذ أحد بذنب غيره وإنما يؤخذ كل بما يقترفه من الآثام «وَأِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا» أى وأن تدع نفس مثقله بالآثام غيرها إلى أن يتحمل عنها شيئاً من إثمها «لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ» أى لا يحمل غيرها شيئاً من ذلك الحمل «وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» أى ولو كان المدعو إلى التحمل ذا قرابه منها وأقرب الناس إليها ما حمل عنها شيئاً فكل نفس بما كسبت رهينه قال ابن عباس يقول الأب والأم يا بنى احمل عنى فيقول حسبى ما على «إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ» أى وهم غائبون عن أحكام الآخرة وأهوالها وهذا كقوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا» والمعنى إن إنذارك لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الإنذار وقيل الذين يخشون ربهم فى خلواتهم وغيبتهم عن الخلق «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» أى أداموها وقاموا بشرائطها وإنما عطف الماضى على المستقبل إشعاراً باختلاف المعنى لأن الخشية لازمه فى كل وقت والصلاة لها أوقات مخصوصه «وَمَنْ تَزَكَّىٰ» أى فعل الطاعات وقام بما يجب عليه من الزكاه وغيرها من الواجبات وقيل تطهر من الآثام «فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ» لأن جزاء ذلك يصل إليه دون غيره «وَأِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ» أى مرجع الخلق كلهم إلى حيث لا يملك الحكم إلا الله سبحانه فيجازى كلا على قدر عمله «وَمَا يَشْتَرِي الْأَعْمَىٰ وَبُصِيرٌ» أى لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق والذى اهتدى إليه قط وقيل المشرك والمؤمن «وَلَا الظُّلُمَاتُ» أى ظلمات الشرك والضلال «وَلَا النُّورُ» أى نور الإيمان والهدايه وفى قوله «وَلَا النُّورُ» وما بعده من الزيادة لا قولان (أحدهما) أنها زائده مؤكده للنفى (والثانى) إنها نافية لاستواء كل واحد منهما لصاحبه على التفصيل «وَلَا الظُّلُّ» و«لَا الْحُرُورُ» يعنى الجنه والنار عن الكلبى وقيل يعنى ظل الليل والسموم بالنهار «وَمَا يَشْتَرِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ» يعنى المؤمنين والكافرين وقيل يعنى العلماء والجهال وقال بعضهم أراد نفس الأعمى والبصير والظل والحرور والظلمات والنور على طريق ضرب المثل أى كما لا- يستوى هذه الأشياء ولا- يتمثل ولا يتشاكل فكذلك عباده الله لا تشبه عباده غيره ولا يستوى المؤمن والكافر والحق والباطل والعالم والجاهل «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ» أى ينفع بالأسماع من يشاء أن يلطف له ويوفقه ولم يرد به نفى حقيقه السماع لأنهم كانوا يسمعون آيات الله «وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ» أى إنك لا تقدر على أن تنفع الكفار بإسماعك إياهم إذ لم يقبلوا كما لا تسمع من فى القبور من الأموات «إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» أى ما أنت إلا مخوف لهم بالله «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ» أى بالدين الصحيح «بَشِيرًا وَنَذِيرًا» أى مبشراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين

«وَإِنْ مِنْ أُمَّهِ» أى و ما من أمه من الأمم الماضيه «إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» أى مضى فيها مخوف يخوفهم و يندرهم فانت مثلهم نذير لمن جحد بشير لمن وحد قال الجبائى و فى هذا دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلا و قد بعث إليه الرسول و إنه سبحانه أقام الحجة على جميع الأمم ثم قال تعالى تسليه لنييه ص «وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ» يا محمد و لم يصدقوك «فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الكفار أنبياء أرسلهم الله إليهم «جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات البهرات و الحجج الواضحات «وَ بِالزُّبُرِ» أى و بالكتب «وَ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ» أى الواضح البين و إنما كرر ذكر الكتاب و عطفه على الزير لاختلاف الصفتين فإن الزبور أثبت فى الكتاب من الكتاب لأنه يكون منقرا منقشا فيه كالنقر فى الحجر «ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» أى فلما كذبوا رسلهم و لم يعترفوا بنبوتهم أخذتهم بالعذاب و أهلكتهم و دمرت عليهم فكيف كان تعبيرى و إنكارى عليهم و إنزالى العقاب بهم.

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ٢٧ الى ٣٠]

إشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)

اللغه

واحد الجدد جده و أما الجدد فجمع جديد قال المبرد الجدد الطرائق و الخطوط قال امرؤ القيس:

ص: ٢١٣

كان سراته و جده متنه كئائن يجرى بينهن دليص

يعنى الخطه السوداء فى ظهر حمار الوحش و كل طريقه جده و جاده و قال الفراء هى الطرائق تكون فى الجبال كالعروق بيض و سود و حمر و الغريب الشديد السواد الذى يشبه لون الغراب.

الإعراب

«مُخْتَلِفًا» صفة لثمرات و «أَلْوَانُهَا» مرفوع بأنه فاعله «مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ» خبر مبتدأ محذوف تقديره ما هو مختلف ألوانه فالهاء فى ألوانه عائد إلى هو و يجوز أن يكون الهاء عائدا إلى موصوف لمختلف تقديره جنس مختلف ألوانه و هو الأصح «سِرًّا وَ عَلَانِيَةً» يجوز أن يكون نصبهما على الحال على تقدير أنفقوا مسرين و معلنين و يجوز أن يكون على صفة مصدر أنفق تقديره أنفقوا إنفاقا مسرا و معلنا و «يَرْجُونَ» فى موضع نصب على الحال.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر دلائل التوحيد فقال سبحانه «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فَأَخْرَجْنَا» أخبر عن نفسه بنون الكبرياء و العظمة «بِهِ» أى بذلك الماء «ثَمَرَاتٍ» جمع ثمره و هى ما تجتنى من الشجر «مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا» و طعومها و روائحها اقتصر على ذكر الألوان لأنها أظهر و لدلاله الكلام على الطعوم و الروائح «وَ مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ» أى و مما خلقنا من الجبال جدد «بَيْضٌ وَ حُمْرٌ» أى طرق بيض و طرق حمر «مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبٌ سُودٌ» أى و من الجبال غرابيب سود على لون واحد لا خطط فيها قال الفراء و هذا على التقديم و التأخير تقديره و سود غرابيب لأنه يقال أسود غرابيب و أسود حالك و أقول ينبغى أن يكون سود عطف بيان يبين غرابيب به و الأجود أن يكون تأكيدا إذ الغرابيب لا تكون إلا سودا فيكون كقولك رأيت زيدا زيدا و هذا أولى من أن يحمل على التقديم و التأخير «وَ مِنَ النَّاسِ» أيضا «وَ الدَّوَابِّ» التى تدب على وجه الأرض «وَ الْأَنْعَامِ» كالإبل و الغنم و البقر خلق «مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ» أى كاختلاف الثمرات و الجبال و تم الكلام ثم قال «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» أى ليس يخاف الله حق خوفه و لا يحذر معاصيه خوفا من نعمته إلا العلماء الذين يعرفونه حق معرفته و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال يعنى بالعلماء من صدق قوله فعله و من لم يصدق فعله قوله فليس بعالم

و عن ابن عباس قال يريد إنما يخافنى من خلقى من علم جبروتى و عزتى و سلطانى و

فى الحديث أعلمكم بالله أخوفكم لله

قال مسروق كفى بالمرء علما أن يخشى الله و كفى بالمرء

جهلاً أن يعجب بعلمه و إنما خص سبحانه العلماء بالخشية لأن العالم أخطر لعقاب الله من الجاهل حيث يختص بمعرفة التوحيد والعدل و يصدق بالبعث و الحساب و الجنه و النار و متى قيل فقد نرى من العلماء من لا يخاف الله و يرتكب المعاصي (فالجواب) أنه لا بد من أن يخافه مع العلم به و إن كان يؤثر المعصية عند غلبه الشهوة لعاجل اللذة «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى «عَزِيزٌ» فِي انتقامه من أعدائه «غَفُورٌ» لزللات أوليائه ثم وصف سبحانه العلماء فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ» أى يقرءون القرآن فى الصلاة و غيرها أثنى سبحانه عليهم بقرءه القرآن قال مطرف بن عبد الله الشخير هذه آية القراء «وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» أى ملكناهم التصرف فيه «سِرًّا وَ عَلَانِيَةً» أى فى حال سرهم و فى حال علانيتهم و

عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى قال قام رجل إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله ما لى لا أحب الموت قال ألك مال قال نعم قال فقدمه قال لا أستطيع قال فإن قلب الرجل مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به و إن أخره أحب أن يتأخر معه

«يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ» أى راجين بذلك تجارته لن تكسد و لن تفسد و لن تهلك «لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ» أى قصدوا بأعمالهم الصالحة و فعلوها لأن يؤفقيهم الله أجورهم بالثواب «وَ يَزِيدَهُمْ» على قدر استحقاقهم «مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ» لذنوبهم «شَكُورٌ» لحسناتهم عن الزجاج و قال الفراء خبر إن قوله «يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ» و

روى ابن مسعود عن النبي ص أنه قال فى قوله «وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ»

هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفًا فى الدنيا

و عن الضحاك قال يفسح لهم فى قبورهم و قيل معنى شكور أنه يقبل اليسير و يثيب عليه الكثير تقول العرب أشكر من بروقه و تزعم أنها شجرة عاربه من الورق تغيم السماء فوقها فتخضر و تورق من غير مطر.

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشارة

وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْذَنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِبَاسٍ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)

قرأ أبو عمرو ويدخلونها بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله «يُحْلَوْنَ» و الباقون بفتح الياء لأنهم إذا أدخلوا فقد دخلوا و قد ذكرنا اختلافهم فى «لُؤْلُؤًا» فى سورة الحج.

المقامه الإقامه و موضع الإقامه و إذا فتحت الميم كان بمعنى القيام و موضع القيام قال الشاعر:

يومان يوم مقامات و أنديه و يوم سير إلى الأعداء تأويب

و النصب التعب و فيه لغتان النصب و النصب لغتان كالرشد و الرشد و الحزن و الحزن و اللغوب الإعياء من التعب.

«مِنَ الْكِتَابِ» فى موضع الحال من الضمير المنصوب المحذوف من الصله و التقدير و الذى أوحيناه إليك كائنا من الكتاب «جَنَاتٌ عَيْدُنٍ يَدْخُلُونَهَا» خبر مبتدأ محذوف و يجوز أن يكون بدلا من قوله «الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» «يَدْخُلُونَهَا» فى موضع نصب على الحال و كذلك «يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ» من يتعلق بيحلون «مِنْ ذَهَبٍ» فى موضع الصفه لأساور أى أساور كائنه من ذهب و المعنى ذهبه «لَا يَمَسُّنَا» فى موضع نصب على الحال.

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» يا محمد و أنزلناه «مِنَ الْكِتَابِ» و هو القرآن «هُوَ الْحَقُّ» أى الصحيح الذى لا يشوبه فساد و الصدق الذى لا يمازجه كذب و العقل يدعو إلى الحق و يصرف عن الباطل «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أى لما قبله من الكتب لأنه جاء موافقا لما بشرت به تلك الكتب من حاله و حال من أتى به «إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ» أى عالم «بَصِيرٌ» بأحوالهم «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ» يعنى القرآن و قيل

هو التوراه عن أبي مسلم وقيل أراد الكتب لأن الكتاب يطلق ويراد به الجنس عن الجبائي والصحيح الأول لأن ظاهر لفظ الكتاب لا يطلق إلا على القرآن «الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» أى اخترناهم ومعنى الإرث انتهاء الحكم إليهم ومصيره لهم كما قال وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَوْرَثْنَاكُمْ الْإِيمَانَ بِالْكَتَابِ السَّالِفِ إِذِ الْمِيرَاثُ انْتِقَالُ الشَّيْءِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَاخْتَلَفَ فِي الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ فِي الْآيَةِ فَقِيلَ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَكُتِبَ عَنِ الْجَبَائِي وَقِيلَ هُمُ الْمَصْطَفُونَ الدَّاخِلُونَ فِي قَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ إِلَى قَوْلِهِ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ يَرِيدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَرِثُونَ الْكُتُبَ بَلْ يَوْرَثُ عِلْمَهُمْ وَقِيلَ هُمُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ص أَوْرَثَهُمُ اللَّهُ كُلَّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ هُمُ عُلَمَاءُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ص لِمَا وَرَدَ فِي

الحديث العلماء ورثة الأنبياء

والمروى

عن الباقر والصادق (عليه السلام) أنهما قالاهما لنا خاصة وإيانا عنى

وهذا أقرب الأقوال لأنهم أحق الناس بوصف الاصطفاء والاجتباء وإيراث علم الأنبياء إذ هم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه والعارفون بجلالته ودقائقه «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ» اختلف فى أن الضمير فى منهم إلى من يعود على قولين (أحدهما) أنه يعود إلى العباد وتقدير الكلام فمن العباد ظالم وروى نحو ذلك عن ابن عباس والحسن وقواده واختاره المرتضى قدس الله روحه من أصحابنا قال والوجه فيه أنه لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده بين عقيبه أنه إنما علق وراثته الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن فيهم من هو ظالم لنفسه ومن هو مقتصد ومن هو سابق بالخيرات (و القول الثانى) أن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد عن أكثر المفسرين ثم اختلف فى أحوال الفرق الثلاث على قولين (أحدهما) إن جميعهم ناج و يؤيد ذلك ما ورد فى

الحديث عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله ص يقول فى الآيه أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب و أما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا و أما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ»

و عن عائشه أنها قالت كلهم فى الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ص و شهد له رسول الله ص بالجنة و أما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم و أما الظالم فمثلى و مثلكم و روى عنها أيضا أنها قالت السابق الذى أسلم قبل الهجرة و المقتصد الذى أسلم بعد الهجرة و الظالم نحن و روى عن عمر بن الخطاب أنه قال سابقنا سابق و مقتصدنا ناج و ظالمنا مغفور له و قيل إن الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه و المقتصد الذى استوى ظاهره و باطنه و السابق الذى باطنه خير من ظاهره و قيل منهم ظالم لنفسه بالصغائر و منهم مقتصد بالطاعات فى الدرجة الوسطى و منهم سابق بالخيرات فى الدرجة العليا عن جعفر بن حرب و

روى أصحابنا عن ميسر بن عبد العزيز عن الصادق (عليه السلام) أنه قال

الظالم لنفسه منا من لا يعرف حق الإمام و المقتصد منا العارف بحق الإمام و السابق بالخيرات هو الإمام و هؤلاء كلهم مغفور لهم

و

عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال و أما الظالم لنفسه منا فمن عمل عملا صالحا و آخر سيئا و أما المقتصد فهو المتعبد المجتهد و أما السابق بالخيرات فعلى و الحسن و الحسين (عليه السلام) و من قتل من آل محمد ص شهيدا

و القول الآخر أن الفرقة الظالمة لنفسها غير ناجية قال قتاده الظالم لنفسه أصحاب المشأمة و المقتصد أصحاب الميمنة و السابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم كما قال سبحانه وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً و قال عكرمه عن ابن عباس إن الظالم هو المنافق و المقتصد و السابق من جميع الناس و قال الحسن السابقون هم الصحابة و المقتصدون هم التابعون و الظالمون هم المنافقون فإن قيل لم قدم الظالم و آخر السابق و إنما يقدم الأفضل فالجواب أنهم يقدمون الأدنى فى الذكر على الأفضل قال سبحانه يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ و قال يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً و يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ و قال خَلَقَ الْمَوْتَ و الْحَيَاةَ و قال فَمِنْكُمْ كَافِرٌ و مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ و قيل إنما قدم الظالم لثلاث - بئأس من رحمته و آخر السابق لثلاث - يعجب بعلمه و قيل إنما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال الناس ثلاث معصية و غفله ثم التوبة ثم القربة فإذا عصى فهو ظالم و إذا تاب فهو مقتصد و إذا صحت توبته و كثرت مجاهدته اتصل بالله و صار من جملة السابقين و قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» أى بأمره و توفيقه و لطفه «ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» معناه أن إيرات الكتاب و اصطفاء الله إياهم هو الفضل العظيم من الله عليهم «جَنَاتٌ عِدْنٌ يُدْخَلُونَهَا» هذا تفسير للفضل كأنه قيل ما ذلك الفضل فقال هى جنات أى جزاء جنات أو دخول جنات و يجوز أن يكون بدلا من الفضل كأنه قال ذلك دخول جنات «يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ» جمع أسورة و هى جمع سوار «مِنْ ذَهَبٍ و لؤلؤا» و من قرأ «و لؤلؤا» فالمعنى و يحلون فيها لؤلؤا «و لباسهم فيها حريز» و هو الإبريسم المحض و إذا قلنا إن المراد به الفرق الثالث فالظالم إنما يدخلها بفضل الله تعالى أو بالشفاعة «و قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن» أخبر سبحانه عن حالهم أنهم إذا دخلوا الجنة يقولون الحمد لله اعترافا منهم بنعمته لا - على وجه التكليف و شكرا له على أن أذهب الغم الذى كانوا عليه مستحقين لذلك فإذا تفضل الله عليهم بإسقاط عقابهم و أدخلهم الجنة حمدوه على ذلك و شكروه «إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ» لذنوب عباده و قبيح أفعالهم «شكورا» يقبل اليسير من محاسن أعمالهم و قيل إن شكره سبحانه هو مكافاته لهم على الشكر له و القيام بطاعته و إن كان حقيقه الشكر لا يجوز عليه سبحانه من حيث كان اعترافا بالنعمة و لا يصح أن يكون سبحانه منعما عليه «الذى

ص: ٢١٨

أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ» أَي أَنْزَلْنَا دَارَ الْخُلُودِ يَقِيمُونَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا «مِنْ فَضْلِهِ» أَي ذَلِكَ بِتَفَضُّلِهِ وَكَرَمِهِ «لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ» لَا يَصِيبُنَا فِي الْجَنَّةِ عَنَاءٌ وَمَشَقَّةٌ «وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» أَي وَلَا يَصِيبُنَا فِيهَا إِعْيَاءٌ وَمَتَعَبَةٌ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَغَيْرِهِ.

[سوره فاطر (۳۵): الآيات ۳۶ الى ۴۰]

اشاره

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (۳۶) وَهُمْ يَصِطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (۳۷) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (۳۸) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا عَلَّمْنَاهُ كُفْرًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا (۳۹) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (۴۰)

القراءه

قرأ أبو عمر و خلف و حده يجرى كل كفور على ما لم يسم فاعله و الباقر «نَجْزِي» بالنون كل بالنصب و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و حمزه و حفص و خلف «على بَيِّنَةٍ» بالتوحيد و الباقر «بينات» بالجمع.

الحجه

من قرأ «نَجْزِي» بالنون فإنه على وجه الإخبار من الله تعالى عن نفسه و من قرأ

على بناء الفعل للمفعول به فحجته أن ما قبله «لا يُقضى عَلَيْهِمْ» و «لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ» و الوجه في قراءة «بَيْنَهُ» على الأفراد أنه يجعل ما في الكتاب أو ما يأتي به النبي ص بينه كما قال أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَقَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ و من قرأ بالجمع فإن لكل نبي بينه فإذا جمعوا جمعت البينه بجمعهم على أن في الكتاب ضروبا من البينه فجمع لذلك.

اللغة

الاصطراخ الصياح و النداء بالاستغاثة افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنه قبلها و إنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء و الإطباق و يوافق التاء في المخرج و المقمت البغض مقته يمقته و هو ممقوت و مقيت.

الإعراب

«فَيَمُوتُوا» جواب النفي و يموتوا منصوب بإضمار أن و علامه النصب سقوط النون «ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ» الموصول و الصله في محل النصب على أنه ظرف زمان لأن المعنى أو لم نعلمكم زمانا طويلا- يتذكر فيه من تذكر و الهاء فيه يعود إلى ما و قل ما يجي ء ما في معنى الظرف و هو اسم و إنما يجي ء حرفا مصدريا.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر ما أعده لأهل الجنة من أنواع الثواب عقبه بذكر ما أعده للكفار من أليم العقاب فقال «وَالَّذِينَ كَفَرُوا» بوحداية الله و جحدوا نبوه نبيه «لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ» جزاء على كفرهم «لا- يُقضى عَلَيْهِمْ» بالموت «فَيَمُوتُوا» فيستريحوا «وَأَلَّا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا» أى و لا- يسهل عليهم عذاب النار «كَذَلِكَ» أى و مثل هذا العذاب و نظيره «نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ» جاحد كثير الكفران مكذب لأنبياء الله «وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا» أى يتصايحون بالاستغاثة يقولون «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا» من عذاب النار «نَعْمَلْ صَالِحًا» أى نؤمن بدل الكفر و نطع بدل المعصية و المعنى ردنا إلى الدنيا لنعمل بالطاعات التى تأمرنا بها «غَيْرِ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» من المعاصى فوبخهم الله تعالى فقال «أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ» أى ألم نعظكم من العمر مقدار ما يمكن أن يتفكر و يعتبر و ينظر فى أمور دينه و عواقب حاله من يريد أن يتفكر و يتذكر و يختلف فى هذا المقدار فقليل هو ستون سنه و هو المروى

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال العمر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنه

و هو إحدى الروايتين عن ابن عباس و

روى عن النبي ص أيضا مرفوعا أنه قال من عمره الله ستين سنه فقد أعذر إليه

و قيل هو أربعون سنه عن ابن عباس و مسروق و قيل

هو تويخ لابن ثمانى عشره سنه عن وهب و قتاده و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

«وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ» أى المخوف من عذاب الله و هو محمد ص عن ابن زيد و الجبائى و جماعه و قيل النذير القرآن عن زيد بن

علی و قیل النذیر الشیب عن عکرمه و سفیان بن عیینہ و منه قیل:

ص: ۲۲۰

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه و حسبك من نذير

و قائله تبيض و الغوانى نوافر عن معاينه القثير

فقلت لها المشيب نذير عمرى و لست مسودا وجه النذير

و قال عدى بن زيد:

و ابيضاض السواد من نذر الموت و هل بعده يجىء نذير

و قيل النذير موت الأهل و الأقارب و قيل كمال العقل «فَذُوقُوا» أى فذوقوا العذاب و حسره الندم «فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» يدفع عنهم العذاب «إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» فلا يخفى عليه شىء مما يغيب عن الخلائق علمه «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى فلا تضمروا فى أنفسكم ما يكرهه سبحانه فإنه عالم به «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ» أى جعلكم معاشر الكفار أمه بعد أمه و قرنا بعد قرن عن قتاده و قيل جعلكم خلائف القرون الماضيه بأن أحدثكم بعدهم و أورثكم ما كان لهم «فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أى فعليه ضرر كفره و عقاب كفره «وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا» أى خسارنا و هلاكنا «قُلْ» يا محمد «أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» معناه أخبرونى أيها المشركون عن الأوثان الذين أشركتموهم مع الله فى العباده أرونى ما ذا خلقوا من الأرض أى بأى شىء أوجبتم له شركا مع الله تعالى فى العباده أبشئ خلقوه من الأرض «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ» أى شركه فى خلقها ثم ترك هذا النظم فقال «أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا» أى أم أنزلنا عليهم كتابا يصدق دعواهم فيما هم عليه من الشرك «فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ» أى فهم على دلالات و اوضحات «مِنْهُ» أى من ذلك الكتاب أراد فإن جميع ذلك محال لا يمكنهم إقامه حجه و لا شبهه على شىء منه و قيل أم آتيناهم كتابا بأن الله لا يعذبهم على كفرهم فهم واثقون به «بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا» معناه ليس شىء من ذلك لكن ليس يعد بعض الظالمين بعضا إلا غرورا لا حقيقه له يغرونهم يقال غره يغره غرورا إذا أطمعه فيما لا يطمع فيه.

النظم

اتصال قوله «إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» الآيه بما قبله إن المعنى يعلم الله إنه لو ردكم إلى الدنيا لعدتم إلى كفركم فاتصل بقوله «نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» و اتصل قوله «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ» بما قبله على معنى أنه

ص: ٢٢١

كما أورثكم الكتاب أورثكم الأرض لتشكروه على نعمه و تعتبروا بمن سلف من الأمم.

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ٤١ الى ٤٥]

اشاره

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا- فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)

القرءه

قرأ حمزه وحده و مكر السيئ بسكون الهمزه و الباقون بالجر.

الحجه

قال الزجاج تسكين هذه الهمزه لحن عند البصريين و إنما يجوز في الشعر في الاضطرار أنشدوا:

" إذا اعوججن قلت صاحب قوم "

و الأصل يا صاحب قوم لكنه

ص: ٢٢٢

حذف مضطرا و أنشدوا:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمنا من الله و لا واغل

و أنشد أبو العباس المبرد:

" إذا اعوججن قلت صاح قوم "

و قال أبو علي في إسكان الهمزة أجزاها في الوصل مجراها في الوقف فهو مثل قوله:

" بيازل وجناه أو عيهل "

و قوله:

" مثل الحريق وافق القصبا "

الإعراب

«أَنْ تَزُولَا» مفعول له أى كراهه أن تزولا أو لثلا تزولا و استكبارا مفعول له أيضا و «مَكْرَ السَّيِّئِ» معطوف عليه و يجوز أن يكون مصدرا على تقدير استكبروا استكبارا فى الأرض و أن يكون حالا أيضا أى مستكبرين فى الأرض و أن يكون بدلا من نفورا أى ما زادهم مجىء النذير إلا استكبارا فى الأرض من شىء فاعل يعجز و من مزیده و من دابه فى محل نصب لأنه مفعول ترك و من مزیده أيضا.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن عظم قدرته و سعه مملكته فقال «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» معناه أن يمسك السماوات من غير علاقة فوقها و لا عماد تحتها و يمسك الأرض كذلك «أَنْ تَزُولَا» أى لثلا تزولا «وَلَكِنَّ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ» أى و إن قدر أن تزولا عن مراكزهما ما أمسكهما أحد و لا يقدر على إمساكهما أحد «مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد الله تعالى و قيل من بعد زوالهما «إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا» أى قادرا لا يعاجل بالعقوبه من استحقها «غَفُورًا» أى ستارا للذنوب كثير الغفران ثم حكى عن الكفار فقال «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» يعنى كفار مکه حلفوا بالله قبل أن يأتهم محمد ص بإيمان غليظه غايه وسعهم و طاقتهم و «لَكِنَّ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ» أى رسول مخوف من جهه الله تعالى

«لَيَكُونَنَّ أَهْدَى» إلى قبول قوله و اتباعه «مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ» الماضيه يعنى اليهود و النصارى و الصابئين «فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ» محمد ص «مَا زَادَهُمْ» مجيئه «إِلَّا نُفُورًا» أى تباعدا عن الهدى و هربا من الحق و المعنى أنهم ازدادوا عند مجيئه نفورا «أَسْتِكْبَارًا» أى تكبرا و تجبرا و عتوا على الله و أنفه من أن يكونوا تبعا لغيرهم «فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ» أى و قصد الضرر بالمؤمنين و المكر السيئ كل مكر أصله الكذب و الخديعه و كان تأسيسه على فساد لأن من المكر ما هو حسن و هو مكر المؤمنين بالكافرين إذا حاربوهم من الوجه الذى يحسن أن يمكروا بهم فالمراد به هاهنا المكر برسول الله ص و بأهل دينه و أضيف المصدر إلى صفه المصدر فالتقدير و مكروا المكر السيئ بدلاله قوله «وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» و المعنى لا ينزل جزاء المكر السيئ إلا بمن فعله «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ» أى فهل ينتظرون إلا عاده الله تعالى فى الأمم الماضيه أن يهلكهم إذا كذبوا رسله و ينزل بهم العذاب و يحل عليهم النقمه جزاء على كفرهم و تكذيبهم فإن كانوا ينتظرون ذلك «فَلَنْ تَجِدَ» يا محمد «لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أى لا يغير الله عادته من عقوبه من كفر نعمته و جحد ربوبيته و لا يبدلها «وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» فالتبديل تصيير الشىء مكان غيره و التحويل تصيير الشىء فى غير المكان الذى كان فيه و التغيير تصيير الشىء على خلاف ما كان «أَوْ لَمْ يَسْتَبِيرُوا فِي الْأَرْضِ» أى لم يسر هؤلاء [الكفار] الذين أنكروا إهلاك الله الأمم الماضيه فى الأرض «فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى كيف أهلك الله المكذبين من قبلهم مثل قوم لوط و عاد و ثمود فيعتبروا بهم «وَ كَانُوا» و كان أولئك «أَشَدَّ مِنْهُمْ» أى من هؤلاء «قُوَّةً وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ» أى لم يكن الله يفوته شىء «فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا» بجميع الأشياء «قَدِيرًا» على ما لا- نهايه له ثم من سبحانه على خلقه بتأخيره العقاب عنهم فقال «وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا» من الشرك و التكذيب لعجل لهم العقوبه و هو قوله «مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ» و الضمير عائد إلى الأرض و إن لم يجر لها ذكر لدلاله الكلام على ذلك و العلم الحاصل به «وَ لَكِنْ يُؤَخَّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى» و الآيه مفسره فى سورة النحل «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا» أى هو بصير بمكانهم فيؤاخذهم حيث كانوا و قيل بصيرا بأعمالهم فيجازيهم عليها.

(٣٦) سورة يس مكيه و آياتها ثلاث و ثمانون (٨٣)

اشاره

[توضيح]

مكيه عند الجميع قال ابن عباس إلا آيه منها و هي قوله «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» الآية نزلت بالمدينه.

عدد آياتها

ثلاث و ثمانون آيه كوفي اثنتان في الباقيين

اختلافها

آيه واحده «يس» كوفي

فضلها

أبي بن كعب قال من قرأ سورة يس يريد بها وجه الله عز و جل غفر الله له و أعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشره مره و أيما مريض قرئت عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف منها عشره أملا-ك يقومون بين يديه صفوفًا و يستغفرون له و يشهدون قبضه و يتبعون جنازته و يصلون عليه و يشهدون دفنه و أيما مريض قرأها و هو في سكرات الموت أو قرئت عنده جاءه رضوان خازن الجنة بشره من شراب الجنة فسقاه إياها و هو على فراشه فيشرب فيموت ريان و يبعث ريان و لا- يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة و هو ريان.

أبو بكر عن النبي ص أنه قال سورة يس تدعى في التوراه المعمه قيل و ما المعمه قال تعم صاحبها خير الدنيا و الآخره و تكابد عنه بلوى الدنيا و تدفع عنه أهويل الآخره و تدعى المدافعه القاضيه تدفع عن صاحبها كل شر و تقضى له كل حاجه و من قرأها عدلت له عشرين حجه و من سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله و من كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء و ألف نور و ألف يقين و ألف بركه و ألف رحمه و نزلت عنه كل داء و عله

و

عن أنس بن مالك عن النبي ص قال إن لكل شىء قلبا و قلب القرآن يس

و

عنه عن النبي ص قال من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ و كان له بعدد من فيها حسنات

و

روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إن لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس فمن قرأ يس فى نهاره قبل أن يمسى كان فى نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسى و من قرأها فى ليله قبل أن ينام

ص: ٢٢٥

وكل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم و من كل آفة و إن مات فى نومه أدخله الله الجنة و حضر غسله ثلاثون ألف ملك كلهم يستغفرون له و يشيعونه إلى قبره بالاستغفار له فإذا أدخل لحدّه كانوا فى خوف قبره يعبدون الله و ثواب عبادتهم له و فسح له فى قبره مد بصره و أمن من ضغطه القبر و لم يزل له فى قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرج الله من قبره فإذا أخرج له لم تزل ملائكة الله معه يشيعونه و يحدثونه و يضحكون فى وجهه و يبشرونه بكل خير حتى يجوزوا به الصراط و الميزان و يوقفوه من الله موقفا لا يكون عند الله خلق أقرب منه إلا ملائكة الله المقربون و أنبياءه المرسلون و هو مع النبيين واقف بين يدي الله لا يحزن مع من يحزن و لا يهتم مع من يهتم و لا يجزع مع من يجزع ثم يقول له الرب تعالى اشفع عبدى أشفعك فى جميع ما تشفع و سلنى عبدى أعطك جميع ما تسأل فىسأل فىعطى و يشفع فىشفع و لا يحاسب فىمن يحاسب و لا يذل مع من يذل و لا يبكت بخطيئه و لا- بشىء من سوء عمله و يعطى كتابا منشورا فيقول الناس بأجمعهم سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئه واحده و يكون من رفقاء محمد ص

و

روى محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) قال إن لرسول الله ص اثنى عشر اسما خمسة منها فى القرآن محمد و أحمد و عبد الله و يس و نون

تفسيرها

لما ذكر سبحانه فى آخر السوره أنهم أقسموا بالله ليؤمنن أن جاءهم نذير افتتح هذه السوره بأنهم لم يؤمنوا و قد جاءهم النذير فقال:

[سوره يس (٣٦): الآيات ١ الى ١٠]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس (١) وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)

وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)

ص: ٢٢٦

قرأ أهل الكوفه غير عاصم إلا- حمادا و يحيى عن أبى بكر يس بالإماله و الباقون بالتفخيم و قرأ أبو جعفر و أبو عمرو و حمزه و ابن كثير بروايه القواس و البزى و نافع بروايه إسماعيل و ورش بخلاف بإظهار النون من «يس» عند الواو و كذلك ن و الْقَلَم و قرأ ابن عامر و الكسائى و خلف بإخفاء النون فيهما و قرأ قالون عن نافع بإظهار النون من ن و إخفائها من «يس» و أما عاصم فإنه يظهر النون منهما فى روايه حفص و روايه البرجمى عن أبى بكر و محمد ابن غالب عن الأعمش عن أبى بكر و يظهر النون من «يس» و يخفيها من نون فى روايه العليمى عن حماد و أما يعقوب فإنه يظهر النونين فى روايه روح و زيد و يخفيها فى روايه رويس و قرأ أهل الحجاز و البصره و أبو بكر تنزِيل بالرفع و الباقون بالنصب و فى الشواذ قراءه الثقفى يس بفتح النون و قراءه أبى السماك يس بكسر النون و قراءه الكلبي يس بالرفع و قراءه ابن عباس و عكرمه و ابن يعمر و النخعى و عمر بن عبد العزيز فأعشيناهم بالعين و قراءه ابن محيصن و الزهرى أنذرتهم بهمزه واحده.

الحجه

قال أبو على مما يحسن إماله الفتح من «يس» نحو الكسره أنهم قالوا يا زيد فى النداء فأمالوا الفتحه نحو الكسره و الألف نحو الياء و إن كان قولهم يا حرفا على حرفين و الحروف التى على حرفين لا يمال منها شىء نحو لا و ما فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فإن يميلوا الاسم الذى هو يا من ياسين أجدر ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها و أما من بين النون من «يس» فإنما جاز ذلك و إن كانت النون الساكنه تخفى مع حروف الفم و لا تبين لأن هذه الحروف مبنيه على الوقف و مما يدل على ذلك استجازتهم فيها الجمع بين ساكنين كما يجتمعان فى الكلم التى يوقف عليها و لو لا ذلك لم يجز الجمع بينهما و أما من لم يبين فلائنه و إن كان فى تقدير الوقف لم يقطع فيه همزه الوصل و ذلك قوله الم الله ألا ترى أنه حذف همزه الوصل و لم يثبت كما لم يثبت مع غيرها من الكلام الذى يوصل و من رفع «تَنْزِيلَ» فعلى تقدير هو تنزِيل العزيز الرحيم أو تنزِيل العزيز الرحيم هذا و النصب على نزل تنزِيل العزيز الرحيم و أما من قال يس بالنصب أو الجر فكلاهما لالتقاء الساكنين و من رفع فعلى ما روى عن الكلبي أنه قال هى بلغه طى يا إنسان قال ابن جنى و يحتمل عندى أن يكون اكتفى من جميع الاسم بالسين فيما فيه حرف نداء كقولك يا رجل و نظير حذف بعض الاسم

قول النبى ص كفى بالسيف شا

أى شاهدا فحذف العين و اللام فكذلك حذف من إنسان الفاء و العين و جعل ما بقى منه اسما قائما برأسه و هو

السين فليل يا سين و هو شبيه بقول الشاعر:

" قلنا لها قفى لنا قالت قاف "

أى وقفت و من قرأ فأعشيناهم بالعين فإنه منقول من عشى يعشى إذا ضعف بصره و أعشيته أنا و أما «فَأَعَشَيْنَاهُمْ» بالغين المعجمه فعلى حذف المضاف أى فأعشينا أبصارهم أى جعلنا عليها غشاوه و الغشاوه على العين كالغشى على القلب فيلتقى معنى القراءتين و أما من قرأ أنذرتهم بهمزه واحده فإنه حذف الهمزه التى للاستفهام تخفيفا و هو يريد ما كما قال الكميت:

طربت و ما شوقا إلى البيض أطرب و لا لعبا منى و ذو الشيب يلعب

و المعنى أو ذو الشيب يلعب تناكرا لذلك و كبيت الكتاب:

لعمرك ما أدرى و إن كنت داريا شعيث بن سهم أو شعيث بن منقر.

اللغة

المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه و قيل هو المقنع و هو الذى يجذب ذقنه حتى يصير فى صدره ثم يرفع و قيل للكانونين شهر أقماح لأن الإبل إذا أوردت الماء ترفع رءوسها لشده برده و يقال قمح البعير إذا رفع رأسه و لم يشرب الماء و بعير قامح و إبل قامح و أقمحتها أنا قال الشاعر يصف سفينه ركبها:

و نحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح

. الإعراب

على فى قوله «على صراطٍ» يتعلق بالمرسلين تقديره أرسلوا على صراط و يجوز أن يكون الجار و المجرور فى موضع خبر إن فيكون خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال فكأنه قال أرسلوا مستقيما طريقهم «ما أنذر أبأؤهم» الأجود أن يكون ما نافية و تكون الجملة فى موضع نصب لأنها صفة قوم و يجوز أن يكون ما حرفا موصولا مصدرىا على تقدير لتنذر قوما أنذر أبأؤهم.

النزول

قيل نزل قوله «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا» فى أبى جهل كان حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه و هو يصلى و معه حجر ليدمغه فلما رفعه انثت يده إلى عنقه و لثق الحجر بيده فلما عاد إلى أصحابه و أخبرهم بما رأى سقط الحجر من يده فقال رجل من بنى مخزوم أنا اقتلته بهذا الحجر فأتاه و هو يصلى ليرميه بالحجر فأعشى الله

بصره فجعل يسمع صوته و لا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرههم حتى نادوه ما صنعت فقال ما رأيته و لقد سمعت صوته و حال بيني و بينه كهيئه الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني و

روى أبو حمزه الثمالي عن عمار بن عاصم عن شقيق بن سلمه عن عبد الله بن مسعود أن قريشا اجتمعوا بباب النبي ص فخرج إليهم فطرح التراب على رؤوسهم و هم لا يبصرونه قال عبد الله هم الذين سحبا في القلب قلب بدر

و

روى أبو حمزه عن مجاهد عن ابن عباس أن قريشا اجتمعت فقال لئن دخل محمد لنقومن إليه قيام رجل واحد فدخل النبي ص فجعل الله من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا فلم يبصروه فصلى النبي ص ثم أتاهم فجعل ينثر على رؤوسهم التراب و هم لا يرونه فلما خلى عنهم رأوا التراب و قالوا هذا ما سحركم ابن أبي كبشه.

المعنى

«يس» قد مضى الكلام فى الحروف المعجمه عند مفتتح السور فى أول البقره و اختلاف الأقوال فيها و قيل أيضا «يس» معناه يا إنسان عن ابن عباس و أكثر المفسرين و قيل معناه يا رجل عن الحسن و أبى العاليه و قيل معناه يا محمد عن سعيد بن جبير و محمد بن الحنفية و قيل معناه يا سيد الأولين و الآخرين و

قيل هو اسم النبي ص عن على ابن أبى طالب و أبى جعفر (عليه السلام)

و قد ذكرنا الروايه فيه قبل «وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» أقسم سبحانه بالقرآن المحكم من الباطل و قيل سماه حكيما لما فيه من الحكمه فكأنه المظهر للحكمه الناطق بها «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» أى ممن أرسله الله تعالى بالنبوه و الرساله «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» يؤدى بسالكه إلى الحق أو إلى الجنه و قيل معناه على شريعته واضحه و حجه لائحه «تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ» أى هذا القرآن تنزىل العزيز فى ملكه «الرَّحِيمِ» بخلقه و لذلك أرسله ثم بين سبحانه الغرض فى بعثته فقال «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ» أى لتخوف به من معاصى الله قوما لم ينذر آبائهم قبلهم لأنهم كانوا فى زمان الفتره بين عيسى و محمد ع عن قتاده و قيل لم يأتهم نذير من أنفسهم و قومهم و إن جاءهم من غيرهم عن الحسن و قيل معناه لم يأتهم من أنذرهم بالكتاب حسب ما آتيت و هذا على قول من قال كان فى العرب قبل نبينا ص من هو نبي كخالد بن سنان و قس بن ساعده و غيرهما و قيل معناه لتندر قوما كما أنذر آبائهم عن عكرمه «فَهُمْ غَافِلُونَ» عما تضمنه القرآن و عما أنذر الله به من نزول العذاب و الغفله مثل السهو و هو ذهاب المعنى عن النفس ثم أقسم سبحانه مره أخرى فقال «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ» أى وجب الوعيد و استحقاق العقاب عليهم «فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» و يموتون

على كفرهم و قد سبق ذلك فى علم الله تعالى و قيل تقديره لقد سبق القول على أكثرهم أنهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون و ذلك أنه سبحانه أخبر ملائكته أنهم لا يؤمنون فحق قوله عليهم «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ» يعنى أيديهم كنى عنها و إن لم يذكرها لأن الأعناق و الأغلال تدلان عليها و ذلك أن الغل إنما يجمع اليد إلى الذقن و العنق و لا يجمع الغل العنق إلى الذقن و روى عن ابن عباس و ابن مسعود أنهما قرءا إنا جعلنا فى أيمنهم أغلالا و قرأ بعضهم فى أيديهم و المعنى الجميع واحد لأن الغل لا يكون فى العنق دون اليد و لا فى اليد دون العنق و مثل هذا قول الشاعر:

و ما أدرى إذا يمت أرضا أريد الخير أيهما يلينى

أ الخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى لا يأتليني

ذكر الخير وحده ثم قال أيهما يلينى لأنه قد علم أن الخير و الشر معرضان للإنسان فلم يدر أ يلقاه هذا أم ذلك و مثله فى التنزيل وَ جَعَلَ لَكُم سِرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ و لم يقل البرد لأن ما يقى من الحر يقى من البرد و اختلف فى معنى الآية على وجوه (أحدها) أنه سبحانه إنما ذكره ضربا للمثل و تقديره مثل هؤلاء المشركين فى إعراضهم عما تدعوهم إليه كمثل رجل غلت يده إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطهما إلى خير و رجل طامح برأسه لا يبصر موطئ قدميه عن الحسن و الجبائى قال و نظيره قول الأفوه الأودى:

كيف الرشاد و قد صرنا إلى أمم لهم عن الرشد أغلال و أقياد

و نحوه كثير فى كلام العرب (و ثانيها) أن المعنى كان هذا القرآن أغلال فى أعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه و تدبره لثقله عليهم و ذلك أنهم لما استكبروا عنه و أنفوا من اتباعه و كان المستكبر رافعا رأسه لاويا عنقه شامخا بأنفه لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنما غلت أيديهم إلى أعناقهم و إنما أضاف ذلك إلى نفسه لأن عند تلاوته القرآن عليهم و دعوته إياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله حَتَّىٰ أَنسَوُكُمُ ذِكْرِي عن أبى مسلم (و ثالثها) أن المعنى بذلك ناس من قريش هموا بقتل النبى ص فجعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه يدا عن ابن عباس و السدى (و رابعها) أن المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ و إنما ذكره بلفظ الماضى للتحقيق و قوله «فَهُمْ مُّقْمَحُونَ» أراد أن أيديهم لما غلت إلى أعناقهم و رفعت الأغلال أذقانهم و رءوسهم صعدا فهم مرفوعو الرأس برفع الأغلال إياها عن الأزهرى و يدل على هذا المعنى قول قتاده مقمحون مغلولون «و جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا و مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا

يُيَصِّرُون» هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الإيمان و قبول الحق و ذلك عبارته عن خذلان الله إياهم لما كفروا فكأنه قال و تركناهم مخذولين فصار ذلك من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا و إذا قلنا إنه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته و يكون عبارته عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدما و لا متأخرا إذ سد عليهم جوانبهم و إذا حملناه على صفة القوم الذين هموا بقتل النبي ص فالمراد جعلنا بين أيدي أولئك الكفار منعا و من خلفهم منعا حتى لم يبصروا النبي ص و قوله «فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» أى أغشينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي ص فقد روى أن أبا جهل هم بقتله ص فكان إذا خرج بالليل لا يراه و يحول الله بينه و بينه و قيل فأعشيناهم فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى و قيل فأغشيناهم العذاب فهم لا يبصرون النار و قيل معناه إنهم لما انصرفوا عن الإيمان و القرآن لزمهم ذلك حتى لم يكادوا يتخلصون منه بوجه كالمغلول و المسدود عليه طريقه «وَ سَاءَ عَلَيْهِمْ أَمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» هذا مفسر في سورة البقره.

[سوره يس (٣٦): الآيات ١١ الى ٢٠]

اشاره

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَيُوتَ وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ ءِ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢) وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ءِ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)

قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَ مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَ لَنَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أ إِنْ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ (١٩) وَ جَاءَ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)

قرأ أبو بكر فعززنا بالتخفيف و الباكون بتشديد الزاى و قرأ أبو عمرو و قالون عن نافع و زيد عن يعقوب إن ذكرتم بهمزه واحده غير ممدوده و قرأ ابن كثير و يعقوب و نافع أن ذكرتم بهمزه واحده ممدوده و قرأ أبو جعفر أ إن بهمزه واحده مطوله و الثانيه ملينه مفتوحه ذكرتم مخففه و الباكون «أَ إِنَّ ذُكِّرْتُمْ» بهمزتين.

الحجه

قال أبو على قال بعضهم عززنا قويننا و كثرنا و أما عززنا فغلبنا من قوله تعالى «وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ» و قوله «أَ إِنَّ ذُكِّرْتُمْ» فإنما هى أن الجزاء دخلت عليها ألف الاستفهام و المعنى ء إن ذكرتم تشاءتم فحذف الجواب لأن تطيرنا بكم تشاءمنا بكم و أصل تطيرنا تفعلنا من الطائر عند العرب الذى به يتشاءمون و يتيمنون و من قرأ أ إن ذكرتم بفتح أن فالمعنى لأن ذكرتم تشاءتم و أما تخفيف الهمزه و تحقيقها فقد تقدم ذكرهما فى مواضع.

الإعراب

«وَكُلُّ شَيْءٍ» منصوب بفعل مضمير يفسره هذا الظاهر الذى هو «أَحْصَيْنَاهُ» و التقدير أحصينا كل شى ء أحصيناه «أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ» بدلا من مثلاً. «إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسِيُونَ» العامل فى إذ محذوف تقديره قصه أصحاب القرية كائنه إذ جاءها المرسلون و «إِذْ أَرْسَلْنَا» بدلا من الأول.

المعنى

لما أخبر سبحانه عن أولئك الكفار أنهم لا يؤمنون و أنهم سواء عليهم الإنذار و ترك الإنذار عقبه بذكر حال من ينتفع بالإنذار فقال «إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرُ» و المعنى إنما ينتفع بإنذارك و تخويفك من اتبع القرآن لأن نفس الإنذار قد حصل للجميع «وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ» أى فى حال غيبته عن الناس بخلاف المنافق و قيل معناه و خشى الرحمن فيما غاب عنه من أمر الآخرة «فَبَشَّرَهُ» أى فبشر يا محمد من هذه صفته «بِمَغْفِرَةٍ» من الله لذنوبه «وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ» أى ثواب خالص من الشوائب ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى» فى القيامة للجزاء «وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا» من طاعتهم و معاصيهم فى دار الدنيا عن مجاهد و قتاده و قيل نكتب ما قدموه من عمل ليس أثر «وَ آثَارُهُمْ» أى ما يكون له أثر عن الجبائى و قيل يعنى بآثارهم أعمالهم التى صارت سنه بعدهم يقتدى فيها بهم حسنه كانت أم قبيحه و قيل معناه و نكتب خطاهم إلى المسجد و سبب ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى أن بنى سلمه كانوا فى ناحيه المدينة فشكوا إلى رسول الله ص بعد منازلهم

عن أبى موسى قال قال رسول الله ص إن أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم رواه البخارى و مسلم فى الصحيح

«وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» أى و أحصينا و عددنا كل شىء من الحوادث فى كتاب ظاهر و هو اللوح المحفوظ و الوجه فى إحصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به إذ قابلوا به ما يحدث من الأمور و يكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على التفصيل و قيل أراد به صحائف الأعمال و سمي ذلك ميينا لأنه لا يدرس أثره عن الحسن ثم قال سبحانه لنيبه ص «وَاضْرِبْ لَهُم» يا محمد «مَثَلًا» أى مثل لهم مثلا و هو من قولهم هؤلاء إضراب أى أمثال و قيل معناه و اذكر لهم مثلا «أَضْرِبْ الْقُرْيَةَ» و هذه القرية أنطاكية فى قول المفسرين «إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ» أى حين بعث الله إليهم المرسلين «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ» أى رسولين من رسلنا «فَكَذَّبُوهُمَا» أى فكذبوا الرسولين قال ابن عباس ضربوهما و سجنوهما «فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ» أى فقويناهما و شددنا ظهورهما برسول ثالث مأخوذ من العزه و هى القوه و المنعه و منه قولهم من عز بز أى من غلب سلب قال شعبه كان اسم الرسولين شمعون و يوحنا و اسم الثالث بولس و قال ابن عباس و كعب صادق و صدوق و الثالث سلوم و قيل إنهم رسل عيسى و هم الحواريون عن وهب و كعب قالا و إنما أضافهم تعالى إلى نفسه لأن عيسى (عليه السلام) أرسلهم بأمره «فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ» أى قالوا لهم يا أهل القرية إن الله أرسلنا إليكم «قَالُوا» يعنى أهل القرية «مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» فلا تصلحون للرساله كما لا يصلح نحن لها «وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ» تدعوننا إليه «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ» أى ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون اعتقدوا أن من كان مثلهم فى البشر لا يصلح أن يكون رسولا- و ذهب عليهم أن الله عز اسمه يختار من يشاء لرسالته و أنه علم من حال هؤلاء صلاحهم للرساله و تحمل أعبائها «قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ» و إنما قالوا ذلك بعد ما قامت الحجة بظهور المعجزه فلم يقبلوها و وجه الاحتجاج بهذا القول أنهم ألزموهم بذلك النظر فى معجزاتهم ليعلموا أنهم صادقون على الله فى ذلك تحذير شديد «وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى و ليس يلزمنا إلا أداء الرسالة و التبليغ الظاهر و قيل معناه و ليس علينا أن نحملكم على الإيمان فإننا لا نقدر عليه «قَالُوا» أى قال هؤلاء الكفار فى جواب الرسل حين عجزوا عن إيراد شبهه و عدلوا عن النظر فى المعجزه «إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ» أى تشاء منا بكم «لَيْسَ لِمَنْ تَنَاهَوَا» عما تدعون من الرسالة «لَنْزُجْمَنَّاكُمْ» بالحجاره عن قتاده و قيل معناه لنشتنكم عن مجاهد «وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا» يعنى الرسل «طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ» أى الشؤم كله معكم بإقامتكم على الكفر بالله تعالى فأما الدعاء إلى التوحيد و عبادته الله تعالى ففيه غايه البركه و الخير و اليمن و لا شىء فيه

وقيل معنى طائر كرم حظكم ونصيبيكم من الخير والشر عن أبي عبيده والمبرد «أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ» أى إن ذكركم قلتم هذا القول و قيل معناه إن ذكرناكم هددتمونا وهو مثل الأول وقيل معناه إن تدبرتم عرفتم صحه ما قلناه لكم «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» معناه ليس فينا ما يوجب التثاؤم بنا ولكنكم متجاوزون عن الحد فى التكذيب للرسل والمعصيه والإسراف الإفساد و مجاوزه الحد و السرف الفساد قال طرفه:

إن امرءا سرف الفؤاد يرى عسلا بماء سحابه شتمى

أى فاسد القلب «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَشْعَى» و كان اسمه حبيب النجار عن ابن عباس و جماعه من المفسرين و كان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية و كان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسل و هموا بقتلهم جاء يعدو و يشند «قَالَ يَا قَوْمِ أَتَبْعُوا الْمُرْسَلِينَ» الذين أرسلهم الله إليكم و أقرؤا برسالتهم قالوا و إنما علم هو بنبوتهم لأنهم لما دعوه قال أ تأخذون على ذلك أجرا قالوا لا و قيل إنه كان به زمانه أو جذام فأبرأوه فأمن بهم عن ابن عباس.

[القصة]

قالوا بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينه أنطاكيه فلما قربا من المدينه رأيا شيخا يرعى غنيمات له و هو حبيب صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عباده الأوثان إلى عباده الرحمن فقال أ معكما آيه قالوا نعم نحن نشفى المريض و نبرئ الأكمه و الأبرص بإذن الله فقال الشيخ إن لى ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام فى الوقت بإذن الله صحيحا ففشا الخبر فى المدينه و شفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى و كان لهم ملك يعبد الأصنام فأنهى الخبر إليه فدعاهما فقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى جئنا ندعوك من عباده ما لا يسمع و لا يبصر إلى عباده من يسمع و يبصر فقال الملك و لنا إله سوى آلهتنا قالوا نعم من أوجدك و آلهتك قال قوما حتى أنظر فى أمركما فأخذهما الناس فى السوق و ضربوهما قال وهب بن منبه بعث عيسى هذين الرسولين إلى أنطاكيه فأتياها و لم يصلا إلى ملكها و طالت مده مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا و ذكر الله فغضب الملك و أمر بحبسهما و جلد كل واحد منهما مائه جلده فلما كذب الرسولان و ضربا بعث عيسى شمعون الصفا رأس الحواريين على إثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلده متكررا فجعل يعاشر حاشيه الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه و رضى عشرته و أنس به

ص: ٢٣٤

و أكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن و ضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما قال الملك حال الغضب بيني و بين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى هاهنا قال الله الذى خلق كل شىء لا شريك له قال و ما آيتكما قال ما تتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين و موضع عينيه كالجبهه فما زال يدعوان الله حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك أ رأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك و لإلهك شرفا فقال الملك ليس لى عنك سرا إن إلهنا الذى نعبد لا يضر و لا ينفع ثم قال الملك للرسولين إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمننا به و بكما قال إلهنا قادر على كل شىء فقال الملك إن هاهنا ميتا منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع أبوه و كان غائبا فجاءوا بالميت و قد تغير و أروح فجعلنا يدعوان ربهما علانية و جعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت و قال لهم إنى قد مت منذ سبعة أيام و أدخلت فى سبعة أوديه من النار و أنا أحذركم ما أنتم فيه فأمنوا بالله فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قوله أثر فى الملك دعاه إلى الله فأمن و آمن من أهل مملكته قوم و كفر آخرون و قد روى مثل ذلك العياشى بإسناده عن الثمالى و غيره عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

إلا أن فى بعض الروايات بعث الله الرسولين إلى أهل أنطاكية ثم بعث الثالث و فى بعضها أن عيسى أوحى الله إليه أن يبعثهما ثم بعث وصيه شمعون ليخلصهما و إن الميت الذى أحياه الله تعالى بدعائهما كان ابن الملك و أنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له يا بنى ما حالك قال كنت ميتا فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى أن يحيينى قال يا بنى فتعرفهما إذا رأيتهما قال نعم فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمر عليه رجل بعد رجل فمر أحدهما بعد جمع كثير فقال هذا أحدهما ثم مر الآخر فعرفهما و أشار بيده إليهما فأمن الملك و أهل مملكته و قال ابن إسحاق بل كفر الملك و أجمع هو و قومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا و هو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى إليهم يذكرهم و يدعوهم إلى طاعه الرسل.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٢١ الى ٣٠]

اشاره

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلُكُمْ أَجْرًا وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَ مَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَ لَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنْى إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنْى آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥)

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ (٣٠)

ص: ٢٣٥

القراءه

قرأ أبو جعفر صيحه واحده بالرفع و الباقون بالنصب و فى الشواذ قراءه ابن مسعود و عبد الرحمن بن الأسود الأزقيه قرأ الأعرج و مسلم بن جندب يا حسره على العباد ساكنه الهاء و

قراءه على بن الحسين (عليه السلام) و أبى بن كعب و ابن عباس و الضحاك و مجاهد يا حسره العباد

مضافا.

الحجه

قال ابن جنى الرفع ضعيف لتأنيث الفعل فلا يقوى أن تقول ما قامت إلا هند و المختار ما قام إلا هند و ذلك أن الكلام محمول على معناه أى ما قام أحد إلا هند ثم إنه لما كان محصول الكلام قد كانت هناك صيحه واحده جى ء بالتأنيث حملا للظاهر عليه و مثله قراءه الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم بالتاء فى ترى و عليه قول ذى الرمه:

طوى النحر و الأجاز ما فى غروضها فما بقيت إلا الصدور الجراشع

ص: ٢٣٦

و أما الزقيه فمن زقا الطائر يزقو و يزقى زقاء و زقوا إذا صاح و هى الزقيه و الزقوه و كأنه إنما استعمل هاهنا صياح الديك و نحوه تنبيهها على أن البعث بما فيه من عظيم القدره فى استثاره الموتى من القبور سهل على الله تعالى كزقيه زقاها طائر فهذا كقوله تعالى ما خَلَقَكُمْ وَ لا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ و أما من قرأ يا حسره على العباد بسكون الهاء فيمكن أن يكون حسره غيره معلقه بعلى فيحسن الوقف عليها ثم يعلق على بمضمر يدل عليه قوله حسره فكأنه قال أ تحسر على العباد و مثل ذلك كثير فى التنزيل و إذا كان حسره معلقه بعلى أو موصوفه فلا يحسن الوقف عليها دونه و على هذا فيمكن أن يكون ذلك لتقويه المعنى فى النفس و ذلك أنه موضع تنبيه و تذكير فطال الوقف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه الدال على أنه قد بهره و ملك عليه لفظه و خاطره ثم قال من بعد على العباد و أما من قرأ يا حسره العباد مضافا فإن فيه وجهين (أحدهما) أن يكون العباد فاعلين فى المعنى كقوله يا قيام زيد و المعنى كان العباد إذا شاهدوا العذاب تحسروا (و الآخر) أن العباد مفعولون فى المعنى و تدل عليه القراءه الظاهره «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ» أى يتحسر عليهم من يعنيه أمرهم و هذا واضح و فتح أبو عمرو الياء من قوله «وَ ما لِي لا أَعْبُدُ» لثلا يكون الابتداء بلا أعبد و قرأ فى النمل ما لِي لا أَرى الْهُدْهَدَ بسكون الياء.

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام الحكايه عن الرجل الذى جاءهم من أقصى المدينه فقال «اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْتَلُكُمْ أَجْرًا» أى و قال لهم اتبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الأجر و لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى «وَ هُمْ» مع ذلك «مُهْتَدُونَ» إلى طريق الحق سالكون سبيله قال فلما قال هذا أخذوه و رفعوه إلى الملك فقال له الملك أ فأنت تتبعهم فقال «وَ ما لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي» أى و أى شىء لى إذا لم أعبد خالقي الذى أنشأنى و أنعم على و هدانى «وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أى تردون عند البعث فيجزىكم بكفركم ثم أنكرا اتخاذ الأصنام و عبادتهم فقال «أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» أعبدهم «إِنْ يُرْذَنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ» أى إن أراد الله إهلاكى و الإضرار بى «لا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا» أى لا تدفع و لا تمنع شفاعتهم عنى شيئا و المعنى لا شفاعه لهم فتغنى «وَ لا يُنْقِذُونَ» أى و لا- يخلصونى من ذلك الهلاك أو الضرر و المكروه «إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ» أى إنى إن فعلت ذلك فى عدوك عن الحق واضح و الوجه فى هذا الاحتجاج أن العباده لا يستحقها إلا الله سبحانه المنعم بأصول النعم و بما لا توازيه نعمه منعم «إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ» الذى خلقكم و أخرجكم من العدم إلى الوجود «فَأَسْمِعُونِ» أى فاسمعوا قولى و اقبلوه عن وهب و قيل أنه خاطب بذلك الرسل أى فاسمعوا ذلك منى حتى تشهدوا لى به عند الله عن ابن مسعود قال ثم إن قومه لما سمعوا ذلك القول منه و طئوه بأرجلهم حتى مات فأدخله الله الجنه و هو حى فيها يرزق و هو قوله «قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ» و قيل رجموه حتى قتلوه عن قتاده و قيل إن القوم لما أرادوا أن يقتلوه رفعه الله إليه فهو فى الجنه لا يموت إلا بفناء الدنيا و هلاكك الجنه عن

الحسن و مجاهد و قال أن الجنة التي دخلها يجوز هلاكها و قيل إنهم قتلوه إلا أن الله سبحانه أحياه و أدخله الجنة فلما دخلها «قال يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي» تمنى أن يعلم قومه بما أعطاه الله تعالى من المغفرة و جزيل الثواب ليرغبوا في مثله و ليؤمنوا لينالوا ذلك و

في تفسير الثعلبي بالإسناد عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن أبيه عن النبي ص قال سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفه عين على بن أبي طالب (عليه السلام) و صاحب يس و مؤمن آل فرعون فهم الصديقون على أفضلهم

«وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ» أي من المدخلين الجنة و الإكرام هو إعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التبجيل و الإعظام و في هذا دلالة على نعيم القبر لأنه إنما قال ذلك و قومه أحياء و إذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإن الخلاف فيهما واحد و ما في قوله «بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي» مصدرية و المعنى بمغفره الله لي و يجوز أن يكون معناه بالذي غفر لي به ربي فيكون اسما موصولا- و يجوز أن يكون المعنى بأى شىء غفر لي ربي فيكون استفهاما يقال علمت بما صنعت هذا بإثبات الألف و بم صنعت هذا بحذفها إلا أن الحذف أجود في هذا المعنى ثم حكى سبحانه ما أنزله بقوله من العذاب و الاستئصال فقال «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ» أي من بعد قتله أو من بعد رفعه «مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ» يعنى الملائكة أى لم تنتصر منهم بجند من السماء و لم تنزل لإهلاكهم بعد قتلهم الرسل جندا من السماء يقاتلونهم «وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ» أى و ما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكتناهم و قيل معناه و ما أنزلنا على قومه من بعده رساله من السماء قطع الله عنهم الرساله حين قتلوا رسله عن مجاهد و الحسن و المراد أن الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الأنبياء ثم بين سبحانه بأى شىء كان هلاكهم فقال «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً» أى كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر صيحه واحده حتى هلكوا بأجمعهم «فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ» أى ساكنون قد ماتوا قيل أنهم لما قتلوا حبيب بن مرى النجار غضب الله عليهم فبعث جبرائيل حتى أخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحه فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت «يَا حَسِيرَةً عَلَى الْعِبَادِ» معناه يا ندامه على العباد فى الآخرة باستهزائهم بالرسول فى الدنيا ثم بين سبب الحسرة فقال «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» عن مجاهد و هذا من قول الله سبحانه و المعنى أنهم حلوا محل من يتحسر عليه و قيل إن المعنى يا ويلا- على العباد عن ابن عباس و يحتمل أن يكون ذلك من كلام الرجل المذكور و قال أبو العالیه إنهم لما عاينوا العذاب قالوا يا حسره على العباد يعنى على الرسول حيث لم تؤمن بهم فتمنوا الإيمان و ندموا حين لم تنفعهم الندامه قال الزجاج إذا قال قائل ما الفائدة فى مناداه الحسره و الحسره مما لا تجيب فالفائدة فى ذلك أن النداء باب تنبيه فإذا قلت للمخاطب أنا أعجب مما فعلت فقد أفدته أنك متعجب و إذا قلت و أعجابه مما فعلت و يا عجابه تفعل كذا كان دعاؤك العجب أبلغ فى الفائدة و المعنى يا عجب أقبل فإنه من أوقاتك و كذلك إذا قلت ويل زيد لم فعل كذا ثم قلت يا ويل زيد لم فعل كذا كان أبلغ و كذلك فى كتاب الله تعالى يا ويلتا و يا حسرتا و «يَا حَسِيرَةً عَلَى الْعِبَادِ» و الحسره أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيرا.

اشاره

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ (٣٢) وَ آيَهُ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَ جَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَ فَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَ فَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)

القراءة

قرأ عاصم و حمزه و ابن عامر «لَمَّا جَمِيعٌ» بتشديد الميم و الباقون بالتخفيف و قرأ أهل الكوفه غير حفص و ما عملت بغير هاء و الباقون «وَ مَا عَمِلَتْهُ».

الحجه

من خفف الميم من لما فإن من قوله «وَ إِنْ كُلُّ» مخففه من الثقيله و ما من لما مزيده و التقدير و أنه كل لما جميع لدينا محضرون و من شدد الميم من لما فإن هاهنا بمعنى إلا يقال سألتك لما فعلت كذا و إلا فعلت و إن نافية فيكون التقدير ما كل إلا محضرون و قوله و ما عملت أيديهم فإن الحذف فى التنزيل من هذا كثير نحو قوله وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ وَ أَ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا وَ موضع ما جر و التقدير و لياكلوا مما عملته أيديهم و يجوز أن يكون ما نافية أى و لم تعمله أيديهم و يقوى ذلك قوله أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ.

الإعراب

«أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ» بدل من «كَمْ أَهْلَكْنَا» و التقدير أ لم يروا أنهم إليهم لا يرجعون و كم فى موضع نصب بأهلكتنا.

المعنى

ثم خوف سبحانه كفار مكه فقال «أَلَمْ يَرَوْا» أى أ لم يعلم هؤلاء الكفار «كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ» أى كم قرنا أهلكتناهم مثل عاد و ثمود و قوم لوط و غيرهم «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ» و المعنى أ لم يروا أن القرون التى أهلكتناهم لا- يرجعون إليهم أى لا يعودون إلى الدنيا أ فلا

يعتبرون بهم و وجه التذكير بكثرة المهلكين أى أنكم ستصيرون إلى مثل حالهم فانظروا لأنفسكم و احذروا أن يأتكم الهلاك و أنتم فى غفله و غره كما أتاهم و يسمى أهل كل عصر قرنا لاقترانهم فى الوجود «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخْضَرُونَ» معناه أن الأمم يوم القيامة يحضرون فيقفون على ما عملوه فى الدنيا أى و كل الماضين و الباقين مبعوثون للحساب و الجزاء ثم قال سبحانه «وَ آيَةٌ لَهُمْ» أى و دلالة و حجه قاطعه لهم على قدرتنا على البعث «الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا» أى الأرض القحطه المجدبه التى لا تنبت أحييناها بالنبات «وَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا» أى كل حب يتقوتونه مثل الحنطة و الشعير و الأرز و غيرها من الحبوب «فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ» أى فمن الحب يأكلون «وَ جَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ» أى بساتين «مِنْ نَخِيلٍ وَ أَغْنَابٍ» و إنما خص النوعين لكثرة أنواعهما و منافعهما «وَ فَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ» أى و فجرنا فى تلك الأرض الميتة أو فى تلك الجنات عيوننا من الماء ليسقوا بها الكرم و النخيل ثم بين سبحانه أنه إنما فعل ذلك «لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ» أى من ثمر النخيل رد الضمير إلى أحد المذكورين كما قال و لا ينفقونها فى سبيل الله و المعنى غرضنا نفعهم بذلك و انتفاعهم بأكل ثمار الجنات «وَ مَا عَمَلْتُهُ أَيْدِيهِمْ» أى و لم تعمل تلك الثمار أيديهم هذا إذا كان ما بمعنى النفى قال الضحاك أى وجدوها معموله و لا صنع لهم فيها أراد أنه من صنع الخالق و لم يدخل فى مقدمات الخلائق و إذا كان بمعنى الذى فالتقدير و الذى عملته أيديهم من أنواع الأشياء المتخذة من النخل و العنب الكثيره منافعها و قيل تقديره و من ثمره ما عملته أيديهم يعنى الغروس و الزروع التى قاسوا حراثتها «أَفَلَا يَشْكُرُونَ» أى أ لا يشكرون الله تعالى على مثل هذه النعم و هذا تنبيه منه سبحانه لخلقه على شكر نعمائه و ذكر جميل بلائه.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشارة

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْمَازُوجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَ آيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسِيَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ (٣٧) وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكُمْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

ص: ٢٤٠

قرأ زيد عن يعقوب لمستقر لها بكسر القاف و الباقون بفتحها و قرأ أهل الحجاز و البصره غير أبى جعفر و رويس و القمر بالرفع و الباقون بالنصب و

روى عن على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) و أبى جعفر الباقر و جعفر الصادق (عليه السلام) و ابن عباس و ابن مسعود و عكرمه و عطاء بن أبى رباح لا مستقر لها بنصب الراء.

الحجه

قال أبو على الرفع على تقدير و آيه لهم القمر قدرناه منازل مثل قوله «و آيَهُ لَهُمُ اللَّيْلُ» فهو على هذا أشبه بالجمل التى قبلها و القول فى آيه أنه يرتفع بالابتداء و لهم صفه للنكره و الخبر مضمرة تقديره و آيه لهم فى الشاهد أو الوجود و قوله «اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» و «الْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ» تفسير للآيه كما أن قوله تعالى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ* تفسير للوعد و لِلذَّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ تفسير للوصيه و من نصب فقد حملة على زيدا ضربته و أما قوله لا مستقر لها فظاهره العموم و المعنى الخصوص فهو بمنزله قوله:

أبكى لفقدك ما ناحت مطوقه و ما سما فنن يوما على ساق

و المعنى لو عشت أبدا لبكيتك و كذلك قوله لا- مستقر لها أى ما دامت السماوات على ما هى عليه فإذا زالت السماوات استقرت الشمس و بطل سيرها.

اللغه

السلخ إخراج الشىء من لباسه و منه إخراج الحيوان من جلده و منه قوله فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا أى فخرج منها خروج الشىء مما لابسها و العرجون العذق الذى فيه الشماريخ

و هو العثكول و العثكال و الكباسه و القنو و هو فعلول قال رؤبه:

" فى خدر مياس الدمى معرجن "

. الإعراب

«و الْقَمَرَ قَدَّرْنَا مَنْزِلًا» تقديره ذا منازل ثم حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و لا يجوز أن يكون بلا حذف لأن القمر غير المنازل و إنما يجرى فيها و لا يجوز أن ينصب منازل على الظرف لأنه محدود و الفعل لا يصل إلى المحدود إلا بحرف جر نحو جلست فى المسجد و لا يجوز جلست المسجد.

المعنى

ثم نزه سبحانه نفسه و عظمها دالا بذلك على أنه هو الذى يستحق منتهى الحمد و غايه الشكر فقال «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا» أى تنزيها و تعظيما و براءه عن السوء للذى خلق الأصناف و الأشكال من الأشياء فالحيوان على مشاكلة الذكر للأنثى و كذلك النخل و الحبوب إشكال و التين و الكرم و نحوهما إشكال فلذلك قال «مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» أى من سائر النبات «وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ» أى و خلق منهم أولادا أزواجا ذكورا و إناثا «وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» مما فى بطون الأرض و قعر البحار فلم يشاهدوه و لم يتصل خبره بهم «وَأَيُّ لَهْمٍ» أى و دلالة لهم أخرى «اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» أى ننزع منه و نخرج ضوء الشمس فيبقى الهواء مظلما كما كان لأن الله سبحانه يضىء الهواء بضياء الشمس فإذا سلخ منه الضياء أى كشط و أزيل يبقى مظلما و قيل إنما قال سبحانه «نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» لأنه تعالى جعل الليل كالجسم لظلمته و جعل النهار كالقشر و لأن النهار عارض فهو كالكسوه و الليل أصل فهو كالجسم و قوله «فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ» أى داخلون فى الليل لا ضياء لهم فيه «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» معناه و دلالة أخرى لهم الشمس و فى قوله «لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» أقوال (أحدها) أنها تجرى لانتهاه أمرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجرى حتى تنقضى الدنيا عن جماعه من المفسرين قال أبو مسلم و معنى هذا و معنى لا مستقر لها واحد أى لا قرار لها إلى انقضاء الدنيا (و ثانيها) أنها تجرى لوقت واحد لا تعدوه و لا يختلف عن قتاده (و ثالثها) أنها تجرى إلى أقصى منازلها فى الشتاء و الصيف لا تتجاوزها و المعنى أن لها فى الارتفاع غايه لا- تتجاوزها و لا تنقطع دونها و لها فى الهبوط غايه لا تتجاوزها و لا تقصر عنها فهو مستقرها «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ» أى القادر الذى لا يعجزه شىء «الْعَلِيمِ» الذى لا يخفى عليه شىء «وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا مَنْزِلًا» و هى ثمانيه و عشرون منزلا ينزل كل يوم و ليله منزله منها لا يختلف حاله فى ذلك إلى أن يقطع الفلك «حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» أى عاد فى آخر الشهر

ص: ٢٤٢

دقيقا كالعذق اليابس العتيق ثم يخفى يومين آخر الشهر و إنما شبهه سبحانه بالعذق لأنه إذا مضت عليه الأيام جف و تقوس فيكون أشبه الأشياء بالهلال و قيل إن العذق يصير كذلك في كل ستة أشهر

روى على بن إبراهيم بإسناده قال دخل أبو سعيد المكارى و كان واقفيا على أبى الحسن الرضا (عليه السلام) فقال له أبلغ من قدرك إنك تدعى ما ادعاه أبوك فقال له أبو الحسن ما لك أطفأ الله نورك و أدخل الفقر بيتك أ ما علمت أن الله عز و جل أوحى إلى عمران إنى واهب لك ذكرا يبرئ الأكمه و الأبرص فوهب له مريم و وهب لمريم عيسى فعيسى من مريم و مريم من عيسى و لا- أحالك تقبل منى و لست من غنى و لكن هلمها قال ما تقول فى رجل قال عند موته كل مملوك لى قديم فهو حر لوجه الله فقال أبو الحسن ما ملكه لسته أشهر فهو قديم و هو حر قال و كيف صار كذلك قال لأن الله تعالى يقول «وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» أسماه الله قديما و يعود كذلك لسته أشهر قال فخرج أبو سعيد من عنده و ذهب بصره و كان يسأل على الأبواب حتى مات

«لَا الشَّمْسُ يَتَّبِعِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ» فى سرعه سيره لأن الشمس أبطأ سيرا من القمر فإنها تقطع منازلها فى سنه و القمر يقطعها فى شهر و الله سبحانه يجريهما إجراء التدوير باين بين فلكيهما و مجاريهما فلا يمكن أن يدرك أحدهما الآخر ما داما على هذه الصفة «وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ» أى و لا يسبق الليل و النهار و قيل معناه لا يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم بل تتعاقبان كما قدره الله تعالى عن عكرمه و

روى العياشى فى تفسيره بالإسناد عن الأشعث بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا (عليه السلام) و الفضل بن سهل و المأمون فى إيوان الحبرى بمر و فوضعت المائدة فقال الرضا (عليه السلام) إن رجلا من بنى إسرائيل سألنى بالمدينه فقال النهار خلق قبل أم الليل فما عندكم قال فأداروا الكلام فلم يكن عندهم فى ذلك شىء فقال الفضل للرضا أخبرنا بها أصلحك الله قال نعم من القرآن أم من الحساب قال له الفضل من جهه الحساب فقال قد علمت يا فضل إن طالع الدنيا السرطان و الكواكب فى مواضع شرفها فزحل فى الميزان و المشتري فى السرطان و الشمس فى الحمل و القمر فى الثور فذلك يدل على كينونه الشمس فى الحمل فى العاشر من الطالع فى وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل

و فى قوله تعالى «لَا الشَّمْسُ يَتَّبِعِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ» أى قد سبقه النهار ثم قال «وَ كُلُّ» من الشمس و القمر و النجوم «فِي فَلَكِكِ يَسْبَحُونَ» يسيرون فيه بانسباط و كل ما انبسط فى شىء فقد سبح فيه و منه السباحه فى الماء و إنما قال «يَسْبَحُونَ» بالواو و النون لما أضاف إليها ما هو من فعل الآدميين كما قال ما لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ لما وصفها بصفه من يعقل و قال

ابن عباس يسبحون أى يجرى كل واحد منها فى فلكه كما يدور المغزل فى الفلكه.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٤١ الى ٥٠]

اشاره

وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَ خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَ إِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَ لَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤) وَ إِذَا قِيلَ لَهُم اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ مَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥)

وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَ إِذَا قِيلَ لَهُم أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أُنْطِعُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٧) وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)

القراءه

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و يعقوب و سهل ذرياتهم على الجمع و الباقر «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد و قرأ ابن كثير و ورش و محمد بن حبيب عن الأعمش و روح و زيد عن يعقوب يخصمون بفتح الياء و الخاء و تشديد الصاد و قرأ أبو عمرو بفتح الخاء أيضا إلا أنه يشمه الفتح و لا يشبعه و قرأ أهل المدينة غير ورش يخصمون ساكنه الخاء مشدده الصاد و قرأ حمزه يخصمون ساكنه الخاء خفيفه الصاد و الباقر «يَخِصِّمُونَ» بفتح الياء و كسر الخاء و تشديد الصاد.

الحجه

من قرأ يخصمون حذف الحركه من التاء المدغم فى يخصمون و ألفاها

على الساكن الذى قبلها و هو الخاء و هذا أحسن الوجوه بدلاله قولهم رد و فر و عض ألقوا حركه العين على الساكن الذى قبلها و من قرأ «يَخِصُّمُونَ» حذف الحركه من الحرف المدغم إلا- أنه لم يلقها على الساكن الذى قبلها كما ألقاه فى الأول فالتقى الساكنان فحرك الحرف الذى قبل المدغم بالكسر و من قرأ يخصمون جمع بين الساكنين الخاء و الحرف المدغم قال أبو على و من زعم أن ذلك ليس فى طاقه اللسان فقد ادعى ما يعلم فساده بغير استدلال و أما من قرأ يخصمون و تقديره يخصم بعضهم بعضا فحذف المضاف و حذف المفعول به و يجوز أن يكون المعنى يخصمون مجادلهم عند أنفسهم فحذف المفعول به و معنى يخصمون يغلبون فى الخصام خصومهم.

اللغه

الحمل منع الشىء أن يذهب إلى جهه السفلى و الفلك السفن لأنها تدور فى الماء و منه الفلكه لأنها تدور فى المغزل و الفلك لأنها تدور بالنجوم و فلك ثدى المرأه إذا استدار و المشحون المملوء و شحنت الثغر بالرجال أشحنه شحنا إذا ملأته و منه الشحنه لأنه يملأ بهم البلد.

الإعراب

«رَحْمَةً مِّنَّا» نصب على أنه مفعول له و «مَتَاعًا» عطف عليه و يمكن أن يكون على معنى إلا أن نرحمهم رحمه و نمتعهم متاعا.

المعنى

ثم امتن سبحانه على خلقه بذكر فنون نعمه دالا بذلك على وحدانيته فقال «وَ آيَةٌ لَهُمْ» أى و حجه و علامه لهم على اقتدارنا «أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ» يعنى آباءهم و أجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم «فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» يعنى سفينه نوح المملوءه من الناس و ما يحتاج إليه من فيها فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير و يسمى الآباء ذريه من ذرأ الله الخلق لأن الأولاد خلقوا منهم وسمى الأولاد ذريه لأنهم خلقوا من الآباء عن الضحاك و قتاده و جماعه من المفسرين و قيل الذريه هم الصبيان و النساء و الفلك هى السفن الجاربه فى البحار و خص الذريه بالحمل فى الفلك لضعفهم و لأنه لا قوه لهم على السفر كقوه الرجال فسخر الله لهم السفن ليتمكن الحمل فى البحر و الإبل ليتمكن الحمل فى البر يقول القائل حملنى فلان إذا أعطاه ما يحمل أو هداه إلى ما يحمل عليه قال الشاعر:

ألا فتى عنده خفان يحملنى عليهما إننى شيخ على سفر

«وَ خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ» أى و خلقنا لهم من مثل سفينه نوح سفنا يركبون فيها كما ركب نوح يعنى السفن التى عملت بعد سفينه نوح مثلها على صورتها و هيئتها عن

ابن عباس وغيره وقيل إن المراد به الإبل وهي سفن البر عن مجاهد وقيل مثل السفينه من الدواب كالإبل والبقر والحمير عن الجبائي «وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ» أى وإن نشأ إذا حملناهم فى السفن نغرقهم بتهييج الرياح والأمواج «فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ» أى لا مغيث لهم «وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ» أى ولا يخلصون من الغرق إذا أردناه «إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ» أى إلا أن نرحمهم بأن نخلصهم فى الحال من أهوال البحر و نمتعهم إلى وقت ما قدرناه لتقضى آجالهم وقيل معناه بقيناهم نعمه منا عليهم وإمتاعا إلى مده «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ» أى للمشركين «اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» من أمر الآخرة فاعملوا لها «وَ مَا خَلْفَكُمْ» من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها «لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ» أى لتكونوا على رجاء الرحمة من الله تعالى عن ابن عباس وقيل معناه اتقوا ما مضى من الذنوب وما يأتى من الذنوب عن مجاهد أى اتقوا عذاب الله بالتوبه للماضى والاجتناب للمستقبل وقيل اتقوا العذاب المنزل على الأمم الماضيه وما خلفكم من عذاب الآخرة عن قتاده و

روى الحلبي عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال معناه اتقوا ما بين أيديكم من الذنوب و ما خلفكم من العقوبه

و جواب إذا محذوف تقديره إذا قيل لهم هذا أعرضوا و يدل على هذا المحذوف قوله «وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ» أى أعرضوا عن الداعى و عن التفكير فى الحجج و فى المعجزات و من فى قوله «مِنْ آيَةٍ» هى التى تزداد فى النفسى للاستغراق و من الثانيه للتبعيض أى ليس تأتيتهم آيه آيه كانت إلا ذهبوا عنها و أعرضوا عن النظر فيها و ذلك سبيل من ضل عن الهدى و خسر الدنيا و الآخرة «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» أيضا «أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» فى طاعته و أخرجوا ما أوجب الله عليكم فى أموالكم «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَلْنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ» احتجوا فى منع الحقوق بأن قالوا كيف نطعم من يقدر الله على إطعامه و لو شاء الله إطعامه أطعمه فإذا لم يطعم دل على أنه لم يشأ إطعامه و ذهب عليهم إن الله سبحانه إنما تعبدهم بذلك لما لهم فيه من المصلحه فأمر الغنى بالإنفاق على الفقير ليكسب به الأجر و الثواب و اختلف فى هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل هم اليهود حين أمروا بإطعام الفقراء عن الحسن وقيل هم مشركو قريش قال لهم أصحاب رسول الله ص أطعمونا من أموالكم ما زعمتم أنه لله و ذلك قوله هذا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ عَنْ مِقَاتِلٍ وَقِيلَ لَهُمُ الزَّنَادِقَةُ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الصَّانِعَ تَعَلَّقُوا بِقَوْلِهِ «رَزَقَكُمُ اللَّهُ» فقالوا إن كان هو الرزاق فلا فائده فى التماس الرزق منا و قد رزقنا و حرمكم فلم تأمرون بإعطاء من حرمه الله «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» هذا من قول الكفار لمن أمرهم بالإطعام عن قتاده وقيل أنه من قول الله تعالى لهم حين ردوا هذا بالجواب عن على بن عيسى «وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ» الذى تعدنا به من نزول العذاب بنا «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى ذلك أنت و أصحابك و هذا استهزاء

منهم بخبر النبي ص و خبر المؤمنين فقال تعالى في جوابهم «مَا يَنْظُرُونَ» أى ما ينتظرون «إِلَّا صَيْحَهُ وَاجِدَةً» يريد النفخه الأولى عن ابن عباس يعنى أن القيامة تأتيهم بغته «تَأْخُذُهُمْ» الصيحة «وَهُمْ يَخِصِّمُونَ» أى يختصمون فى أمورهم و يتبايعون فى الأسواق و

فى الحديث تقوم الساعة و الرجالن قد نشرا ثوابهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم و الرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم و الرجل يلبط حوضه ليسقى ماشيته فما يسقيها حتى تقوم

و قيل و هم يختصمون هل ينزل بهم العذاب أم لا- «فَلَا يَسْتَتِيعُونَ تَوْصِيَةً» يعنى أن الساعة إذا أخذتهم بغته لم يقدرؤا على الإيضاء بشىء «وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» أى و لا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق و هذا إخبار عما يلقونه فى النفخه الأولى عند قيام الساعة.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٥١ الى ٦٠]

إشاره

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ (٥٥)

هُم و أزواجُهُم فى ظلالٍ على الأرائك مُتَّكُونَ (٥٦) لَهُم فيها فاكهه و لَهُم ما يَدْعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا- مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٨) و امتازوا اليوم أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)

القراءه

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو و روح فى شغل ساكنه الغين و الباقون «فى شُغْلٍ» بضم الغين و قرأ أبو جعفر فكهون بغير ألف حيث وقع و وافقه حفص فى المطففين

انْقَلَبُوا فَكَيْهِنَ و قرأ الآخرون بالألف كل القرآن و قرأ أهل الكوفة غير عاصم في ظلل بضم الظاء بلا ألف و الباقون «في ظلال» و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قرأ من بعثنا من مرقدنا

و في الشواذ قراءه ابن أبي لیلی یا ویلتا و قرأ أبي بن كعب من هبنا من مرقدنا.

الحجج

الشغل و الشغل لغتان و كذلك الفكه و الفاكه و الظلل جمع ظله و الظلال يجوز أيضا أن يكون جمع ظله فيكون كبرمه و برام و علبه و علايب و يجوز أن يكون جمع ظل و أما قوله «مَنْ بَعَثْنَا» فهو كقولك يا ويلي من أخذك مني قال ابن جنى من الأولى متعلقه بالويل كقولك يا تألمى منك و إن شئت كان حالا فتعلقت بمحذوف حتى كأنه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا فجاز أن يكون حالا منه كما جاز أن يكون خبرا عنه في مثل قول الأعشى:

قالت هريره لما جئت زائرها ويلي عليك و ويلي منك يا رجل

و ذلك أن الحال ضرب من الخبر و أما من في قوله «مِنْ مَرْقَدِنَا» فمتعلقه بنفس البعث و من قرأ يا ويلتا فأصله يا ويلتى فأبدلت الياء ألفا لأنه نداء فهو موضع تخفيف فتاره تحذف هذه الياء نحو غلام و تاره بالبدل نحو يا غلاما قال:

" يا أبنا علك أو عساكا "

فإن قلت كيف قال يا ويلتا و هذا اللفظ للواحد و هم جماعه فالقول إنه يكون على أن كل واحد منهم قال يا ويلتا من بعثنا من مرقدنا و نحوه قوله فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً أى فاجلدوا كل واحد منهم و مثله ما حكاه أبو زيد من قولهم أتينا الأمير فكسانا كلنا حله و أعطانا كلنا مائه أى كسا كل واحد منا حله و أعطى كل واحد منا مائه و أما هبنا فيمكن أن يكون هب لغه في أهب و يمكن أن يكون على معنى هب بنا أى أيقظنا ثم حذف حرف الجرب فوصل الفعل.

اللغه

قال أبو عبيده الصور جمع صوره مثل بسره و بسر و هو مشتق من صاره يصوره صوراً إذا أماله فالصوره تميل إلى مثلها بالمشاهده و الجدد القبر و جمعه الأجداث و هذه لغه أهل العالیه و يقول أهل السافله بالفاء جدف و النسول الإسراع فى الخروج يقال نسل ينسل و ينسل قال امرؤ القيس:

و إن تك قد ساءتكن منى خليفه فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

و قال آخر:

عسلان الذئب أمسى قاربا برد الليل عليه فنسل

. الإعراب

«هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ» مبتدأ وخبر و يكون «مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا» كلاما تاما يوقف عليه و يجوز أن يكون هذا من نعت مرقدنا أى مرقدنا الذى كنا راقدين فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا و يكون «ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ» خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر على تقدير هذا ما وعد الرحمن أو حق ما وعد الرحمن سلام بدل من ما و المعنى لهم ما يتمنون لهم سلام و قولنا منصوب على أنه مصدر فعل محذوف أى يقوله الله قولاً.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن النفخة الثانية و ما يلقونه فيها إذا بعثوا بعد الموت فقال «و نُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ» و هى القبور «إِلَى رَبِّهِمْ» أى إلى الموضع الذى يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك «يَنْسَلُونَ» أى يخرجون سراعا فلما رأوا أهوال القيامة «قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا» أى من حشرنا من منامنا الذى كنا فيه نياما ثم يقولون «هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ» فيما أخبرونا عن هذا المقام و هذا البعث قال قتاده أول الآيه للكافرين و آخرها للمسلمين قال الكافرون «يا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا» و قال المسلمون «هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ» و إنما وصفوا القبر بالمرقد لأنهم لما أحيوا كانوا كالمنتبهين عن الرقده و قيل إنهم لما عاينوا أحوالهم فى القيامة عدوا أحوالهم فى قبورهم بالإضافة إلى تلك الأهوال رقادا قال قتاده هى النومه بين النفختين لا يفتتر عذاب القبر إلا فيما بينهما فيرقدون ثم أخبر سبحانه عن سرعه بعثهم فقال «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً» أى لم تكن المده إلا- مده صيحه واحده «فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَمُدِينًا مُمَّخَضَرُونَ» أى فإذا الأولون و الآخرون مجموعون فى عرصات القيامة محصلون فى موقف الحساب ثم حكى سبحانه ما يقوله يومئذ للخلائق فقال «فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ سَيِّئًا» أى لا ينقص من له حق شيئا من حقه من الثواب أو العوض أو غير ذلك و لا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب بل الأمور جاريه على مقتضى العدل و ذلك قوله «وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» ثم ذكر سبحانه أولياءه فقال «إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ» شغلهم النعيم الذى شملهم و غمرهم بسروره عما فيه أهل النار من العذاب عن الحسن و الكلبى فلا يذكر عنهم و لا يهتمون بهم و إن كانوا أقاربهم و قيل

شغلوا بافتضاض العذارى عن ابن عباس و ابن مسعود و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

قال و حواجبهن كالأهله و أشفار أعينهن كقوادم النسور و قيل باستماع الألحان عن و كيع و قيل شغلهم فى الجنة سبعة أنواع من الثواب لسبعة أعضاء فتواب الرجل بقوله اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ و ثواب اليد يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَغْوٌ فِيهَا و ثواب الفرج وَ حُورٌ عِينٌ و ثواب البطن كُلُّوْا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا آيِهِ و ثواب اللسان وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ الْآيَهُ و ثواب الأذن لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ نِظَائِرَهَا و ثواب العين وَ تَلَدُّ الْأَعْيُنُ «فَاكِهِونَ» أى فرحون عن ابن عباس و قيل ناعمون متعجبون بما هم فيه قال أبو زيد الفكه الطيب النفس الضحوك رجل فكه و فاكه و لم يسمع لهذا فعل فى الثلاثى و قال أبو مسلم أنه مأخوذ عن الفكاهه فهو كناية عن الأحاديث الطيبه و قيل فاكهون ذوو فاكهه كما يقال لاحم شاحم أى ذو لحم و شحم و عاسل ذو عسل قال الحطيئه:

و غررتنى و زعمت أنك لابن فى الصيف تأمر

أى ذو لبن و تمر ثم أخبر سبحانه عن حالهم فقال «هُمَّ وَ أزواجُهُمْ» أى هم و حلائلهم فى الدنيا ممن وافقهم على إيمانهم فى أستار عن وهج الشمس و سموها فهم فى مثل تلك الحال الطيبه من الظلال التى لا حر فيها و لا برد و قيل أزواجهم اللاتى زوجهم الله من الحور العين «فى ظلالٍ» أشجار الجنة و قيل فى ظلال تسترهم من نظر العيون إليهم «عَلَى الْأَرَائِكِ» و هى السرر عليها الحجال و قيل هى الوسائد «مُتَكُونَ» أى جالسون جلوس الملوكة إذ ليس عليهم من الأعمال شىء قال الأزهري كلما أتكى عليه فهو أريكه و الجمع أرائك «لَهُمْ فِيهَا» أى فى الجنة «فَاكِهِةً وَ لَهُمْ ما يَدْعُونَ» أى ما يتمنون و يشتهون قال أبو عبيده تقول العرب ادع لى ما شئت أى تمن على و قيل معناه إن كل من يدعى شيئا فهو له بحكم الله تعالى لأنه قد هذب طباعهم فلا يدعون إلا ما يحسن منهم قال الزجاج هو مأخوذ من الدعاء يعنى أن أهل الجنة كلما يدعونه يأتيهم ثم بين سبحانه ما يشتهون فقال «سَلَامٌ» أى لهم سلام و منى أهل الجنة أن يسلم الله عليهم «قَوْلًا» أى يقوله الله قولاً «مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ» بهم يسمعون من الله فيؤذنه بدوام الأمن و السلامه مع سبوغ النعمه و الكرامه و قيل إن الملائكه يدخل عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم ثم ذكر سبحانه أهل النار فقال «وَ ائْتَاوْا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ» أى يقال لهم انفصلوا معاشر العصاه و اعتزلوا من جملة المؤمنين و قيل معناه كونوا على حده عن السدى و قيل معناه إن لكل كافر

بيتا فى النار يدخل فيردم بابه لا يرى ولا يرى عن الضحاك ثم خصهم سبحانه بالتوبيخ فقال «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ» أى أ لم آمركم على ألسنه الأنبياء و الرسل فى الكتب المنزله «أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ» أى لا تطيعوا الشيطان فيما يأمركم به «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ» أى و قلت لكم إن الشيطان لكم عدو «مُبِينٌ» ظاهر عداوته عليكم يدعوكم إلى ما فيه هلاككم و فى هذه الآيه دلالة على أنه سبحانه لا يخلق عباده الشيطان لأنه حذر من ذلك و وبخ عليه.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٦١ الى ٦٥]

اشاره

وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) أَضَلُّوَهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)

القراءه

قرأ أبو عمرو و ابن عامر جبلا بضم الجيم و سكون الباء و قرأ أهل المدينه و عاصم و سهل «جِبِلًّا» بكسر الجيم و الباء و تشديد اللام و قرأ روح و زيد جبلا بضم الجيم و الباء و تشديد اللام و هو قراءه الحسن و الأعرج و الزهرى و قرأ الباقون جبلا بضمهما و تخفيف اللام.

الحجه

معناهن جميعا الخلق الكثير و الجماعه و الجمع الذين جبلوا على خليفه أى طبعوا و أصل الجبل الطبع و منه الجبل لأنه مطبوع على الثبات و قال أبو مسلم أصله الغلظه و الشده.

المعنى

ثم قال سبحانه فى حكايته ما يقوله الكفار يوم القيامة «وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» فوصف عبادته بأنه طريق مستقيم من حيث كان طريقا إلى الجنه ثم ذكر سبحانه عداوه الشيطان بينى آدم فقال «وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا» أى أضل الشيطان عن الدين خلقا كثيرا منكم بأن دعاهم إلى الضلال و حملهم على الضلال و أغواهم «أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ» أنه يغويكم و يصدكم عن الحق فتنبهون عنه صورته استفهام و معناه الإنكار عليهم و التبكيت لهم و فى هذا بطلان مذهب أهل الجبر فى أن الله أراد إضلالهم و لو كان كما قالوه

لكان ذلك أضر عليهم و أنكر من إرادته الشيطان ذلك «هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» بها فى دار التكليف حاضره لكم تشاهدونها «اضِلُّوْهَا الْيَوْمَ» أى أزموا العذاب بها و أصل الصلاء اللزوم و منه المصلى الذى يجىء فى أثر السابق للزومه أثره و قيل معناه صيروا صلاها أى وقودها عن أبى مسلم «بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» جزاء لكم على كفركم بالله و تكذيبكم أنبياءه «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ» هذا حقيقه الختم فتوضع على أفواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرّون على الكلام و النطق «و تَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ» بما عملوا «و تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أى نستنطق الأعضاء التى كانت لا تنطق فى الدنيا لتشهد عليهم و نختم على أفواههم التى عهد منها النطق و اختلف فى كيفية شهاده للجوارح على وجوه (أحدها) أن الله تعالى يخلقها خلقه يمكنها أن تتكلم و تنطق و تعترف بذنوبها (و ثانيها) أن الله تعالى يجعل فيها كلاما و إنما نسب الكلام إليها لأنه لا يظهر إلا من جهتها (و ثالثها) أن معنى شهادتها و كلامها أن الله تعالى يجعل فيها من الآيات ما يدل على أن أصحابها عصوا الله بها فسمى ذلك شهاده منها كما يقال عيناك تشهدان بسهرك و قد ذكرنا أمثال ذلك فيما سلف.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

إشارة

وَ لَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَ لَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَاعُوا مِصْرًا وَ لَا يَرْجِعُونَ (٦٧) وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلَآ يَعْقِلُونَ (٦٨) وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِ لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)

القرءه

قرأ أبو بكر وحده مكاناتهم على الجمع و الباقر على التوحيد و قد تقدم ذكر ذلك و قرأ عاصم و حمزه و سهل «نُنَكِّسْهُ» بضم النون الأولى و فتح الثانيه و كسر الكاف و تشديدها و قرأ الباقر بضم الكاف و تخفيفها و قرأ أهل المدينة و الشام و يعقوب و سهل لتندر بالتاء و الباقر بالياء.

الحجه

يقال نكسته و نكسته و أنكسه و أنكسه مثل رددت و رددت غير أن التشديد للتكثير و التخفيف يحتمل القليل و الكثير و من قرأ لتندر بالتاء فهو خطاب للنبي ص و من قرأ

بالباء أراد القرآن و يجوز أن يريد لينذر الله.

اللغة

الطمس محو الشئ حتى يذهب أثره فالطمس على العين كالطمس على الكتاب و مثله الطمس على المال و هو إذهابه حتى لا يقع عليه إدراك و أعمى مطموس و طميس و هو أن يذهب الشق الذى بين الجفنين و المسخ قلب الصورة إلى خلقه مشوهه كما مسخ قوم قرده و خنازير.

الإعراب

أنى فى محل نصب على الحال من «يُبَصِّرُونَ» أو على أنه فى معنى مصدره.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قدرته على إهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال «وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ» أى لأعميناهم عن الهدى عن ابن عباس و قيل معناه لتركناهم عميا يترددون عن الحسن و قتاده و الجبائى «فَأَسِيبُوا الصُّرَاطَ» أى فطلبوا طريق الحق و قد عموا عنه «فَأَنَّى يُبَصِّرُونَ» أى فكيف يبصرون عن ابن عباس و قيل معناه فطلبوا النجاه و السبق إليها و لا بصر لهم فكيف يبصرون و قد أعميناهم و قيل طلبوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا إليها «وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَا عَنْهُمْ مَكَانَتِهِمْ» أى على مكانهم الذى هم فيه قعود و المعنى و لو نشاء لعذبناهم بنوع آخر من العذاب فأقعدناهم فى منازلهم ممسوخين قرده و خنازير و المكانه و المكان واحد و قيل معناه و لو شئنا لمسخناهم حجاره فى منازلهم ليس فيهم أرواحهم «فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَ لَا يَرْجِعُونَ» أى فلم يقدروا على ذهاب و لا مجىء لو فعلنا ذلك بهم و قيل معناه فما استطاعوا مضيا من العذاب و لا رجوعا إلى الخلقه الأولى بعد المسخ و هذا كله تهديد هددهم الله به ثم قال سبحانه «وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ» أى من نطول عمره نصيره بعد القوه إلى الضعف و بعد زياده الجسم إلى النقصان و بعد الجده و الطراوه إلى البلى و الخلوقة فكأنه نكس خلقه و قيل نكسه و نرده إلى حال الهرم التى تشبه حال الصبى فى ضعف القوه و عزوب العلم عن قتاده «أَفَلَا يَعْقِلُونَ» أى أفلا يتدبرون فى أن الله تعالى يقدر على الإعادة كما قدر على ذلك و إنما قال على الخطاب لقوله أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ من قرأ بالياء فالمعنى أ فليس لهم عقل فيعتبروا و يعلموا ذلك ثم أخبر سبحانه عن نبيه ص كيدا لقوله إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ فقال «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ» يعنى قول الشعراء و صناعه الشعر أى ما أعطيناها العلم بالشعر و إنشائه «وَمَا يَتَّبِعِي لَهُ» أن يقول الشعر من عند نفسه و قيل معناه ما يتسهل له الشعر و ما كان يترين له بيت شعر حتى أنه إذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما

روى عن الحسن أن رسول الله ص كان يتمثل بهذا البيت:

" كفى الإسلام و الشيب للمرء ناهيا "

فقال أبو بكر يا رسول الله إنما قال الشاعر:

" كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا "

أشهد أنك رسول الله و ما علمك الشعر و ما ينبغي لك

و

عن عائشه أنها قالت كان رسول الله ص يتمثل بيت أخي بنى قيس:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا و يأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول:

يأتيك من لم تزود بالأخبار

فيقول أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فيقول إنى لست بشاعر و ما ينبغي لى

فما

قوله ص

" أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب "

فقد قال قوم إن هذا ليس بشعر و قال آخرون إنما هو اتفاق منه و ليس بقصد إلى قول الشعر و قيل أن معنى الآية و ما علمناه الشعر بتعليم القرآن و ما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا فإن نظمه ليس بنظم الشعر و قد صح أنه كان يسمع الشعر و يحث عليه و

قال لحسان بن ثابت لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك

«إِنْ هُوَ» أى من الذى أنزلناه عليه «إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ» من عند رب العالمين ليس بشعر و لا رجز و لا خطبه و المراد بالذكر أنه يتضمن ذكر الحلال و الحرام و الدلالات و أخبار الأمم الماضيه و غيرها و بالقرآن أنه مجموع بعضه إلى بعض فجمع سبحانه بينهما لاختلاف فائدتهما «لتنذر من كان حيا» أى أنزلناه لتخوف به من معاصى الله من كان مؤمنا لأن الكافر كالميت بل أقل من الميت لأن الميت و إن كان لا ينتفع و لا يتضرر و الكافر لا ينتفع لدينه و يتضرر به و

يجوز أن يكون المراد بمن كان حيا عاقلا و روى ذلك عن على (عليه السلام)

وقيل من كان حى القلب حى البصر عن قتاده «وَيَحَقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى يجب الوعيد و العذاب على الكافرين بكفرهم.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٧١ الى ٧٦]

اشاره

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَ لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ مَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَتِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنُودٌ مُخَضَّرُونَ (٧٥)

فَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٧٦)

ص: ٢٥٤

فى الشواذ قراءة الحسن و الأعمش ركوبهم و قراءة عائشه و أبى بن كعب ركوبتهم.

الحجج

أما الركوب فمصدر و الكلام على حذف المضاف و التقدير فمنها ذو ركوبهم و ذو الركوب هو المركوب و يجوز أن يكون التقدير فمن منافعها ركوبهم كما يقول الإنسان لغيره من بركاتك وصول الخير إلى على يدك و أما ركوبتهم فهى المركوبه كالقنوبه و الحلوبه و الجزوره لما يقرب و يحلب و يجر.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر الأدله على التوحيد فقال سبحانه «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» معناه أ و لم يعلموا «أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ» أى لمنافعهم «مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا» أى مما ولنا خلقه بإبداعنا و إنشائنا لم نشارك فى خلقه و لم نخلقه بإعانه معين و اليد فى اللغه على أقسام منها الجارحه و منها النعمه و منها القوه منها تحقيق الإضافه يقال فى معنى النعمه لفلان عندى يد بيضاء و بمعنى القدره تلقى فلان قولى باليدى أى بالقوه و التقبل و بمعنى تحقيق الإضافه قول الشاعر:

دعوت لما نابى مسورا فلبى فلبى يدى مسور

و إنما ثناه لتحقيق المبالغه فى الإضافه إلى مسور و يقولون هذا ما جنت يداك و هو المعنى فى الآيه و إذا قال الواحد منا عملت هذا بيدى دل ذلك على انفراده بعمله من غير أن يكله إلى أحد «أَنْعَامًا» يعنى الإبل و البقر و الغنم «فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ» أى و لو لم نخلقها لما ملكوها و لما انتفعوا بها و بألبانها و ركوب ظهورها و لحومها و قيل فهم لها ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشيه نافرهم لا يقدرون على ضبطها فهى مسخره لهم و هو قوله «وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ» أى سخرناها لهم حتى صارت منقادها «فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ» قسم الأنعام بأن جعل منها ما يركب و منها ما يذبح فينتفع بلحمه و يؤكل قال مقاتل الركوب الحموله يعنى

الإبل و البقر «وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ» فمن منافعها لبس أصوافها و أشعارها و أوبارها و أكل لحومها و ركوب ظهورها إلى غير ذلك من أنواع المنافع الكثيره فيها و المشارب من ألبانها «أَفَلَا يَشْكُرُونَ» الله تعالى على هذه النعم ثم ذكر سبحانه جهلهم فقال «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» يعبدونها «لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ» أى لكى ينصروهم و يدفعوا عنهم عذاب الله «لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ» يعنى هذه الآلهه التى عبدوها لا تقدر على نصرهم و الدفع عنهم «وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ» يعنى أن هذه الآلهه معهم فى النار محضرون لأن كل حزب مع ما عبده من الأوثان فى النار فلا الجند يدفعون عنها الإحراق و لا هى تدفع عنهم العذاب و هذا كما قال سبحانه إِنْكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ عن الجبائى و قيل معناه أن الكفار جند للأصنام يغضبون لهم و يحضرونهم فى الدنيا عن قتاده أى يغضبون للآلهه فى الدنيا و هى لا تسوق إليهم خيرا و لا تدفع عنهم شرأ قال الزجاج ينصرون الأصنام و هى لا تستطيع نصرهم ثم عزى نبيه ص بأن قال «فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ» فى تكذيبك «إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ» فى ضمائرهم «وَمَا يُعْلِنُونَ» بألسنتهم فنجازيهم على كل ذلك.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٧٧ الى ٨٣]

إشارة

أَو لَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

ص: ٢٥٦

قرأ يعقوب يقدر بالياء وكذلك فى الأحقاف و الوجه فيه ظاهر و فى الشواذ قراءه طلحه و إبراهيم التيمى و الأعمش ملكه كل شىء و معناه فسبحان الذى بيده القدره على كل شىء و هو من ملكت العجين إذا أجدت عجنه فقويته بذلك و الملكوت فعلوت منه زادوا فيه الواو و التاء للمبالغه بزياده اللفظ و لهذا لا يطلق الملكوت إلا على الأمر العظيم.

الإعراب

«الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ» بدل من «الَّذِي أَنْشَأَهَا» و يجوز أن يكون مرفوعاً أو منصوباً على المدح. أن يقول فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ.

النزول

قيل

إن أبى بن خلف أو العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتت و قال يا محمد أ تزعم أن الله يبعث هذا فقال نعم فنزلت الآية «أ وَ لَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ» إلى آخر السوره.

المعنى

ثم نبه سبحانه خلقه على الاستدلال على صحه البعث و الإعادته فقال «أ وَ لَمْ يَرِ» أ و لم يعلم «الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ» و التقدير ثم نقلناه من النطفه إلى العلقه و من العلقه إلى المضغه و من المضغه إلى العظم و من العظم إلى أن جعلناه خلقاً سوياً ثم جعلناه فيه الروح و أخرجناه من بطن أمه و ربنا و نقلناه من حال إلى حال إلى أن كمل عقله و صار متكلماً خصيماً و ذلك قوله «فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ» أى مخاصم ذو بيان أى فمن قدر على جميع ذلك فكيف لا يقدر على الإعادته و هى أسهل من الإنشاء و الابتداء و لا يجوز أن يكون خلق الإنسان واقعا بالطبيعه لأن الطبيعه فى حكم الموات فى أنها ليست بحيه قادره فكيف يصح منها الفعل و لا أن يكون كذلك بالاتفاق لأن المحدث لا بد له من محدث قادر عالم و فى الآية دلالة على صحه استعمال النظر فى الدين لأن الله سبحانه أقام الحجة على المشركين بقياس الشأه الثانيه على الشأه الأولى و ألزم من أقر بالأولى أن يقر بالثانيه ثم أكد سبحانه الإنكار عليه فقال «وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا» أى ضرب المثل فى إنكار البعث بالعظم البالى و فته بيده و تتعجب ممن يقول أن الله يحييه «وَ نَسِيَ خَلْقَهُ» أى و ترك النظر فى خلق نفسه إذ خلق من نطفه ثم بين ذلك المثل بقوله «قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ» أى باليه و اختلف فى القائل لذلك فقيل

هو أبى بن خلف عن قتاده و مجاهد و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

وقيل هو العاص بن وائل السهمى عن سعيد بن جبير و قيل أميه بن خلف عن الحسن ثم قال سبحانه فى الرد عليه «قُلْ» يا محمد لهذا المتعجب من الإعادته «يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» لأن من قدر على اختراع ما يبقى فهو على إعادته قادر لا محاله «وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» من الابتداء و الإعادته فيعلم به قبل أن يخلقه أنه إذا خلقه كيف يكون و يعلم به قبل أن يعيده أنه إذا أعاده كيف

يكون ثم زاد سبحانه في البيان و أخبر من صنعه بما هو

ص: ٢٥٧

عجيب الشأن فقال «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ» أى جعل لكم من الشجر الرطب المطفى للنار نارا محرقه يعنى بذلك المرخ و العفار و هما شجرتان يتخذ الأعراب زنودها منهما فيبين سبحانه أن من قدر على أن يجعل فى الشجر الذى هو فى غاية الرطوبه نارا حاميه مع مضاده النار للرطوبه حتى إذا احتاج الإنسان حك بعضه ببعض فتخرج منه النار و ينقذ قدر أيضا على الإعادة و تقول العرب " فى كل شجر نار، و استمجد المرخ و العفار " و قال الكلبى كل شجر تنقذ منه النار إلا العناب ثم ذكر سبحانه من خلقه ما هو أعظم من الإنسان فقال «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» هذا استفهام معناه التقرير يعنى من قدر على خلق السماوات و الأرض و اختراعهما مع عظمهما و كثره أجزاءهما يقدر على إعادة خلق البشر ثم أجاب سبحانه هذا الاستفهام بقوله «بلى» أى هو قادر على ذلك «وَهُوَ الْخَلَّاقُ» أى يخلق خلقا بعد خلق «الْعَلِيمُ» بجميع ما خلق ثم ذكر قدرته على إيجاد الأشياء فقال «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و التقدير أن يكونه فيكون فعبر عن هذا المعنى بكن لأنه أبلغ فيما يراد و ليس هنا قول و إنما هو إخبار بحدوث ما يريدته تعالى و قيل إن المعنى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول من أجله كن فيكون فعبر عن هذا المعنى بكن و قيل إن هذا إنما هو فى التحويلات نحو قوله كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا و ما أشبه ذلك و لفظ الأمر فى الكلام على عشره أوجه (أحدها) الأمر لمن هو دونك (و الثانى) الندب كقوله فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا (و ثالثها) الإباحه نحو قوله فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا و إذا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا (و الرابع) الدعاء رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً (الخامس) الترفيه كقوله ارفق بنفسك (السادس) الشفاعة نحو قولك شفعى فيه (السابع) التحويل نحو كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (الثامن) التهديد نحو قوله اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ (التاسع) الاختراع و الأحداث نحو قوله «كُنْ فَيَكُونُ» (العاشر) التعجب نحو أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ قال على بن عيسى فى قوله «كُنْ فَيَكُونُ» الأمر هاهنا أفخم من الفعل فجاء للتفخيم و التعظيم قال و يجوز أن يكون بمنزله التسهيل و التهوين فإنه إذا أراد فعل شىء فعله بمنزله ما يقول للشىء كن فيكون فى الحال و أنشد:

فقال له العينان سمعا و طاعه و حدرتا كالدر لما يثقب

و إنما أخبر عن سرعه دمه دون أن يكون ذلك قولاً- على الحقيقة ثم نزه سبحانه نفسه من أن يوصف بما لا- يليق به فقال «فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» أى تنزيها له من نفي القدره على الإعاده و غير ذلك مما لا يليق بصفاته الذى بيده أى بقدرته ملك كل شىء و من قدر على كل شىء قدر على إحياء العظام الرميم و على خلق كل شىء و إفنائها و إعادتها «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة أى تردون إلى حيث لا- يملك الأمر و النهى أحد سواه فيجازيكم بالثواب و العقاب على الطاعات و المعاصى على قدر أعمالكم.

(٣٧) سورة الصافات مكيه و آياتها ثنتان و ثمانون و مائه (١٨٢)

اشاره

عدد آياتها

مائه و إحدى و ثمانون آيه بصرى و آيتان فى الباقى.

اختلافها

آيتان و ما كانوا يعبدون غير البصرى و كلهم يعدون و إن كانوا ليقولون غير أبى جعفر.

فضلها

قال أبى بن كعب قال رسول الله ص و من قرأ سورة الصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنى و شيطان و تباعدت عنه مرده الشياطين و برىء من الشرك و شهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

و

روى الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الصافات فى كل يوم جمعه لم يزل محفوظا من كل آفة مدفوعا عنه كل بليه فى حياته الدنيا مرزوقا فى الدنيا بأوسع ما يكون من الرزق و لم يصبه الله فى ماله و لا ولده و لا بدنه بسوء من شيطان رجيم و لا- جبار عنيد و إن مات فى يومه أو ليلته بعثه الله شهيدا و أماته شهيدا و أدخله الجنة مع الشهداء فى درجه من الجنة.

تفسيرها

افتتح الله هذه السوره بمثل ما اختتم به سوره يس من ذكر البعث فقال:

[سورة الصافات (٣٧): الآيات ١ الى ١٠]

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَ الصّٰفّٰتِ صَفًّا (١) فَالزّٰجِرٰتِ زَجْرًا (٢) فَالتّٰلِیٰتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)

رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَ الْمَآرِضِ وَ مَا بَیْنَهُمَا وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَیِّنَا الدُّنْیَا بِزَیْنَةِ الْكُوكَبِ (٦) وَ حَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَیْطٰنٍ مَّارِدٍ (٧) لَا یَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلِئِ الْأَعْلَى وَ یُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩)

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)

ص: ٢٦٠

أدغم أبو عمرو و حمزه التاء فى الصاد و فى الزاى و فى الذال من «الصَّافَاتِ صَفًّا» «فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا» «فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا» و الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا و قرأ أبو عمرو وحده و العَادِيَاتِ ضَبْحًا مدغماً فَاَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا وَ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا مدغماً و ابن عباس لا يدغم شيئاً من ذلك و الباقر يظهار التاء فى ذلك كله و قرأ عاصم و حمزه «بِزِينِهِ» بالتنوين «الْكُوكِبِ» بالجر و قرأ أبو بكر «بِزِينِهِ» منونا أيضا الكواكب بالنصب و قرأ الباقر بزينه الكواكب مضافه و قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر «لَا يَسْمَعُونَ» بتشديد السين و الميم و الباقر لا يسمعون بالتخفيف.

الحجه

قال أبو على إدغام التاء فى الصاد حسن لمقاربه اللفظين أ لا ترى أنهما من طرف اللسان و أصول الثنايا و يجتمعان فى الهمس و المدغم فيه يزيد على المدغم بختلين هما الإطباق و الصفير و يحسن إدغام الأنقص فى الأزيد و لا يجوز أن يدغم الأزيد صوتا فى الأنقص صوتا فلهذا يحسن إدغام التاء فى الزاى من قوله «فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا» لأن التاء مهموسه و الزاى مجهوره و فيها زياده صفير كما كان فى الصاد و كذلك حسن إدغام التاء فى الذال فى قوله «فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا» و الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا لاتفاقهما فى أنهما من طرف اللسان و أصول الثنايا فأما إدغام التاء فى الصاد من قوله تعالى وَ العَادِيَاتِ ضَبْحًا فَإِن التاء أقرب إلى الذال و إلى الزاى منهما فى الضاد لأن الذال و الزاى و الصاد من حروف طرف اللسان و أصول الثنايا و طرفها و الضاد أبعد منهن لأنها من وسط اللسان و كذلك حسن إدغام التاء فيها لأن الصاد تغشى الصوت بها و اتسع و استطال حتى اتصل صوتها بأصول الثنايا و طرف اللسان فأدغم التاء فيها و سائر حروف طرف اللسان و أصول الثنايا إلا حروف الصفير فإنها لم تدغم فى الضاد و لم تدغم الضاد فى شىء من هذه الحروف لما فيها من زياده الصوت فأما الإدغام فى السَّابِحَاتِ سَبْحًا وَ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فحسن لمقاربه الحروف فأما من قرأ بالإظهار فى هذه الحروف فلاختلاف المخارج و أما من قرأ «بِزِينِهِ الْكُوكِبِ» جعل الكواكب بدلا من الزينه كما تقول مررت بأبى عبد الله زيد و من قرأ الكواكب بالنصب أعمل الزينه فى الكواكب و المعنى بأن زينا الكواكب فيها و مثل ذلك أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا. و من قرأ بزينه الكواكب

أضاف المصدر إلى المفعول كقوله تعالى مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَبِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ وَ مِنْ قَرَأَ «لَا يَسْمَعُونَ» فَإِنَّمَا هُوَ لَا يَتَسْمَعُونَ فَأَدْغَمَ التَّاءَ فِي السَّيْنِ وَ قَدْ يَتَسْمَعُ وَ لَا يَسْمَعُ فَإِذَا نَفَى التَّسْمِعَ عَنْهُمْ فَقَدْ نَفَى سَمْعَهُمْ مِنْ جِهَةِ التَّسْمِعِ وَ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ فَهُوَ أَبْلَغُ وَ يُقَالُ سَمِعْتُ الشَّيْءَ وَ اسْتَمَعْتُهُ كَمَا يُقَالُ حَقَرْتَهُ وَ اسْتَقَرَّتْهُ وَ شَوَيْتَهُ وَ اشْتَوَيْتَهُ وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ قَالَ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ* فَعَدَى الْفِعْلَ مَرَّةً بِالْيَاءِ وَ مَرَّةً بِاللَّامِ وَ حُجَّةً مِنْ قَرَأَ يَسْمَعُونَ قَوْلَهُ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُوْلُونَ.

اللغة

قال أبو عبيد كل شئ ع بين السماء و الأرض لم يضم قطريه فهو صاف و منه الطير صافات إذا نشرت أجنحتها و الصافات جمع الجمع لأنه جمع صافه و الزجر الصرف عن الشئ ع لخوف الذم و العقاب. المارد الخارج إلى الفساد العظيم و هو من وصف الشياطين و هم المردة و أصله الانجراد و منه الأمرد فالمارد المنجرد من الخير. الدحور الدفع بالعنف يقال دحر يدحر دحرا و دحورا. و الواصب الدائم الثابت قال أبو الأسود:

لا أشتري الحمد القليل بقاؤه يوما بدم الدهر أجمع واصبا

و الخطفه الاستلاب بسرعه يقال خطفه و اختطفه و الشهاب شعله نار ساطعه يقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضيا و الثاقب المضى ع كأنه يثقب بضوئه و منه حسب ثاقب أى شريف.

الإعراب

«حِفْظًا» مصدر فعل محذوف أى زيناها و حفظناها حفظا. «لَا يَسْمَعُونَ» جملة مجروره الموضع بأنها صفة شيطان «دُحُورًا» مصدر فعل دل عليه «يُقْتَدِفُونَ» أى يدحرون دحورا. «إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخُطْفَةَ» يحتمل أن يكون من خطف فى موضع نصب على الاستثناء و العامل فيه ما يتعلق به اللام فى لهم عذاب و المستثنى منه هم من لهم و يحتمل أن يكون استثناء منقطعا فيكون من خطف مبتدأ و خبره «فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثاقِبٌ».

المعنى

«وَ الصَّافَاتِ صِيْفًا» اختلف فى معنى الصافات على وجوه (أحدها) أنها الملائكة تصف أنفسها صفوفا فى السماء كصفوف المؤمنين فى الصلاة عن ابن عباس و مسروق و الحسن و قتاده و السدى (و ثانيها) أنها الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء إذا أرادت النزول إلى الأرض واقفه تنتظر ما يأمرها الله تعالى عن الجبائى (و ثالثها) أنهم جماعة من المؤمنين يقومون مصطفين فى الصلاة و فى الجهاد عن أبى مسلم «فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا»

اختلف فيها أيضا على وجوه (أحدها) أنها الملائكة تزجر الخلق عن المعاصي زجرا عن السدى و مجاهد و على هذا فإنه يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف (و ثانيها) أنها الملائكة الموكله بالسحاب تزجرها و تسوقها عن الجبائي (و ثالثها) أنها زواجر القرآن و آياته الناهيه عن القبائح عن قتاده (و رابعها) أنهم المؤمنون يرفعون أصواتهم عند قراءه القرآن لأن الزجره الصيحه عن أبي مسلم «فَالْتَالِيَاتِ ذِكْرًا» اختلف فيها أيضا على أقوال (أحدها) أنها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى و الذكر الذى ينزل على الموحى إليه عن مجاهد و السدى (و ثانيها) أنها الملائكة تتلو كتاب الله الذى كتبه لملائكته و فيه ذكر الحوادث فتترداد يقينا بوجود المخبر على وفق الخبر (و ثالثها) جماعه قراء القرآن من المؤمنين يتلونه فى الصلاه عن أبي مسلم و إنما لم يقل فالتاليات تلوا كما قال «فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا» لأن التالى قد يكون بمعنى التابع و منه قوله وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا فلما كان اللفظ مشتركاً بينه بما يزيل الإبهام «إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ» و هذه أقسام أقسم الله تعالى بها أنه واحد ليس له شريك ثم اختلف فى مثل هذه الأقسام فقليل أنها أقسام بالله تعالى على تقدير و رب الصفات و رب الزاجرات و رب التين و الزيتون لأن فى القسم تعظيماً للمقسم به و لأنه يجب على العباد أن لا يقسموا إلا بالله تعالى إلا أنه حذف لأن حجج العقول داله على المحذوف عن الجبائي و القاضى و قيل بل أقسم الله سبحانه بهذه الأشياء و إنما جاز ذلك لأنه ينبئ عن تعظيمها بما فيها من الدلاله على توحيده و صفاته العلى فله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به ثم قال سبحانه «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى خالقهما و مدبرهما «وَ مَا يَبِينُهُمَا» من سائر الأجناس من الحيوان و النبات و الجماد «وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ» و هى مشارق الشمس أى مطالعها بعدد أيام السنه ثلاثمائه و ستون مشرقاً و المغارب مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق و تغرب فى مغرب عن ابن عباس و السدى و إنما خص المشارق بالذكر لأن الشروق قبل الغروب «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا» يعنى التى هى أقرب السماوات إلينا و إنما خصها بالذكر لاختصاصها بالمشاهده «بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ» أى بحسنها و ضوئها و التزيين تحسين الشىء و جعله على صورته تميل إليها النفس فالله سبحانه زين السماء على وجه تمتع الرائي لها و فى ذلك أعظم النعمه على العباد مع ما لهم من المنفعه بالتفكير فيها و الاستدلال بها على صانعها «وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ» أى و حفظناها من كل شيطان «مَارِدٍ» أى خبيث خال من الخير متمرد و المعنى و حفظناها من دنو كل شيطان للاستماع فإنهم كانوا يسترقون السمع و يستمعون إلى كلام الملائكة و يقولون ذلك إلى ضعفه الجن و كانوا يوسوسون بها فى قلوب الكهنة

و يوهمونهم أنهم يعرفون الغيب فمنعهم الله تعالى عن ذلك «لا- يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى» أى لكيلا- يتسمعوا إلى الكتبه من الملائكة فى السماء عن الكلبى و قيل إلى كلام الملائكة- الأعلى أى لكيلا يتسمعوا و الملائكة الأعلى عباره عن الملائكة لأنهم فى السماء «و يُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ» أى يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع «دُحُورًا» أى دفعا لهم بالعنف و طردا «و لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ» أى و لهم مع ذلك أيضا عذاب دائم يوم القيامة «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ» و التقدير لا- يتسمعون إلى الملائكة إلا- من وثب الوثبه إلى قريب من السماء فاختلس خلسه من الملائكة و استلب استلابا بسرعه «فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ» أى فلحقه و أصابه نار مضيئه محرقة و الثاقب المنير المضى ء و هذا كقوله «إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ».

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١١ الى ٢٠]

إشاره

فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥)

أ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أ وَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير عاصم بل عجبت بضم التاء و الباقون بفتحها و قرأ ابن عامر و أهل المدينه غير ورش أو آباؤنا ساكنه الواو و الباقون بفتحهما و كذلك فى الواقعه.

الحجه

قال أبو على من قرأ «بَلْ عَجِبْتَ» بالفتح فالمعنى بل عجبت من إنكارهم البعث و هم يسخرون أ و عجبت من نزول الوحي عليك و هم يسخرون و الضم فيما زعموا قراءه على (عليه السلام) و ابن عباس و روى عن شريح من إنكار له فإنه قال أن الله لا يعجب و قد احتج بعضهم للضم بقوله «وَأَنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ» و ليس فى هذا دلالة على أن الله سبحانه أضاف العجب إلى نفسه و لكن المعنى و إن تعجب فعجب قولهم عندكم و المعنى فى الضم أن إنكار البعث و النشر مع ثبات القدره على الابتداء و الإنشاء عجيب و يبين ذلك عند من

استدل عندكم مما تقولون فيه هذا النحو من الكلام إذا ورد عليكم مثله كما أن قوله أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ معناه أن هؤلاء ممن تقولون أنتم فيه هذا النحو وكذلك قوله فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ عند من لم يجعل اللفظ على الاستفهام وعلى هذا النحو قوله وَيُلِّ لِلْمُطَفِّينَ وَيُلِّ يَوْمئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* وقوله لَعَلَّهُ يَتَدَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ولا يجوز أن يكون العجب في وصف القديم سبحانه كما يكون في وصف الإنسان لأن العجب فينا إنما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه وهذا منتف عن القديم سبحانه.

اللغة

اللازم و اللازم بمعنى أبدلت من الميم الياء قال النابغة:

ولا يحسبون الخير لا شر عنده ولا يحسبون الشر ضربه لازب

و بعض بنى عقيل يقولون لاتب أيضا بالتاء و الداخر الصاغر أشد الصغر.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «فَأَسْمِعْتِهِمْ» أى فاسألهم يا محمد سؤال تقرير «أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا» أى أحكم صنعا «أَمْ مَنْ خَلَقْنَا» قبلهم من الأمم الماضيه و القرون السالفه يريد أنهم ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الأمم و قد أهلكتناهم بالعذاب و قيل أنهم أشد خلقا أم من خلقنا من الملائكة و السماوات و الأرض و غلب ما يعقل على ما لا يعقل «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ» معناه أنهم إن قالوا نحن أشد فأعلمهم أن الله خلقهم من طين فكيف صاروا أشد قوه منهم و المراد أن آدم خلقه الله من طين و أن هؤلاء نسله و ذريته فكأنهم منه و قال ابن عباس اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد «بَلْ عَجِبْتَ» يا محمد من تكذيبهم إياك «وَيَسْخَرُونَ» من تعجبك و من ضم التاء فالمراد أنه سبحانه أمر نبيه ص أن يخبر عن نفسه بأنه عجب من هذا القرآن حين أعطيه و سخر منه أهل الضلال و تقديره قل بل عجت عن المبرد و قيل يسخرون أى يهزون بدعائك إياهم إلى الله و النظر فى دلائله و آياته و روى عن الأعمش عن أبى وائل قال قرأ عبد الله بن مسعود بل عجت بالضم فقال شريح إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم قال الأعمش فذكرته لإبراهيم فقال أن شريحا كان معجبا برأيه إن عبد الله قرأ بل عجت و عبد الله أعلم من شريح و إضافه العجب إلى الله تعالى ورد الخبر به

كقوله عجب ربكم من شباب ليس له صبوه و عجب ربكم من الكم و قنوطكم

و يكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى و معناه الاستحسان و الخبر عن

تمام الرضى و عجب مما يكره و معناه الإنكار له و الدم «وَ إِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ» أى و إذا خوفوا بالله و وعظوا بالقرآن لا ينتفعون بذلك و لا يتعظون به «وَ إِذَا رَأَوْا آيَةً» من آيات الله و معجزه مثل انشقاق القمر و غيرها «يَسْتَسْخِرُونَ» أى يستهزءون و يقولون هذا عمل السحر و سخر و استسخر بمعنى واحد و قيل معناه يستدعى بعضهم بعضا إلى إظهار السخريه و قيل معناه يعتقدونه سخريه كما تقول استقبحه أى اعتقده قبيحا و استحسنة أى اعتقده حسنا «وَ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى و قالوا لتلك الآيه ما هذا إلا سحر ظاهر و تمويه «أ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» بعد ذلك و محشورون أى كيف نبعث بعد ما صرنا ترابا «أ وَ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ» الذين تقدمونا بهذه الصفه أى أ و يبعث أباؤنا بعد ما صاروا ترابا يعنون أن هذا لا يكون و من فتح الواو و جعلها واو العطف دخل عليها همزه الاستفهام كقوله «أ وَ أَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى» ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» لهم «نَعَمْ» تبعثون «وَ أَنْتُمْ دَاخِرُونَ» صاغرون أشد الصغار ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجره واحده فقال «فَإِنَّمَا هِيَ» أى فإنما قصه البعث «زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ» أى صيحه واحده من إسرافيل يعنى نفخه البعث و الزجره الصرفه عن الشىء بالمخافه فكأنهم زجروا عن الحال التى هم فيها إلى الحشر «فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ» إلى البعث الذى كذبوا به و قيل معناه فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله «وَ قَالُوا» أى و يقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان «يَا وَيْلَنَا» من العذاب و هو كلمه يقولها القائل عند الوقوع فى الهلكه و مثله يا حشرتنا ينادون مثل هذه الأشياء على وجه التنبيه على عظم الحال «هَذَا يَوْمُ الدِّينِ» أى يوم الحساب عن ابن عباس و قيل يوم الجزاء عن قتاده و المراد أنهم اعترفوا بالحق خاضعين نادمين.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٢١ الى ٣٠]

إشارة

هذا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَ قَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥)

بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُشْتَسِئِمُونَ (٢٦) وَ أَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)

ثم أخبر سبحانه عن حالهم أيضا فقال «هذا يَوْمُ الْفُضْلِ» بين الخلائق والحكم وتمييز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه وذلك بأن يدخل المطيع الجنة على وجه الإكرام و يدخل العاصى النار على وجه الإهانة «الَّذِي كُنْتُمْ» يا معشر الكفار «بِهِ تُكذَّبُونَ» وهذا كلام بعضهم لبعض وقيل بل هو كلام الملائكة ثم حكى سبحانه ما يقوله للملائكة بأن قال «احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا» أنفسهم بارتكاب المعاصى أى اجمعوهم من كل جهه وقيل ظلموا أنفسهم بمخالفتهم أمر الله سبحانه و بتكذيبهم الرسل وقيل ظلموا الناس «وَأَزْوَاجَهُمْ» أى وأشباههم عن ابن عباس و مجاهد و مثله وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً أى أشباهها و أشكالا ثلاثة فيكون المعنى أن صاحب الزنا يحشر مع أصحاب الزنا و صاحب الخمر مع أصحاب الخمر إلى غيرهم وقيل و أشياعهم من الكفار عن قتاده وقيل و أزواجهم المشركات كأنه قال احشروا المشركين و المشركات عن الحسن وقيل و أتباعهم على الكفر و نظراؤهم و ضرباؤهم «وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ» إنما عبر عن ذلك بالهدايه من حيث كان بدلا من الهدايه إلى الجنة كقوله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ من حيث أن هذه البشاره وقعت لهم بدلا من البشاره بالنعيم «وَقَفُّوهُمْ» أى قفوا هؤلاء الكفار و احبسوهم عن دخول النار «إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» روى أنس بن مالك مرفوعا إنهم مسئولون عما دعوا إليه من البدع وقيل مسئولون عن أعمالهم و خطاياهم عن الضحّاك وقيل عن قول لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل عن ولايه على بن أبى طالب (عليه السلام) عن أبى سعيد الخدرى و عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا حدثناه عن الحاكم أبى القاسم الحسكائى بالإسناد يقال وقفت أنا و وقفت غيرى و بعض بنى تميم يقول أوقفت الدابه و الدار و أنشد الفراء:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا و إن نحن أو مانا إلى الناس أوقفوا

«مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ» أى لا تتناصرون و هذا على وجه التوبيخ و التبكيت أى ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا فى دفع العذاب و التقدير ما لكم غير متناصرين ثم بين سبحانه أنهم لا يقدرّون على التناصر فقال «بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُشْتَسِلِمُونَ» أى منقادون خاضعون و معنى الاستسلام أن يلقى بيده غير منازع فيما يراد منه «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

يَتَسَاءَلُونَ» هذا إخبار منه سبحانه أن كل واحد منهم يقبل على صاحبه الذى أغواه فيقول له على وجه التأنيب و التعنيف لم غررتنى و يقول ذلك له لم قبلت منى و قيل يقبل الأتباع على المتبوعين و المتبوعون على الأتباع يتلاومون و يتعاتبون و يتخاصمون «قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ» أى يقول الكفار لغواتهم إنكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحه و اليمن و البركه و لذلك أقررنا لكم و العرب تتيمن بما جاء من اليمين عن الجبائى و قيل معناه كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا أن الحق و الدين ما يضلوننا به و اليمين عباره عن الحق عن الزجاج و قيل معناه كنتم تأتوننا من قبل القوه و القدره فتخدعوننا من أقوى الوجوه و منه قوله فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ عَنِ الْفَرَاءِ «قَالُوا» فى جواب ذلك ليس الأمر كما قلت «بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» مصدقين بالله «وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ» أى قدره و قوه فنجبركم على الكفر فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فإنه لازم لكم و لاحق بكم «بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِيْنَ» أى خارجين عن الحق باغين تجاوزتم الحد إلى أفحش الظلم و أعظم المعاصى.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٣١ الى ٤٠]

اشاره

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَعَدَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)

وَ يَقُولُونَ أ إِنَّا لَنَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَعَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَ مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)

المعنى

هذا تمام الحكايه عن الكفار الذين قالوا وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ثُمَّ قالوا «فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا» أى وجب علينا قول ربنا بأنا لا نؤمن و نموت على الكفر أو وجب علينا العذاب الذى نستحقه على الكفر و الإغواء «إِنَّا لَعَدَائِقُونَ» العذاب الذى نستحقه على الكفر أى ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق ثم يعترفون بأنهم أغووهم بأن قالوا

«فَأَعْوَيْنَاكُمْ» أى أضللناكم عن الحق و دعوناكم إلى الغى «إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ» أى داخلين فى الضلاله و الغى و قيل معناه فخيبتناكم إنا كنا خائبين «فَأِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ» أى فى ذلك اليوم «فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» و اشتراكهم اجتماعهم فيه و المعنى أن ذلك التخاصم لم ينفعهم إذا اجتمع الأتباع و المتبوعون كلهم فى النار الأتباع بقبول الكفر و المتبوعون بالكفر و الإغواء «إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ» أى الذين جعلوا لله شركاء عن ابن عباس و قيل معناه أنا مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين ثم بين سبحانه أنه إنما فعل ذلك بهم من أجل «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ» عن قبول ذلك «وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرَاهُ جَانِبِ النَّبِيِّ سَائِرِ الْكَاثِبِينَ» أى يأنفون من هذه مقاله و يستخفون بمن يدعوهم إليها و يقولون لا ندع عباده الأصنام لقول شاعر مجنون يعنون النبى ص يدعوننا إلى خلافها و قيل لأجل شاعر عن أبى مسلم فرد الله هذا القول عليهم و كذبهم بأن قال «بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ» أى ليس بشاعر و لا مجنون لكنه أتى بما تقبله العقول من الدين الحق و الكتاب «وَصِدَّقَ الْمُرْسَلِينَ» أى حقق ما أتى به المرسلون من بشاراتهم و الكتاب الحق بدين الإسلام و قيل صدقهم بأن أتى بمثل ما أتوا به من الدعاء إلى التوحيد و قيل صدقهم بالنبوه ثم خاطب الكفار فقال «إِنَّكُمْ» أيها المشركون «لَمَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ» على كفركم و نسبتكم إياه إلى الشعر و الجنون «وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى على قدر أعمالكم ثم استثنى من جملة المخاطبين المعذبين فقال «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» الذين أخلصوا العباده لله و أطاعوه فى كل ما أمرهم به فإنهم لا يذوقون العذاب و إنما ينالون الثواب.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٤١ الى ٥٠]

اشاره

أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥)

بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠)

قرأ أهل الكوفه غير عاصم ينزفون بكسر الزاي و الباقون بفتح الزاء و كذلك فى سورة الواقعه إلا عاصم فإنه قرأ هاهنا بفتح الزاي و هناك بكسر الزاي.

الحجه

قال أبو على أنزف يكون على معنيين (أحدهما) بمعنى سكر قال:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

فمقابلته صحوتم يدل على أنه أراد سكرتم (و الآخر) بمعنى أنفد شرابه فمعنى أنزف صار ذا إنفاد لشرابه كما أن الأول معناه النفاد من عقله فمن قرأ ينزفون يجوز أن يريد به لا يسكرون عن شربها و يجوز أن يريد به لا ينفد ذلك عندهم كما ينفد شراب أهل الدنيا و من قرأ «يُنزِفُونَ» بفتح الزاي فإنه من نzf الرجل فهو منزوف و نزيف إذا ذهب عقله بالسكر.

اللغه

قال الأَخفش كل كأس فى القرآن فالمراد به الخمر. معين يحتمل أن يكون فعلا من أمعن فى الأمر إذا اشتد دخوله فيه و هو الماء الشديد الجرى و يحتمل أن يكون مفعولا من عين الماء لأنه يجرى ظاهرا للعين. و اللذه اللذيذه يقال شراب لذ و لذيذ و الغول فساد يلحق الشىء خفيا يقال اغتاله اغتالا و غاله غولا و منه الغيله و هى القتل سرا قال الشاعر:

و ما زالت الكأس تغتالنا و تذهب بالأول الأول

و القاصرات جمع قاصره و هن اللاتى يقصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم و القصر معناه الحبس و العين النجل العيون الحسانها و المكنون المصون من كل شىء قال الشاعر:

و هى زهراء مثل لؤلؤه الغواص ميزت من جوهر مكنون

. المعنى

ثم بين سبحانه ما أعده لعباده المخلصين من أنواع النعم فقال «أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ» جعل لهم التصرف فيه و حكم لهم به فى الأوقات المستأنفه فى كل وقت شيئا معلوما مقدرا ثم فسر ذلك الرزق بأن قال «فَوَاكِهُ» و هى جمع فاكهه يقع على الرطب

و اليابس من الثمار كلها يتفكهون بها و يتنعمون بالتصرف فيها «وَهُمْ مُكْرَمُونَ» مع ذلك أى معظمون ميجلون و ضد الإكرام الإهانه «فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» أى و هم مع ذلك فى بساتين فيها أنواع النعيم يتنعمون بها «عَلَى سُرُرٍ» و هى جمع سرير «مُتَقَابِلِينَ» يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض و لا- يرى بعضهم قفا بعض «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ» و هو الإناء بما فيه من الشراب «مِنْ مَعِينٍ» أى من خمر جاريه فى أنهار ظاهره العيون عن الحسن و قتاده و الضحاك و السدى و قيل شديد الجرى ثم وصف الخمر فقال «بَيِّضَاءَ» وصفها بالبياض لأنها فى نهايه الرقه مع الصفاء و اللطافه النوريه التى لها قال الحسن خمر الجنه أشد بياضا من اللبن و ذكر أن قراءه ابن مسعود صفراء فيحتمل أن يكون بيضاء الكأس صفراء اللون «لَمَذَّةٍ» أى لذيه «لِلشَّارِبِينَ» ليس فيها ما يعترى خمر الدنيا من المراره و الكراهه «لَا فِيهَا غَوْلٌ» أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها و لا تصيبهم منها وجع فى البطن و لا فى الرأس و يقال للوجع غول لأنه يؤدى إلى الهلاك «وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ» أى يسكرون و لا يتزفون لا يفنى خمرهم و تحمل هذه القراءه على هذا لزياده الفائده و على القراءه الأولى فيحمل الغول على الصداع و الوجع و أذى الخمار قال ابن عباس معناه و لا يبولون قال و فى الخمر أربع خصال السكر و الصداع و القيء و البول فنزه الله سبحانه خمر الجنه عن هذه الخصال «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» قصرن طرفهن على أزواجهن فلا- يردن غيرهن لجهن إياهم و قيل معناه لا- يفتحن أعينهن دلالة و غنجا «عَيْنٌ» أى واسعات العيون و الواحده عيناء و قيل هى الشديده بياض العين الشديده سوادها عن الحسن «كَأَنَّهِنَّ بَيِّضٌ مَكُونٌ» شبههن بيض النعام مكنه بالريش من الغبار و الريح عن الحسن و ابن زيد و فى معناه قول امرئ القيس:

كبكر المقاناه البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل

و قيل شبههن ببطن البيض قبل أن يقشر و قبل أن تمسه الأيدى و المكنون المصون ثم قال «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» يعنى أهل الجنه يسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم من حين بعثوا إلى أن أدخلوا الجنه فيخبر كل صاحبه بأنعام الله تعالى عليه.

إشارة

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥)

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتَزِدِينَ (٥٦) وَ لَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ (٥٧) أَ فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهَوُّ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ (٦٠)

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس و ابن محيصة هل أنتم مطلعون بالتخفيف فأطلع.

الحج

الاطلاع الإقبال فعلى هذا يكون معناه فهل أنتم مقبلون فأقبل و اطلع يكون مسندا إلى مصدره أى فأطلع الاطلاع كما يقال قد قيم أى قد قيم القيام.

الإعراب

«إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ» نصب بقوله «بِمَيِّتِينَ» انتصاب المصدر بالفعل الواقع قبل كما تقول ما ضربت إلا ضربه واحده و التقدير فما نموت إلا موتتنا الأولى.

المعنى

هذا تمام الحكاياه عن أحوال أهل الجنة و إقبال بعضهم على بعض فى المسائله عن الأخبار و الأحوال «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ» أى من أهل الجنة «إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ» فى دار الدنيا أى صاحب يختص بى إما من الإنس على قول ابن عباس أو من الشيطان على قول مجاهد «يَقُولُ» لى على وجه الإنكار على و التهجين لفعلى «أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ» بيوم الدين و بالبعث و النشور و الحساب و الجزاء و الاستفهام هنا على وجه الإنكار «أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ» أى مجزيون محاسبون من قولهم كما تدين تدان و المعنى أن ذلك القرين كان يقول لى فى الدنيا على طريق الاستبعاد و الاستنكار أ نبعث بعد أن صرنا ترابا و عظاما باليه و نجازى على أعمالنا أى أن هذا لا يكون أبدا و هذا أبلغ فى النفى من أن يقول لا نبعث و لا نجازى «قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ» أى ثم قال هذا

المؤمن لإخوانه في الجنة هل أنتم مطلعون على موضع من الجنة يرى منه هذا القرين يقال طلع على كذا إذا أشرف عليه و المعنى هل توثرون أن تروا مكان هذا القرين في النار و في الكلام حذف أى فيقولون له نعم أطلع أنت فأنت أعرف بصاحبك قال الكلبى و ذلك لأن الله تعالى جعل لأهل الجنة كوه ينظرون منها إلى أهل النار «فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ» أى فاطلع هذا المؤمن فرأى قرينه «فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» أى فى وسط النار «قَالَ» أى فقال له المؤمن «تَاللَّهِ إِنْ كِدْتِ لَتَرِدِينَ» هذه إن المخففه من الثقيله بدلاله مصاحبه لام الابتداء لها فى قوله «لَتَرِدِينَ» أقسم بالله سبحانه على وجه التعجب إنك كدت تهلكنى بما قلته لى و دعوتنى إليه حتى يكون هلاكى كهلاك المتردى من شاهق و منه قوله و ما يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى أى تردى فى النار «وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي» على بالعصمه و اللطف و الهدايه حتى آمنت «لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ» معك فى النار و لا يستعمل أحضر مطلقا إلا فى الشر قال قتاده فو الله لو لا أن الله عرفه إياه لما كان يعرفه لقد تغير حبره و سيره أى حسنه و سحناؤه «أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» معناه أن هذا المؤمن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ و التقريرع أليس كنت فى الدنيا تقول أنا لا نموت إلا الموته التى تكون فى الدنيا و لا نعذب فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك و قيل أن هذا من قول أهل الجنة بعضهم لبعض على وجه إظهار السرور بدوام نعيم الجنة و لهذا عقبه بقوله «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» معناه فما نحن بميتين فى هذه الجنة إلا موتتنا التى كانت فى الدنيا و ما نحن بمعذبين كما وعدنا الله تعالى و يريدون به التحقيق لا الشك و إنما قالوا هذا القول لأن لهم فى ذلك سرورا مجددا و فرحا مضاعفا و إن كانوا قد عرفوا أنهم سيخلدون فى الجنة و هذا كما أن الرجل يعطى المال الكثير فيقول مستعجبا كل هذا المال لى و هو يعلم أن ذلك له و هذا كقوله:

أبطحاء مكة هذا الذى أراه عيانا و هذا أنا.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٦١ الى ٧٠]

إشاره

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) أ ذَلِكَ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥)

فَأِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)

النزل الريح و الفضل يقال لهذا الطعام نزل و نزل و قيل هي الأنزال التي يتقوت بها فتقيم الأبدان و تبقى عليها الأرواح و يقال أقمت للقوم نزلهم أى ما يصلح أن ينزلوا عليه من الغذاء و زعم قطرب أن الزقوم شجره مره تكون بتهامه قال أبو مسلم و ظاهر التلاوه يدل على أن العرب كانت لا تعرفها فلذلك فسر بعد ذلك. و الطلع حمل النخلة سمي بذلك لطلوعه و الشوب خلط الشىء بما ليس منه و هو شر منه. و الحميم الحار الذى يدنو من الإحراق المهلك قال:

أحم الله ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال

أى أدناه و حمم ريش الفرخ حين يدنو من الطيران و الحميم الصديق القريب أى الدانى من القلب و هرع الرجل و أهرع إذا استحث فأسرع قال الأزهري الإهراع الإسراع و المهرع الحريص.

المعنى

ثم قال سبحانه فى تمام الحكايه عن قول أهل الجنه «لِمَثَلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ» أى لمثل هذا الثواب و الفوز و الفلاح فليعمل العاملون فى دار التكليف و قيل إن هذا من قول الله تعالى أى لمثل هذا النعيم الذى ذكرناه و هو من قوله لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ إِلَى قول بَيِّنٌ مَّكْنُونٌ فليعمل العاملون هذا ترغيب فى طلب الثواب بالطاعه أى من كان يريد أن يعمل لنفع يوجه فليعمل لمثل هذا النفع العظيم «أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ» أى أ ذلك الذى ذكرناه من قرى أهل الجنه و ما أعد لهم خير فى باب الأنزال التى يتقوت بها و يمكن معها الإقامه أم نزل أهل النار فيها عن الزجاج و قيل معناه أ سبب هذا المؤدى إليه خير أم سبب ذلك لأن الزقوم لا- خير فيه و قيل إنما جاز ذلك لأنهم لما عملوا بما أدى إليه فكأنهم قالوا فيه خير و قيل إنما قال خير على وجه المقابله فهم مثل قوله أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا و هذا كما يقول الرجل لعبده إن فعلت كذا أكرمتك و إن فعلت كذا

ضربتك هذا خير أم ذلك و إن لم يكن فى الضرب خيرا و الزقوم ثمر شجره متكمره جدا من قولهم تزقم هذا الطعام إذا تناوله على تكره و مشقه شديده و قيل الزقوم شجره فى النار يققاتها أهل النار لها ثمره مره خشنه اللمس منتنه الرائحه و قيل إنها معروفه من شجر الدنيا تعرفها العرب و قيل إنها لا تعرفه فقد روى أن قريشا سمعت هذه الآية قالت ما نعرف هذه الشجره فقال ابن الزبيرى الزقوم بكلام البربر التمر و الزبد و فى روايه بلغه اليمن فقال أبو جهل لجاريتيه يا جاريه زقمينا فأنته الجاريه بتمر و زبد فقال لأصحابه تزقموا بهذا الذى يخوفكم به محمد فيزعم أن النار تنبت الشجره و النار تحرق الشجره فأنزل الله سبحانه «إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ» أى خبره لهم افتتنوا بها و كذبوا بكونها فصارت فتنه لهم عن قتاده و الزجاج و قيل إن المراد بالفتنه العذاب أى جعلناها شدة عذاب لهم من قوله هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ أى يعذبون عن الجبائى و أبى مسلم «إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصِيلِ الْجَحِيمِ» أى إن الزقوم شجره تنبت فى قعر جهنم و أغصانها ترفع إلى دركاتها عن الحسن و لا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجره فى النار من جنس النار أو من جوهر لا تأكله النار و لا تحرقه كما أنها لا تحرق السلاسل و الأغلال فيها و كما لا تحرق حياتها و عقاربها و كذلك الضريع و ما أشبه ذلك «طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» يسأل عن هذا فيقال كيف شبه طلع هذه الشجره برءوس الشياطين و هى لا تعرف و إنما يشبه الشىء بما يعرف و أجيب عنه بثلاثة أجوبه (أحدها) أن رءوس الشياطين ثمره يقال لها الأستن و إياه عنى الناغى بقوله:

تحيد عن أستن سود أسافله مثل الإمام اللواتى تحمل الحزما

و هذه الشجره تشبه بنى آدم قال الأصمعى و يقال له الصوم و أنشد:

موكل بشدوف الصوم يرقبه من المعارم مهضوم الحشا زرم

يصف و علا يظن هذا الشجر قناصين فهو يرقبه و الشدوف الشخوص واحدها شدف (و ثانيا) أن الشيطان جنس من الحيات فشبه سبحانه طلع تلك الشجره برءوس تلك الحيات أنشد الفراء:

عن جرد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحمام أعراف

أى له عرف و أنشد المبرد:

و فى البقل إن لم يدفع الله شره شياطين يعدو بعضهن على بعض

(و ثالثها) أن قبح صور الشياطين متصور فى النفوس و لذلك يقولون لما يستقبحونه جدا كأنه شيطان فشبهه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرت بشاعته فى قلوب الناس قال الراجز:

أبصرتها تلتهم الثعبانا شيطانه تزوجت شيطانا

و قال أبو النجم:

الرأس قمل كله و صئبان و ليس فى الرجلين إلا خيطان

و هى التى يفرع منها الشيطان و قال امرؤ القيس:

أ تقتلنى و المشرفى مضاجعى و مسنونه زرق كأنياب أغوال

فشبهه أسنته بأنياب الأغوال و لم يقل أحد أنه رأى الغول و هذا قول ابن عباس و محمد ابن كعب القرظى و قال الجبائى إن الله تعالى يشوه خلق الشياطين فى النار حتى أنه لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم فلذلك شبه براءوسهم «فَأِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا» يعنى أن أهل النار لياكلون من ثمره تلك الشجرة «فَمَا لُؤَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ» أى يملئون بطونهم منها لشده ما يلحقهم من ألم الجوع و قد روى أن الله تعالى يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون إلى مالك فيحملهم إلى تلك الشجرة و فيهم أبو جهل فيأكلون منها فتغلى بطونهم كغلى الحميم فيستسقون فيسقون شربه من الماء الحار الذى بلغ نهايته فى الحرارة فإذا قربوها من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله يَشْوَى الْوُجُوهَ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَطُونِهِمْ صَهْرَ مَا فِي بَطُونِهِمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ يُضَهِّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ فَذَلِكَ شَرَابِهِمْ وَ طَعَامِهِمْ

ص: ٢٧٤

فذلك قوله «ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا» زياده على شجره الزقوم «لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ» أى خليطا و مزاجا من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب و قيل إنهم يكرهون على ذلك عقوبه لهم «ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ» بعد أكل الزقوم و شراب الحميم «لِإِلَى الْجَحِيمِ» و ذلك أنهم يوردون الحميم لشربه و هو خارج عن الجحيم كما تورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم و يدل على ذلك قوله «يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ» و الجحيم النار الموقده و المعنى أن الزقوم و الحميم طعامهم و شرابهم و الجحيم المسعره منقلبهم و مأواهم «إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ» أى إن هؤلاء الكفار صادفوا آباءهم ذاهبين عن الحق و الدين «فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ» فى الضلال أى يقلدونهم و يتبعونهم اتباعا فى سرعه و قيل معناه يسرعون عن ابن عباس و الحسن و قيل يعملون بمثل أعمالهم عن الكلبي و قيل يستحثون عن أبى عبيده.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٧١ الى ٨٢]

إشاره

وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤) وَ لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥)

وَ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَ جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ (٧٧) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠)

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٨٢)

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «وَ لَقَدْ» اللام هى التى تدخل فى جواب القسم و قد للتأكيد «ضَلَّ قَبْلَهُمْ» أى قبل هؤلاء الكفار الذين هم فى عصر النبى ص عن طريق الهدى و اتباع الحق «أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ» من الأمم الخاليه و الأ-كثر هو الأ-عظم فى العدد و الأول هو الكائن قبل غيره و الأول قبل كل شى ء هو الله سبحانه لأن كل ما سواه موجود بعده و فى هذه الآيه

دلاله على أن أهل الحق في كل زمان كانوا أقل من أهل الباطل «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ» من الأنبياء والمرسلين يخوفونهم من عذاب الله تعالى ويحذرونهم معاصيه «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ» أى من المكذبين المعاندين للحق والمعنى فانظر يا محمد كيف أهلكتهم وما ذا حل بهم من العذاب وكذلك يكون عاقبه المكذبين ثم استثنى من المنذرين فقال «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» الذين قبلوا من الأنبياء وأخلصوا عبادتهم لله تعالى فإن الله خلصهم من ذلك العذاب و وعدهم بجزييل الثواب «وَلَقَدْ نادانا نُوحٌ» أى دعانا نوح بعد ما يئس من إيمان قومه لئنصره عليهم و ذلك قوله أَنَّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ «فَلَنَعْمَ الْمُجِيبُونَ» نحن لنوح فى دعائه أجبناه إلى ما سأل و خلصناه من أذى قومه بإهلا-كهم و قيل هو على العموم أى فلنعم المجيبون نحن لمن دعانا «وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» أى من المكروه الذى كان ينزل به من قومه و الكرب كل غم يصل حره إلى الصدر و أصل النجاه من النجوه للمكان المرتفع فهى الرفع من الهلا-ك و أهله هم الذين نجوا معه فى السفينه «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ» بعد الغرق فالناس كلهم بعد نوح من ولد نوح عن ابن عباس و قتاده فالعرب و العجم من أولاد سام بن نوح و الترك و الصقالبه و الخزر و يأجوج و مأجوج من أولاد يافث بن نوح و السودان من أولاد حام بن نوح قال الكلبي لما خرج نوح من السفينه مات من كان معه من الرجال و النساء إلا ولده و نساؤهم «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ» أى تركنا عليه ذكرا جميلا و أثينا عليه فى أمه محمد ص فحذف عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و معنى تركنا أبقينا قال الزجاج معناه تركنا على الذكر الجميل إلى يوم القيامة و ذلك الذكر قوله «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ» أى تركنا عليه أن يصلى عليه إلى يوم القيامة فكأنه قال و تركنا عليه التسليم فى الآخريين ثم فسر التسليم بقوله «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ» و قال الفراء تركنا عليه قولاً و هو أن يقال فى آخر الأمم سلام على نوح فى العالمين قال الكلبي معناه سلامه منا على نوح و هذا هو السلام و المراد بقوله اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ «إِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» أى جزيناه ذلك الثناء الحسن فى العالمين بإحسانه عن مقاتل و قيل إن معناه مثل ما فعلنا بنوح نجزي كل من أحسن بأفعال الطاعات و تجنب المعاصى و نكافئهم بإحسانهم «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» يعنى نوحا و هذه الآيه تتضمن مدح المؤمنين حيث خرج من بينهم مثل نوح «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ» أى من لم يؤمن به و المعنى ثم أخبركم إنى أغرقت الآخريين.

النظم

الوجه فى اتصال قصه نوح و الأنبياء بما قبلها تسليه النبى ص فى كفر قومه بأن حالهم معه شبيهه بحال من تقدم من الأمم مع أنبيائهم و تحذير القوم عن سلوك مثل طريقتهم لئلا يعاقبوا بمثل عقوبتهم.

ص: ٢٧٨

اشاره

وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَلِفْكَآ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧)

فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَيِّمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢)

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)

فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)

القراءه

قرأ حمزه وحده يزفون بضم الياء و الباقون بفتحها و فى الشواذ قراءه الحسن فراغ عليهم سفقاً و قراءه عبد الله بن زيد يزفون خفيفه الفاء.

الحجه

زفت الإبل تزف إذا أسرع و قراءه حمزه يزفون أى يحملون غيرهم على الزيف قال الأصمعى أزففت الإبل حملتها على أن تزف و هو سرعه المشى و مقاربه الخطو و المفعول محذوف على قراءته و قيل أيضاً أن أزف لغه فى زف و لما يزفون بالتخفيف فذهب قطرب إلى أنها تخفيف يزفون كقوله وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ أى اقررن قال الهذلى:

و زفت الشول من برد العشى كما زف النعام إلى حفانه الروح

و الظاهر أن يزفون من وزف يزف مثل وعد يعد و أما قوله سفقا فهو من قولهم سفقت الباب و صفقته و الصاد أعرف و روى عن الحسن بالصاد أيضا.

اللغة

الشيعة الجماعة التابعه لرئيس لهم و صار بالعرف عباره عن شيعة على بن أبى طالب (عليه السلام) الذين كانوا معه على أعدائه و بعده مع من قام مقامه من أبنائه و

روى أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال ليهنكم الاسم قلت و ما هو قال الشيعة قلت إن الناس يعيروننا بذلك قال أما تسمع قول الله سبحانه (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ) و قوله فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ

و الروغ الميل من جهه إلى جهه يقال راغ يروغ روغا و روغانا أى حاد و الرواغ الحياض قال عدى بن زيد:

حين لا ينفع الرواغ و لا ينفع إلا المصادق النحرير

. الإعراب

آله بدل من قوله «إِفْكَاً» و إفكا مفعول تريدون. «فَمَا ظَنُّكُمْ» ما مبتدأ و ظنكم خبره و قوله «ضَرْباً» مصدر فعل محذوف و التقدير يضربهم ضربا و الباء فى قوله «بِالْيَمِينِ» متعلق بذلك المحذوف و «يَزْفُونَ» حال من أقبلوا «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ» فى موضع نصب على الحال من تعبدون و التقدير أ تعبدون ما تحتون مخلوقين. «هَبْ لِي» مفعوله محذوف أى ولدا.

المعنى

ثم أتبعه سبحانه و تعالى بقصه إبراهيم (عليه السلام) فقال (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ) أى و إن من شيعة نوح إبراهيم يعنى أنه على منهاجه و سنته فى التوحيد و العدل و اتباع الحق عن مجاهد و قيل إن معناه و إن من شيعة محمد إبراهيم كما قال أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ أى ذريه من هو أب لهم فجعلهم ذريه لهم و قد سبقوهم عن الفراء «إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» أى حين صدق الله و آمن به بقلب سليم خالص من الشرك برىء من المعاصى و الغل و الغش، على ذلك عاش و عليه مات و قيل

بقلب سليم من كل ما سوى الله تعالى لم يتعلق بشىء غيره عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ» حين رآهم يعبدون الأصنام من دون الله على وجه التهجين لفعالهم و التفرغ لهم «ما ذا تَعْبُدُونَ» أى أى شىء تعبدون «أَأِفْكَاً آلِهَةً» الإفك هو أشنع الكذب و أفضعه و أصله قلب الشىء عن جهته التى هى له فلذلك كان الكذب إفكاً و إنما قال آله على اعتقاد المشركين و توهمهم الفاسد فى إلهيه الأصنام لما اعتقدوا أنها تستحق العباده ثم أكد التفرغ بقوله «دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ» أى تريدون عباده آله دون عباده الرحمن فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه لأن الإراده لا يصح

تعلقها إلا

بما يصح حدوثه و الأجسام مما لا يصح أن تراد «فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» أن يصنع بكم مع عبادتكم غيره و قيل معناه كيف تظنون برب تأكلون رزقه و تعبدون غيره و قيل معناه ما تظنون بربكم إنه على أى صفة و من أى جنس من أجناس الأشياء حين شبهتم به هذه الأصنام و فيه إشارة إلى أنه لا- يشبه شيئاً «فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ» اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أنه (عليه السلام) نظر فى النجوم فاستدل بها على وقت حمى كانت تعتاده فقال «إِنِّي سَقِيمٌ» أراد أنه قد حضر وقت علته و زمان نوبتها فكأنه قال إنى سأسقم لا محاله و حان الوقت الذى تعترينى فيه الحمى و قد يسمى المشارف للشىء باسم الداخل فيه قال الله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ و لم يكن نظره فى النجوم على حسب ما ينظره المنجمون طلباً للأحكام و مثله قول الشاعر:

اسهرى ما سهرت أم حكيم و اقعدى مره لذاك و قومي

و افتحى الباب و انظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

(و ثانيها) أنه نظر فى النجوم كمنظروهم لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم أنه يقول بمثل قولهم فقال عند ذلك «إِنِّي سَقِيمٌ» فتركوه ظناً منهم أن نجمه يدل على سقمه و يجوز أن يكون الله تعالى أعلمه بالوحى أنه سيسقمه فى وقت مستقبل و جعل العلامة على ذلك إما طلوع نجم على وجه مخصوص أو اتصاله بآخر على وجه مخصوص فلما رأى إبراهيم تلك الأماره قال «إِنِّي سَقِيمٌ» تصديقا بما أخبره الله تعالى (و ثالثها) أن معناه نظر فى النجوم نظر تفكر فاستدل بها كما قصه الله تعالى فى سورة الأنعام على كونها محدثه غير قديمه و لا آلهه و أشار بقوله «إِنِّي سَقِيمٌ» على أنه فى حال مهله النظر و ليس على يقين من الأمر و لا شفاء من العلم و قد يسمى الشك بأنه سقم كما يسمى العلم بأنه شفاء و إنما زال عنه هذا السقم عند زوال الشك و كمال المعرفة عن أبى مسلم و هذا الوجه ضعيف لأن سياق الآيه يمنع منه فإن قوله «إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ» إلى هذا الموضع من قصته يبين أنه (عليه السلام) لم يكن فى زمان مهله النظر و أنه كان كامل المعرفة خالص اليقين و البصيره (و رابعها) أن معنى قوله «إِنِّي سَقِيمٌ» إنى سقيم القلب أو الرأى حزنا من إصرار القوم على عباده الأصنام و هى لا تسمع و لا تبصر و يكون على هذا معنى نظره فى النجوم فكرته فى أنها محدثه مخلوقه مدبره و تعجبه كيف ذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى عبدوها و ما

رواه العياشى بإسناده عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهما قالوا و الله ما كان سقيما و ما كذب

فيمكن أن يحمل على أحد الوجوه التى ذكرناها و يمكن أن يكون على وجه التعريض بمعنى أن كل من كتب عليه

الموت فهو سقيم و إن لم يكن به سقم فى الحال و ما روى أن إبراهيم (عليه السلام) كذب ثلاث كذبات قوله «إِنِّي سَيِّئٌ» و قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا و قوله فى ساره أنها أختى فىمكن أن يحمل أيضا على المعارىض أى سأسقم و فعله كبرىهم على ما ذكرناه فى موضعه و ساره أخته فى الدين و قد ورد فى الخبر إن فى المعارىض لمندوحوه عن الكذب و المعارىض أن يقول الرجل شىئا يقصد به غيره و يفهم عنه غير ما يقصده و لا يكون ذلك كذبا فإن الكذب قبيح بعينه و لا يجوز ذلك على الأنبياء لأنه يرفع الثقة بقولهم جل أمناء الله تعالى و أصفياؤه عن ذلك و قوله «فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ» إخبار عن قومه أنهم لما سمعوا قوله «إِنِّي سَيِّئٌ» تركوه و أعرضوا عنه و خرجوا إلى عيدهم «فَرَأَى إِلَى آلِهِتِهِمْ» معناه فمال إلى أصنامهم التى كانوا يدعونها آلهم «فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ» خاطبها و إن كانت جمادا على وجه التهجين لعابديها و تنبيههم على أن من لا يتكلم و لا يقدر على الجواب كيف تصح عبادتها و كانوا صنعوا للأصنام طعاما تقربا إليها و تبركا بها فلما لم تجيبوه قال «مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ» زياده فى تهجين عابديها كأنهم حاضرون لها أى ما لكم لا تجيبون و فى هذا تنبيه على أنها جماد لا تأكل و لا تنطق فهى أحسن الأشياء و أقلها «فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ» أى فمال على الأصنام يضربها و يكسرها باليد اليمنى لأنها أقوى على العمل عن الريع بن أنس و قيل المراد باليمين القوه كما فى قوله:

" تلقاها عرابه باليمين "

عن الفراء و هو قول السدى و قيل معناه بالقسم الذى سبق منه و هو قوله وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ «فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ» أى أقبلوا بعد الفراغ من عيدهم إلى إبراهيم يسرعون عن الحسن و ابن زيد و قيل يزفون زفيف النعام و هو حاله بين المشى و العدو عن مجاهد و فى هذا دليل أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بأصنامهم فقصده مسرعين و حملوه إلى بيت أصنامهم و قالوا له أنت فعلت هذا بالهتنا فأجابهم على وجه الحجاج عليهم بأن «قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ» فهو استفهام معناه الإنكار و التوبيخ أى كيف يصح أن يعبد الإنسان ما يعمل بيده فإنهم كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ» أى و خلق ما علمتم من الأصنام فكيف تدعون عبادته و تعبدون معمولكم و هذا كما يقال فلان يعمل الحصر و هذا الباب من عمل فلان النجار قال الحسن معناه و خلق أصل الحجاره التى تعملون منها الأصنام و هذا يجرى مجرى قوله تَلَقَّفْ مَا يَأْفِكُونَ* و قوله تَلَقَّفْ مَا صَيَّرَعُوا فى أنه أراد المنحوت من الجسم هنا دون العرض الذى هو النحت كما أراد هناك المأفوك فيه و المصنوع فيه من الحبال و العصى دون العرض الذى هو فعلهم فليس لأهل الجبر تعلق بهذه الآيه فى الدلاله على أن الله سبحانه خالق لأفعال العباد لأن من المعلوم أن الكفار لم يعبدوا نحتهم

الذى هو فعلهم و إنما كانوا يعبدون الأصنام التى هى الأجسام و قوله «ما تَتَّحِثُونَ» هو ما يعملون فى المعنى على أن مبنى الآيه على التفریح للكفار و الإيزراء عليهم بقبیح فعلهم و لو كان معناه و الله خلقكم و خلق عبادتكم لكانت الآيه إلى أن تكون عذرا لهم أقرب من أن تكون لوما و تهجيننا و لكان لهم أن يقولوا و لم توبخنا على عبادتها و الله تعالى هو الفاعل لذلك فتكون الحجة لهم لا عليهم و لأنه قد أضاف العمل إليهم بقوله «تَعْمَلُونَ» فكيف يكون مضافا إلى الله تعالى و هذا تناقض و لما لزمهم الحجة «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا» قال ابن عباس بنوا حائطا من حجاره طوله فى السماء ثلاثون ذراعا و عرضه عشرون ذراعا و ملئوه نارا و طرحوه فيها و ذلك قوله «فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ» قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم و قيل إن الجحيم النار العظيمه «فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا» أى حيله و تدييرا فى إهلاكه و إحراقه بالنار «فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ» بأن أهلكتناهم و نجينا إبراهيم و سلمناه و رددنا كيدهم عنه و قيل بأن أشرفوا عليه فرأوه سالما و تحققوا أن كيدهم لا ينفذ فيه و علموا أنهم مغلوبون «وَقَالَ» إبراهيم «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي» قال ابن عباس معناه مهاجر إلى ربي أى أهاجر ديار الكفار و أذهب إلى حيث أمرنى الله تعالى بالذهاب إليه و هى الأرض المقدسه و قيل إنى ذاهب إلى مرضاه ربي بعملى و نيتى عن قتاده «سَيَهْدِينِ» أى يهدينى ربي فيما بعد إلى طريق المكان الذى أمرنى بالمصير إليه أو إلى الجنة بطاعتي إياه قال مقاتل و هو أول من هاجر و معه لوط و ساره إلى الشام و إنما قال «سَيَهْدِينِ» ترغيبا لمن هاجر معه فى الهجرة و توبيخا لقومه فلما قدم الأرض المقدسه سأل إبراهيم ربه الولد فقال «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» أى ولدا صالحا من الصالحين كما تقول أكلت من الطعام فحذف لدلاله الكلام عليه.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٠١ الى ١١٣]

إشارة

فَبَشِّرْهُ بِبُحَيْرَاتٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥)

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَ فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠)

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَ بَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَ بَارَكْنَا عَلَيْهِ وَ عَلَى إِسْحَاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)

قرأ أهل الكوفه غير عاصم ما ذا ترى بضم التاء و كسر الراء و الباقون بفتح التاء و الراء و فى الشواذ قراءه الأعمش و الضحاك بضم التاء و فتح الراء و

روى عن على (عليه السلام) و ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد و الضحاك و الأعمش و جعفر بن محمد فلما سلما بغير ألف و لام مشدده.

الحجه

قال أبو على من فتح التاء فقال «ما ذا ترى» كان مفعول ترى أحد الشيتين إما أن يكون ما ذا فى موضع نصب بأنه مفعول و يكون بمنزله اسم واحد و إما أن يكون ذا بمنزله الذى فيكون مفعول ترى الهاء المحذوفه من الصله و يكون ترى على هذا معناها الرأى و ليس إدراك الحاسه كما تقول فلان يرى رأى أبى حنيفه و إذا جعلت ذا بمعنى الذى صار تقديره ما الذى تراه فيصير ما فى موضع ابتداء و الذى فى موضع خبره و يكون المعنى ما الذى تذهب إليه فيما ألقىت إليك هل تستسلم له و تتلقاه بالقبول أو تأتي غير ذلك و من قرأ ما ذا ترى فيجوز أن يكون ما مع ذا بمنزله اسم واحد فيكونا فى موضع نصب و المعنى أ جلدا ترى على ما تحمل عليه أم خوار أو يجوز أن يكون ما مبتدأ و ذا بمعنى الذى و يعود إليه الذكر المحذوف من الصله و الفعل منقول من رأى زيد الأمر و أريته الشىء إلا أنه من باب أعطيت فيجوز الاقتصار على أحد المفعولين دون الآخر كما أن أعطيت كذلك و لو ذكرت المفعول الآخر كان أريت زيدا خالدا و قال ابن جنى من قرأ ما ذا ترى فالمعنى ما ذا يلقى إليك و يوقع فى خاطرك و من قرأ «ما ذا ترى» فالمعنى ما ذا تشير به و تدعو إلى العمل بحسبه و هو من قولك ما رأيك فى كذا و منه قوله لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ أَى بما يحضرك إياه الرأى و خاطر و أما قوله «أَسْلِمًا» فمعناه فوضا و أطاعا و أما سلما فمن التسليم أى سلما أنفسهما و أراهما كالتسليم باليد لما أمرا به و لم يخالفا ما أريد منهما من إجماع إبراهيم الذبح و إسحاق أو إسماعيل الصبر.

اللغه

التل الصرع و منه التل من التراب جمعه تلول و التليل العنق لأنه يتل و الجبين

ما عن يمين الجبهه و شمالها و للوجه جبينان الجبهه بينهما و الذبح بكسر الذاال المهيا لأن يذبح و بفتح الذاال المصدر.

الإعراب

اختلف فى جواب لما من قوله «فَلَمَّا أَسِيَلَمَّا» فقيل هو محذوف و تقديره فلما أسلما و تله للجبين و نادينه فإزا و ظفرا بما أرادا و قيل جوابه نادينه و الواو زائده. نيبا منصوب بأنه حال من «فَبَشَّرْنَاهُ» و ذو الحال إسحاق.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أنه استجاب لإبراهيم دعاءه بقوله «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ» أى بابن وقور عن الحسن قال و ما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئا أجل من الحلم و الحليم الذى لا يعجل فى الأمر قبل وقته مع القدره عليه و قيل الذى لا يعجل بالعقوبه قال الزجاج و هذه البشاره تدل على أن الغلام يبقى حتى ينتهى فى السن و يوصف بالحلم ثم أخبر سبحانه أن الغلام الذى بشره به ولد له و ترعرع بقوله «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ» أى شب حتى بلغ سعيه سعى إبراهيم عن مجاهد و المعنى بلغ إلى أن يتصرف و يمشى معه و يعينه على أموره قالوا و كان يومئذ ابن ثلاث عشره سنه و قيل يعنى بالسعى العمل لله و العباده عن الحسن و الكلبي و ابن زيد و مقاتل «قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى» معنى رأى فى الكلام على خمسه أوجه (أحدها) أبصر (و الثانى) علم نحو رأيت زيدا عالما (و الثالث) ظن كقوله تعالى «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيْباً» (الرابع) اعتقد نحو قوله:

و إنا لقوم ما نرى القتل سبه إذا ما رآته عامر و سلول

(و الخامس) بمعنى الرأى نحو رأيت هذا الرأى و أما رأيت فى المنام فمن رؤيه البصر فمعنى الآيه أن إبراهيم قال لابنه إني أبصرت فى المنام رؤيا تأويلها الأمر بذبحك فانظر ما ذا تراه أو أى شىء ترى من الرأى و لا يجوز أن يكون ترى هاهنا بمعنى تبصر لأنه لم يشر إلى شىء يبصر بالعين و لا يجوز أن يكون بمعنى علم أو ظن أو اعتقد لأن هذه الأشياء تتعدى إلى مفعولين و ليس هنا إلا مفعول واحد مع استحاله المعنى فلم يبق إلا أن يكون من الرأى و الأولى أن يكون الله تعالى قد أوحى إليه فى حال اليقظه و تعبده بأن يمضى ما يأمره به فى حال نومه من حيث إن منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحه و لو لم يأمره بذلك فى حال اليقظه لما كان يجوز أن يعمل على ما يراه فى المنام و قال سعيد بن جبير عن ابن عباس منامات الأنبياء وحي و قال قتاده رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئا فعلوه و قال أبو مسلم رؤيا الأنبياء مع أن

جميعها صحيحه ضربان (أحدهما) أن يأتي الشىء كما رأوه و منه قوله سبحانه لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ
 الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الْآيَةَ (و الآخر) أن يكون عباره عن خلاف الظاهر مما رأوه فى المنام و ذلك كرؤيا يوسف الأحد عشر كوكبا و
 الشمس و القمر ساجدين و كان رؤيا إبراهيم من هذا القبيل لكنه لم يأمن أن يكون ما رآه مما يلزمه العمل به على الحقيقه و لا
 يسعه غير ذلك فلما أسلما أعلمه الله سبحانه أنه صدق الرؤيا بما فعله و فدى ابنه من الذبيح بالذبيح «قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ» أى
 ما أمرت به «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» أى ستصادفنى بمشيئه الله و حسن توفيقه ممن يصبر على الشدائد فى جنب الله و
 يسلم لأمره «فَلَمَّا أَسْلَمَا» أى استسلما لأمر الله و رضيا به و أطاعاه و قيل معناه سلم الأب ابنه لله و سلم الابن نفسه لله «و تَلَّهَ لِلْجَبِينِ»
 أى أضجعه على جبينه عن الحسن و قيل معناه وضع جبينه على الأرض لثلا يرى وجهه فتلحقه رقه الآباء عن ابن عباس و روى
 أنه قال اذبحنى و أنا ساجد لا- تنظر إلى وجهى فعسى أن ترحمنى فلا- تذبحنى «و نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ» تقديره نادينه بأن يا
 إبراهيم أى بهذا الضرب من القول «قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا» أى فعلت ما أمرت به فى الرؤيا «إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» أى كما
 جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه نجزى من سلك طريقهما فى الإحسان بالاستسلام و الانقياد لأمر الله «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ» أى إن
 هذا لهو الامتحان الظاهر و الاختبار الشديد و قيل إن هذا لهو النعمه الظاهره و تسمى النعمه بلاء بسببها المؤدى إليها كما يقال
 لأسباب الموت هى الموت لأنها تؤدى إليه و اختلف العلماء فى الذبيح على قولين (أحدهما)

أنه إسحاق و روى ذلك عن على (عليه السلام)

و ابن مسعود و قتاده و سعيد بن جبير و مسروق و عكرمه و عطا و الزهرى و السدى و الجبائى و القول الآخر أنه إسماعيل عن
 ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن المسيب و الحسن و الشعبي و مجاهد و الربيع بن أنس و الكلبي و محمد بن كعب القرظى و
 كلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمتنا (عليه السلام) إلا أن

الأظهر فى الروايات أنه إسماعيل

و يعضده قوله بعد قصه الذبيح «و بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» و من قال إنه بشر بنوه إسحاق فقد ترك الظاهر و لأنه قال
 فى موضع آخر فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ فبشره بإسحاق و بأنه سيولد له يعقوب فكيف يبشره بذريه إسحاق
 ثم يأمره بذبح إسحاق مع ذلك و قد صح

عن النبى ص أنه قال أنا ابن الذبيحين

و لا خلاف أنه من ولد إسماعيل و الذبيح الآخر هو عبد الله أبوه و حجه من قال إنه إسحاق أن أهل الكتابين أجمعوا على ذلك
 و جوابه أن إجماعهم ليس بحجه و قولهم غير مقبول و روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى قال كنت عند عمر
 بن عبد العزيز فسألنى عن الذبيح فقلت إسماعيل و استدلت بقوله «و بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» فأرسل إلى رجل بالشام

كان يهوديا فأسلم و حسن إسلامه و كان يرى أنه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك و أنا عنده فقال إسماعيل ثم قال و الله يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك و لكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى كان من أمر الله فيه ما كان فهم يجحدون ذلك و يزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم و قال الأصمعى سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق أم إسماعيل فقال يا أصمعى أين ذهب عنك عقلك و متى كان إسحاق بمكة و إنما كان بمكة إسماعيل و هو بنى البيت مع أبيه و المنحر بمكة لا شك فيه و قد استدل بهذه الآية من أجاز نسخ الشىء قبل وقت فعله فقال إن الله تعالى نهاه عن ذبحه بعد أن أمره به و قد أجيب عن ذلك بأجوبه (أحدها) أنه سبحانه لم يأمر إبراهيم بالذبيح الذى هو فرى الأوداج و إنما أمره بمقدمات الذبيح من الإضجاع و تناول المديه و ما يجرى مجرى ذلك و العرب قد تسمى الشىء باسم مقدماته و لهذا قال «فَدَّيْتِ الرُّؤْيَا» و لو كان أمره بالذبيح لكان إنما صدق بعض الرؤيا و أما الفداء بالذبيح فلما كان يتوقعه من الأمر بالذبيح و لا يمتنع أيضا أن يكون فديه عن مقدمات الذبيح لأن الفديه لا يجب أن تكون من جنس المفدى ألا ترى أن حلق الرأس قد يفدى بدم ما يذبح و كذلك لبس الثوب المخيط و الجماع و غير ذلك (و ثانيها) أنه (عليه السلام) إنما أمر بصورة الذبيح و قد فعله لأنه فرى أوداج ابنه و لكنه كلما فرى جزءا منه و جاوزه إلى غيره عاد فى الحال ملتحما فإن قلت إن حقيقة الذبيح هو قطع مكان مخصوص تزول معه الحياه فالجواب أن ذلك غير مسلم لأنه يقال ذبح هذا الحيوان و لم يمت بعد و لو سلمنا أن حقيقة الذبيح ذلك لكان لنا أن نحمل الذبيح على المجاز للدال عليه (و ثالثها) أن الله تعالى أمره بالذبيح إلا أنه سبحانه جعل على عنقه صفحه من نحاس و كلما أمر إبراهيم السكين عليه لم يقطع أو كان كلما اعتمد على السكين انقلب على اختلاف الروايه فيه و هذا التأويل يسوغ إذا قلنا إنه كان مأمورا بما يجرى مجرى الذبيح و لا يسوغ إذا قلنا إنه أمر بحقيقه الذبيح لأنه يكون تكليف لما لا يطاق ثم قال سبحانه «وَ فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» الفداء جعل الشىء مكان الشىء لدفع الضرر عنه و الذبيح هو المذبوح و ما يذبح و معناه أنا جعلنا الذبيح بدلا عنه كالأسير يفدى بشىء و اختلف فى الذبيح فقيل كان كبشا من الغنم عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك و سعيد بن جبير قال ابن عباس هو الكبش الذى تقبل من هاييل حين قربه و قيل فدى بوعل أهبط عليه من ثبير عن الحسن و لم سمي عظيما فيه خلاف قيل لأنه كان مقبولا عن مجاهد و قيل لأن قدر غيره من الكباش يصغر بالإضافه إليه و قيل لأنه رعى فى الجنة أربعين خريفا عن سعيد

ابن جبير وقيل لأنه كان من عند الله كونه و لم يكن عن نسل وقيل لأنه فداء عبد عظيم «و تَرَكَنا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَيْنِ سِلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» قد مضى تفسير ذلك «و بَشَّرناه بِإِسْحاقَ» أى بولاده إسحاق «نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» أى ولدا نبيا من جملة الأنبياء الصالحين و هذا ترغيب فى الصلاح بأن مدح مثله فى جلالته بالصلاح و من قال إن الذبيح إسحاق قال يعنى بشرناه بنبوه إسحاق و آتينا إسحاق النبوه بصبره «و بَارَكْنا عَلَيْهِ وَ عَلَى إِسْحاقَ» أى و جعلنا فيما أعطيناها من الخير و البركه يعنى النماء و الزيادة و معناه و جعلنا ما أعطيناها من الخير دائما ثابتا ناميا و يجوز أن يكون أراد كثره ولدهما و بقاءهم قرنا بعد قرن إلى أن تقوم الساعة «و مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا» أى و من أولاد إبراهيم و إسحاق «مُحْسِنٌ» بالإيمان و الطاعة «وَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» بالكفر و المعاصى «مُؤْمِنٌ» بين الظلم.

[القصة]

من ذهب إلى الذبيح إسحاق ذكر أن إبراهيم لما فارق قومه مهاجرا إلى الشام هاربا بدينه كما حكى الله سبحانه عنه بقوله إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ دعا الله سبحانه أن يهب له ولدا ذكرا من ساره فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى المؤمنفكه و بشروه بغلام حلیم قال إبراهيم حين بشر به هو إذا له ذبيح فلما ولد الغلام و بلغ معه السعى قيل له أوف بندرك الذى نذرت فكان هذا هو السبب فى أمره (عليه السلام) بذبح ابنه فقال إبراهيم (عليه السلام) عند ذلك لإسحاق انطلق تقرب قربانا لله و أخذ سكيانا و حبلا- ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام يا أبه أين قربانك فقال: يا بَنِيَّ إِنِّي أرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ إِلَى آخِرِهِ عَنِ السَّدى و قيل إن إبراهيم رأى فى المنام أن يذبح ابنه إسحاق و قد كان حج بوالدته ساره و أهله فلما انتهى إلى منى رمى الجمره هو و أهله و أمر ساره فزارت البيت و احتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمره الوسطى فاستشاره فى نفسه فأمره الغلام أن يمضى ما أمره الله و سلما لأمر الله فأقبل شيخ فقال يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام قال أريد أن أذبحه فقال سبحانه الله تريد أن تذبح غلاما لم يعص الله طرفه عين قط قال إبراهيم إن الله أمرنى بذلك قال ربك ينهاك عن ذلك و إنما أمرك بهذا الشيطان فقال إبراهيم لا و الله فلما عزم على الذبح قال الغلام يا أبنا خمر وجهى و شد وثاقى قال إبراهيم يا بنى الوثاق مع الذبح و الله لا أجمعهما عليك اليوم و رفع رأسه إلى السماء ثم انحنى عليه بالمديه و قلب جبرائيل المديه على قفاها و اجتر الكبش من قبل ثبير و اجتر الغلام من تحته و وضع الكبش مكان الغلام و نودى من ميسره مسجد الخيف يا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا بِإِسْحاقَ إِنَّنا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ قال و لحق إبليس بأمر الغلام حين زارت البيت

ص: ٢٨٨

فقال لها ما شيخ رأيته بمنى قالت ذاك بعلى قال فوصيف رأيته قالت ذاك ابني قال فإني رأيته وقد أضجعه و أخذ المديه ليذبحه قالت كذبت إبراهيم أرحم الناس فكيف يذبح ابنه قال فو رب السماء و رب هذه الكعبه قد رأيته كذلك قالت و لم قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت حق له أن يطيع ربه فوقع في نفسها أنه قد أمر في ابنها بأمر فلما قضت نسكها أسرع في الوادى راجعه إلى منى واضعه يديها على رأسها و هي تقول يا رب لا تؤاخذني بما عملت بأمر إسماعيل فلما جاءت ساره و أخبرت الخبر قامت إلى ابنها تنظر فرأت إلى أثر السكين خدشا في حلقه ففزعت و اشتكت و كانت بدو مرضها الذي هلكت به رواه العياشى و على بن إبراهيم بالإسناد في كتابيهما و من قال أن الذبيح إسماعيل فمنهم محمد بن إسحاق بن يسار و ذكر أن إبراهيم كان إذ زار إسماعيل و هاجر حمل على البراق فيغدو من الشام فيقبل بمكه يروح من مكه فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ معه السعى رأى في المنام أن يذبحه فقال له يا بني خذ الجبل و المديه ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما قد ذكره الله عنه فقال يا أبت اشدد رباطي حتى لا اضطرب و اكفف عني ثيابك حتى لا تنتضح من دمي شيئا فتراه أُمى و اشحذ شفرتك و أسرع مر السكين على حلقى ليكون أهون على فإن الموت شديد فقال له إبراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم ذكر نحو ما تقدم ذكره و

روى العياشى بإسناده عن بريده بن معاويه العجلي قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) كم كان بين بشاره إبراهيم (عليه السلام) بإسماعيل (عليه السلام) و بين بشارته بإسحاق قال كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه فَبَشِّرْناه بِغُلامٍ حَلِيمٍ يعنى إسماعيل و هى أول بشاره بشر الله بها إبراهيم فى الولد و لما ولد لإبراهيم إسحاق من ساره و بلغ إسحاق ثلاث سنين أقبل إسماعيل (عليه السلام) إلى إسحاق و هو فى حجر إبراهيم فنجاه و جلس فى مجلسه فبصرت به ساره فقالت يا إبراهيم ينحى ابن هاجر ابني من حجرك و يجلس هو فى مكانه لا و الله لا تجاورنى هاجر و ابنها فى بلاد أبدا فنحهما عنى و كان إبراهيم مكرما لساره يعزها و يعرف حقها و ذلك لأنها كانت من ولد الأنبياء و بنت خالته فشق ذلك على إبراهيم و اغتم لفراق إسماعيل (عليه السلام) فلما كان فى الليل أتى إبراهيم آت من ربه فأراه الرؤيا فى ذبح ابنه إسماعيل بموسم مكه فأصبح إبراهيم حزينا للرؤيا التى رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل إبراهيم هاجر و إسماعيل فى ذى الحجه من أرض الشام فانطلق بهما إلى مكه ليذبحه فى الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما رفع قواعد خرج إلى منى حاجا و قضى نسكه بمنى و رجع إلى مكه فطافا بالبيت أسبوعا ثم انطلقا إلى السعى فلما صارا فى المسعى قال إبراهيم (عليه السلام) لإسماعيل (عليه السلام) يا بني إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فى موسم عامى هذا فما ذا ترى قال يا

أبت أفعل ما تؤمر فلما فرغا من سعيهما انطلق به إبراهيم إلى منى و ذلك يوم النحر فلما انتهى به إلى الجمره الوسطى و أضجعه
لجنبه الأيسر و أخذ الشفرة ليذبحه نودي أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إلى آخره و فدى إسماعيل بكبش عظيم فذبحه و
تصدق بلحمه على المساكين

و

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سألته عن كبش إبراهيم (عليه السلام) ما كان لونه قال أملح أقرن و نزل من
السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى بحيال الجمره الوسطى و كان يمشى فى سواد و يأكل فى سواد و ينظر فى سواد و يبعر
فى سواد و يبول فى سواد

و

عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه سأل عن صاحب الذبح قال هو إسماعيل

و

عن زياد بن سوجه عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سألته عن صاحب الذبح فقال إسماعيل (عليه السلام).

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١١٤ الى ١٢٢]

اشاره

وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ (١١٤) وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَ نَصَّيْنَاهُمْ فَمَا كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَ
آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨)

وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)

اللغه

أصل المن القطع و منه قوله لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ* أى غير مقطوع و جبل منين أى منقطع و النصر المعونه إلا أن كل نصر معونه
و ليس كل معونه نصرا لأن النصر يختص بالمعونه على الأعداء و المعونه عامه.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بذكر موسى و هارون فقال «وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ» أى أنعمنا عليهما نعمًا قطعت عنهما
كل أذيه فمنها النبوه و منها النجاه من آل فرعون و منها سائر النعم الدينيه و الدنياويه «وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا» بنى إسرائيل «مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» من تسخير قوم فرعون إياهم و استعمالهم فى الأعمال الشاقه و قيل من الغرق «وَ نَصَّيْنَاهُمْ» على فرعون و قومه

«فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ» القاهرين بعد أن كانوا مغلوبين مقهورين «وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ» يعنى التوراه الداعى إلى نفسه بما فيه من البيان و كذلك كل كتب الله تعالى بهذه الصفه «وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أى دللناهما على الطريق

ص: ٢٩٠

المؤدى إلى الحق الموصل إلى الجنة «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا» الثناء الجميل «فِي الْآخِرِينَ» بأن قلنا «سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ» وقد مر القول فى ذلك «إِنَّا كَذَلِكْ» مثل ما فعلنا بهما «نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» نفعل بالمطيعين نجزيهم ذلك على طاعتهم و فى هذا دلالة على أن ما ذكره الله كان على وجه الثواب لموسى و هارون و من تقدم ذكره لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك «إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» أى من جملة عبادنا المصدقين بجميع ما أوجبه الله تعالى عليهم العاملين بذلك.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٢٣ الى ١٣٢]

إشاره

وَ إِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧)

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٢٨) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ الْكَاذِبِينَ (١٣٠) إِنَّآ كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)

القراءه

قرأ أهل العراق غير أبى عمرو و أبى بكر «اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» بالنصب و الباقون برفع الجميع و قرأ ابن عامر و نافع و رويس عن يعقوب آل يس بفتح الألف و كسر اللام المقطوعه من ياسين و الباقون «إِلْ يَاسِينَ» بكسر الألف و سكون اللام موصوله بياسين و فى الشواذ قراءه ابن مسعود و يحيى و الأعمش و الحكم بن عيينه و أن إدريس سلام على إدرايين، و قراءه ابن محيصن و أبى رجاء و أن إلياس و سلام على الياسين بغير همز.

الحجه

من قرأ الله ربكم فهو على الاستئناف و من نصب فعلى البدل من «أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» و قال أبو على من قرأ آل يس فحجته أنها فى المصحف مفصولة من يس و فى فصلها دلالة على أن آل هو الذى تصغيره أهيل و قال الزجاج من قرأ «إِلْ يَاسِينَ» فإنه جمع إلياس جمع هو و أمته المؤمنون و كذلك يجمع ما ينسب إلى الشىء بلفظ الشىء تقول رأيت المسامعه و المهالبه تريد بنى المسمع و بنى المهلب و كذلك رأيت المهلبين و المسمعين و فيها وجه آخر و هو أن يكون لغتان إلياس و الياسين و كما قيل ميكال و ميكائيل و قال أبو على هذا لا يصح لأن

ميكال و ميكائيل لغتان في اسم واحد و ليس أحدهما مفردا و الآخر جمعا كإلياس و الياسين و إدريس و إدرايين و مثله:

"قدنى من نصر الخبيين قدى"

أراد عبد الله و من كان على رأيه فكذلك الياسين و إدرايين من كان من شيعته و أهل دينه على إرادته ياء النسب التقدير الياسين و إدرايين فحذف كما حذف من سائر هذه الكلم التي يراد الصفه كالأعجمين و الأشعرين.

الإعراب

«سَيِّئًا» في هذه الآى كلها مبتدأ و الخبر بعده الجار و المجرور و الجملة في موضع المفعول لقوله «تَرَكَنَا» و لو أعمل تركنا فيه لقال سلاما و يجوز أن يكون التقدير و تركنا عليه في الآخرين الثناء الحسن فحذف مفعول تركنا ثم ابتداء فقال سلام.

المعنى

ثم بين سبحانه قصه إلیاس فقال «وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و اختلف فيه فقيل هو إدريس عن ابن مسعود و قتاده و قيل هو من أنبياء بنى إسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع عن ابن عباس و محمد بن إسحاق و غيرهما قالوا إنه بعث بعد حزقيل لما عظمت الأحداث في بنى إسرائيل و كان يوشع لما فتح الشام بوأها بنى إسرائيل و قسمها بينهم فأحل سبطا منهم بيبعلبك و هم سبط إلیاس بعث فيهم نبيا إليهم فأجابه الملك ثم إن امرأته حملته على أن ارتد و خالف إلیاس و طلبه ليقته فهرب إلى الجبال و البرارى و قيل إنه استخلف اليسع على بنى إسرائيل و رفعه الله تعالى من بين أظهرهم و قطع عنه لذه الطعام و الشراب و كساه الريش فصار إنسيا ملكيا أرضيا سماويا و سلط الله على الملك و قومه عدوا لهم فقتل الملك و امرأته و بعث الله اليسع رسولا فآمنت به بنو إسرائيل و عظموه و انتهوا إلى أمره عن ابن عباس و قيل إن إلیاس صاحب البرارى و الخضر صاحب الجزائر يجتمعان في كل يوم عرفه بعرفات و ذكر و هب أنه ذو الكفل «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ» عذاب الله و نعمته بامتنال أوامره و اجتناب نواهيه «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» يعنى صنما لهم من ذهب كانوا يعبدونه عن عطا و البعل بلغه أهل اليمن هو الرب و السيد عن عكرمه و مجاهد و قتاده و السدى فالتقدير أ تدعون ربا غير الله تعالى «وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» أى تتركون عباده أحسن الخالقين «اللَّهُ رَبُّكُمْ» أى خالقكم و رازقكم فهو الذى تحق له العبادة «و رَبَّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ» و خالق من مضى من آبائكم و أجدادكم «فَكَذَّبُوهُ» فيما دعاهم إليه و لم يصدقوه «فَأَيُّهُمْ لَمُحْضَرُونَ» للحساب أو في العذاب و النار «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» استثنى من جملتهم الذين أخلصوا عبادتهم لله من قومه «وَ تَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ» فيه القولان اللذان ذكرناهما

«سَيَلَامٌ عَلَىٰ إِيْلَ يَاسِيْنَ» قال ابن عباس آل يس محمد ص و ياسين من أسمائه و من قرأ «إِيْلَ يَاسِيْنَ» أراد إِيْلَاس و من اتبعه و قيل يس اسم السوره فكأنه قال سلام على من آمن بكتاب الله تعالى و القرآن الذى هو يس «إِنَّا كَذَلِكْ نَعْجِزِ الْمُحْسِنِيْنَ» يا حسانهم «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ» المصدقين العاملين بما أوجبناه عليهم.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٣٣ الى ١٤٨]

اشاره

وَإِنَّ لُوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِيْنَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِيْنَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِيْنَ (١٣٦) وَ إِنَّا كُنْمُ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِيْنَ (١٣٧)

وَ بِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨) وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِيْنَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيْمٌ (١٤٢)

فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِيْنَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَتَبَدَّنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ سَقِيْمٌ (١٤٥) وَ أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِيْنَ (١٤٦) وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧)

فَأَمَّنُوا فَمَرَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)

القرءه

قرأ جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) و يزيدون بالواو و الوجه فيه ظاهر.

اللغه

الغابر الباقي قليلا بعد ما مضى و منه الغبار لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلا و التدمير الإهلاك على وجه التنكيل و الأبق الفأر إلى حيث لا يهتدى إليه طالبه و قد أبق يابق إباقا و المشحون المملوء و المساهمه المقارعه مأخوذ من إلقاء السهام و دحضت حجته أى سقطت و أدحضها الله مأخوذ من الدحض و هو الزلق لأنه يسقط المار فيه قال الشاعر:

" و حدث كما حاد البعير عن الدحض "

و الالتقام ابتلاع اللقمه يقال لقمه و التقمه و تلقمه بمعنى

و ألام الرجل فهو مليم أتى بما يلام عليه قال لبيد:

سفها عدلت و لمت غير مليم و هداك قبل اليوم غير حكيم

و العراء الفضاء الذى لا يواريه شجر و لا غيره و قيل العراء وجه الأرض الخالى قال:

و رفعت رجلا لا أخاف عثارها و نبذت بالبلد العراء ثيابى

و اليقطين كل شجره تبقى من الشتاء إلى الصيف ليس لها ساق قال أميه بن أبى الصلت:

فأنت يقطينا عليه برحمه من الله لو لا الله ألقى ضاحيا

و هو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائل لا- إقامة راسخ و القطنى من الحبوب التى تقيم فى البيت مثل الحمص و العدس و الخلو و أحدها قطينه و قطينه.

الإعراب

«مُضِيَّبِحِينَ» حال من قوله «لَتَمْرُونَ» «بِاللَّيْلِ» الجار و المجرور أيضا فى موضع نصب عطفا عليه تقديره لتمرون عليه مصبحين و ممسين.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم خبر لوط فقال «وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» أى رسولا من جملة من أرسله الله إلى خلقه داعيا لهم إلى طاعته و منبها لهم على وحدانيته «إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ» إذ يتعلق بمحذوف و كأنه قيل اذكر يا محمد إذ نجيناك أى خلصناه و من آمن به من قومه من عذاب الاستئصال «إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ» أى فى الباقيين الذين أهلكوا استثنى من جملة قومه امرأته فقال «ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ» أى أهلكناهم «وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُضِيَّبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ» هذا خطاب لمشركى العرب أى تمرون فى ذهابكم و مجيئكم إلى الشام على منازلهم و قراهم بالنهار و بالليل «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» فتعتبرون بهم و من كثر مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان ألوم ممن قل ذلك عنه و المعنى أفلا- تتفكرون فيما نزل بهم لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر و الضلال و الوجه فى ذكر قصص الأنبياء و تكريرها التشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق و محاسن الخلال و صرف الخلق عما كان عليه الكفار من مساوئ الخصال و مقابح الأفعال «وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» أى فر من قومه إلى السفينه المملوءه من الناس و الأحمال خوفا من أن ينزل العذاب بهم و هو مقيم فيهم «فَسَاهَمَ» يونس القوم بأن ألقوا السهام على سبيل القرعه

أى قارعهم «فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ» أى من المقروعين عن الحسن و ابن عباس و قيل من المسهومين عن مجاهد و المراد من الملكين فى البحر و اختلف فى سبب ذلك فقيل إنهم أشرفوا على الغرق فأرأوا أنهم إن طرحوا واحدا منهم فى البحر لم يغرق الباقون و قيل إن السفينه احتسبت فقال الملاحون إن هاهنا عبدا آبقا فإن من عادته السفينه إذا كان فيها آبق لا تجرى فذلك اقترعوا فوقع القرعه على يونس ثلاث مرات فعلموا أنه المطلوب فألقى نفسه فى البحر و قيل إنه لما وقعت القرعه عليه ألقوه فى البحر «فَأَلْتَقَمَهُ الْحُوتُ» أى ابتلعه و قيل إن الله سبحانه أوحى إلى الحوت أنى لم أجعل عبدى رزقا لك و لكنى جعلت بطنك مسجدا له فلا تكسرن له عظما و لا تخذشن له جلدا «وَهُوَ مُلِيمٌ» أى مستحق للوم لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه من بين قومه من غير أمر ربه و عندنا أن ذلك إنما وقع منه تركا للمندوب و قد يلام الإنسان على ترك المندوب و من جوز الصغيره على الأنبياء قال قد وقع ذلك صغيره مكفره و اختلف فى مده لبثه فى بطن الحوت فقيل كانت ثلاثه أيام عن مقاتل بن حيان و قيل سبعة أيام عن عطا و قيل عشرين يوما عن الضحاك و قيل أربعين يوما عن السدى و مقاتل بن سليمان و الكلبي «فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» أى كان من المصلين فى حال الرخاء فنجاه الله عند البلاء عن قتاده و قيل كان تسيحه أنه كان يقول لا إله إلا- أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين عن سعيد بن جبير و قيل من المسيحين أى من المنزهين الله عما لا يليق به و لا يجوز فى صفته الذاكرين له «لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أى لصار بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة «فَتَيَذَّنَاهُ بِالْعَرَاءِ» أى فطرحناه بالمكان الخالى الذى لا نبت فيه و لا شجر و قيل بالساحل ألهم الله سبحانه الحوت حتى قذفه و رماه من جوفه على وجه الأرض «وَهُوَ سَاقِيمٌ» أى مريض حين ألقاه الحوت «وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ» و هو القرع عن ابن مسعود و قيل هو كل نبت يبسط على وجه الأرض و لا ساق له عن ابن عباس و الحسن و روى عن ابن مسعود قال خرج يونس من بطن الحوت كهيهه فرخ ليس عليه ريش فاستظل بالشجر من الشمس «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» قيل إن الله سبحانه أرسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل عن قتاده و كانت رسالته هذه بعد ما نبذه الحوت عن ابن عباس فعلى هذا يجوز أن يكون أرسل إلى قوم بعد قوم و يجوز أن يكون أرسل إلى الأولين بشريعه فأمنوا بها و قيل فى معنى " أو " من قوله «أَوْ يَزِيدُونَ» وجوه (أحدها) أنه على طريق الإبهام على المخاطبين كأنه قال أرسلناه إلى إحدى العديتين (و ثانيها) أن أو تخيير كان الرائي خير بين أن يقول هم مائه ألف أو يزيدون عن سيبويه و المعنى أنهم كانوا عددا لو نظر إليهم الناظر لقال هم مائه ألف أو يزيدون (و ثالثها) أن أو بمعنى الواو كأنه قال و يزيدون عن بعض الكوفيين

وقال بعضهم معناه بل يزيدون و هذان القولان الأخيران غير مرضيين عند المحققين و أجود الأقوال الثانى و اختلف فى الزيادة على مائه ألف كم هى فليل عشرون ألفا عن ابن عباس و مقاتل و قيل بضع و ثلاثون ألفا عن الحسن و الربيع و قيل سبعون ألفا عن مقاتل بن حيان «فَأَمَّنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ» حكى سبحانه عنهم أنهم آمنوا بالله و راجعوا التوبه فكشف عنهم العذاب و متعهم بالمنافع و اللذات إلى انقضاء آجالهم.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٤٩ الى ١٦٠]

اشاره

فَأَسْبَغَ تَبِئَتِهِمْ أَلْرُبُّكَ الْبَنَاتُ وَ لَهُمُ الْبُنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَ هُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا- إِنَّهُمْ مِنْ إِيكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَ لَدَّ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣)

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَ لَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر و نافع بروايه إسماعيل و ورش من طريق الأصفهاني لكاذبون اصطفى البنات بالوصل و الابتداء اصطفى بكسر الهمزه و الباقون «أَصْطَفَى» بفتح الهمزه و كذلك ورش من طريق البخارى.

الحجه

قال أبو على الوجه الهمز على وجه التفریع لهم بذلك و التوبيخ و يقويه قوله تعالى أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَ قوله أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَ لَكُمْ الْبُنُونَ أَمْ لَكُمْ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثَى فكما أن هذه المواضع كلها استفهام كذلك قوله «أَصْطَفَى الْبَنَاتِ» و وجه القراءه الأخرى أنه على وجه

الخبر كأنه اصطفى البنات فيما يقولون كقوله ذُقِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ أى عند نفسك و فيما كنت تقوله و تذهب إليه و يجوز أن يكون «أَصِيْطَفَى الْبَنَاتِ» بدلا من قوله «وَلَمَدَ اللَّهُ» لأن ولاده البنات و اتخذهن اصطفاهن فيصير «أَصِيْطَفَى» بدلا من المثال الماضى كما كان قوله يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ بدلا من قوله يَلْقَى أَثَامًا و يجوز أن يكون «أَصِيْطَفَى الْبَنَاتِ» تفسيرا لكذبهم فى قوله «وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» كما أن قوله لَهُمْ مَغْفِرَةٌ تفسير للوعد و يجوز أن يكون متعلقا بالقول على أنه أريد حرف العطف فلم يذكر و استغنى بما فى الجملة الثانية من الاتصال بالأولى عن حرف العطف كقوله سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ و نحو ذلك.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الرد على مشركى العرب فقال سبحانه «فَأَسِيْطَفِيْهِمْ» أى سلهم و اطلب الحكم منهم فى هذه القصة «أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ» أى كيف أضفتم البنات إلى الله تعالى و اخترتم لأنفسكم البنين و كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله على وجه الاصطفاء لا على وجه الولادة «أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا» معناه بل خلقنا الملائكة إناثا «وَ هُمْ شَاهِدُونَ» أى حاضررون خلقنا إياهم أى كيف جعلوهم إناثا و لم يشهدوا خلقهم ثم أخبر عن كذبهم فقال «أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِيْكَاهُمْ لَيَقُولُونَ وَلَمَدَ اللَّهُ» حين زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى «وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فى قولهم «أَصِيْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ» دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل و مثله قول ذى الرمة:

استحدث الركب من أشياهم خبرا أم راجع القلب من أطرابه طرب

و المعنى كيف يختار الله سبحانه الأدون على الأعلى مع كونه مالكا حكيما ثم وبخهم فقال «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» لله بالبنات و لأنفسكم بالبنين «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» أى أفلا تتعظون فتنتهون عن مثل هذا القول «أَمْ لَكُمْ سَيِّطَانٌ مُّبِينٌ» أى حجه بينه على ما تقولون و تدعون و هذا كله إنكار فى صورته الاستفهام «فَمَا تَوْابِكُمْ بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» المعنى فأتوا بكتابكم الذى لكم فيه الحجة «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى قولكم و المراد أنه دليل لكم على ما تقولونه من جهه العقل لا من جهه السمع «وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا» اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أن المراد به قول الزنادقة إن الله و إبليس إخوان و أن الله تعالى خلق النور و الخير و الحيوان النافع و إبليس خلق الظلمه و الشر و الحيوان الضار عن الكلبي و عطيه (و ثانيها) أنه قول المشركين إن الملائكة بنات الله و سمى الملائكة جنة لاستتارهم عن العيون عن مجاهد و قتاده و الجبائى (و ثالثها) أنهم قالوا صاهر الله الجن فحدثت الملائكة تعالى الله عن قولهم (و رابعها) أنهم أشركوا الشيطان فى عبادة الله تعالى فذلك هو النسب الذى جعلوه

بينه و بين الجنة عن الحسن «وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ» أى علمت الملائكة أن هؤلاء الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب يوم القيامة عن السدى و قيل معناه قد علمت الجنة و هم الجن الذين دعوهم أنهم محضرون العذاب بدعائهم إلى هذا القول «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ» نزه سبحانه نفسه عما وصفوه به و أضافوه إليه «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» استثنى عباده المخلصين من جملة الكفار القائلين ما لا يليق به.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٦١ الى ١٧٠]

إشاره

فَإِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥)

وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَ إِن كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْمَآوِلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٩) فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)

القراءه

فى الشواذ قراءه الحسن صال الجحيم بضم اللام.

الحجه

قال ابن جنى كان الشيخ أبو على يحمله على أنه حذف لام صال تخفيفا و أعرب اللام بالضم كما حذف لام الباليه من قولهم ما باليت به باله و ذهب قطرب إلى أنه صال أى صالون فحذف النون للإضافه و الواو لالتقاء الساكنين و حمل على معنى من لأنه جمع كقوله وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ و قال هذا حسن عندى و قول أبى على مأخوذ به.

اللغه

الفاتن الداعى إلى الضلال يترينه و أصل الفتنه من قولهم فتنن الذهب بالنار إذا أخرجته إلى حال الخلاص الصالى اللزوم للنار المحترق بها و المصطفى المستدفعى بالنار و منه الصلاه للزوم الدعاء فيها و المصلى الذى يجىء بعد السابق للزومه أثره.

المعنى

ثم خاطب سبحانه الكفار بأن قال لهم «فَإِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ» و موضع ما نصب عطفا على الكاف و الميم و المعنى إنكم يا معشر الكفار و الذى تعبدونه «ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ» الهاء فى عليه إلى ما ذا يعود فيه قولان (أحدهما) أنه يعود

إلى «ما تَعْبُدُونَ» و التقدير إنكم و ما تعبدونه ما أنتم بفاتنين على عبادته أحدا إلا من يصلى الجحيم و يحترق بها بسوء اختياره و قيل معناه ما أنتم بمضلين أحدا أى لا تقدرن على إضلال أحد إلا من سبق فى علم الله تعالى أن سيكفر بالله تعالى و يصلى الجحيم (و الآخر) أن الضمير فى عليه يعود إلى الله تعالى و التقدير ما أنتم على الله و على دينه بمضلين أحدا إلا من هو صالى الجحيم باختياره و هذا كما يقال لا يهلك على الله هالك و فلان يربح على فلان و يخسر على فلان «و ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» هذا قول جبرائيل للنبي ص و قيل إنه قول الملائكة و فيه مضمرة أى و ما منا معشر الملائكة ملك إلا له مقام معلوم فى السماوات يعبد الله فيه و قيل معناه أنه لا يتجاوز ما أمر به و رتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذى حد له فكيف يجوز أن يعبد من بهذه الصفة و هو عبد مريب «وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ» حول العرش ننتظر الأمر و النهى من الله تعالى و قيل القائمون صفوفاً فى الصلاة قال الكلبي صفوف الملائكة فى السماء كصفوف أهل الدنيا فى الأرض و قال الجبائي صافون بأجنتنا فى الهواء للعبادة و التسبيح «وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» أى المصلون و المنزهون الرب عما لا يليق به و منه قوله فرغت من سبحتى أى من صلاتى و ذلك لما فى الصلاة من تسبيح الله تعالى و تعظيمه و المسبحون القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله «وَ إِن كَانُوا لَيَقُولُونَ» إن هذه هى المخففه من الثقيله ألا- ترى أن اللام قد لزم خيرها و المعنى و أن هؤلاء الكفار يعنى أهل مكة كانوا يقولون «لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا» أى كتاباً «مِنَ الْأُولِينَ» أى من كتب الأولين التى أنزلها على أنبيائه و قيل ذكرا أى علما من الأولين الذين تقدمونا و ما فعل الله بهم فسمى العلم ذكرا لأن الذكر من أسباب العلم «لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» الذين يخلصون العبادة لله تعالى فجعلوا العذر فى امتناعهم من الإيمان أنهم لا- يعرفون أخبار من تقدمهم و هل حصلوا فى جنه أو نار «فَكَفَرُوا بِهِ» فى الكلام حذف تقديره فلما أتاهم الكتاب و هو القرآن كفروا به «فَسَوْفَ يَغْلَبُونَ» عاقبه كفرهم و هذا تهديد لهم.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٧١ الى ١٨٢]

إشارة

وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَ إِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَ أَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ (١٧٥)

أَفْبَعَيْنَا يُشْرِكِينَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٧) وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَ أَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ (١٧٩) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)

وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)

ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» أى سبق الوعد منا لعبادنا الذين بعثناهم إلى الخلق «إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ» فى الدنيا والآخرة على الأعداء بالقهر والغلبة وبالحنج الظاهره وقيل معناه سبقت كلمتنا لهم بالسعادة ثم ابتداء فقال «إِنَّهُمْ» أى إن المرسلين «لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ» واللام للتأكيد وهم فصل وقيل عنى بالكلمه قوله كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبِينَ أَنَا وَرُسُلِي الآيه و سميت جمله من الكلام بأنها كلمه لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار خبرا واحدا وقصه واحده كالشىء الواحد قال الحسن المراد بالآيه نصرتهم فى الحرب فإنه لم يقتل نبي من الأنبياء قط فى الحرب وإنما قتل من قتل منهم غيله أو على وجه آخر فى غير الحرب وإن مات نبي قبل النصره أو قتل فقد أجرى الله تعالى العاده بأن ينصر قومه من بعده فيكون فى نصره قومه نصره له فقد تحقق قوله «إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ» وقال السدى المراد بالآيه النصر بالحجه «وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» أضاف المؤمنين إلى نفسه و وصفهم بأنهم جنده تشريفا و تنويها بذكرهم حيث قاموا بنصره دينه وقيل معناه إن رسلنا هم المنصورون لأنهم جندنا وإن جندنا هم الغالبون يقهرون الكفار بالحجه تاره و بالفعل أخرى ثم قال لنبىه ص «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أى أعرض عن هؤلاء الكفار «حَتَّى حِينٍ» أى إلى وقت نأمرك فيه بقتالهم يعنى يوم بدر عن مجاهد و السدى وقيل إلى يوم الموت عن ابن عباس و قتاده وقيل إلى يوم القيامة وقيل إلى انقضاء مده الإمهال «وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ» أى أنظرهم و أبصر ما ضيعوا من أمر الله فسوف يرون العذاب عن ابن زيد وقيل و أبصرهم إذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون وقيل و أبصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ذلك فى القيامة معانيه و فى هذا إخبار بالغيب لأنه وعد نبىه ص بالنصر و الظفر فوافق المخبر الخبر و كأنهم قالوا متى هذا العذاب فأنزل الله «أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ» أى يطلبون تعجيل عذابنا «فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ» أى إذا نزل العذاب بأفنيه دورهم كما يستعجلون «فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ» أى فبئس الصبح صباح من خوف و حذر فلم يحذر و لم يخف و الساحه فناء الدار و فضاؤها الواسع فالمراد أن العذاب لعظمه لا يسعه إلا الساحه ذات الفضاء الواسع وقيل نزل بساحتهم أى بدارهم عن السدى و كانت العرب تفاجئ أعداءها بالغارات صباحا فخرج الكلام على

عادتهم و لأن الله سبحانه أجرى العاده بتعذيب الأمم وقت الصباح كما قال إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ «وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصَرَهُ فَسَوَّفَ يُبْصِرُونَ» مضى تفسيره و إنما كرر ما سبق للتأكيد و قيل لأن المراد بأحدهما عذاب الدنيا و بالآخر عذاب الآخرة أى فكن على بصيره من أمرك فسوف يكونون على بصيره من أمرهم حين لا ينفعهم ثم نزه سبحانه نفسه عن وصفهم و بهتهم فقال «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» أى تنزيها لربك مالك العزه يعز من يشاء من الأنبياء و الأولياء لا يملك أحد إعزاز أحد سواه فسبحانه عما يصفونه مما لا يليق به من الصفات و هو قولهم باتخاذ الأولاد و اتخاذ الشريك «وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ» أى سلامه و أمان لهم من أن ينصر عليهم أعداؤهم و قيل هو خبر معناه أمر أى سلموا عليهم كلهم لا تفرقوا بينهم «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى احمدوا الله الذى هو مالك العالمين و خالقهم و المنعم عليهم و اخلصوا له الثناء و الحمد و لا تشركوا به أحدا فإن النعم كلها منه و

روى الأصمغ بن نباته عن على (عليه السلام) و قد روى أيضا مرفوعا إلى النبى ص قال من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه فى مجلسه «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

(٣٨) سورة ص مكيه و آياتها ثمان و ثمانون (٨٨)

اشاره

عدد آياتها

هي ثمان و ثمانون آيه كوفي و ست حجازي بصرى شامى و خمس فى عدد أيوب بن المتوكل وحده.

اختلافها

ثلاث آيات «ذِي الذُّكْرِ» كوفي «وَعَوَّاصٍ» غير البصرى «وَالْحَقُّ أَقُولُ» كوفي و بصرى و فى روايه المعلى عن الجحدري و تركها أيوب و هو يوافق الجحدري إلا فى هذا الحرف.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة ص أعطى من الأجر بوزن كل جبل سخره الله لداود حسنات و عصمه الله أن يصير على ذنب صغيرا أو كبيرا

و

روى العياشى بإسناده عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة ص فى ليله الجمعه أعطى من خير الدنيا و الآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلا نبى مرسل أو ملك مقرب و أدخله الله الجنة و كل من أحب من أهل بيته حتى خادمه الذى يخدمه و إن كان ليس فى حد عياله و لا فى حد من يشفع له و آمنه الله يوم الفرع الأكبر.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الصافات بذكر القرآن و الرسول و إنكار الكفار لما دعاهم إليه افتتح هذه السوره بالقرآن ذى الذكر و الرد على الكفار أيضا فقال:

[سورة ص (٣٨): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذُّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِ وَ شِقَاقِ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَ لَاتَ حِينِ مَنَاصٍ (٣) وَ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤)

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (٥)

فى الشواذ قراءه أبى بن كعب و الحسن و ابن أبى إسحاق صاد بكسر الدال و قراءه الثقفى صاد بفتح الدال و القراءه بالوقف و هو الصحىح لأن حروف الهجاء يوقف عليها و قراءه عيسى بن عمرو و أبى عبد الرحمن السلمى عجاب بتشديد الجيم.

الحجه

من كسر فلاجتماع الساكنين أو لأنه جعله من المصاداه و هى المعارضه أى عارض القرآن بعملك و من فتح فلأن الفتحه أخف من الكسره و يجوز أن يكون من فتح جعل الصاد علما للسوره فلم يصرفه و العجاب بتشديد هو المفراط فى العجب يقال شىء عجب ثم عجاب بالتخفيف ثم عجاب بتشديد كما قالوا رجل وضى و وضاء و أنشدوا:

و المرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكرىم و ليس بالوضاء

و قال آخر:

جاءوا بصيد عجب من العجب أزىرق العينين طوال الذنب

. اللغه

الشقاق و المشاقه الخلاف و أصله أن يصير كل واحد من الفريقين فى شق أى فى جانب و منه يقال شق فلان العصا إذا خالف و المناص من النوص و هو التأخر ناص ينوص إذا تأخر و باص يبوص بالباء إذا تقدم قال امرؤ القيس:

أ من ذكر لىلى إن نأتك تنوص فتقصر عنها خطوه و تبوص

. الإعراب

اختلف فى جواب القسم على وجوه (أحدها) أن جوابه محذوف فكأنه قال و القرآن ذى الذكر لقد جاء الحق و ظهر الأمر لأن حذف الجواب فى مثل هذا أبلغ فإن ذكر الجواب يقصر المعنى على وجه و الحذف يصرف إلى كل وجه فيعم (و الثانى) أن جوابه

ص: ٣٠٣

ص فإن معناه صدق أقسم سبحانه بالقرآن أن محمدا ص قد صدق و الله و فعل و الله (و الثالث) أن الجواب مما كفى منه قوله «كَمْ أَهْلَكْنَا» و قيل ما كفى منه «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» فكأنه قال و القرآن ذى الذكر ما الأمر كما قالوا و أحدهما عن الفراء و الآخر عن قتاده (و الرابع) أن جوابه كم أهلكنا و التقدير لكم أهلكنا فلما طال الكلام حذف اللام و مثله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا و التقدير لقد أفلح عن الفراء و هذا غلط لأن اللام لا تدخل على المفعول و كم مفعول (و الخامس) أن الجواب فى آخر السوره إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ مِنْ أَوَّلِ الْكَلَامِ عَنِ الْكَسَائِي «وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ» فيه قولان (أحدهما) أن التاء متصله بلا و أنهما بمنزله ليس قال الزجاج و يجوز و لات حين مناص فى اللغه فأما النصب فعلى أن المعنى ليس الوقت حين مناص و الرفع على أن يجعل حين اسم ليس و يضم الخبر و المعنى ليس حين ملجأ لنا و الوقف عليها لات بالتاء و الكسائي يقف بالهاء لاه و الأول أصح لأن هذه التاء نظيره التاء فى الفعل نحو ذهبت و فى الحرف نحو رأيت زيدا ثمت عمرا فإنها دخلت فى الموضعين على ما لا- يعرف و لا- هو فى طريق الأسماء و قال الأَخْفَش أن لات حين مثل لا رجل فى الدار و دخلت التاء فى التانيث قال الشاعر:

تذكر حب ليلي لات حيننا و أضحي الشيب قد قطع القرينا

(و القول الآخر) أن التاء متصله بحين كما قال الشاعر:

العاطفين تحين ما من عاطف و المطعمين زمان ما من مطعم

و قد أجازوا الجر بلات و أنشدوا لأبى زبيد:

طلبوا صلحنا و لات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

قال الزجاج و الذى أنشدناه أبو العباس المبرد بالرفع و قد روى بالكسر.

التزول

قال المفسرون

أن أشراف قريش و هم خمسه و عشرون منهم الوليد بن المغيرة و هو أكبرهم و أبو جهل و أبى و أميه ابنا خلف و عتبه و شيبه ابنا ربيعة و النضر بن الحارث أتوا أبا طالب و قالوا أنت شيخنا و كبيرنا و قد أتيناك لتقضى بيننا و بين ابن أخيك فإنه سفه أحلامنا و شتم آلهتنا فدعا أبو طالب رسول الله ص و قال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك فقال ما ذا يسألوننى قالوا دعنا و آلهتنا ندعك و إلهك فقال ص أ تعطونى كلمه واحده تملكون بها العرب و العجم فقال أبو جهل لله أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا

ص: ٣٠٤

و قالوا أ جعل الآلهة إلها واحدا فنزلت هذه الآيات و روى أن النبي ص استعبر ثم قال يا عم و الله لو وضعت الشمس فى يمينى و القمر فى شمالى ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه فقال له أبو طالب امض لأمرى فو الله لا أخذلك أبدا.

المعنى

«ص» اختلفوا فى معناه فقيل هو اسم للسوره و قيل غير ذلك على ما ذكرناه فى أول البقره و قال ابن عباس

هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

و قال الضحاك معناه صدق و قال قتاده هو اسم من أسماء القرآن فعلى هذا يجوز أن يكون موضعه نصبا على تقدير حذف حرف القسم و يجوز أن يكون رفعا على تقدير هذه صاد فى مذهب من جعله اسما للسوره «وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ» أى ذى الشرف عن ابن عباس يوضحه قوله «وَ إِنَّهُ لَمَذْكُرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ ذِي الْبَيَانِ الَّذِي يُؤَدِي إِلَى الْحَقِّ وَ يَهْدِي إِلَى الرِّشْدِ لِأَنَّ فِيهِ ذَكَرَ الْأَيْدِلَةَ الَّتِي إِذَا تَفَكَّرَ فِيهَا الْعَاقِلُ عَرَفَ الْحَقَّ عَقْلًا وَ شَرَعًا وَ قِيلَ ذِي التَّذَكُّرِ لَكُمْ عَن قِتَادِهِ وَ تَوْحِيدِهِ وَ أَسْمَاؤُهُ الْحَسَنَى وَ صِفَاتِهِ الْعُلَى وَ ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءَ وَ أَخْبَارَ الْأُمَمِ وَ ذَكَرَ الْبَعْثَ وَ النَّشُورَ وَ ذَكَرَ الْأَحْكَامَ وَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَكْلُفُ مِنَ الْأَحْكَامِ عَنِ الْجَبَائِئِ وَ يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ «فِي عِزِّهِ» أَى فِي تَكْبِيرِهِ عَنِ الْقَبُولِ الْحَقِّ وَ حَمِيهِ جَاهِلِيهِ عَنِ قِتَادِهِ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ وَ قِيلَ فِي مَلِكِهِ وَ اقْتِدَارِهِ وَ قُوهِ بِتَمَكِينِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ «وَ شَتَّاقٍ» أَى عِدَاوِهِ وَ عَصِيَانٍ وَ مُخَالَفِهِ لِأَنَّهُمْ يَأْتِفُونَ عَنِ مِتَابِعَتِكَ وَ يَطْلُبُونَ مُخَالَفَتَكَ ثُمَّ خَوْفَهُمْ سَبْحَانَهُ فَقَالَ «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ» بِتَكْذِيبِهِمُ الرِّسْلَ «فَنَادَوْا» عِنْدَ وَقُوعِ الْهَلَاكِ بِهِمْ بِالْإِسْتِغَاثَةِ «وَ لَاتِ حِينٍ مِّنَاصٍ» أَى لَيْسَ الْوَقْتُ حِينٍ مِّنْجَى وَ لَا فُوتَ وَ قِيلَ لَاتِ حِينٍ نِدَاءٌ يَنْجَى قَالَ قِتَادُهُ نَادَى الْقَوْمَ عَلَى غَيْرِ حِينِ النِّدَاءِ «وَ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» أَى جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَخُوفٌ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَحْذَرُهُمُ الْمَعَاصَى وَ يَنْذَرُهُمُ النَّارَ «وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ» حِينُ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ «أَجْعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا» هَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٌ وَ تَعْجِيبٌ وَ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ص أَبْطَلَ عِبَادَةَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنَ الْآلِهَةِ مَعَ اللَّهِ وَ دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ فَتَعْجَبُوا مِنْ ذَلِكَ وَ قَالُوا كَيْفَ جَعَلَ لَنَا إِلَهًا وَاحِدًا بَعْدَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ آلِهَةً «إِنَّ هَذَا» الَّذِي يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ مِنْ أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ «لَشَيْءٌ عَجَابٌ» لِأَمْرِ عَجِيبٍ مَفْرُطٍ فِي الْعَجَبِ.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٦ الى ١٠]

اشاره

وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَ اضْبُرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلِئَةِ الْأَخْرَجَهُ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠)

الانطلاق الذهاب بسهولة و منه طلاقه الوجه و الخلق. و الاختلاق و الفرى و الافتراء متقارب و الارتقاء الصعود من سفلى إلى علو
درجه درجه قال:

لو لم يجد سلما ما كان مرتقيا و المرتقى و الذى رقاہ سيان

الأسباب جمع سبب و السبب ما يوصل به إلى المطلوب و أسباب السماوات أبوابها قال زهير:

و من هاب أسباب المنايا ينلنه و لو رام أسباب السماء بسلم

و الفرق بين السبب و العله فى عرف المتكلمين أن السبب ما يوجب ذاتا و العله ما يوجب صفه.

الإعراب

«أَنْ امشُوا» أن هذه هى التى تسمى المفسره بمعنى أى امشوا قال الزجاج و يجوز أن يكون تقديره بأن امشوا أى بهذا القول.

المعنى

«وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ» هذا تمام الحكايه عن الكفار الذين تقدم ذكرهم أى و انطلق الأشراف منهم «أَنْ امشُوا» أى يقول بعضهم لبعض امشوا «وَ اضْيُرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ» يعنى أنهم خرجوا من مجلسهم الذى كانوا فيه عند أبى طالب و هم يقولون اثبتوا على عباده آلِهتكم و اصبروا على دينكم و تحملوا المشاق لأجله و قيل أن القائل لذلك عقبه بن أبى معيط «إِنَّ هَذَا» الذى نراه من زياده أصحاب محمد «لَشَيْءٌ يُرَادُ» أى أمر يراد بنا و قيل معناه أن هذا فساد فى الأرض و عن قريب ينزل به الهلاك و نتخلص منه و قيل أن هذا الأمر يراد بنا من زوال نعمه أو نزول شده لأنهم كانوا يعتقدون فى الأصنام أنهم لو تركوا عبادتها أصابهم القحط و الشده ثم حكى عنهم أيضا بأنهم قالوا «ما سَمِعْنَا بِهَذَا» الذى يدعوننا إليه محمد من التوحيد و خلق الأنداد من دون الله «فِي الْمِلَّةِ الْأَخْرَه» يعنون فى النصرانيه لأنها آخر الملل عن ابن عباس قال أن النصارى لا يوحدون لأنهم يقولون ثالث ثلاثه و قيل يعنون مله قريش أى فى مله زماننا هذا عن مجاهد و قتاده و قيل معناه ما سمعنا بأن

هذا يكون في آخر الزمان عن الحسن «إِنْ هَذَا» أى ما هذا الذى يقول محمد «إِلَّا اخْتِلاَقٌ» أى تخرص و كذب و افتعال ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن و النبوه بأن قالوا «أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا» أى كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا و ليس بأكبر سنا منا و لا بأعظم شرفا فقال سبحانه «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي» أى ليس يحملهم على هذا القول إلا الشك في الذكر الذى أنزلته على رسولى «بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ» و هذا تهديد لهم و المعنى أنهم سيدوقونه ثم أجابهم عن إنكارهم نبوته بقوله «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ» يقول أ بأيديهم مفاتيح النبوه و الرساله فيضعونها حيث شاءوا أى أنها ليست بأيديهم و لكنها بيد «الْعَزِيزِ» فى ملكه «الْوَهَّابِ» كثير الهبات و العطايا على حسب المصالح فيختار للنبوه من يشاء من عباده و نظيره قوله وَ لَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ «أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا» فيتها لهم أن يمنعوا الله من مراده «فَلْيَرْتَقُوا» أى إن ادعوا ذلك فليصعدوا «فِي الْأَسْبَابِ» أى فى أبواب السماء و طرقها عن مجاهد و قتاده و قيل الأسباب الحيل أى فليحتالوا فى أسباب توصلهم إلى السماوات ليأتوا بالوحي إلى من اختاروا.

[سوره ص (٣٨): الآيات ١١ الى ١٥]

إشارة

جُنُدًا مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَ ثَمُودٌ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ (١٤) وَ مَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم من فواق بضم الفاء و الباقون بفتحها.

الحجة

و هما لغتان مثل قصاص الشعر و قصاصه و جمام المكوك و جمامه و هو من الإفاقه و ما بين الرضعتين فواق و قيل بينهما فرق فبالفتح يكون بمعنى الراحة و بالضم بمعنى المهله و الانتظار عن أبى عبيده و الفراء.

اللغة

هنالك إشارة إلى المكان البعيد و هناك بين البعيد و القريب و هنا للقريب و مثله

ص: ٣٠٧

ذا و ذاك و ذلك. و الأحزاب جمع حزب و هو الجماعه التى تجتمع من كل أوب و قال الزجاج ما لها من فواق أى رجوع و فواق الناقه مشتق من الرجوع أيضا لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين و أفاق من مرضه أى رجع إلى الصحه.

الإعراب

ما مزيده فى قوله «جُنْدُ ما» مثلها فى قول الأعشى:

فاذهبا ما إليك أدركنى الحلم عداتى عن هيجكم أشغالى

و «جُنْدُ» مبتدأ و «هُنَالِكَ» صفه أى جند ثابت هنالك. و «مَهْزُومٌ» خبر مبتدأ و يجوز أن يكون هنالك ظرفا لمهزوم أى جند مهزوم فى ذلك الموضع. «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» يجوز أن يقف على قوله «نُوحٍ» و يكون «عَادٌ» مبتدأ ما بعده معطوف عليه و يكون «أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ» خبرا عن الجميع و يجوز أن يكون الخبر قوله «إِنْ كُفِّرُوا إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» و يجوز أن يكون «أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ» ابتداء و يقف على «قَوْمٌ لُوطٍ».

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الكفار أنهم سيهزمون ببدر فقال «جُنْدُ ما هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ» قال قتاده أخبر الله سبحانه و هو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر و هنالك إشارة إلى بدر و مصارعهم بها أى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند مهزومون مغلوبون من جملة الكفار الذين تحزبوا على الأنبياء و أنت منصور عليهم مظفر غالب و قيل هم أحزاب الذين حاربوا نبينا ص يوم الخندق و وجه اتصاله بما قبله أن المعنى كيف يرتقون إلى السماء و هم فرق من قبائل شتى مهزومون «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» أى قبل هؤلاء الكفار «قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ» و قيل فى معناه أقوال (أحدها) أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها عن ابن عباس و قتاده و عطا (و الثانى) أنه كان يعذب الناس بالأوتاد و ذلك أنه إذا غضب على أحد و تد يديه و رجله و رأسه على الأرض عن السدى و الربيع بن أنس و مقاتل و الكلبي (و الثالث) أن معناه ذو البنيان و البنيان أوتاد عن الضحاك (و الرابع) أن المعنى ذو الجنود و الجموع الكثيره بمعنى أنهم يشدون ملكه و يقوون أمره كما يقوى الوتد الشىء عن الجبائى و القتيبي و العرب تقول هو فى عز ثابت الأوتاد و الأصل فيه أن بيوتهم إنما ثبتت بالأوتاد قال الأسود بن يعفر:

و لقد غنوا فيها بأنعم عيشه فى ظل ملك ثابت الأوتاد

(و الخامس) أنه سمي ذو الأوتاد لكثرة جيوشه السائره فى الأرض و كثره أوتاد خيامهم فعبر بكثرة الأوتاد عن كثره الأجناد (و ثمود) يعنى قوم صالح «وَ قَوْمٌ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ

الْأَيْكِهِ» و هم قوم شعيب «أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ» لما ذكر سبحانه هؤلاء المكذبين أعلمنا أن مشركى قريش حزب من هؤلاء الأحزاب و معناه هم الأحزاب حقا أى أحزاب الشيطان كما يقال هم هم قال:

و إن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

«إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» أى ما كل حزب منهم إلا كذب الرسل «فَحَقَّ عِقَابٌ» أى فوجب عليهم عقابى بتكذيبهم رسلى «وَمَا يَنْظُرُونَ» أى و ما ينتظر «هؤلاء» يعنى كفار مكة «إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً» و هى النفخة الأولى فى الصور «مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ» أى لا يكون لتلك الصيحة إفاقه بالرجوع إلى الدنيا عن قتاده و السدى و المراد أن عقوبه أمه محمد ص بعذاب الاستئصال مؤخره إلى يوم القيامة و عقوبه سائر الأمم معجله فى الدنيا كما قال بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمْرٌ قَالَ الْفَرَاءُ إِذَا ارْتَضَعْتَ الْبَهِيمَةَ أُمُّهَا ثُمَّ تَرَكْتَهَا حَتَّى تَنْزَلَ فَتَلْكَ الْإِفَاقَةَ وَ الْفَوَاقِ ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ رَاحَةٍ وَ إِنْظَارٌ لِلْإِسْتِرَاحَةِ فَوَاقٍ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ مَا لَهَا مِثْنُوبَةٌ أَى صَرَفٌ وَرَدٌ عَنِ الضَّحَاكِ وَ قِيلَ مَا لَهَا مِنْ فَتُورٍ كَمَا يَفْتَرُ الْمَرِيضُ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ.

[سوره ص (۳۸): الآيات ۱۶ الى ۲۰]

اشاره

وَ قَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (۱۶) اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (۱۷) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْرَاقِ (۱۸) وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (۱۹) وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَضَّلَ الْخِطَابِ (۲۰)

اللغه

القط الكتاب قال الأعشى:

ص: ۳۰۹

و لا الملك النعمان يوم تقيته بنعمته يعطى القطوط و يافق

أى كتب الجوائز و اشتقاقها من القط و هو القطع لأنها تقطع النصيب لكل واحد بما كتب فيها و القط النصيب أيضا قال أبو عبيده و القط الحساب و فى الأثر أن عمر و زيدا كانا لا يريان ببيع القطوط بأسا إذا خرجت و الفقهاء لا يجيزونه و هى الجوائز و الأرزاق و قولهم ما رأيت قط أى قطع الدهر الذى مضى.

المعنى

«وَقَالُوا» يعنى هؤلاء الكفار الذين وصفهم «رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا» أى قدم لنا نصيبنا من العذاب «فَبَلَّ يَوْمَ الْحِسَابِ» قالوه على وجه الاستهزاء بخير الله عز و جل عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل معناه أرنا حظنا من النعيم فى الجنة حتى نؤمن عن السدى و سعيد بن جبير و قيل لما نزل فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ قَالَتْ قَرِيشُ زَعَمْتُ يَا مُحَمَّدُ أَنْى نُوْتَى كِتَابُنَا بِشِمَالِنَا فَعَجَلْنَا كِتَابَنَا التى نقرؤها فى الآخرة استهزاء منهم بهذا الوعيد و تكذيبا به عن أبى العالى و الكلبي و مقاتل فقال الله سبحانه لنبىه ص «اضْبِرْ» يا محمد أى احبس نفسك «على ما يَقُولُونَ» من تكذيبك فإن وبال ذلك يعود عليهم «وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ» أى ذا القوه على العباده عن ابن عباس و مجاهد و ذكر أنه يقوم نصف الليل و يصوم نصف الدهر كان يصوم يوما و يفطر يوما و ذلك أشد الصوم و قيل ذا القوه على الأعداء و قهرهم و ذلك لأنه رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله و قيل معناه ذا التمكين العظيم و النعم العظيمه و ذلك أنه كان يبيت كل ليله حول محرابه ألوف كثيره من الرجال «إِنَّهُ أَوَّابٌ» أى ثواب راجع عن كل ما يكره الله تعالى إلى كل ما يحب من آب يؤب إذا رجع عن مجاهد و ابن زيد و قيل مسبح عن سعيد بن جبير و قيل مطيع عن ابن عباس «إِنَّا سَيِّخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ» لله إذا سبح و يحتمل أن يكون الله سبحانه خلق فى الجبال التسبيح و يمكن أن يكون بنى فيها بنيه يأتى فيها التسبيح «بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْرَاقِ» أى بالرواح و الصباح «وَ الطَّيْرِ» أى و سخرنا الطير «مَحْشُورَةً» أى مجموعه إليه تسبح الله تعالى معه «كُلُّ» يعنى كل الطير و الجبال «لَهُ أَوَّابٌ» رجع إلى ما يريد مطيع له بالتسبيح معه قال الجبائى لا يمتنع أن يكون الله تعالى خلق فى الطيور

من المعارف ما تفهم به أمر داود (عليه السلام) ونهيه فتطيعه فيما يريد منها وإن لم تكن كامله العقل مكلفه «وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ» أى قوينا ملكه بالحرس والجنود والهيبة وكثره العدد والعدده «وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ» وهى النبوه وقيل الإصابه فى الأمور وقيل العلم بالله وشرائه عن أبى العالیه والجبائى «وَفَضَّلَ الْخُطَابِ» يعنى الشهود والأيمان وإن البينه على المدعى واليمين على من أنكر لأن خطاب الخصوم لا- ينفصل ولا- ينقطع إلا بهذا وهو قول الأكثرين وقيل فصل الخطاب هو العلم بالقضاء والفهم عن ابن مسعود والحسن ومقاتل وقتاده وقال البلخى يجوز أن يكون المراد بتسييح الجبال معه ما أعطاه الله تعالى من حسن الصوت بقرائه الزبور فكان إذا قرأ الزبور أو رفع صوته بالتسييح بين الجبال ردت الجبال عليه مثله من الصدى فسمى الله ذلك تسييحاً.

[سوره ص (۳۸): الآيات ۲۱ الى ۲۵]

اشاره

وَ هِيلَ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (۲۱) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاجْرَمُوا بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَ اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (۲۲) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعِجَةً وَ لِي نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (۲۳) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ وَ ظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رَاكِعًا وَ أَنَابَ (۲۴) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ (۲۵)

القراءة

فى الشواذ قراءة أبى رجاء وقتاده ولا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وقراءة

الحسن و الأعرج نعجه و لى نعجه بكسر النون و قراءه أبى حيوه و عزنى بتخفيف الزاى و قراءه عمر بن الخطاب فتناه بتشديد التاء و النون و قراءه قتاده و أبى عمرو و فى بعض الروايات الشاذه فتناه بتخفيف النون.

الحجه

أما قراءه و لا تشطط من شط يشط و يشط إذا بعد قال عنتره:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا على طلابك ابنه مخرم

قال ابن جنى معناه بعدت عن مزار العاشقين و لما بالغ فى ذكر استضراره بها خاطبها بذلك لأنه أبلغ فعدل عن لفظ الغيبه إلى لفظ الخطاب فقال طلابك فأما النعجه فهى لغه فى النعجه و مثله لقوه و لقوه و قوم شجعه و شجعه أى شجعان و أما عزنى بالتخفيف فيمكن أن يكون أصله عزنى غير أنه خفف بحذف الزاى الثانيه أو الأولى كما قالوا فى مسست و ظللت مست و ظلت و أما قوله فتناه فإنما هو فعلناه للمبالغه و أما فتناه بتخفيف النون فإن المراد بالثنويه هنا الملكان اللذان اختصما إليه أى اختبراه.

اللغه

الخصم هو المدعى على غيره حقا من الحقوق و المنازع له فيه و يعبر به عن الواحد و الاثنين و الجماعه بلفظ واحد لأن أصله المصدر فيقال رجل خصم و رجلا من خصم و رجال خصم يقال خصمته فخصمته أخصمه خصما و التسور الإتيان من جهه السور يقال تسور فلان الدار إذا أتاه من جهه سورها. و المحراب مجلس الأشراف الذى يحارب دونه لشرف صاحبه و منه سمى المعملى محرابا و موضع القبلة محرابا و أشط الرجل فى حكمه إذا جار فهو مشط و شط عليه فى السوم يشط شططا قال:

ألا يا لقومى قد أشطت عواذلى و يزعمن أن أودى بحقى باطلى

. الإعراب

«إِذْ دَخَلُوا» بدل من قوله «إِذْ تَسَوَّرُوا» و قيل أن التسور فى زمان غير زمان الدخول. «خَصِيمَانِ» خبر مبتدأ محذوف أى نحن خصمان. «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» هم مبتدأ و قليل خبره و ما زائده و يجوز أن يكون ما بمعنى الذى و هم مبتدأ و الخبر محذوف أى و قليل الذين هم كذلك.

ص: ٣١٢

لما ذكر سبحانه أنه أتى داود الحكمة و فصل الخطاب عقبه بذكر من تخاصم إليه فقال «وَهَلْ أَتَاكَ» يا محمد «نَبَأُ الْخَصْمِ» أى هل بلغك خبرهم والمراد بالاستفهام هنا الترغيب فى الاستماع و التنبيه على موضع إخلاله ببعض ما كان ينبغى أن يفعله «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» أى حين صعدوا إليه المحراب و أتوه من أعلى سوره و هو مصلاه و إنما جمعهم لأنه أراد المدعى و المدعى عليه و من معهما و قد تعلق به من قال إن أقل الجمع اثنان و أجيب عن ذلك بأنه أراد الفريقين «إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ» لدخولهم عليه فى غير الوقت الذى يحضر فيه الخصوم من غير الباب الذى كان يدخل الخصوم منه و لأنهم دخلوا عليه بغير إذنه «قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِيمَانِ» أى فقالوا لداود نحن خصمان «بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» فجئناك لتقضى بيننا و ذلك قوله «فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ لَا تُشْطِطْ» أى و لا تجر علينا فى حكمك و لا تجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه «وَ اهْتَدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ» أى دلنا و أرسدنا إلى وسط الطريق الذى هو طريق الحق ثم حكى سبحانه ما قاله أحد الخصمين لصاحبه بقوله «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ» قال الخليل النعجه هى الأنثى من الضأن و البقر الوحشيه و الشاه الجبليه و العرب تكنى عن النساء بالنعاج و الأطباء و الشاه قال الأعشى:

فرميت غفله عينه عن شاته فأصبت حبه قلبها و طحالها

قال عنتره:

يا شاه ما قنص لمن حلت له حرمت على و ليتها لم تحرم

«فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا» أى ضمها إلى و اجعلنى كافلها الذى يلزم نفسه القيام بها و حياطتها و المعنى أعطينها و قيل معناه انزل لى عنها حتى تصير فى نصيبى عن ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد «وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» أى غلبنى فى مخاطبه الكلام و قيل معناه إنه إذا تكلم كان أبين منى و إن بطش كان أشد منى و إن دعا كان أكثر منى عن الضحاك «قَالَ» داود «لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ» معناه إن كان الأمر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤاله إياك

ص: ٣١٣

بضم نعتك «إلى نجاهه» فأضاف المصدر إلى المفعول به «وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ» أى الشركاء المخالطين جمع الخليلط «لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين يبغي بعضهم على بعض الذين آمنوا فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى فإنهم لا يظلم بعضهم بعضا «وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ» أى و قليل هم و ما زيده «وَ ظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ» أى و علم داود أنا اختبرناه و ابتليناه و قيل إنا شددنا عليه فى التبعد عن على بن عيسى و قيل أراد الظن المعروف الذى هو خلاف اليقين «فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ» أى سأل الله سبحانه المغفرة و الستر عليه «وَ خَرَّ رَاكِعًا» أى صلى الله تعالى «وَ أَنَابَ» إليه و قيل سقط ساجدا لله تعالى و رجع إليه و قد يعبر عن السجود بالركوع قال الشاعر:

فخر على وجهه راکعا و تاب إلى الله من كل ذنب

قال الحسن إنما قال و خر راکعا لأنه لا يصير ساجدا حتى يركع و قال مجاهد مكث أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه إلا لصلاه مكتوبه يقيمها أو لحاجه لا بد منها «فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لِرُفْيٍ» أى قربى و كرامه «وَ حُسْنِ مَأْبٍ» فى الجنه و اختلف فى استغفار داود (عليه السلام) من أى شىء كان فقليل أنه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى و الخضوع له و التذلل بالعباده و السجود كما حكى سبحانه عن إبراهيم (عليه السلام) بقوله وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يُعْفَرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ و أما قوله «فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ» فالمعنى أنا قبلناه منه و أثبناه عليه فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ و قوله اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فلما كان المقصود من الاستغفار و التوبه القبول قيل فى جوابه غفرنا و هذا قول من ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإماميه و غيرهم و من جوز على الأنبياء الصغائر قال إن استغفاره كان لذنوب صغير وقع منه ثم أنهم اختلفوا فى ذلك على وجوه (أحدها) أن أوريا بن حيان خطب امرأه و كان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه فبلغ داود جمالها فخطبها أيضا فزوجوها منه فقدموه على أوريا فعوتب داود على الحرص على الدنيا عن الجبائى (و ثانيها) أنه أخرج أوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته فعوتب على ذلك بنزول الملكين (و ثالثها) أنه كان فى شريعته أن الرجل إذا مات و خلف امرأه فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزويج بها فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج بها فلما قتل أوريا خطب داود (عليه السلام) امرأته و منعت هيبه داود و جلالته أولياءه أن يخطبوها فعوتب على ذلك (و رابعها) أن داود كان متشاغلا بالعباده فأتاه رجل و امرأه متحاكمين إليه فنظر إلى المرأه ليعرفها بعينها و ذلك نظر مباح فمالت نفسه إليها ميل الطباع

ففضل بينهما و عاد إلى عباده ربه فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله فعوتب (و خامسها) أنه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبت و كان يجب عليه حين سماع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيها و لا يحكم عليه قبل ذلك و إنما أنساه التثبت في الحكم فزرعه من دخولهما عليه في غير وقت العاده و أما ما ذكر في القصة أن داود كان كثير الصلاة فقال يا رب فضلت على إبراهيم فاتخذته خليلاً- و فضلت على موسى فكلمته تكليماً فقال يا داود أنا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فإن شئت ابتليتك فقال نعم يا رب فابتلني فيينا هو في محرابه ذات يوم إذ وقعت حمامه فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوه المحراب فذهب ليأخذها فاطلع من الكوه فإذا امرأه أوريا بن حيان تغتسل فهويها و هم بتزويجها فبعث بأوريا إلى بعض سراياه و أمر بتقديمه أمام التابوت الذي فيه السكينه ففعل ذلك و قتل فلما انقضت عدتها تزوجها و بنى بها فولد له منها سليمان فيينا هو ذات يوم في محرابه يقرأ إذ دخل عليه رجلا-ن ففرع منهما فقالا- «لَا تَخَفْ خَصِيْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» إلى قوله «وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ» فنظر أحد الرجلين إلى صاحبه ثم ضحك فتنبه داود على أنهما ملكان بعثهما الله إليه في صورته خصمين ليبتكاه على خطيئته فتاب و بكى حتى نبت الزرع من كثره دموعه فمما لا- شبهه في فساده فإن ذلك مما يقدح في العدالة فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله الذين هم أمناؤه على وحيه و سفراؤه بينه و بين خلقه بصفه من لا تقبل شهادته و على حاله تنفر عن الاستماع إليه و القبول منه جل أنبياء الله عن ذلك و قد

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأه أوريا إلا جلدته حدان للنبوه و حدا للإسلام

و قال أبو مسلم لا يمتنع أن يكون الداخلان على داود كانا خصمين من البشر و أن يكون ذكر النعاج محمولاً على الحقيقه دون الكنايه و إنما خاف منهما لدخولهما من غير إذن و على غير مجرى العاده و إنما عوتب على أنه حكم بالظلم على المدعى عليه قبل أن يسأله.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٢٦ إلى ٢٩]

إشارة

يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْمَأْرُضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)

ص: ٣١٥

قرأ أبو جعفر والأعمش والبرجمي لتدبروا بالتاء وتخفيف الدال والباقون بالياء وتشديد الدال.

الحجة

لتدبروا أصله لتدبروا فحذفت التاء الثانية التي هي فاء الفعل وقوله «لِيَدَّبَّرُوا» أصله ليتدبروا فأدغم التاء في الدال.

اللغة

الخليفة هو المدبر للأمور من قبل غيره بدلا من تدبيره وفلان خليفه الله في أرضه معناه أنه جعل إليه تدبير عبادته بأمره.

المعنى

ثم ذكر سبحانه إتمام نعمته على داود (عليه السلام) بقوله «يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» أي صيرناك خليفه تدبر أمور العباد من قبلنا بأمرنا وقيل معناه جعلناك خلف من مضى من الأنبياء في الدعاء إلى توحيد الله تعالى و عدله و بيان شرائعه عن أبي مسلم «فَأَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» أي أفضل أمورهم بالحق و وضع كل شىء موضعه «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ» أي ما يميل طبعك إليه و يدعو هواك إليه إذا كان مخالفا للحق «فَيُضِضَ لَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» معناه إنك إذا اتبعت الهوى عدل الهوى بك عن سبيل الحق الذي هو سبيل الله «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أي يعدلون عن العمل بما أمرهم الله «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» أي لهم عذاب شديد يوم الحساب بتركهم طاعات الله في الدنيا عن عكرمه و السدى و يكون على هذا يتعلق يوم الحساب بعذاب شديد و قيل معناه لهم عذاب شديد بإعراضهم عن ذكر يوم القيامة فيكون يوم متعلقا بنسوا «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا» لا غرض فيه حكى بل خلقناهما لغرض حكى و هو ما فى

ذلك من إظهار الحكمة و تعريض أنواع الحيوان للمنافع الجليلة و تعريض العقلاء منهم للثواب العظيم و هذا ينافى قول أهل الجبر أن كل باطل و ضلال فهو من فعل الله «ذَلِكَ ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» بالله و جحدوا حكمته «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» ظاهر المعنى ثم قال سبحانه على وجه التوبيخ للكفار على وجه الاستفهام «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه بل أ نجعل الذين صدقوا الله و رسله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» و الطاعات «كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ» العاملين بالمعاصى «أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» أى بل أ نجعل المتقين الذين اتقوا المعاصى لله خوفا من عقابه كالفجار الذين عملوا بالمعاصى و تركوا الطاعات أى أن هذا لا يكون أبدا ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ» أى هذا القرآن كتاب منزل إليك مبارك أى كثير نفعه و خيره فإن فى التدين به يستبين الناس ما أنعم الله عليهم «لِيَذَّبُوا آيَاتِهِ» أى ليتفكر الناس و يتعضوا بمواعظه «وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» أى أولو العقول فهم المخاطبون به.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٣٠ الى ٤٠]

إشاره

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسِيحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤)

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَ الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ (٣٧) وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)

وَ إِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنُ مَآبٍ (٤٠)

ص: ٣١٧

الصفانات جمع الصافنه من الخيل و هى التى تقوم على ثلاث قوائم و ترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر يقال صفنت الخيل تصفن صفونا إذا وقفت كذلك قال الشاعر:

ألف الصفون فلا يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

و الجياد جمع جواد و الياء هاهنا منقلبه عن واو و الأصل جواد و هى السراع من الخيل كأنها تجود بالركض و قيل هو جمع جود فيكون مثل سوط و سياط و الكرسي السرير و أصله من التكرس و هو الاجتماع و منه الكراسه لاجتماعها و الرخاء الريح اللينه و هى من رخاوه المرور و سهولته و الأصفاد جمع صفد و هو الغل و منه يقال للعتاء صفد لأنه يرتبط بشكره كما قيل:

" و من وجد الإحسان قيدا تقيدا "

. الإعراب

«حُبَّ الْخَيْرِ» نصب على أنه مفعول به و التقدير اخترت حب الخير و عن فى قوله «عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» بمعنى على و على هذا فيكون أحببت بمعنى استحبيت مثل ما فى قوله الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ أى يؤثرونها و قال أبو على أحببت بمعنى قعدت و لزمتم من قولهم أحب البعير إذا برك و قوله «حُبَّ الْخَيْرِ» مفعول له أى لزمتم الأرض لحب الخير معرضا عن ذكر ربي فعن فى موضع نصب على الحال و ذكر مصدر مضاف إلى المفعول و يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل أى عما ذكرنى ربي حيث أمرنى فى التوراه بإقامه الصلاه «تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» أى توارت الشمس و لم يجر لها ذكر لأنه شىء قد عرف كقوله سبحانه إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ يُعْنَى الْقُرْآنَ و لم يجر له ذكر و قوله كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ الأَرْضَ قَالَ الزجاج فى الآيه دليل يدل على الشمس و هو قوله «إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ» فهو فى معنى عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب قال و ليس يجوز الإضمار إلا أن يجرى ذكر أو دليل بمنزله الذكر و قوله «مَسِيحًا» مصدر فعل محذوف و هو خبر فطفق التقدير فطفق يمسح مسحاً و قوله «رُخَاءً» منصوب على الحال و العامل فيه تجرى فهو حال من حال لأن تجرى فى محل نصب بكونه حالا و «كُلُّ بَنَاءٍ» بدل من الشياطين بدل البعض من الكل و قوله «بِعَيْرِ حِسَابٍ» فى موضع نصب على الحال تقديره غير محاسب.

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصه داود (عليه السلام) حديث سليمان فقال «وَوَهَبْنَا

لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ» أَي وَهَبْنَاهُ لَهُ وَلِدَا «نِعْمَ الْعَبْدُ» أَي نِعْمَ الْعَبْدُ سُلَيْمَانَ «إِنَّهُ أَوَّابٌ» أَي رَجَاعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أُمُورِ دِينِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ «إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ» يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ إِذْ بِنِعْمِ الْعَبْدِ أَي نِعْمَ الْعَبْدِ هُوَ حِينَ عَرَضَ عَلَيْهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَذْكَرِ يَا مُحَمَّدَ الْمُحَذَّوْفِ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ «بِالْعَيْشِيِّ» أَي فِي آخِرِ النَّهَارِ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ «الصَّافِنَاتُ» الْخَيْلُ الْوَاقِفَةُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمِ الْوَاضِعِ طَرَفِ السَّنْبَكِ الرَّابِعِ عَلَى الْأَرْضِ «الْجِيَادُ» السَّرِيعَةُ الْمَشْيِ الْوَاسِعَةُ الْخَطْوِ قَالَ مَقَاتِلُ أَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ أَلْفَ فَرَسٍ وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ أَصَابَ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَالِقِ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ غَزَا سُلَيْمَانُ دِمَشْقَ وَنَصِيْبِيْنَ فَأَصَابَ أَلْفَ فَرَسٍ وَقَالَ الْحَسَنُ كَانَتْ خَيْلًا خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ لَهَا أَجْنَحُهَا وَكَانَ سُلَيْمَانُ قَدْ صَلَّى الصَّلَاةَ الْأُولَى وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَالْخَيْلُ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ «فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» وَالْمُرَادُ بِالْخَيْرِ الْخَيْلُ هُنَا فَإِنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي الْخَيْلَ الْخَيْرَ عَنِ الْقِتَادَةِ وَالسُّدَى فَالْمَعْنَى آثَرَتْ حُبَّ الْخَيْلِ مِنْ ذِكْرِ رَبِّي أَي عَلَى ذِكْرِ رَبِّي قَالَ الْفَرَاءُ كُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَقَدْ آثَرَهُ وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ حُبَّ الْخَيْلِ وَاسْمُ النَّبِيِّ صَ زَيْدُ الْخَيْلِ زَيْدُ الْخَيْرِ وَ

قال ص الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة

و قيل معناه حب المال عن سعيد بن جبير و الخيل مال و الخير بمعنى المال كثير في التنزيل و

قيل إن هذه الخيل كانت شغلته عن صلاه العصر حتى فأت وقتها عن علي (عليه السلام)

و قتاده و السددي و في روايات أصحابنا أنه فاته أول الوقت و قال الجبائي لم يفته الفرض و إنما فاتته نفل كان يفعله آخر النهار لاشتغاله بالخيل و قيل إن ذكر ربي كناية عن كتاب الله التوراه فالمعنى إني أحببت الخيل عن كتاب الله و كما أن ارتباط الخيل ممدوح في كتابنا كذلك كان في كتابهم عن أبي مسلم «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» أَي غَرَبَتِ الشَّمْسُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَجَمَاعِهِ مِنَ الْمَفْسَرِينَ وَجَازَ وَ إِنْ لَمْ يَجْرَ لِلشَّمْسِ ذِكْرٌ كَمَا قَالَ لِيْبِدُ:

حتى إذا ألفت يدا في كافر و أجن عورات الثغور ظلامها

و قيل الضمير للخيل يعني حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى أنها شغلت فكره إلى تلك الحال و هي غيبوبتها عن بصره و ذلك بأنه أمر بإجراء الخيل فأجريت حتى غابت عن بصره عن أبي مسلم و علي بن عيسى «رُدُّوْهَا عَلَيَّ» أَي قَالَ لِأَصْحَابِهِ رَدُّوا الْخَيْلَ عَلَيَّ

قيل معناه أنه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه فردها عليه حتى صلى العصر فالهاء في ردوها كناية عن الشمس عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)

«فَطَفِقَ مَسِيحًا بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ» قيل فيه وجوه (أحدها) أن المسح هاهنا القطع و المعنى أنه أقبل يضرب سوقها و أعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته عن الحسن و مقاتل و قال أبو عبيده تقول العرب مسح علاوته أى ضرب عنقه و قيل إنه إنما فعل ذلك لأنها كانت أعز ماله فتقرب إلى الله تعالى بأن ذبحها ليتصدق بلحومها و يشهد بصحته قوله لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (و ثانيها) أن معناه فجعل يمسح أعراف خيله و عراقبيها بيده حبا لها عن ابن عباس و الزهري و ابن كيسان

قال ابن عباس سألت عليا (عليه السلام) عن هذه الآية فقال ما بلغك فيها يا ابن عباس قلت سمعت كعبا يقول اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتى فأتته الصلاة فقال ردوها علي يعنى الأفراس كانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها و أعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوما لأنه ظلم الخيل بقتلها فقال علي (عليه السلام) كذب كعب لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردت فصلى العصر في وقتها و إن أنبياء الله لا يظلمون و لا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهرون

(و ثالثها) أنه مسح أعناقها و سوقها و جعلها مسبله في سبيل الله تعالى و قيل لتغلب إن قطربا يقول مسحها و بارك عليها فأنكر ذلك و قال القول ما قال الفراء إنه ضرب أعناقها و سوقها ثم قال سبحانه «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ» أى اختبرناه و ابتليناه و شددنا المحنة عليه «وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً» أى و طرحنا عليه جسدا و الجسد الذى لا روح فيه ثم أناب سليمان و اختلف العلماء في زلته و فتنته و الجسد الذى ألقى على كرسيه على أقوال " منها "

أن سليمان قال يوما في مجلسه لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله و لم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد رواه أبو هريره عن النبي ص قال ثم قال فو الذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا

الجسد الذى ألقى على كرسيه كان هذا ثم أناب إلى الله تعالى و فزع إلى الصلاة و الدعاء على وجه الانقطاع إليه سبحانه و هذا لا يقتضى أنه وقع منه معصيه صغيره و لا كبيره لأنه و إن لم يستثن ذلك لفظا فلا بد من أن يكون قد استثناه ضميرا و اعتقادا إذ لو كان قاطعا للقول بذلك لكان مطلقا لما لا يأمن من أن يكون كذبا إلا أنه لما لم يذكر لفظه الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب إليه " و منها " ما

روى أن الجن و الشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لئلقين منه ما لقينا من أبيه من البلاء فأشفق منهم عليه

فاسترضعه في المزن و هو السحاب فلم يشعر إلا و قد وضع على كرسيه ميتا تنبها على أن الحذر لا ينفع عن القدر فإنما عوتب على خوفه من الشياطين عن الشعبي و هو المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام)

" و منها " أنه ولد له ولد ميت جسد بلا روح فألقى على سريره عن الجبائي و منها أن الجسد المذكور هو جسد سليمان لمرض امتحنه الله تعالى به و تقدير الكلام و ألقينا منه على كرسيه جسدا لشده المرض فيكون جسدا منصوبا على الحال و العرب تقول في الإنسان إذا كان ضعيفا هو جسد بلا روح و لحم على وضم «ثُمَّ أَنَابَ» أى رجع إلى حال الصحة عن أبي مسلم و استشهد على ذلك بقوله تعالى وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ * إلى قوله يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ و لو أتى بالكلام على شرحه لقال يقول الذين كفروا منهم أى من المجادلين كما قال سبحانه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً و مثله قول الأعشى:

و كان السموط علقها السلوك بعطفى جيداء أم غزال.

و لو أتى بالشرح لقال علقها السلوك منها و قال كعب بن زهير:

زالوا فما زال أنكاس و لا كشف عند اللقاء و لا ميل معازيل

و لو أتى بالشرح لقال فما زال منهم أنكاس و أما ما ذكر عن ابن عباس أنه ألقى شيطان اسمه صخر على كرسيه و كان ماردا عظيما لا يقوى عليه جميع الشياطين و كان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجاء صخر فى صورته سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأه من نساءه و أقام أربعين يوما فى ملكه و سليمان هارب و عن مجاهد أن شيطانا اسمه آصف قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك بذلك فلما أعطاه إياه نبذه فى البحر فذهب ملكه و قعد الشيطان على كرسيه و منعه الله تعالى نساء سليمان فلم يقربهن و كان سليمان يستطعم فلا يطعم حتى أعطته امرأه يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمه فيه فرد الله عليه ملكه و عن السدى أن اسم ذلك الشيطان حقيق و ما ذكر أن السبب فى ذلك أن الله سبحانه

أمره بأن لا- يتزوج في غير بنى إسرائيل فتزوج من غيرهم وقيل بل السبب فيه أنه وطئ امرأه في حال الحيض فسال منه الدم فوضع خاتمه و دخل الحمام فجاء إبليس الشيطان و أخذه و قيل تزوج امرأه مشركه و لم يستطع أن يكرهها على الإسلام فعبدت الصنم في داره أربعين يوماً فابتلاه الله بحديث الشيطان و الخاتم أربعين يوماً و قيل احتجب ثلاثه أيام و لم ينظر في أمر الناس فابتلى بذلك فإن جميع ذلك مما لا- يعول عليه لأن النبوه لا- تكون في خاتم و لا- يجوز أن يسلبها الله النبي و لا أن يمكن الشيطان من التمثل بصوره النبي و القعود على سريره و الحكم بين عباده و بالله التوفيق ثم حكى سبحانه دعاء سليمان حين أناب إلى الله تعالى بقوله «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» يسأل عن هذا فيقال إن هذا القول من سليمان يقتضى الضن و المنافسه لأنه لم يرض بأن يسأل الملك حتى أضاف إلى ذلك أن يمنع غيره منه و أوجب عنه بأجوبه (أحدها) أن الأنبياء لا- يسألون إلا ما يؤذن لهم في مسأله و جائز أن يكون الله تعالى أعلم سليمان أنه إن سأل ملكاً لا يكون لغيره كان أصلح له في الدين و أعلمه أنه لا صلح لغيره في ذلك و لو أن أحدنا صرح في دعائه بهذا الشرط حتى يقول اللهم اجعلنى أكثر أهل زمانى مالا إذا علمت أن ذلك أصلح لى لكان ذلك منه حسناً جائزاً و لا ينسب فى ذلك إلى شح و ضن و اختاره الجبائى (و ثانيها) أنه يجوز أن يكون التمس من الله تعالى آيه لنبوته يبين بها من غيره و أراد لا ينبغى لأحد غيرى ممن أنا مبعوث إليه و لم يرد من بعده إلى يوم القيامة من النبيين كما يقال إنا لا أطيع أحدا بعدك أى لا أطيع أحدا سواك (و ثالثها) ما قاله المرتضى قدس الله روحه إنه يجوز أن يكون إنما سأل ملك الآخرة و ثواب الجنة و يكون معنى قوله «لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي» لا يستحقه بعد وصولى إليه أحد من حيث لا يصلح أن يعمل ما يستحق به ذلك لانقطاع التكليف (و رابعها) أنه التمس معجزه تختص به كما أن موسى يختص بالعصا و اليد البيضاء و اختص صالح بالناقه و محمد ص بالمعراج و القرآن و يدل عليه ما

روى مرفوعاً عن النبي ص أنه صلى صلاه فقال إن الشيطان عرض لى ليفسد على الصلاه فأمكننى الله منه فدفعته و لقد هممت أن أوثقه إلى ساريه حتى تصبحوا و تنظروا إليه أجمعين فذكرت قول سليمان «رب هَبْ لى مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي» فرده الله خاسئاً أورده البخارى و مسلم فى الصحيحين

ثم بين سبحانه أنه أجاب دعاه بقوله «فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً» أى لينه سهله عن ابن زيد و قيل طيبه سريعه عن قتاده و قيل مطيعه تجرى إلى حيث يشاء عن ابن عباس «حَيْثُ أَصَابَ» أى حيث أراد سليمان من النواحي عن أكثر المفسرين و حقيقته حيث قصد و المعنى أنه ينطاع له كيف أراد قال الحسن كان يغدو من إيليا و يقيل بقزوين و يبيت بكابل " سؤال "

كيف وصف سبحانه الريح بالعاصف في قوله وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً و وصفها هنا بخلافه " جوابه " يجوز أن يكون الله سبحانه جعلها عاصفه تاره و رخاء أخرى بحسب ما أراد سليمان (عليه السلام) «وَ الشَّيَاطِينِ» أى و سخرنا له الشياطين أيضا «كُلَّ بَنَاءٍ» فى البر بينى له ما أراد من الأبنية الرفيعه «وَ غَوَّاصٍ» فى البحر على اللالكى و الجواهر فيستخرج له ما يشاء منها «وَ آخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ» أى و سخرنا له آخرين من الشياطين مشدودين فى الأغلال و السلاسل من الحديد و كان يجمع بين اثنين و ثلاثه منهم فى سلسله لا- يمتنعون عليه إذا أراد ذلك بهم عند تمردهم و قيل إنه إنما كان يفعل ذلك بكفارهم فإذا آمنوا أطلقهم «هذا عَطَاؤُنَا» أى هذا الذى تقدم ذكره من الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعدك عطاؤنا «فَأَمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ» أى فأعط من الناس من شئت و امنع من شئت و المن الإحسان إلى من لا- يستثيه «بِغَيْرِ حِسَابٍ» أى لا تحاسب يوم القيامة على ما تعطى و تمنع فيكون هنا لك عن قتاده و الضحاك و سعيد بن جبير و قيل معناه بغير جزاء أى أعطيناكه تفضلا لا مجازاه عن الزجاج و قيل إن المعنى فأنعم على من شئت من الشياطين بإطلاقه أو أمسك من شئت منهم فى وثاقه و صرفه فى عمله من غير حرج عليك فيما تفعله «وَ إِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْن مَّآبٍ» معناه و إن لسليمان عندنا لقربى و حسن مرجع فى الآخرة و هذا من أعظم النعم إذ هى النعمة الباقية الدائمة.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٤١ الى ٤٤]

إشارة

وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عِذَابٍ (٤١) اذْكُرْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ (٤٢) وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٤٣) وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَ لَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)

القراءة

قرأ أبو جعفر بنصب بضمين و قرأ يعقوب بنصب بفتحيتين و الباقيون بضم النون و سكون الصاد.

ص: ٣٢٣

قال الزجاج النصب و النصب لغتان كالرشد و الرشده و البخل و البخل تقول نصبت نصبا و نصبا قال أبو عبيده النصب البلاء و الشر و أنشد لبشر بن أبي حازم:

"تعناك نصب من أميمه منصب"

و من قرأ بنصب بضمين فإنه أتبع الصاد ما قبله فهي أربع لغات.

اللغة

الركض الدفع بالرجل على جهة الإسراع و منه ركض الفرس لإسراعه إذا دفعه برجله قال سيبويه يقال ركضت الدابة و ركضتها فهو مثل جبر العظم و جبرته و الضغث ملء الكف من الشجرة و الحشيش و الشماريخ و ما أشبه ذلك.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه أيوب (عليه السلام) فقال «وَ اذْكُرْ» يا محمد «عَبَدْنَا أَيُّوبَ» شرفه الله سبحانه بأنه أضافه إلى نفسه و اقتد به في الصبر على الشدائد و كان في زمان يعقوب ابن إسحاق و تزوج ليا بنت يعقوب «إِذْ نَادَى رَبَّهُ» أى حين دعا ربه رافعا صوته يقول يا رب لأن النداء هو الدعاء بطريقه يا فلان و متى قال اللهم افعل بى كذا و كذا كان داعيا و لا يكون مناديا «أَنْتَى مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عَذَابٍ» أى بتعب و مكروه و مشقه و قيل بوسوسه فيقول له طال مرضك و لا يرحمك ربك عن مقاتل و قيل بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل و الولد و المال و كيف زال ذلك كله و حصل فيما هو فيه من البليه طمعا أن يزيله بذلك و يجد طريقا إلى تضجره و تبرمه فوجده صابرا مسلما لأمر الله و

قيل إنه اشتد مرضه حتى تجنبه الناس فوسوس الشيطان إلى الناس أن يستقذروه و يخرجوه من بينهم و لا يتركوا امرأته التى تخدمه أن تدخل عليهم فكان أيوب يتأذى بذلك و يتألم منه و لم يشك الألم الذى كان من أمر الله تعالى قال قتاده دام ذلك سبع سنين و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

قال أهل التحقيق أنه لا يجوز أن يكون بصفه يستقذره الناس عليها لأن فى ذلك تنفيرا فأما المرض و الفقر و ذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك فأجاب الله دعاءه و قال له «ارْكُضْ بِرِجْلِكَ» أى ادفع برجلك الأرض «هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ» و فى الكلام حذف أى فركض رجله فنبعت بركضته عين ماء و قيل نبعت عينان فاغتسل من أحدهما فبرأ و شرب من الآخر فروى عن قتاده و المغتسل الموضع الذى يغتسل منه و قيل هو اسم للماء الذى يغتسل به عن ابن قتيبه «وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ» هذا مفسر فى سورة الأنبياء و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن الله تعالى أحيا له أهله الذين كانوا ماتوا قبل البليه و أحيا له أهله الذين ماتوا و هو فى البليه

«رَحْمَةً مِنَّا» أى فعلنا ذلك به لرحمتنا إياه فيكون منصوبا بأنه مفعول له و يجوز أن يكون منصوبا على المصدر لما كانت الموهبه
بمعنى الرحمه «و ذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ» أى ليتذكر و يعتبر به ذوو الألباب أى العقول و يعرفوا حسن عاقبه الصبر فيصبروا كما
صبر قالوا أنه أطعم

ص: ٣٢٤

جميع أهل قريته سبعة أيام و أمرهم بأن يحمدا الله و يشكروه «وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا» و هو ملء الكف من الشماريخ و ما أشبه ذلك أى و قلنا له ذلك و ذلك أنه حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها لئن عوفى ليضربنها مائه جلده فقيل له خذ ضغتا بعدد ما حلفت به «فَأَضْرِبْ بِهِ» أى و اضربها به دفعه واحده فإنك إذا فعلت ذلك برت يمينك «وَلَا تَحْنُثْ» فى يمينك نهاه عن الحنث و روى عن ابن عباس أنه قال كان السبب فى ذلك أن إبليس لقيها فى صورته طيب فدعته لمداواه أيوب (عليه السلام) فقال أداويه على أنه إذا برىء قال أنت شفيتنى لا أريد جزاء سواء قالت نعم فأشارت إلى أيوب بذلك فحلف ليضربنها و قيل إنها كانت ذهبت فى حاجه فأبطأت فى الرجوع فضاقت صدر المريض فحلف ثم أخبر سبحانه عن حال أيوب و عظم منزلته فقال «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا» على البلاء الذى ابتليناه به «نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» أى رجاع إلى الله منقطع إليه و

روى العياشى بإسناده أن عباد المكى قال قال لى سفيان الثورى إنى أرى لك من أبى عبد الله (عليه السلام) منزله فأسأله عن رجل زنى و هو مريض فإن أقيم عليه الحد خافوا أن يموت ما تقول فيه فسأله فقال لى هذه المسأله من تلقاء نفسك أو أمرك بها إنسان فقلت إن سفيان الثورى أمرنى أن أسألك عنها فقال إن رسول الله ص أتى برجل أحجن قد استسقى بطنه و بدت عروق فخذه و قد زنى بامرأه مريضه فأمر رسول الله ص فأتى بعرجون فيه مائه شمراخ فضربه به ضربه و ضربها به ضربه و خلى سبيلهما و ذلك قوله «وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ».

اشاره

وَ اذْكَرْ عِبَادَنَا اِبْرَاهِيمَ وَ اِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ اُولَى الْاَيْدِي وَ الْاَبْصَارِ (۴۵) اِنَّا اَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصِهِ ذِكْرَى الدَّارِ (۴۶) وَ اِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْاَخْيَارِ (۴۷) وَ اذْكَرْ اِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ وَ كَمُلُّ مِنَ الْاَخْيَارِ (۴۸) هَذَا ذِكْرٌ وَ اِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَا بٍ (۴۹)

جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَهَ لَهُمُ الْاَبْوَابُ (۵۰) مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَهَ كَثِيرَهَ وَ شَرَابٍ (۵۱) وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اَثْرَابٌ (۵۲) هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (۵۳) اِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (۵۴)

القراءه

قرأ ابن كثير وحده و اذكر عبدنا ابراهيم و الباقون «عبادنا» و قرأ أهل المدينه و هشام بخالصة ذكرى الدار غير منون على الإضافه و الباقون بالتنوين و خلافهم فى «وَ الْيَسَعَ» مذكور فى سوره الأنعام و قرأ ابن كثير و أبو عمرو ما يوعدون بالياء و ابن كثير وحده يقرأ فى سوره ق بالياء أيضا و الباقون بالتاء فى الموضعين و فى الشواذ قراءه الحسن و الثقفى أولى الأيدى بغير ياء.

الحجّه

قال أبو على من قرأ عبدنا فإنه اختصه بالإضافه على وجه التكرمه له و الاختصاص بالمنزله الشريفه كما قيل فى مكه بيت الله و من قرأ «عبادنا» أجرى هذا الوصف على غيره من الأنبياء أيضا و جعل ما بعده بدلا من العباد و الأول جعل ابراهيم بدلا و ما بعده معطوفا على المفعول به المذكور و قوله «بِخَالِصِهِ ذِكْرَى الدَّارِ» يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون ذكرى بدلا من الخالصة تقديره إنا أخلصناهم بالذكرى الدار و يجوز أن يقدر فى قوله «ذِكْرَى» التنوين فىكون الدار فى موضع نصب تقديره بأن يذكروا الدار بالتأهب للآخره (و الثانى) أن لا يقدر البدل و لكن يكون الخالصة مصدرا فىكون مثل قوله مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ و يكون المعنى بخالصة تذكروا الدار و يقوى هذا الوجه ما روى من قراءه الأعمش بخالصتهم ذكرى الدار و هذا يقوى النصب فكأنه قال بأن أخلصوا تذكروا الدار فإذا نونت خالصة احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون المعنى بأن خلصت لهم ذكرى الدار فىكون ذكرى فى موضع رفع بأنه فاعل (و الآخر) أن يقدر المصدر الذى هو خالصة من الإخلاص فحذفت الزياده فىكون المعنى بإخلاص ذكرى فىكون ذكرى فى موضع نصب و الدار يجوز أن يعنى بها الدنيا و يجوز أن يعنى بها الآخره و الذى يدل على أنه يجوز أن يراد بها الدنيا قوله تعالى فى الحكايه عن ابراهيم وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْاٰخِرِينَ وَ قَوْلُهُ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ فَاللسان هو القول الحسن و الثناء عليه لا الجارحه كما فى قول الشاعر

ندمت على لسان فأت منى فليت بأنه فى جوف عكم

و كذلك قول الآخر

إني أتاني لسان لا أسر به من علو لا كذب فيه ولا سخر

وقوله تعالى «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ سَلَامًا عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ» والمعنى أبقينا عليهم الثناء الجميل في الدنيا فالدار في هذا التقدير ظرف و القياس أن يتعدى الفعل و المصدر إليه بالحرف و لكنه على ذهب الشام عند سيويه

" و كما غسل الطريق الثعلب "

(و أما) جواز كون الدار الآخرة في قوله «أَخْلَصَيْنَاهُمْ بِخَالِصِهِ ذِكْرَى الدَّارِ» فيكون ذلك بإخلاصهم ذكري الدار و يكون ذكركم لها و جل قلوبهم منها و من حسابها كما قال وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ فالدار على هذا مفعول بها و ليست كالوجه المتقدم و أما من أضاف فقال بخالصة ذكري الدار فإن الخالصة تكون على ضرور تكون للذكر و غير الذكر فإذا أضيفت إلى ذكري اختصت الخالصة بهذه الإضافة فتكون هذه الإضافة إلى المفعول به كأنه بإخلاصهم ذكري الدار أي بأن أخلصوا ذكرها و الخوف منها لله و يكون على إضافة المصدر الذي هو الخالصة إلى الفاعل تقديره بأن خلصت لهم ذكري الدار و الدار على هذا يحتمل الوجهين اللذين تقدما من كونها للآخرة و الدنيا فأما قوله وَ قَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا فيجوز في خالصة وجهان (أحدهما) أن يكون مصدرا كالعاقبة (و الآخر) أن يكون وصفا و كلا الوجهين يحتمل الآيه فيجوز أن يكون ما في بطون هذه الأنعام ذات خلوص و يجوز أن يكون الصفه و أنت على المعنى لأنه كثره و المراد به الأجنه و المضامين فيكون التأنيث على هذا و من قرأ الليسع جعله اسما على صورته الصفات كالحارث و العباس ألا ترى أن فيعلا مثل ضيغم و حيدر كثير في الصفات و وجه قراءه من قرأ «وَ الْيَسَعُ» أن الألف و اللام قد يدخلان الكلمه على وجه الزيادة كما حكى أبو الحسن الخمسه عشر درهما قال

و لقد جنيتك أكمؤا و عساقلا و لقد نهيتك عن بنات الأوبر

و بنات الأوبر ضرب من الكمأه معرفه فأدخل في المعرفه الألف و اللام على وجه

الزيادة فكذلك التي تكون في اليسع و من قرأ «هذا ما تُوعِدُونَ» بالثناء فعلى معنى قل للمتقين هذا ما توعدون و الياء على معنى «وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ» هذا ما يوعدون و الياء أعم لأنه يصلح أن يدخل فيه الغيب من الأنبياء و أما في سورة ق فنحو هذا وَ أزلقت الجنة للمتقين هذا ما توعدون أيها المتقون على الرجوع من الغيبه إلى الخطاب أو على قل لهم هذا ما توعدون و الياء على إخبار النبي ص بما وعدوا كأنه هذا ما يوعدون أيها النبي و من قرأ أولى الأيدى بغير ياء فإنه يحتمل أن يكون أراد الأيدى فحذف الياء تخفيفاً كقوله يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ و نحو ذلك و يحتمل أن يكون أراد بالأيدى القوه في طاعه الله و يدل عليه أنه مقرون بالأبصار أي البصر بما يحظى عند الله و على هذا فالأيدى هنا إنما هي جمع اليد التي هي القوه لا التي هي الجارحه و لا النعمه لكنه كقولك له يد في الطاعه.

الإعراب

قال الزجاج جنات بدل من حسن مآب «مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ» أي مفتحه لهم الأبواب منها و قال بعضهم مفتحه لهم أبوابها و المعنى واحد إلا أن على تقدير العرييه الأبواب منها أجود أن يجعل الألف و اللام بدلا من الهاء و الألف لأن معنى الألف و اللام ليس من معنى الهاء و الألف في شىء لأن الهاء و الألف اسم و الألف و اللام دخلتا للتعريف و لا يبدل حرف جاء بمعنى من اسم و لا ينوب عنه قال أبو على مفتحه صفه لجنات عدن و في مفتحه ضمير يعود إلى جنات و الأبواب بدل من ذلك الضمير لأنك تقول فتحت الجنان إذا فتحت أبوابها فيكون من بدل البعض من الكل نحو ضربت زيدا رأسه و في القرآن وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا و ليس جنات عدن معرفه إذ ليس عدن بعلم و إنما هو بمنزله جنات إقامه و قوله «هذا» خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر هذا و يجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أي هذا أمرهم.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم حديث الأنبياء فقال «وَ اذْكُرْ» يا محمد لقومك و أمتك «عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ» ليقصدوا بهم في حميد أفعالهم و كريم خلالهم فيستحقوا بذلك حسن الثناء في الدنيا و جزيل الثواب في العقبى كما استحق أولئك و إذا قرئ عبدنا فيكون التقدير و اذكر عبدنا إبراهيم خصه بشرف الإضافة إلى نفسه و اذكر إسحاق و يعقوب و صفهم جميعاً فقال «أُولَى الْأَيْدِي» أي ذوى القوه على العباده «وَ الْأَبْصَارِ» الفقه في الدين عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و معناه أولى العلم و العمل فالأيدى العمل و الأبصار العلم عن أبي مسلم و قيل أولى الأيدى أولى النعم على عباد الله بالدعاء إلى الدين و الأبصار جمع البصر و هو العقل «إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصِهِ ذِكْرَى الدَّارِ»

أى جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار و الخالصة بمعنى الخلوص و الذكري بمعنى التذكير أى خلص لهم تذكير الدار و هو أنهم كانوا يتذكرونها بالتأهب لها و يزهدون فى الدنيا كما هو عادة الأنبياء و قيل المراد بالدار الدنيا عن الجبائى و أبى مسلم أى خصصناهم بالذكر فى الأعقاب من بين أهل الدنيا «وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا» و بحسب ما سبق فى علمنا «لَمَنِ الْمُضِيَّطَفَيْنَ» للنبوه و تحمل أعباء الرساله «الْأَخْيَارِ» جمع خير كالأموات جمع ميت و هو الذى يفعل الأفعال الكثيره الحسنه و قيل هى جمع خير فيكون كالأقيال جمع قيل و هذا مثل قوله وَ لَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ «وَ اذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ» أى اذكر لأمتك هؤلاء أيضا ليقتدوا بهم و يسلكوا طريقتهم و قد تقدم ذكرهم «وَ كُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ» قد اختارهم الله للنبوه «هذا ذِكْرٌ» أى شرف لهم و ذكر جميل و ثناء حسن يذكرون به فى الدنيا أبدا «وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَيَابٍ» أى حسن مرجع و منقلب يرجعون فى الآخرة إلى ثواب الله و مرضاته ثم فسر حسن المآب بقوله «جَنَّاتٍ عَمْدٍ» فهى فى موضع جر على البدل أى جنات إقامه و خلود «مُفْتَتِحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ» أى يجدون أبوابها مفتوحه حين يردونها و لا يحتاجون إلى الوقوف عند أبوابها حتى تفتح و قيل معناه لا يحتاجون إلى مفاتيح بل تفتح بغير مفتاح و تغلق بغير مغلاق قال الحسن تكلم يقال انفتحتى انغلقى و قيل معناه إنها معده لهم غير ممنوعين منها و إن لم تكن أبوابها مفتوحه قبل مصيرهم إليها كما يقول الرجل و لغيره متى نشطت لزيارتى فالباب مفتوح و الدست مطروح «مُتَّكِنِينَ فِيهَا» أى مستندين فيها إلى المساند جالسين جلسه الملوك «يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرَابٍ» أى يتحكمون فى ثمارها و شرابها فإذا قالوا لشيء منها أقبل حصل عندهم «وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» أى و عندهم فى هذه الجنان أزواج قصرن طرفهن على أزواجهن راضيات بهم ما لهن فى غيرهم رغبه و القاصر نقيض الماد يقال فلان قاصر طرفه عن فلان و ماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس:

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الأتب منها لأثرا

«أَثْرَابٌ» أى أقران على سن واحد ليس فيهن عجز و لا هرمه و قيل أمثال و أشباه عن مجاهد أى متساويات فى الحسن و مقدار الشباب لا يكون لواحد على صاحبها فضل فى ذلك و قيل أتراب على مقدار سن الأزواج كل واحد منهن ترب زوجها لا تكون أكبر منه قال

الفراء الترب اللده مأخوذ من اللعب بالتراب و لا يقال إلا فى الإناث قال عمر بن أبى ربيعه:

أبرزوها مثل المهاه تهادى بين عشر كواعب أتراب

«هذا» يعنى ما ذكر فيما تقدم «ما تُوَعَّدُونَ» أى يوعده به المتقون أو يخاطبون فيقال لهم هذا القول «لِيَوْمِ الْحِسَابِ» أى ليوم الجزاء «إِنَّ هَذَا» الذى ذكرنا «لَرَزُقْنَا» أى عطاؤنا الجارى المتصل «ما لَهُ مِنْ نَفَادٍ» أى فناء و انقطاع لأنه على سبيل الدوام عن قتاده و قيل أنه ليس لشيء فى الجنة نفاذ ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله و ما أكل من حيوانها و طيرها عاد مكانه حيا عن ابن عباس.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٥٥ الى ٦١]

اشاره

هذا وَ إِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هذا فَلْيَدُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسَاقٌ (٥٧) وَ آخِرُ مَنْ شَكَّلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هذا فَوَجَّحْتُمْ مَعَكُمْ لَمْ يَرْحَبْ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩)

قالوا بَلْ أَنْتُمْ لَمْ يَرْحَبْ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قالوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ (٦١)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر «غَسَاقٌ» بالتشديد حيث كان فى القرآن و الباقون بالتخفيف و قرأ أهل البصره و آخر بضم الألف و الباقون «آخِرُ» على التوحيد.

الحجه

قال أبو على أما الغساق بالتشديد فلا يخلو أن يكون اسما أو وصفا فالاسم لا يجىء على هذا الوزن إلا قليلا نحو الكلاء و الفدان و الجبان فينبغى أن يكون وصفا قد

ص: ٣٣٠

أقيم مقام الموصوف والأحسن أن لا تقام الصفه مقام الموصوف إلا أن تكون صفه قد غلبت نحو العبد والأبطح والأبرق والقراءه بالتخفيف أحسن من حيث ذكرنا و من قرأ و آخر على الجمع كان آخر مبتدأ و «مِنْ شَكْلِهِ» فى موضع صفته أى من ضربه و أزواج خبر المبتدأ لأنه جمع كالمبتدأ و قد وصفت النكره فحسن الابتداء بها و الضمير فى شكله يعود إلى قوله «حَمِيمٌ» و يجوز أن يكون المعنى من شكل ما ذكرناه و من قرأ «وَ آخِرٌ» على الأفراد فأخر يرتفع بالابتداء فى قول سيبويه و فيه ذكر مرفوع عنده و بالظرف فى قول أبى الحسن و لا ذكر فى الظرف لارتفاع الظاهر به فإن لم تجعل آخر مبتدأ فى هذا الوجه خاصه قلت أنه يكون ابتداء بالنكره فلا أحمل على ذلك و لكن لما قال «حَمِيمٌ وَ غَسَّاقٌ» دل هذا الكلام على أن لهم حميما و غساقا فحمل المعطوف على المعنى فجعل لهم المدلول عليه خبرا آخر فهو قول و كان التقدير لهم عذاب آخر من شكله أزواج فيكون من شكله فى موضع الصفه و يكون ارتفاع أزواج به فى قول سيبويه و أبى الحسن و لا يجوز أن يجعل قوله «مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ» فى قول من قرأ و آخر على الجمع وصفا و يضم الخبر كما فعلت ذلك فى قول من وحد لأن الصفه لا يرجع منها ذكر إلى الموصوف ألا- ترى أن أزواج إذا ارتفع بالظرف لم يجز أن يكون فيه ذكر مرفوع و الهاء التى للإفراد لا- ترجع إلى الجمع فى الوجه البين فتحصل الصفه بلا ذكر يعود منها إلى الموصوف و أما امتناع آخر من الصرف فى النكره فللعدل و الوصف فمعنى العدل فيه أن هذا النحو لا- يوصف به إلا- بالألف و اللام و استعملت آخر بلا ألف و لام فصارت بذلك معدوله عن الألف و اللام.

اللغه

المهاد الفراش الموطأ يقال مهدت له تمهيدا مثل وطأت له توطئه و الحميم الحار الشديد الحرارة و منه الحمى لشده حرارتها و الغساق قيح شديد النتن يقال غسقت القرحة تغسق غسوقا و قيل هو مشتق من الغسق و هو السواد و الظلمه أى هو على ضد ما يراد فى الشراب من الضياء و الرقه عن أبى مسلم و منه يقال ليل غاسق و غسقت عينه أظلمت و أغسق المؤذن المغرب أخره إلى الظلمه و الشكل بفتح الشين الضرب المتشابه و الشكل بالكسر النظير فى الحسن و هو الدل أيضا و الاقتحام الدخول فى الشىء بشده و صعوبه قال أبو عبيده قولهم لا مرحبا به أى لا رحبت عليه الأرض. و قال القتيبي قولهم مرحبا بك أى أتيت رحبا و سعه قال النابغه:

لا مرحبا بغد و لا أهلا به إن كان تفريق الأجه فى غد

. الإعراب

هذا مبتدأ و حميم خبره و غساق معطوف عليه و «فَلَيْدُوقُوهُ» خبر بعد خبر

ص: ٣٣١

والتقدير هذا حميم و غساق فليذوقوه و يجوز أن يكون «هذا فليذوقوه» مبتدأ و خبر و حميم خبر مبتدأ محذوف أى هو حميم و يجوز أن يكون هذا فى موضع نصب بفعل مضمّر يفسره هذا الظاهر.

المعنى

لما بين سبحانه أحوال أهل الجنة و ما أعد لهم من جزيل الثواب عقبه بيان أحوال أهل النار و ما لهم من أليم العذاب فقال «هذا» أى ما ذكرناه للمتقين ثم ابتداء فقال «وَإِنَّ لِلطَّائِفِينَ» الذين طغوا على الله و كذبوا رسله «لَشَرَّ مَا بَ» و هو ضد مآب المتقين ثم فسر ذلك فقال «جَهَنَّمَ يَصِيلُونَهَا» أى يدخلونها فيصيرون صلاء لها «فَبئس المسكن و بئس المهدي» هذا فليذوقوه حميم و غساق» أى هذا حميم و غساق فليذوقوه عن الفراء و الزجاج و قيل معناه هذا الجزاء للطائفين فليذوقوه و أطلق عليه لفظ الذوق لأن الذائق يدرك الطعام بعد طلبه فهو أشد إحساسا به و الحميم الماء الحال و الغساق البارد الزمهرير عن ابن مسعود و ابن عباس فيكون المعنى أنهم يعذبون بحار الشراب الذى انتهت حرارته و يبارد الذى انتهت برودته فيرده يحرق كما يحرق النار و قيل أن الغساق عين فى جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمة من حيه و عقرب عن كعب و قيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم عن السدى و قيل هو القيح الذى يسيل منهم يجمع و يسقونه عن ابن عمر و قتاده و قيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله عن الحسن «وَآخِرُ» أى و ضروب آخر «مِنْ شَكْلِهِ» أى من شكل هذا العذاب و جنسه «أَزْوَاجُ» أى ألوان و أنواع متشابهة فى الشدة لا نوع واحد «هذا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ» هاهنا حذف أى يقال لهم هذا فوج و هم قادة الضلالة إذا دخلوا النار ثم يدخل الأتباع فيقول الخزنة للقاده هذا فوج أى قطع من الناس و هم الأتباع مقتحم معكم فى النار دخلوها كما دخلتم عن ابن عباس و قيل يعنى بالأول أولاد إبليس و بالفوج الثانى بنى آدم أى يقال لبنى إبليس بأمر الله تعالى هذا جمع من بنى آدم مقتحم معكم يدخلون النار و عذابها و أنتم معهم عن الحسن «لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ» أى لا اتسعت لهم أماكنهم لأنهم لازموا النار فيكون المعنى على القول الأول أن القاده و الرؤساء يقولون للأتباع لا مرحبا بهؤلاء أنهم يدخلون النار مثلنا فلا فرح لنا فى مشاركتهم إيانا فيقول الأتباع لهم «قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ» أى لا نلتم رحبا و سعه «أَنْتُمْ قَدْ مَثُمُوا لَنَا» أى حملتمونا على الكفر الذى أوجب لنا هذا العذاب و دعوتونا إليه و أما على القول الثانى أن أولاد إبليس يقولون لا مرحبا بهؤلاء قد ضاقت أماكننا بهم إذ كانت النار مملوءة منا فليس لنا منهم إلا ضيق فى شدة و هذا كما

روى عن النبى ص أن النار تضيق عليهم كضيق الزج

«قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْزَاجٌ كَرَامٌ لَكُمْ أَنْتُمْ شَرَعْتُمُوهُ لَنَا وَزَيْتَمُوهُ فِي نَفُوسِنَا «فَبَيِّنْ الْقَرَارُ» الَّذِي اسْتَقَرَّرْنَا عَلَيْهِ «قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا» أَيْ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ بِهَذَا إِذَا حَصَلُوا فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَيْ مِنْ سَبَبِ لَنَا هَذَا الْعَذَابِ وَدَعَانَا إِلَى مَا اسْتَوْجَبْنَا بِهِ ذَلِكَ «فَرِدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا» أَيْ مِثْلًا مِثْلًا مِثْلًا إِلَى مِثْلِ مَا يَسْتَحِقُّهُ «فِي النَّارِ» أَحَدُ الضَّعِيفِينَ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَالضَّعِيفِ الْآخِرِ لِدَعَائِهِمْ إِيَّانَا إِلَى الْكُفْرِ.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٦٢ الى ٧٠]

اشاره

وَ قَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠)

القراءه

قرأ أهل العراق غير عاصم اتخذناهم موصوله الهمزه و الباقون «أَتَّخَذْنَا هُمْ» بقطع الهمزه و قرأ أهل المدينة و الكوفه غير عاصم سخريا بضم السين و الباقون بكسرهما و قرأ أبو جعفر إن يوحى إلى إلا إنما بكسر الألف و الباقون «أَنَّمَا» بالفتح.

الحجه

قال أبو علي في إلحاق همزه الاستفهام في قوله «أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا» بعض البعد لأنهم قد علموا أنهم اتخذوهم سخريا و كيف يستقيم أن يستفهم عنه و يدل على علمهم بذلك أنه قد أخبر عنهم بذلك في قوله فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي فالجمله التي هي «أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا» صفة للنكره فأما وجه فتح الهمزه فإنه يكون على التقرير و عودت بأمر لأنها على لفظ الاستفهام كما عودت بأمر في قوله سِخْرِيًّا عَلَيْهِمْ أَسِيءَتْ غَفْرَتُهُمْ أَمْ لَمْ تَسِيءْ غَفْرَتُهُمْ و إن لم يكن استفهاما في المعنى و كذلك قولهم ما أبالي أزيدا ضربت أم عمرا فإن قلت فما الجمله المعادله بقوله «أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ» في قول من كسر الهمزه في قوله

«أَتَّخَذْنَاهُمْ» فالقول فيه أن الجملة المعادله لأم محذوفه و المعنى أ تراهم أم زاغت عنهم الأبصار و كذلك قوله أم كان من الغائبين لأن المعنى أخبروني عن الهدهد أ حاضر هو أم كان من الغائبين هذا قول أبي الحسن و يجوز عندي في قوله تعالى «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ أَمْنٌ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ» أن تكون المعادله لأم محذوفه تقديره أ فأصحاب النار خير أم من هو قانت و حكى عن أبي عمر و أنه قال ما كان من مثل العبوديه فسخرى مضموم و ما كان من مثل الهزء فسخرى مكسور السين و قد تقدم ذكر هذا قال ابن جنى من قرأ إنما فعلى الحكايه فكأنه قال إن يقال لى إلا إنما أنا نذير مبين و هذا كما تقول لصاحبك أنت قلت أنك شجاع و نحو ذلك قول الشاعر:

تنادوا بالرحيل غدا و فى ترحالهم نفسى

قال و أجاز أبو على ثلاثه أضرب من الإعراب بالرحيل و الرحيل و الرحيل رفعا و نصبا و جرا فمن رفع أو نصب فقد وفى الحكايه اللفظ المقول البته فكأنهم قالوا الرحيل غدا فأما الجر فعلى إعمال الباء فيه و هو معنى ما قالوه و لكن حكيت منه قولك غدا وحده و هو خبر المبتدأ أو فى موضع رفع لأنه خبر المبتدأ و لا- يكون ظرفا لتنادوا لأن الفعل الماضى لا يعمل فى الزمان الآتى و إذا قال بالرحيل غدا فإن غدا يجوز أن يكون ظرفا لنفس الرحيل و يجوز أن يكون ظرفا لفعل آخر نصب الرحيل أى يحدث الرحيل غدا.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن أهل النار أيضا بقوله «وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ» أى يقولون ذلك حين ينظرون فى النار فلا- يرون من كان يخالفهم فيها معهم و هم المؤمنون عن الكلبى و قيل نزلت فى أبى جهل و الوليد بن المغيرة و ذويهما يقولون ما لنا لا نرى عمارا و خبابا و صهيبا و بلالا الذين كنا نعدهم فى الدنيا من جمله الذين يفعلون الشر و القبيح و لا يفعلون الخير عن مجاهد و

روى العياشى بالإسناد عن جابر عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال أن أهل النار يقولون «ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدُّهم من الأشرار» يعنونكم لا يرونكم فى النار لا يرون و الله أحدا منكم فى النار

«أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ» معناه أنهم يقولون لما لم يروهم فى النار اتخذناهم هزوءا فى الدنيا فأخطأنا أم عدلت عنهم أبصارنا فلا- نراهم و هم معنا فى النار «إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ» أى إن ما ذكر قبل هذا لحق أى كائن لا محاله ثم بين ما هو فقال «تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ» يعنى تخاصم الأتباع

و القاده أو مجادله أهل النار بعضهم لبعض على ما أخبر عنهم ثم خاطب نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ» أى مخوف من معاصى الله و محذر من عقابه «وَمَا مِنْ إِلَهٍ» يحق له العباده «إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» لجميع خلقه المتعالى بسعه مقدوراته فلا يقدر أحد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» من الإنس و الجن و كل خلق «الْعَزِيزُ» الذى لا يغلبه شىء و لا يمتنع منه شىء «الْغَفَّارُ» لذنوب عباده مع قدرته على عقابهم «قُلْ» يا محمد «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» اختلف فيه فقيل يعنى القرآن هو حديث عظيم لأنه كلام الله المعجز و لأن فيه أنباء الأولين «أَنْتُمْ عَنْهُ» أى عن تدبره و العمل به «مُعْرَضُونَ» عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و السدى و قيل خبر القيامة خبر عظيم أنتم عنه معرضون أى عن الاستعداد لها غافلون و بها مكذبون عن الحسن و قيل معناه النبأ الذى أنبأتكم به عن الله نبأ عظيم عن الزجاج يعنى ما أنبأهم به من قصص الأولين أنهم عنه معرضون لا يتفكرون فيه فيعلموا صدقى فى نبوتى قال و يدل على صحه هذا المعنى قوله «مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى» يعنى الملائكة «إِذْ يَخْتَصِمُونَ» يعنى ما ذكر من قوله «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» إلى آخر القصة و هو قول ابن عباس و قتاده و السدى أى فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحي من الله تعالى و

روى ابن عباس عن النبى ص قال قال لى ربي أ تدرى فيم يختصم الملائكة الأعلى فقلت لا قال اختصموا فى الكفارات و الدرجات فأما الكفارات فإسباغ الوضوء فى السبرات و نقل الأقدام إلى الجماعات و انتظار الصلاة بعد الصلاة و أما الدرجات فإفشاء السلام و إطعام الطعام و الصلاة بالليل و الناس نيام

«إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» معناه ما كان لى من علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا لو لا أن الله تعالى أخبرنى به لم يمكننى إخباركم و لكن ما يوحى إلى إلا- الإنذار البين الواضح و قيل معناه ليس يوحى إلى إلا إنى نذير مبين مخوف مظهر للحق.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٧١ الى ٨٣]

اشاره

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠)

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (٨٣)

ص: ٣٣٥

ثم دل سبحانه على أن اختصام الملائكة كان فى أمر آدم (عليه السلام) بقوله «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ بِالظَّاهِرِ أَنْ إِذْ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ يَخْتَصِمُونَ» وإن اعترض بينهما كلام «إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ» يعنى آدم «فَإِذَا سَوَّيْتَهُ» أى فإذا سويت خلق هذا البشر و تمت أعضائه و صورته «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى» أى أحييته و جعلت فيه الروح و أضاف الروح إلى نفسه تشريفا له و معنى نفخت فيه أى توليت فعله من غير سبب و واسطه كالولادة المؤديه إلى ذلك فإن الله شرف آدم و كرمه بهذه الحالة «فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» أى فاسجدوا له أجمعين و فى الكلام حذف و التقدير ثم إن الله تعالى خلق ذلك البشر الذى وعدهم بخلقه «فَسَاجِدًا» له «الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» مفسر فى سورة البقره «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ» هذا سؤال توبيخ و تعريف للملائكة أنه لا عذر له فى الامتناع عن السجود و معنى قوله «لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ» توليت خلقه بنفسى من غير واسطه عن الجبائى و مثله مما عملت أيدينا و ذكر اليدين لتحقيق الإضافة لخلقه إلى نفسه و هو قول مجاهد و مثله قوله وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ أى ربك و قيل معناه خلقته بقدرتى عن أبى مسلم و غيره و العرب كما تطلق لفظ اليد للقدره و القوه فقد تطلق لفظه اليدىن قال:

تحملت من ذلفاء ما ليس لى به و لا للجبال الراسيات يدان

و قال آخر:

أ نابع إنكم لم تبلغونا و ما لكم بذلكم يدان

و قال عروه بن حزام:

فإن تحملى ودى و ودك تفدحى و ما لك بالحمل الثقيل يدان

«أَسْتَكْبِرُتْ أُمُّ كُنْتُ مِنَ الْعَالِينَ» أى أ رفعت نفسك فوق قدرك و تعظمت عن امثال امرى أم كنت من الذين تعلقو أقدارهم عن السجود فتعاليت عنه «قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» فضل النار على الطين «قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا» أى من الجنة «فَإِنَّكَ رَجِيمٌ» أى طريد مبعث «وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ» إبليس عند ذلك «رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أى أخرنى إلى يوم يحشرون للحساب و هو يوم القيامة «قَالَ» الله تعالى له «فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» أى المؤخرين «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» و قد فسرنا جميع ذلك فيما تقدم «قَالَ» إبليس «فَبِعِزَّتِكَ» أى أقسم بقدرتك التى تقهر بها جميع خلقك «لَأُغْوِيَنَّهُمْ» يعنى بنى آدم كلهم «أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» أى أدعوهم إلى الغى و أزين لهم القبائح إلا- عبادك الذين استخلصتهم و آثرتهم و عصمتهم فلا سبيل لى عليهم.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٨٤ الى ٨٨]

اشاره

قَالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)

الفراءه

قرأ أهل الكوفه غير الكسائى و هبیره و روح و زيد عن يعقوب «قَالَ فَالْحَقُّ» بالرفع و الباقون بالنصب.

ص: ٣٣٧

قال أبو على من نصب الحق الأول كان منصوباً بفعل مضمر يدل انتصاب الحق عليه و ذلك الفعل هو ما ظهر فى قوله وَ يُحَقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ و يجوز أن ينتصب على التشبيه بالقسم فيكون الناصب له ما ينصب القسم من نحو الله لأفعلن فيكون التقدير الحق لأملأن و قد يجوز أن يكون الحق الثانى الأول و كرر على وجه التأكيد و من رفع كان محتملاً لوجهين (أحدهما) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أنا الحق (و الآخر) أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره فالحق منى كما قال الحق من ربك.

المعنى

ثم حكى سبحانه ما أجاب به إبليس و أنه «قال» له «فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ» أى حقاً «لَأَمْلَأَنَّ» و الحق أقول اعتراض بين القسم و المقسم عليه و جاز ذلك لأنه مما يؤكد القصة كما قال الشاعر:

أرانى و لا كفران لله آيه لى نفسى لقد طالبت غير منيل

فاعترض بقوله و لا كفران لله بين المفعول الأول و الثانى و من رفع فعلى معنى فأنا الحق أو الحق منى و أقول الحق «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ» و قبل قولك «مِنْهُمْ» أى من بنى آدم «أَجْمَعِينَ» ثم خاطب النبى ص فقال «قُلْ» يا محمد لكفار مكه «ما أَشْرَأْتُكُمْ عَلَيْهِ» أى على تبليغ الوحى و القرآن و الدعاء إلى الله سبحانه «مِنْ أَجْرٍ» أى مال تعطونه «وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» لهذا القرآن من تلقاء نفسى و قيل معناه إنى ما أتيتكم رسولا من قبل نفسى و لم أتكلف هذا الإتيان بل أمرت به و قيل معناه لست ممن يتعسف فى طلب الأمر الذى لا يقتضيه العقل و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل و من لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله تعالى قال لنبىه ص «قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» أورده البخارى فى الصحيح «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» أى ما القرآن إلا موعظه للخلق أجمعين و قيل ما القرآن إلا شرف لمن آمن به «وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبِيُّهُ بِغَيْدِ حِينٍ» أى و لتعلمن يا كفار مكه خير صدقه بعد الموت عن ابن عباس و قتاده و قيل بعد يوم بدر عن السدى و قيل من عاش علم ذلك إذا ظهر أمره و علا دينه و من مات علمه بعد الموت عن الكلبي.

(٣٩) سورة الزمر مكيه و آياتها خمس و سبعون (٧٥)

اشاره

[توضيح]

و تسمى أيضا سورة الغرف و هى مكيه كلها عن مجاهد و قتاده و الحسن و قيل سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينه فى وحشى قاتل حمزه «قُلْ يَا عِبَادِى» إلى آخرهن و قيل غير آيه قُلْ يَا عِبَادِى.

عدد آياتها

خمس و سبعون آيه كوفى ثلاث شامى اثنتان فى الباقيين.

اختلافها

سبع آيات «فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» غير الكوفى «مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» الثانى و «مُخْلِصًا لَهُ دِينِى» و «مِنْ هَادٍ» الثانى و «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» أربعهن كوفى «فَبَشِّرْ عِبَادِ» عراقى شامى و المدنى الأخير «مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» مكى شامى و المدنى الأول.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه و أعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا الله تعالى

و

روى هارون بن خارجه عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الزمر أعطاه الله شرف الدنيا و الآخره و أعزه بلا مال و لا عشيره حتى يهابه من يراه و حرم جسده على النار و بينى له فى الجنة ألف مدينه فى كل مدينه ألف قصر فى كل قصر مائه حوراء و له مع ذلك عينان تجريان و عينان نضاختان و جنتان مدهامتان و حور مقصورات فى الخيام.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة ص بذكر القرآن و افتتح هذه السوره أيضا به فقال:

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَ الدِّينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدَى مَنْ

هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ (٥)

ص: ٣٣٩

التكوير طرح الشىء بعضه على بعض يقال كور المتاع إذا ألقى بعضه على بعض و منه كور العمامه.

الإعراب

تنزيل مبتدأ و خبره من الله أى تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما تقول استقامه الناس من الأنبياء أى أنها لا تكون إلا منهم و يجوز أن يكون «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» خبر مبتدأ محذوف و التقدير هذا تنزيل الكتاب فعلى هذا يجوز أن يكون من الله خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون فى موضع نصب لأنه يتعلق بتنزيل. بالحق مفعول أنزلنا و يجوز أن يكون فى موضع الحال و التقدير أنزلنا الكتاب محقين أو محقا فيكون ذو الحال نا من أنزلنا أو الكتاب. زلفى فى موضع نصب على المصدر و التقدير ليقربونا قربى و التقدير يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا فيكون يقولون خبر الذين اتخذوا لأنه مبتدأ أو يكون حالا من الضمير فى اتخذوا و يكون الخبر قوله «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» يكور يحتمل أن يكون حالا و يحتمل أن يكون استئناف كلام فلا يكون له محل.

المعنى

عظم الله سبحانه أمر القرآن و حث المكلفين على القيام بما فيه و اتباع أوامره و نواهيه بأن قال «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ» المتعال عن المثل و الشبه

«الْحَكِيمِ» فى أفعاله و أقواله فوصف هنا نفسه بالعزه تحذيرا من مخالفه كتابه و بالحكمه إعلاما بأنه يحفظه حتى يصل إلى المكلفين من غير تغيير لشىء منه «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» أى لم ننزله باطلا- بغير غرض و قيل معناه بالأمر الحق أى بالدين الصحيح «فَاعْبُدِ اللَّهَ» أى توجه بعبادتك إلى الله وحده «مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ» من شرك الأوثان و الأصنام و الإخلاص أن يقصد العبد بنيته و عمله إلى خالقه لا يجعل ذلك لغرض الدنيا «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» و الخالص هو الذى لا يشوبه الرياء و السمعه و لا وجه من وجوه الدنيا و الدين الخالص الإسلام عن الحسن و قيل هو شهادته أن لا إله إلا الله عن قتاده و قيل معناه إلا لله الطاعه بالعباده التى يستحق بها الجزاء فهذا الله وحده لا يجوز أن يكون لغيره و قيل هو الاعتقاد الواجب فى التوحيد و العدل و النبوه و الشرائع و الإقرار بها و العمل بموجبها و البراءه من كل دين سواها فهذا تفصيل قول الحسن أنه الإسلام «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أى زعموا أن لهم من دون الله مالكا يملكهم و هاهنا حذف يدل الكلام عليه أى يقولون «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» أى ليشفعوا لنا إلى الله و الزلفى القربى و هو اسم أقيم مقام المصدر «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» يوم القيامة «فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من أمور الدين فيعاقب كلا منهم على قدر استحقاقه «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» أى لا يهديهم إلى الحق «مَنْ هُوَ كَاذِبٌ» على الله و على رسوله «كَفَّارٌ» بما أنعم الله عليه جاحد لإخلاص العباده لله و لم يرد به الهدايه إلى الإيمان لقوله سبحانه وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ «لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا» على ما يقوله هؤلاء من أن الملائكه بنات الله أو ما يقوله النصارى من أن المسيح ابن الله أو اليهود أن عزيرا ابن الله «لَأَصْطَفَى» أى لاختر «مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» أى ما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا إليه من شاءوا بل كان يختص من خلقه ما يشاء لذلك لأنه غير ممنوع من مراده و مثله قوله «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا» ثم أخبر سبحانه أنه منزّه عن اتخاذ الأولاد بقوله «سُبْحَانَهُ» أى تنزيها له عن ذلك «هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ» لا شريك له و لا صاحبه و لا ولد «الْقَهَّارُ» لخلقه بالموت و هو حى لا يموت ثم نبه سبحانه على كمال قدرته فقال «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» أى لم يخلقهما باطلا لغير غرض بل خلقهما للغرض الحكيمى «يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ» أى يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة و النقصان فما يزيد فى أحدهما ينقص من الآخر عن الحسن و جماعه من المفسرين و قيل يغشى هذا هذا كما قال يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ* وَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ* عن قتاده «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» بأن أجراهما على وتيره واحده «كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى» أى إلى مده قدرها الله لهما أن يجريا إليها

وقيل إلى قيام الساعة وقيل لأجل مسمى أى لوقت معلوم فى الشتاء و الصيف هو المطلع و المغرب لكل واحد منهما «ألا هو العزير الغفار» مر معناه و فائده الآيه أن من قدر على خلق السماوات و الأرض و تسخير الشمس و القمر و إدخال الليل فى النهار فهو منزه عن اتخاذ الولد و الشريك فإن ذلك من صفه المحتاجين.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦ الى ١٠]

إشاره

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتَىٰ تُصَيِّرُ فَوْنًا (٦) إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)

قرأ أبو عمرو في روايه أوقيه و أبي شعيب السوسى و أبى عمرو الدورى عن اليزيدى عنه و حمزه و فى روايه العجلى يرضه لكم ساكنه الهاء و قرأ ابن كثير و ابن عامر و الكسائى و خلف و نافع بروايه إسماعيل و أبو بكر بروايه البرجمى يرضه مضمومه الهاء مشبعه و قرأ الباقون بضم الهاء مختلسه غير مشبعه و قرأ ابن كثير و نافع و حمزه أ من هو قانت خفيفه الميم و الباقون بتشديد الميم.

الحجه

قال أبو على حجه من قرأ يرضهو فألحق الواو أن ما قبل الهاء متحرك فيكون بمنزله ضربهو و هذا لهو و من قال «يَرْضُهُ» فحرك الهاء و لم يلحق الواو أن الألف المحذوفه للجزم ليس يلزم حذفها لأن الكلمه إذا نصبت أو رفعت عادت الألف فصار الألف فى حكم الثابت فإذا ثبت الألف فالأحسن أن لا يلحق الواو نحو قوله فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ و ذلك أن الهاء خفيفه فلو لحقتها الواو و قبلها الألف لأشبه الجمع بين الساكنين و أما من أسكن فقال يرضه لكم فإن أبا الحسن يزعم أن ذلك لغه و على هذا قوله:

" و نضوى مشتاقان له أرقان "

و من قرأ «أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ» ففيه وجهان (أحدهما) أن المعنى الجاحد الكافر خير أم من هو قانت و يدل على المحذوف قوله «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَظَاهِرُونَ» و دل عليه أيضا قوله «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا» و قد تقدم ذكره (و الآخر) أن المعنى قل أ من هو قانت كغيره أى أ من هو مطيع كمن هو عاص و يكون على هذا الخبر محذوفا لدلاله الكلام عليه كقوله تعالى أ فَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ أ فَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ و أما من خفف فقال أ من هو قانت فالمعنى أيضا أم من هو قانت كمن هو بخلاف هذا الوصف فلا وجه للنداء هنا لأن هذا موضع معادله و إنما يقع فيه الحمل الذى يكون فيه إخبار و ليس النداء كذلك و قال أبو الحسن القراءه بالتخفيف ضعيفه لأن الاستفهام إنما يبتدئ ما بعده و لا يحمل على ما قبله و هذا الكلام ليس قبله شىء يحمل عليه إلا فى المعنى.

اللغه

التحويل العظيمة على وجه الهبه و هى المنحه خوله الله مالا و

منه

الحديث كان يتخولهم بالموعظه مخافه السامه عليهم

أى يتعبدهم و

الحديث الآخر إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولاً و دين الله دخلاً و عباد الله خولاً

أى يظنون عباد الله عبيدهم أعطاهم الله ذلك قال أبو النجم:

أعطى فلم يبخل و لم يبخل كوم الذرى من خول المخول

و القانت الداعى و القانت المصلى قال:

قانتا لله يتلو كتبه و على عمد من الناس اعتزل

آناء الليل واحدها أنى و أنى.

الإعراب

«ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ» ذلكم مبتدأ و الله عطف بيان و ربكم بدل من لفظه الله و إن شئت كان خبراً لمبتدأ. «لَهُ الْمُلْكُ» يرتفع الملك بالظرف و الظرف مع ما ارتفع به فى موضع الحال و العامل فيه معنى الإشاره و التقدير ثابتاً له الملك و يجوز أن يكون خبراً بعد خبر و كذا قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» جاز أن يكون فى موضع الحال أى متوحداً بالوحدانيه و جاز أن يكون خبراً آخر. «فَأَنى تُصْرَفُونَ» أنى فى موضع نصب على الحال أو على المصدر و معناه كيف تصرفون.

المعنى

ثم أبان سبحانه عن كمال قدرته بخلق آدم و ذريته فقال «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» يعنى آدم (عليه السلام) لأن جميع البشر من نسله «ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» يعنى حواء أى من فضل طينته و قيل من ضلع من أضلاعه و فى قوله «ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» ثم يقتضى التراخى و المهله و خلق الوالدين قبل الولد ثلاثة أقوال (أحدها) أنه عطف يوجب أن الكلام الثانى بعد الأول و يجرى مجرى قول القائل قد رأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس و إن كان ما كان أمس قبل ما يكون اليوم مثله قول الشاعر:

و لقد ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

(و ثانيها) أنه معطوف على معنى واحده فكأنه قال خلقكم من نفس واحده أوجدها وحدها ثم جعل منها زوجها (و ثالثها) أنه خلق الذريه فى ظهر آدم و أخرجها من ظهره كالذر

ثم خلق من بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه على ما ورد في الأخبار وهذا ضعيف وقد مضى الكلام عليه «وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ» اختلف في معناه على وجوه (أحدها) أن معنى الإنزال هنا الأحداث و الإنشاء كقوله قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا وَلَمْ يَنْزِلِ اللَّبَاسُ وَلَكِنْ أَنْزَلَ الْمَاءَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْقَطَنِ وَ الصَّوْفِ وَ اللَّبَاسِ يَكُونُ مِنْهُمَا فَكَذَلِكَ الْأَنْعَامُ تَكُونُ بِالنَّبَاتِ وَ النَّبَاتُ يَكُونُ بِالمَاءِ (و الثاني) أنه أنزلها بعد أن خلقها في الجنة عن الجبائي قال و

في الخبر الشاه من دواب الجنة و الإبل من دواب الجنة

(و الثالث) أن المعنى جعلها نزلا- و رزقا لكم و يعنى بالأزواج الثمانية من الأنعام الإبل و البقر و الغنم و الضأن و المعز من كل صنف اثنان هما زوجان و هو مفسر في سورة الأنعام «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ» نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم يكسو العظام لحما ثم ينشئ خلقا آخر عن قتاده و مجاهد و السدى و قيل خلقا في بطون الأمهات بعد الخلق في ظهر آدم عن ابن زيد

«فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ» ظلمه البطن و ظلمه الرحم و ظلمه المشيمه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و السدى و ابن زيد و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

و قيل ظلمه الليل أو ظلمه صلب الرجل و ظلمه الرحم و ظلمه البطن ثم خاطب سبحانه خلقه فقال «ذَلِكُمُ اللَّهُ» الذي خلق هذه الأشياء «رَبُّكُمْ» الذي يملك التصرف فيكم «لَهُ الْمُلْكُ» على جميع المخلوقات «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِي تُصْرَفُونَ» عن طريق الحق بعد هذا البيان مثل قوله «فَأَنِّي تُؤفِكُونَ» «إِنْ تَكْفُرُوا» أى تجحدوا نعمه الله تعالى و لم تشكروه «فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ» و عن شكركم فلا يضركم «وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ» و فى هذا أوضح دلالة على أنه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد لأنه لو أراد لوجب متى وقع أن يكون راضيا به لعبده لأن الرضاء بالفعل ليس إلا ما ذكرناه ألا ترى أنه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئا و يقع منه على ما نريده فلا نكون راضين به أو أن نرضى شيئا و لم نرده البتة «وَأِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ» أى و أن تشكروا الله تعالى على نعمه و تعترفوا بها يرضه لكم و يرده منكم و يشكم عليه و الهاء فى يرضه كناية عن المصدر الذى دل عليه و إن تشكروا و التقدير يرضى الشكر لكم كقولهم من كذب كان شرا له أى كان الكذب شرا له «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أى لا تحمل حامله ثقل أخرى و المعنى لا يؤخذ بالذنب إلا من يرتكبه و يفعله «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ» أى مصيركم «فَيَبْسُتُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى يخبركم بما عملتموه و يجازيكم بحسب ذلك «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» فلا يخفى عليه سر و علانيه «وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ» من شدة و مرض و قحط و غير ذلك «دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ» أى راجعا إليه وحده لا يرجو سواه «ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ» أى أعطاه «نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ» أى نسى الضر الذى كان

يدعو الله إلى أن يكشفه من قبل نيل هذه النعمة قال الزجاج معناه نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل من قبل و جاز أن يكون المعنى نسي الله الذي كان يتضرع إليه من قبل و مثله و لا أنا عابد ما عبدتكم و لا أنتم عابدون ما أعبد فكانت ما تدل على الله تعالى و من عبارته عن كل مميز و ما يكون لكل شىء «وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً» أى سمي له أمثالا فى توجيه عبادته إليها من الأصنام و الأوثان «لِيُضِلَّ» الناس «عَنْ سَبِيلِهِ» أى عن دينه أو يضل هو عن الدين و اللام لام العاقبه و ذلك أنهم لم يفعلوا ما فعلوه و غرضهم ذلك لكن عاقبتهم كانت إليه «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا» هذا أمر معناه الخبر كقوله إذا لم تستح فاصنع ما شئت و المعنى أن مده تمتعه فى الدنيا بكفره قليله زائله «إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» تعذب فيها دائما «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ» أى أ هذا الذى ذكرناه خير أم من هو دائم على الطاعة عن ابن عباس و السدى و قيل على قراءة القرآن و قيام الليل عن ابن عمر و

قيل يعنى صلاه الليل عن أبى جعفر (عليه السلام)

«آتَاءَ اللَّيْلِ» أى ساعات الليل «ساجداً و قائماً» يسجد تاره فى الصلاه و يقوم أخرى «يَخِذِرُ الْآخِرَةَ» أى عذاب الآخرة «و يَزْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ» أى يتردد بين الخوف و الرجاء أى ليسا سواء و هو قوله «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أى لا يستوى الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب و العقاب و الذين لا يعلمون ذلك «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» أى إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال نحن الذين يعلمون و عدونا الذين لا يعلمون و شيعتنا أولو الأبواب

«قُلْ» يا محمد لهم «يا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بتوحيد الله تعالى «اتَّقُوا رَبَّكُمْ» أى عقاب ربكم باجتنب معاصيه و تم الكلام ثم قال «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا» أى فعلوا الأعمال الحسنه و أحسنوا إلى غيرهم «فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً» أى لهم على ذلك فى هذه الدنيا حسنه أى ثناء حسن و ذكر جميل و مدح و شكر و صحه و سلامه عن السدى و قيل معناه للذين أحسنوا العمل فى هذه الدنيا مثوبه حسنه فى الآخرة و هو الخلود فى الجنة «وَ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَتْ» هذا حث لهم على الهجره من مكه عن ابن عباس أى لا عذر لأحد فى ترك طاعه الله فإن لم يتمكن منها فى أرض فليتحول إلى أخرى يتمكن منها فيها كقوله أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَتْ فَتَهَاجَرُوا فِيهَا و قيل معناه و أرض الله الجنة واسعه فاطلبوها بالأعمال الصالحه عن مقاتل و أبى مسلم «إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ» أى ثوابهم على طاعاتهم و صبرهم على شدائد الدنيا «بِغَيْرِ حِسَابٍ» لكثرتة لا يمكن عدده و حسابه و

روى العياشى بالإسناد عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله ص إذا نشرت الدواوين و نصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان و لم ينشر لهم ديوان ثم تلا هذه الآية «إِنَّمَا يُؤَفِّي

الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ١١ الى ٢٠]

إشاره

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (١١) وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦) وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ عَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)

اللغه

الظله الستره العاليه جمعها ظلل و الإنقاذ الإنجاء و الغرف المنازل الرفيعه واحدها غرفه.

الإعراب

ذلك مبتدأ و «يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ» خبره. «أَنْ يَعْبُدُوهَا» فى موضع نصب بدل

ص: ٣٤٧

من الطاغوت و التقدير و الذين اجتنبوا عباده الطاغوت و خير «الَّذِينَ اجْتَنَبُوا» قوله «لَهُمُ الْبُشْرَى» و البشرى ترتفع بالظرف لجريه خبرا على المبتدأ قال الزجاج «أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ» معناه الشرط و الجزاء و ألف الاستفهام هنا معناها معنى التوقيف و الألف الثانيه جاءت مؤكده معاده لما طال الكلام و المعنى أ فمن حق عليه كلمه العذاب أفأنت تنقذه و مثله أ يَعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَاباً وَ عِظَاماً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ أَعَادَ أَنْ الثَّانِيهِ وَ الْمَعْنَى إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَاباً وَ عِظَاماً تَخْرَجُونَ وَ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ عَلَى أَنَّهُ حَذَفَ الْخَبْرَ وَ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَى الْمَحْذُوفِ عَلَى مَعْنَى أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ يَتَخَلَّصُ مِنْهُ أَوْ يَنْجُو مِنْهُ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ أَى لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَنْقِذَهُ.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ» أى موحدا له لا أعبد معه سواه و العباده الخالصة هى التى لا يشوبها شىء من المعاصى «وَ أُمِرْتُ» أيضا «لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» فيكون لى فضل السبق و ثوابه «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» أى عذاب يوم القيامة «قُلْ» لهم «اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي» و طاعتي «فَاعْبُدُوا» أنتم معاشر الكفار «مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ» من الأصنام و هذا على وجه التهديد لهم بذلك «قُلْ» لهم «إِنَّ الْخَاسِرِينَ» فى الحقيقه هم «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فلا ينتفعون بأنفسهم و لا يجدون فى النار أهلا كما كان لهم فى الدنيا أهل فقد فاتتهم المنفعه بأنفسهم و أهليهم عن مجاهد و ابن زيد و قيل خسروا أنفسهم بأن قذفوها بين أطباق الجحيم و خسروا أهليهم الذين أعدوا لهم فى جنه النعيم عن الحسن قال ابن عباس إن الله تعالى جعل لكل إنسان فى الجنه منزلا- و أهلا- فمن عمل بطاعته كان له ذلك و من عصاه صار إلى النار و دفع منزله و أهله إلى من أطاع فذلك قوله أَوْلَيْكَ هُمُ الْوَارِثُونَ «أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» أى البين الظاهر الذى لا يخفى «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ» أى سرادقات و أطباق من النار و دخانها نعوذ بالله منها «وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ» أى فرش و مهد و قيل إنما سمي ما تحتهم من النار ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم إذ النار أدراك و هم بين أطباقها و قيل إنما أجرى اسم الظلل على قطع النار على سبيل التوسع و المجاز لأنها فى مقابله ما لأهل الجنه من الظلل و المراد أن النار تحيط بجوانبهم «ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ» أى ذلك الذى وصف من العذاب يخوف الله به عباده و رحمه لهم ليتقوا عذابه بامثال أوامره ثم أمرهم بالالتقاء فقال «يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ» فقد أنذرتكم و ألزمتكم الحجه و إنما حذف الياء فى الموضعين لأن الكسره تدل عليها «وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ» أى الأوثان و الشيطان و قيل كل من دعا إلى عباده غير الله

تعالى و إنما أنت للجماعه و فى قرأه الحسن اجتنبوا الطواغيت «أَنْ يَعْجُدُوهَا» أى اجتنبوا عبادتها «وَ أَنْبُوا إِلَى اللَّهِ» أى تابوا إليه فأقلعوا عما كانوا عليه «لَهُمُ الْبُشْرَى» أى البشاره و هى الإعلام بما يظهر به السرور فى بشره و جوههم جزاء على ذلك و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال أنتم هم و من أطاع جبارا فقد عبده

ثم قال سبحانه مخاطبا لنبىه ص «فَبَشِّرْ» يا محمد «عِبَادِ» اجتزأ بالكسر عن الياء «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» أى أولاه بالقبول و العمل به و أرشده إلى الحق و قيل فيتبعون أحسن ما يؤمرون به و يعملون به عن السدى و روى عن أبى الدرداء قال لو لا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوما واحدا الظمأ بالهواجر و السجود فى جوف الليل و مجالسه أقوام ينتقون من خير الكلام كما ينتقى طيب التمر و قيل معناه يستمعون القرآن و غيره فيتبعون القرآن عن الزجاج و قيل يستمعون ما فى القرآن و السنه من الطاعات و المباحات فيتبعون الطاعه التى هى أحسن إذ يستحق الثواب عليه أكثر و هو أن يأخذ بأفضل الأمرين كما أن القصاص حق و العفو أفضل يأخذون بالعفو «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ» أى هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين هداهم الله فاهتدوا به إلى الحق «وَ أُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» أى ذوو العقول الذين انتفعوا بعقولهم و قال عبد الرحمن بن زيد نزل قوله «وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ» الآيتين فى ثلاثه نفر كانوا يقولون فى الجاهليه لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل و أبى ذر الغفارى و سلمان الفارسى «أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ» اختلف فى تقديره فقيل معناه أ فمن وجب عليه و عيد الله بالعقاب أ فأنت تخلصه من النار فاكتفى بذكر من فى النار عن الضمير العائد إلى المبتدأ عن الزجاج و الأخفش و قيل تقديره أ فأنت تنقذ من فى النار منهم و أتى بالاستفهام مرتين توكيدا للتنبيه على المعنى و قال ابن الأنبارى الوقف على قوله «كَلِمَةُ الْعَذَابِ» و التقدير كمن وجبت له الجنه ثم يبتدئ أ فأنت تنقذ و أراد بكلمه العذاب قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ» و إنما قال ذلك للنبي ص لحرصه على إسلام المشركين و المعنى أنك لا تقدر على إدخال الإسلام فى قلوبهم شاءوا أم أبوا فلا عليك إذا لم يؤمنوا فإنما أتوا ذلك من قبل نفوسهم و هذا كقوله «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ أَلَيْسَ لِمَنْ يَدْعُوهُمُ إِلَى اللَّهِ خِزْيَانًا مَكْرُومًا» و هذا فى مقابله قوله «لَهُمْ مِنْ قُورِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ» فإن فى الجنه منازل رفيعه بعضها فوق بعض و ذلك أن النظر من الغرف إلى الخضر و المياه أشهى و ألد «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت الغرف «وَ وَعِدَ اللَّهُ» أى وعدهم الله تلك الغرف و المنازل وعدا «لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ».

إشارة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَيَلَكَ يُنَابِيعُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِذْرًا لِمَنْ ذَكَرَ الْأُولَى الْأُولَى (٢١) أَمْ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشِرُّ عَنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَمْ مَنْ يَتَّبِعِ بَوَاجِهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥)

اللغة

الينابيع جمع ينبوع وهو الموضع الذى ينبع منه الماء يقال نبع الماء من موضع كذا إذا فار منه و الزرع ما ينبت على غير ساق و الشجر ما له ساق و أغصان و النبات يعم الجميع و هاج النبات يهيج هيجا إذا جف و بلغ نهايته فى اليبوسة و الحطام فتات التبن و الحشيش و الحطم الكسر للشىء اليابس و منه سميت جهنم حطمه لأنها تكسر كل شىء و منه الحطيم بمكه قال النضر لأن البيت رفع و ترك ذلك محطوما و هو حجر الكعبه مما يلى الميزاب.

الإعراب

«أَمْ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ» من مع صلته مبتدأ و الخبر محذوف تقديره أَمْ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ كمن قسا قلبه من ذكر الله أى من ترك ذكر الله لأن القلب إنما يقسو من ترك ذكر الله و يجوز أن يكون تشمئز عند ذكر الله فيقال قست من ذكر الله أى من ذكر الناس الله.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الدعاء إلى التوحيد عقبه بذكر دلائل التوحيد فقال يخاطب نبيه ص و إن كان المراد جميع المكلفين «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطراً «فَسَيَلَكُهُ» أى فأدخل ذلك الماء «يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ» مثل العيون والأنهار والقنى والآبار ونظيره قوله وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ «ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ» أى بذلك الماء من الأرض «زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ» أى صنوفه من البر والشعير والأرز وغير ذلك يقال هذا لون من الطعام أى صنف وقيل مختلف الألوان من أخضر وأصفر وأبيض وأحمر «ثُمَّ يَهَيِّجُ» أى يجف ويبيس «فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا» بعد خضرته «ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا» أى رفاتا منكسرا متفتتا «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ» معناه إن فى إخراج هذه الزروع ألوانا مختلفه بماء واحد ونقلها من حال إلى حال لتذكيرا لذوى العقول السليمه إذا تكفروا فى ذلك عرفوا الصانع المحدث و علموا صحه الابتداء و البعث و الإعادة «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» أى فسح صدره و وسع قلبه لقبول الإسلام و الثبات عليه و شرح الصدر يكون بثلاثه أشياء (أحدها) بقوه الأدله التى نصبها الله تعالى و هذا يختص به العلماء (و الثانى) بالألطفات التى تتجدد له حالا بعد حال كما قال سبحانه وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى (و الثالث) بتوكيد الأدله و حل الشبهه و إلقاء الخواطر «فَهُوَ عَلَى نُورٍ» أى على دلالة و هدى «مِنْ رَبِّهِ» شبه الأدله بالنور لأن بها يعرف الحق كما بالنور تعرف أمور الدنيا عن الجبائى و قيل النور كتاب الله عز و جل فيه نأخذ و إليه ننتهى عن قتاده و حذف كمن هو قاسى القلب يدل على المحذوف قوله «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» و هم الذين ألفوا الكفر و تعصبوا له و تصلبت قلوبهم حتى لا- ينجع فيها وعظ و لا ترغيب و لا ترهيب و لا ترق عند ذكر الله و قراءه القرآن عليه «أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ» أى عدول عن الحق «مُيَبِّنٍ» أى ظاهر واضح «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» يعنى القرآن سماه الله حديثا لأنه كلام الله و الكلام سمي حديثا كما يسمى كلام النبى ص حديثا و لأنه حديث التنزيل بعد ما تقدمه من الكتب المنزله على الأنبياء و هو أحسن الحديث لفرط فصاحته و لإعجازه و اشتماله على جميع ما يحتاج المكلف إليه من التنبيه على أدله التوحيد و العدل و بيان أحكام الشرع و غير ذلك من المواعظ و قصص الأنبياء و الترغيب و الترهيب «كِتَابًا مُتَشَابِهًا» يشبه بعضه بعضا و يصدق بعضه بعضا ليس فيه اختلاف و لا تناقض و قيل معناه أنه يشبه كتب الله المتقدمه و إن كان أعم و أجمع و أنفع و قيل متشابهها فى حسن النظم و جزاله اللفظ و جوده المعانى «مَثَانِي» سمي بذلك لأنه يثنى فيه بعض القصص و الأخبار و الأحكام و المواعظ بتصريفها فى ضروب البيان و يثنى أيضا فى التلاوه فلا يمل لحسن

مسموعه «تَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» أى تأخذهم قشعريره خوفا مما فى القرآن من الوعيد «ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» إذا سمعوا ما فيه من الوعد بالثواب و الرحمه و المعنى أن قلوبهم تطمئن و تسكن إلى ذكر الله الجنه و الثواب فحذف مفعول الذكر للعلم به و

روى عن العباس بن عبد المطلب أن النبى ص قال إذا اقشعر جلد العبد من خشيه الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجره اليابسه ورقها

و قال قتاده هذا نعت لأولياء الله بنعتهم الله بأن تقشعر، جلودهم و تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله و لم ينعتهم بذهاب عقولهم و الغشيان عليهم إنما ذلك فى أهل البدع و هو من الشيطان «ذَلِكَ» يعنى القرآن «هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ» من عباده بما نصب فيه من الأدله و هم الذين آتاهم القرآن من أمه محمد ص عن الجبائى و قيل يهدى به من يشاء من الذين اهتدوا به إنما خصهم بذلك لأنهم المنتفعون بالهدايه و من لم يهتد لا يوصف بأنه هداه الله إذ ليس معه هدايه «وَمَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ» عن طريق الجنه «فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» أى لا يقدر على هدايته أحد عن الجبائى و قيل معناه من ضل عن الله و رحمته فلا هادى له يقال أضللت بعيرى إذا ضل عن أبى مسلم و قيل معناه من يضلله عن زياده الهدى و الألفاف لأن الكافر لا لطف له «أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» تقديره أفعال من يدفع عذاب الله بوجهه يوم القيامة كحال من يأتى آمننا منا لا تمسه النار و إنما قال بوجهه لأن الوجه أعز أعضاء الإنسان و قيل معناه أ من يلقي فى النار منكوسا فأول عضو منه مسته النار ووجهه عن عطاء و معنى يتقى يتوقى كما قال عنتره:

إذ يتقون بى الأسنه لم أحم عنها و لكنى تضايق مقدمى

أى يقدموننى إلى القتال فيتوقون بى حرها ثم أخبر سبحانه عما يقوله خزنه النار للكفار بقوله «وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ» أى جزاء ما كسبتموه من المعاصى ثم أخبر سبحانه عن أمثال هؤلاء الكفار من الأمم الماضيه فقال «كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» بآيات الله و جحدوا رسله «فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ» عاجلا «مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» أى و هم آمنون غافلون.

النظم

إنما اتصل قوله «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صِدْرَهُ» بما تقدم من ذكر أدله التوحيد و العدل التى إذا تفكر فيها العاقل انشرح صدره و اطمأنت نفسه إلى ثلج اليقين و اتصل قوله «اللَّهُ نَزَّلَ

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» بما تقدمه من قوله فَبَشَّرَ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أَى فَإِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ الْقُرْآنَ فَهُوَ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ وَاتَّصَلَ قَوْلُهُ «أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ» بِمَا قَبْلَهُ عَلَى تَقْدِيرِهِ فَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِهَدْيِ اللَّهِ لَا يَهْتَدِي وَكَيْفَ يَهْتَدِي بغيره من يتقى بوجهه سوء العذاب يعنى المقيم على كفره.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٢٦ الى ٣١]

إشارة

فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مِثٌّ وَإِنَّهُمْ مِثُّونَ (٣٠)

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)

القراءة

قرأ ابن كثير و أهل البصره غير سهل سالما بالألف و الباقون «سَلَمًا» بغير ألف و اللام مفتوحه و فى الشواذ قراءه سعيد بن جبیر سلما بكسر السين و سكون اللام.

الحجّه

قال أبو على يقوى قراءه من قرأ سالما قوله «فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ» فكما أن الشريك عباره عن العين و ليس باسم حدث فكذلك الذى يازائه ينبغى أن يكون فاعلا و لا يكون اسم حدث و من قرأ «سَلَمًا» و سلما فهما مصدران و ليسا بوصفين كحسن و بطل و نقض و نضو يقال سلم سلما و سلامه و سلما و المعنى فيمن قال سلما ذا سلم أى رجلا ذا سلم قال أبو الحسن سلم من الاستسلام و قال غيره السلم خلاف المحارب.

اللغه

الخزى المكروه و الهوان و التشاكس التمانع و التنازع تشاكسوا فى الأمر تشاكسا و أصله من الشكاسه و هو سوء الخلق و الاختصام رد كل واحد من الاثنين ما أتى به الآخر على وجه الإنكار عليه و قد يكون أحدهما محقا و الآخر مبطلا و قد يكونان جميعا

الإعراب

قال الزجاج عربيا منصوب على الحال أى فى حال عروبيته و ذكر قرآنا توكيدا كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا و جاءنى عمرو إنسانا عاقلا فتذكر رجلا و إنسانا توكيدا. «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا» فرجلا بدل من قوله «مَثَلًا» و التقدير ضرب الله مثلا مثل رجل فحذف المضاف و قوله «فِيهِ شُرَكَاءُ» يرتفع بالظرف و رجلا عطف على الأول أى و مثل رجل سالم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عما فعله بالأمم المكذبه بأن قال «فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ» أى الذل و الهوان «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ» أى أعظم و أشد «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» سمي ذكر الأمم الماضيه مثلا كما قال و نبين لكم كيف فعلنا بهم و ضربنا لكم الأمثال و المعنى إنا و صفنا و بينا للناس فى هذا القرآن كلما يحتاجون إليه من مصالح دينهم و دنياهم «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى لكى يتذكروا و يتدبروا فيعتبروا «قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ» أى غير ذى ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل إلى الحق «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» أى لكى يتقوا معاصى الله ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر و عبادته الأصنام فقال «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ» أى مختلفون سيئو الأخلاق متنازعون و إنما ضرب هذا المثل لسائر المشركين و لكنه ذكر رجلا واحدا و صفه بصفه موجوده فى سائر المشركين فيكون المثل المضروب له مضروبا لهم جميعا و يعنى بقوله «رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ» أى يعبد آلهه مختلفه و أصناما كثيره و هم متشاجرون متعاسرون هذا يأمره و هذا ينهاه و يريد كل واحد منهم أن يفرد بالخدمه ثم يكل كل منهم أمره إلى الآخر و يكل الآخر إلى الآخر فيبقى هو خاليا عن المنافع و هذا حال من يخدم جماعه مختلفه الآراء و الأهواء هذا مثل الكافر ثم ضرب سبحانه مثل المؤمن الموحد فقال «وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ» أى خالصا يعبد مالكا واحدا لا يشوب بخدمته خدمه غيره و لا يأمل سواه و من كان بهذه الصفه نال ثمره خدمته لا سيما إذا كان المخدوم حكيما قادرا كريما و

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن على (عليه السلام) أنه قال أنا ذاك الرجل السلم لرسول الله ص

و

روى العياشى بإسناده عن أبى خالد عن أبى جعفر (عليه السلام) قال الرجل السلم للرجل حقا على و شيعته

«هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا» أى هل يستوى هذان الرجلان صفه و شبهها فى حسن العاقبه و حصول المنفعه أى لا يستويان فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته و حياطته ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين فى أمره و تم الكلام ثم قال «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أى أحمد و الله المستحق للثناء

و الشكر على هذا المثل الذى علمكموه فأزال به للمؤمنين الشبه و أوضح الدلاله و قيل معناه احمدوا الله حيث لطف بكم حتى عبدتموه وحده و أخلصتم الإيمان له و التوحيد فهى النعمه السابغه «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» حقيقه ذلك ثم بين سبحانه المقام الذى يتبين فيه المحق و المبطل فقال «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» أى عاقبتك الموت و كذا عاقبه هؤلاء «ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» يعنى المحق و المبطل و الظالم و المظلوم عن ابن عباس و كان أبو العاليه يقول الاختصام يكون بين أهل القبله قال ابن عمر كنا نرى أن هذه الآيه فينا و فى أهل الكتابين و قلنا كيف نختصم نحن و نبينا واحد و كتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعلمت أنها فينا نزلت و قال أبو سعيد الخدرى فى هذه الآيه كنا نقول ربنا واحد و نبينا واحد و ديننا واحد فما هذه الخصومه فلما كان يوم صفين و شد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا و قال ابن عباس الاختصام يكون بين المهتدين و الضالين و الصادقين و الكاذبين.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٣٢ الى ٣٥]

إشاره

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ كَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)

الإعراب

«وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ» الذى هنا جنس لأن خبره جمع و هو قوله «أُولَئِكَ» فلا يراد به واحد معين «لِيُكَفِّرَ اللَّهُ» اللام من صله قوله «لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و قيل هو لام القسم و التقدير و الله ليكفرن فحذفت النون و كسرت اللام.

المعنى

ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ» بأن ادعى له ولدا و شريكا «وَ كَذَبَ بِالصِّدْقِ» بالتوحيد و القرآن «إِذْ جَاءَهُ» ثم هدد سبحانه من هذه صورته بأن قال «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ» أى منزل و مقام للجاحدين و هذا

استفهام يراد به التقرير و معناه أنه كذلك و يقال أثوى و ثوى بمعنى قال:

طالب الثواء على ربع بيمؤود أودى و كل جديد مره مود

«وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ» اختلف فى المعنى به فقيل الذى جاء بالصدق محمد ص جاء بالقرآن و صدق به المؤمنون فهو حجتهم فى الدنيا و الآخرة عن ابن زيد و قتاده و مقاتل و احتجوا بقوله «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» و قيل الذى جاء بالصدق و هو القرآن جبرائيل (عليه السلام) و صدق به محمد ص تلقاه بالقبول عن السدى و قيل الذى جاء بالصدق و هو قول لا إله إلا الله هو محمد ص و صدق به هو أيضا و بلغه إلى الخلق عن ابن عباس قال و لو كان المصدق به غيره لقال و الذى صدق به و هذا أقوى الأقوال و قيل الذى جاء بالصدق رسول الله ص و صدق به أبو بكر عن أبي العالیه و الكلبي و قيل الذى جاء بالصدق الأنبياء و صدق به أتباعهم عن عطاء و الربيع و على هذا فيكون الذى للجنس كما فى قول الشاعر:

و إن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

ألا ترى أنه عاد إليه ضمير الجمع و

قيل الذى جاء بالصدق محمد ص و صدق به على بن أبى طالب (عليه السلام) عن مجاهد و رواه الضحاك عن ابن عباس و و المروى عن أئمة الهدى (عليه السلام) من آل محمد ص

ثم من سبحانه بما أعد لهم من النعيم فقال «لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ» من الثواب و النعيم فى الجنة «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ينالون من جهته «ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ» على إحسانهم الذى فعلوه فى الدنيا و أعمالهم الصالحة «لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا» أى أسقط الله عنهم عقاب الشرك و المعاصى التى فعلوا قبل ذلك بإيمانهم و إحسانهم و رجوعهم إلى الله تعالى «وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ» أى ثوابهم «بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى بالفرائض و النوافل فهى أحسن أعمالهم لأن المباح و إن كان حسنا فلا يستحق به ثواب و لا مدح.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

اشاره

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠)

ص: ٣٥٦

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و أبو جعفر بكاف عباده على الجمع و الباقون «عَبْدَهُ» على التوحيد وقرأ أهل البصره كاشفات و ممسكات بالتونين و ما بعدهما منصوبان وقرأ الباقون بغير تنوين على إضافه كل واحده منهما إلى ما بعدها.

الحجه

قال أبو على حجه من قرأ «عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ» فكأن المعنى ليس الله بكافيك و هم يخوفونك و من قرأ عباده فالمعنى أ ليس الله بكاف عباده الأنبياء كما كفى إبراهيم النار و نوحا الغرق و يونس ما وقع إليه فهو سبحانه كافيك كما كفى الأنبياء قبلك و من قرأ كاشفات ضره و ممسكات رحمته فالوجه فيه أنه مما لم يقع و ما لم يقع من أسماء الفاعلين أو كان للحال فالوجه فيه النصب و وجه الجر أنه لما حذف التنوين و إن كان المعنى على إثباته عاقبت الإضافه التنوين.

المعنى

لما وعد الله سبحانه الصادق و المصدق عقبه بأنه يكفيهم و إن كانت الأعداء تقصدهم و تؤذيهم فقال «أ لَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ» استفهام يراد به التقرير يعنى به محمدا ص يكفيه عداوه من يعاديه و يناوئه «وَ يُخَوِّفُونَكَ» يا محمد «بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» كانت الكفار تخوفه بالأوثان التى كانوا يعبدونها عن قتاده و السدى و ابن زيد لأنهم قالوا له إنا نخاف أن تهلكك آلهتنا و قيل إنه لما قصد خالد لكسر العزى بأمر النبى ص قالوا إياك يا خالد فبأسها شديد فضرب خالد أنفها بالفأس و هشمها و قال كفرانك يا عزى لا سبحانهك سبحان من

أهانك إني رأيت الله قد أهانك «وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» أى من أضله الله عن طريق الجنة بكفره و معاصيه فليس له هاد يهديه إليها و قيل معناه إن من وصفه بأنه ضال إذ ضل هو عن الحق فليس له من يسميه هاديا و قيل من يحرمه الله من زيادات الهدى فليس له زائد «وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ» أى من يهده الله إلى طريق الجنة فلا أحد يضلّه عنها و قيل من يهده الله فاهتدى فلا يقدر أحد على صرفه عنه و قيل من بلغ استحقاق زيادات الهدى فقد ارتفع عن تأثير الوسواس «أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ» أى قادر قاهر لا يقدر أحد على مغالته «ذِي انْتِقَامٍ» من أعدائه الجاحدين لنعمه ثم قال لنبيه ص «وَلَيْتُنَّ سَأَلْتَهُمْ» يا محمد «مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» و أوجدها و أنشأها بعد أن كانت معدومه «لَيَقُولَنَّ اللَّهُ» الفاعل لذلك لأنهم مع عبادتهم الأوثان يقرون بذلك ثم احتج عليهم بأن ما يعبدونه من دون الله لا يملك كشف الضر و السوء عنهم فقال «قُلْ» لهم «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ» أى بمرض أو فقر أو بلاء أو شدة «هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ» أى هل يكشفن ضره «أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ» أى بخير أو صحة «هَلْ هُنَّ مُمَسِكَاتُ رَحْمَتِهِ» أى هل يمسكن و يحسن عنى رحمته و المعنى أن من عجز عن النفع و الضر و كشف السوء و الشر عن يتقرب إليه كيف يحسن منه عبادته و إنما يحسن العباده لمن قدر على جميع ذلك و لا يلحقه العجز و المنع و هو الله تعالى «قُلْ» يا محمد «حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ» و به يثق الواثقون و من توكل على غيره توكل على غير كاف «قُلْ» لهم يا محمد «يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ» أى على قدر جهدكم و طاقتكم فى إهلاكى و تضعيف أمرى «إِنِّي عَامِلٌ» قدر جهدى و طاقتى «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» قد مضى مفسرا و فى هذا غايه الوعيد و التهديد.

النظم

اتصل قوله «وَلَيْتُنَّ سَأَلْتَهُمْ» بقوله «وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» و المعنى أنه لا ينبغي أن يخوفوك بها مع اعترافهم بأن الخالق هو دون غيره.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤١ الى ٤٥]

اشاره

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)

ص: ٣٥٨

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و قتيبه قضى بالضم الموت بالرفع و الباقرن «قضى» بالفتح «الموت» بالنصب.

الحجه

قال أبو على حجه من بنى الفعل للفاعل قوله «وَيُرْسَلُ الْأُخْرَى» فكما أن هذا مبنى للفاعل فكذلك حكم الذى عطف عليه و من بنى الفعل للمفعول به فهو فى المعنى مثل بناء الفعل للفاعل و الأول أبين.

اللغه

التوفى قبض الشىء على الإيفاء و الإتمام يقال توفيت حقى من فلان و استوفيته بمعنى و الاشمئزاز الانقباض و النفور عن الشىء قال عمرو بن كلثوم:

إذا عض الثقاف بها اشمازت و ولتهم عشوزنه زبونا

و روى ثعلب عن ابن الأعرابى الشمز نفور الشىء من الشىء يكرهه.

المعنى

ثم بين سبحانه تحقيق وعيده بالعذاب المقيم بأن قال «إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ» يعنى القرآن «لِلنَّاسِ» أى لجميع الخلق عن ابن عباس «بِالْحَقِّ» أى ليس فيه شىء من الباطل و قيل بالحق معناه بأنه الحق أو على أنه الحق الذى يجب النظر فى موجه

و مقتضاه فما صححه وجب تصحيحه و ما أفسده وجب إفساده و ما رغب فيه وجب العمل به و ما حذر منه وجب اجتنابه و ما دعا إليه فهو الرشده و ما صرف عنه فهو الغي «فَمَنْ اهْتَدَى» بما فيه من الأدله «فَلِنَفْسِهِ» لأن النفع في عاقبته يعود إليه «وَمَنْ ضَلَّ» عنه و حاد «فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِا» أى على نفسه لأن مضره عاقبته من العقاب تعود عليه «وَمَا أَنْتَ» يا محمد «عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» أى بريقب فى إيصال الحق إلى قلوبهم و حفظه عليهم حتى لا يتركوه و لا ينصرفوا عنه إذ لا تقدر على إكراههم على الإسلام و قيل بكفيل يلزمك إيمانهم فإنما عليك البلاغ «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» أى يقبضها إليه وقت موتها و انقضاء آجالها و المعنى حين مرت أبدانها و أجسادها على حذف المضاف «وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» أى و يتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها و التى تتوفى عند النوم هى النفس التى يكون بها العقل و التمييز و هى التى تفارق النائم فلا يعقل و التى تتوفى عند الموت هى نفس الحياه التى إذا زالت زال معها النفس و النائم يتنفس فالفرق بين قبض النوم و قبض الموت أن قبض النوم يضاد اليقظه و قبض الموت يضاد الحياه و قبض النوم يكون الروح معه فى البدن و قبض الموت يخرج الروح معه من البدن «فَيُمَسِّكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ» إلى يوم القيامة لا- تعود إلى الدنيا «وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى» يعنى الأنفس الأخرى التى لم يقبض على موتها يريد نفس النائم «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» قد سمي لموته «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى دلالات و اوضحات على توحيد الله و كمال قدرته «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فى الأدله إذ لا- يقدر على قبض النفوس تاره بالنوم و تاره بالموت غير الله تعالى قال ابن عباس فى بنى آدم نفس و روح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل و التمييز و الروح التى بها النفس و التحرك فإذا نام قبض الله نفسه و لم يقبض روحه و إذا مات قبض الله نفسه و روحه و يؤيده ما

رواه العياشى بالإسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت أبى المقدم عن أبى جعفر (عليه السلام) قال ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء و بقيت روحه فى بدنه و صار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن أذن الله فى قبض الأرواح أجابت الروح النفس و إذا أذن الله فى رد الروح أجابت النفس الروح و هو قوله سبحانه «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» الآيه فمهما رأت فى ملكوت السماوات فهو مما له تأويل و ما رأت فيما بين السماء و الأرض فهو مما يخيله الشيطان و لا تأويل له

«أَمْ اتَّخَذُوا» أى بل اتخذوا «مِنْ دُونِ اللَّهِ» آلهه «شُفَعَاءَ قُلُوبٍ» يا محمد «أَوْ لَوْ كَانُوا» يعنى الآلهه «لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً» من الشفاعة «وَلَا يَعْقِلُونَ» و جواب هذا الاستفهام محذوف تقديره أ و لو كانوا بهذه الصفة يتخذونهم شفعا و يعبدونهم راجين شفاعتهم ثم قال «قُلْ» لهم «لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً» أى لا يشفع أحد إلا بإذنه عن مجاهد و المعنى لا يملك

أحد الشفاعة إلا بتملكه كما قال مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَ فِي هَذَا إِبْطَالُ الشَّفَاعَةِ لِمَنْ ادْعَيْتَ لَهُ الشَّفَاعَةَ مِنَ الْآلِهَةِ «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» مَضَى مَعْنَاهُ ثُمَّ أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ عَنْ سُوءِ اعْتِقَادِهِمْ وَ شَدِيدِ عِنَادِهِمْ فَقَالَ «وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخِيدَهُ اشْمَأَزَّتْ» أَيْ نَفَرَتْ عَنِ السُّدَى وَالضَّحَاكِ وَالْجَبَائِثِ وَقِيلَ انْقَبِضَتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ مُجَاهِدٍ وَ مِقَاتِلٍ وَقِيلَ كَفَرَتْ وَ اسْتَكْبَرَتْ عَنِ قِتَادِهِ «قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا سَمِعُوا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ نَفَرُوا مِنْ هَذَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ الْأَصْنَامُ آلِهَةٌ «وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» يَعْنِي الْأَصْنَامَ الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِهِ «إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» يَفْرَحُونَ وَ يَسْرُونَ حَتَّى يَظْهَرَ السُّرُورُ فِي وَجُوهِهِمْ.

النظم

اتصل قوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ» بقوله «وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» فبين سبحانه أن الحفيظ عليهم هو الذي يتوفاهم و يصرفهم كيف يشاء و قيل يتصل بقوله أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ أَيْ مَنْ كَانَ هَذِهِ صِفَتَهُ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ وَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ» بِقَوْلِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ أَيْ فَكَمَا أَنَّ أَصْنَامَهُمْ لَا تَمْلِكُ الضَّرَّ وَ النَّفْعَ فَإِنَّهَا لَا تَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ.

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

إشارة

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَ بَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠)

لما قدم سبحانه ذكر الأدله فلم ينظروا فيها و المواعظ فلم يتعظوا بها أمر نبيه ص أن يحاكمهم إليه ليفعل بهم ما يستحقونه فقال «قُلْ» يا محمد ادع بهذا الدعاء «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى يا خالقهما و منشئهما «عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى يا عالم ما غاب علمه عن جميع الخلق و عالم ما شهدوه و علموه «أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ» يوم القيامة «فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» فى دار الدنيا من أمر دينهم و دنياهم و تفصل بينهم بالحق فى الحقوق و المظالم أى فاحكم بينى و بين قومى بالحق و فى هذا بشاره للمؤمنين بالظفر و النصر لأنه سبحانه إنما أمره به للإجابة لا محاله و عن سعيد بن المسيب أنه قال إنى لأعرف موضع آيه لم يقرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا أعطاه قوله «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» الآيه ثم أخبر سبحانه عن وقوع العقاب بالكفر بأن قال «وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ» زياده عليه «لَأَفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» و قد مضى تفسيره «وَ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» أى ظهر لهم يوم القيامة من صنوف العذاب ما لم يكونوا ينتظرونه و لا يظنونه و اصلا إليهم و لم يكن فى حسابهم قال السدى ظنوا أعمالهم حسنات فبدت لهم سيئات و قيل إن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له أتجزع قال أخذتني آيه من كتاب الله عز و جل «وَ بَدَأَ لَهُمْ» الآيه أخذتني أن يبدو لى من الله ما لم أحتسب «وَ بَدَأَ لَهُمْ» أى و ظهر لهم أيضا «سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا» أى جزاء سيئات أعمالهم «وَ حَاقَ بِهِمْ» أى نزل بهم «ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» و هو كل ما ينذرهم النبى ص مما كانوا ينكرونه و يكذبون به ثم أخبر عن شدة تقلب الإنسان من حال إلى حال فقال «فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ» من مرض أو شدة «دَعَانَا» و استغاث بنا مسلما مخلصا فى كشفه علما بأنه لا يقدر غيرنا عليه «ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَا نِعْمَةً مِّنَّا» أى أعطيناه نعمه من الصحة فى الجسم و السعه فى الرزق أو غير ذلك من النعم «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ» قيل فيه وجوه (أحدها) قال إنما أوتيته بعلمى و جلدى و حيلتى عن الحسن و الجبائى فيكون هذا إشاره إلى جهلهم بمواضع المنافع و المضار (و ثانيها) على علم على خبر علمه الله عنى عن قتاده و مقاتل (و ثالثها) على علم يرضاه عنى فلذلك أتانى ما أتانى من النعم ثم قال ليس الأمر على ما يقولونه «يَلِئْلَ هِيَ فِتْنَةٌ» أى بليه و اختبار يبتليه الله بها فيظهر كيف شكره أو صبره فى مقابلتها فيجازهه بحسبها و قيل معناه هذه النعمه فتنه أى عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم و قيل معناه هذه المقاله التى قالوها فتنه لهم لأنهم يعاقبون عليها «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» البلوى من النعمى و قيل لا يعلمون أن النعم كلها من الله و إن حصلت بأسباب من جهه العبد «قَدْ قَالَهَا» أى قد قال مثل هذه الكلمه و هذه المقاله «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» مثل قارون حيث قال

إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي «فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أَي فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا كَانُوا يَجْمَعُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ بَلْ صَارَتْ وَبَالًا عَلَيْهِمْ.

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ٥١ إلى ٥٥]

إشارة

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيَّئِبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَانبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا» أى أصابهم عقاب سيئاتهم فحذف المضاف للدلالة الكلام عليه وقيل إنما سمي عقاب سيئاتهم سيئه لاندواج الكلام كقوله وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا «وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ» أى من كفار قومك يا محمد «سَيَّئِبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا» أيضا «وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ» أى لا يفوتون الله تعالى وقيل لا يعجزون الله بالخروج من قدرته «أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» أى يوسع الرزق على من يشاء و يضيق على من يشاء بحسب ما يعلم من المصلحة «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» دلالات واضحات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» يصدقون بتوحيد الله تعالى لأنهم المنتفعون بها «قُلْ» يا محمد «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» بارتكاب الذنوب «لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» أى لا تيأسوا من مغفرة الله «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» و عن ثوبان مولى رسول الله ص قال ما أحب أن لى الدنيا و ما فيها بهذه الآيه

و

عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) أنه قال ما فى القرآن آيه أوسع من «يا

و في مصحف عبد الله إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء و

قيل إن الآيه نزلت في وحشى قاتل حمزه حين أراد أن يسلم و خاف أن لا تقبل توبته فلما نزلت الآيه أسلم فقيل يا رسول الله هذه له خاصه أم للمسلمين عامه فقال ص بل للمسلمين عامه

و هذا لا يصح لأن الآيه نزلت بمكه و وحشى أسلم بعدها بسنين كثيره و لكن يمكن أن يكون قرئت عليه الآيه فكانت سبب إسلامه فالآيه محموله على عمومها فالله سبحانه يغفر جميع الذنوب للتائب لا محاله فإن مات الموحد من غير توبه فهو في مشيئه الله إن شاء عذبه بعدله و إن شاء غفر له بفضلله كما قال وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ثُمَّ دَعَا سَبْحَانَهُ عِبَادَهُ إِلَى التَّوْبَةِ وَ أَمْرَهُم بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ فَقَالَ «وَ أَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ» أى ارجعوا من الشرك و الذنوب إلى الله فوحده «وَ اسْتَلِمُوا لَهُ» أى انقادوا له بالطاعه فيما أمركم به و قيل معناه اجعلوا أنفسكم خالصه له قد حث سبحانه بهذه الآيه على التوبه كيلا يرتكب الإنسان المعصيه و يدع التوبه اتكالا على الآيه المتقدمه «مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ» عند نزول العذاب بكم «وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» أى من الحلال و الحرام و الأمر و النهى و الوعد و الوعيد فمن أتى بالمأمور به و ترك المنهى عنه فقد اتبع الأحسن عن ابن عباس و قيل إنما قال أحسن ما أنزل لأنه أراد بذلك الواجبات و النوافل التى هى الطاعات دون المباحات و قيل أراد بالأحسن الناسخ دون المنسوخ عن الجبائى قال على بن عيسى و هذا خطأ لأن المنسوخ يجوز أن يكون حسنا إلا أن العمل بالناسخ يكون أصلح و أحسن «مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً» أى فجأه فى وقت لا تتوقعونه «وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» أى لا تعرفون وقت نزوله بكم.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

اشاره

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْبَ رَبِّتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّٰخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)

قرأ أبو جعفر يا حسرتاي بياء مفتوحه بعد الألف و الباقون «يا حَسْرَتِي» بغير ياء.

الحجج

قال ابن جنى فى قوله يا حسرتاي إشكال و ذلك أن الألف فى حسرتا إنما هى بدل من يا حسرتى أبدلت الياء ألفا هربا إلى خفه الألف من ثقل الياء قال و الذى عندى فيه أنه جمع بين العوض و المعوض عنه كمذهب أبى إسحاق و أبى بكر فى قول الفرزدق:

هما نفثا فى فى من فمويهما على النابح العاوى أشد رجام

فجمع بين الميم و الواو و إنما الميم بدل من الواو و مثله ما أنشده أبو زيد:

إنى إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا اللهم

فجمع بين ياء و ميم و إنما الميم عوض من ياء.

اللغة

التفريط إهمال ما يجب أن يتقدم فيه حتى يفوت وقته و مثله التقصير و ضده الأخذ بالحزم يقال فلان حازم و فلان مفرط و التحسر الاغتمام مما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه و مثله التأسف و أصل الباب الانقطاع يقال انحسرت الدابة أى انقطع سيرها كاللا و الجنب العضو المعروف و الجنب أيضا معظم الشىء و أكثره يقال هذا قليل فى جنب مودتك و يقال ما فعلت فى جنب حاجتى أى فى أمره قال كثير:

أ لا تتقين الله فى جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع

. الإعراب

«بلى قد جاءتك» جواب قوله «أو تقول لو أن الله هيدانى لكنت من المتقين» لأن معناه ما هدانى فليل لها بلى قد جاءتك آياتى لأن بلى جواب النفى و ليس فى الظاهر نفى فيحمل على المعنى. «و جوههم مسودة» مبتدأ و خبر و الجملة فى موضع نصب على الحال و استغنى عن الواو لمكان الضمير و يجوز فى غير القرآن و جوههم بالنصب على البدل من «الذين كذبوا» أى ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسوده بالنصب و مثل النصب قول عدى بن زيد:

المعنى

لما أمر الله سبحانه باتباع الطاعات و اجتناب المقبحات تحذيرا من نزول العقوبات بين الغرض في ذلك بقوله «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ» أى خوف أن تقول أو حذرا من أن تقول و المعنى كراهه أن تصيروا إلى حال تقولون فيها «يا حَسِيرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ» أى يا ندامتى على ما ضيعت من ثواب الله عن ابن عباس و قيل قصرت فى أمر الله عن مجاهد و السدى و قيل فى طاعه الله عن الحسن قال الفراء الجنب القرب أى فى قرب الله و جواره يقال فلان يعيش فى جنب فلان أى فى قربه و جواره و منه قوله تعالى وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنبِ فيكون المعنى على هذا القول على ما فرطت فى طلب جنب الله أى فى طلب جواره و قربه و هو الجنب و قال الزجاج أى فرطت فى الطريق الذى هو طريق الله فيكون الجنب بمعنى الجانب أى قصرت فى الجانب الذى يؤدى إلى رضا الله و

روى العياشى بالإسناد عن أبى الجارود عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال نحن جنب الله

«وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّاخِرِينَ» أى و إنى كنت لمن المستهزين بالنبي ص و القرآن و بالمؤمنين فى دار الدنيا عن قتاده و السدى و قيل من الساخرين ممن يدعونى إلى الإيمان «أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» أى فعلنا ذلك كراهه أن تقول لو أراد الله هدايتى لكنت ممن يتقى معاصيه خوفا من عقابه و قيل إنهم لما لم ينظروا فى الأدله و أعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بالدنيا و الأباطيل توهموا أن الله تعالى لم يهدهم فقالوا ذلك بالظن و لهذا رد الله عليهم بقوله «بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي» و قيل معناه لو أن الله هدانى إلى النجاه بأن يردنى إلى حال التكليف لكنت ممن يتقى المعاصى عن الجبائى قال لأنهم يضطرون يوم القيامة إلى العلم بأن الله قد هداهم «أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» أى لو أن لى رجعه إلى الدنيا فأكون من الموحدين المطيعين ثم قال سبحانه منكر على هذا القائل «بَلَى» أى ليس كما قلت «قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي» أى حججى و دلالاتى «فَكَذَّبْتَ بِهَا» و أنفت من اتباعها و ذلك قوله «وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» بها و إنما قال جاءتك و إن كانت النفس مؤنثه لأن المراد بالنفس هنا الإنسان و روى فى الشواذ عن عاصم و الجحدرى و يحيى بن يعمر بكسر الكاف و التاءات «بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ» فزعموا أن له شريكا و ولدا «وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ» الذين تكبروا عن الإيمان بالله هذا استفهام تقرير أى فيها متواهم و مقامهم و

روى العياشى بإسناده عن خيثمه قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول من حدثنا عننا بحدِيث فنحن سائلوه عنه يوما فإن صدق علينا فإنما يصدق على الله و على رسوله و إن كذب علينا فإنما

يكذب على الله و على رسوله لأنا إذا حدثنا لا نقول قال فلان و قال فلان إنما نقول قال الله و قال رسوله ثم تلا هذه الآية «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ» الآية ثم أشار خيشمه إلى أذنيه فقال صممتا إن لم أكن سمعته

و

عن سوده بن كليب قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الآية فقال كل إمام انتحل إمامه ليست له من الله قلت و إن كان علويا قال (عليه السلام) و إن كان علويا قلت و إن كان فاطميا قال و إن كان فاطميا.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦١ الى ٦٦]

إشارة

وَيَجْعَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَ لَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)

بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص بمفازاتهم و الباقون «بِمَفَازَتِهِمْ» وقرأ أهل المدينة تأمروني خفيفه النون مفتوحه الياء وقرأ ابن عامر تأمروني بنونين ساكنه الياء وقرأ ابن كثير تأمروني مشدده النون مفتوحه الياء و الباقون «تَأْمُرُونِي» مشدده النون ساكنه الياء وقرأ زيد عن يعقوب لنحبطن عملك و الباقون و «لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ».

الحج

قال أبو على حجه الإفراد أن المفازة و الفوز واحد فأفراد المفازة كأفراد الفوز و حجه الجمع أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها و مثله في الإفراد و الجمع على مكانتكم و مكاناتكم و قوله «أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ» غير ينتصب على وجهين (أحدهما) أعبد غير الله فيما تأمروني (و الآخر) أن ينتصب بتأمروني أي أ تأمروني بعباده غير الله فلما حذف أن ارتفع أعبد فصارت أن و صلتها في موضع نصب و لا يجوز انتصاب غير بأعبد على هذا لأنه في تقدير الصلة فلا يعمل فيما تقدم عليه فموضع أعبد و أن المضمرة نصب على

ص: ٣٦٧

تقدير البدل من غير كأنه قال أ بعباده غير الله تأمروني إلا أن الجار حذف كما حذف من قوله أمرتك الخير و صار التقدير بعد الحذف أ غير الله تأمروني عبادته فأضم المفعول الثاني للأمر و المفعول الأول علامه المتكلم و أن أعبد بدل من غير و مثل هذا فى البدل قوله و ما أنسانيه إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أذُكَّرَهُ أَي ما أنساني ذكره إلا الشيطان و أقول فى بيانه و شرحه أن تقديره كان فى الأصل أ بعباده غير الله تأمروني ثم حذف الجار الذى هو الباء فوصل الفعل فنصبه فصار أ بعباده غير الله تأمروني ثم حذف المضاف الذى هو عباده و أقيم المضاف إليه الذى هو غير مقامه فصار أ فغير الله تأمروني ثم جعل أعبد الذى تقديره أن أعبده و هو فى معنى عبادته بدلا من غير الله و بيانا للمحذوف الذى هو عباده فى قوله أ بعباده غير الله فصار مثل قوله تعالى «وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أذُكَّرَهُ» و من قال أن قوله «أَعْتَيْدُ» فى موضع نصب على الحال فلا وجه لقوله و أما على الوجه الأول و هو أن يكون غير الله منصوبا بأعبد فإنه يكون تأمرنى اعتراضا بين العامل و المعمول. رجعنا إلى كلام أبى على فأما تأمرنى فالقياس تأمرونى و يدغم فيصير تأمرونى و جاز الإدغام و إسكان النون المدغمة لأن قبلها حرف لين و هو الواو فى تأمرونى و من خفف فقال تأمرونى ينبغى أن يكون حذف النون الثانية المصاحبه لعلامه المنصوب المتكلم لأنها قد حذفت فى مواضع نحو:

" يسوء الفاليات إذا فلينى "

و إنى و كأنى و قدنى و قدنى و إنما قدرنا حذف الثانية لأن التكرير و التثقيب به وقع و لأن حذف الأولى لحن لأنها دلالة الرفع و على هذا يحمل قول الشاعر:

أ بالموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباك تخوفينى

و فتح الياء من تأمرونى و إسكانها جميعا سائغ حسن.

المعنى

لما أخبر الله سبحانه عن حال الكفار عقبه بذكر حال الأتقياء الأبرار فقال «وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا» معاصيه خوفا من عقابه «بِمَفَازَتِهِمْ» أى بمنجاتهم من النار و أصل المفازه المنجاه و بذلك سميت المفازه على وجه التفاؤل بالنجاه منها كما سمو اللديغ سليما «لا- يَمَسُّهُمْ الشُّوءُ» أى لا يصيبهم المكروه و الشده «وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ» على ما فاتهم من لذات الدنيا و لما ذكر الوعد و الوعيد بين سبحانه أنه القادر على كل شىء بقوله «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» أى محدث كل شىء و مبدعه «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ»

أى حافظ مدير «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» واحدها مقلید و مقلاد يريد مفاتيح السماوات و الأرض بالرزق و الرحمه عن ابن عباس و قتاده و قيل خزائن السماوات و الأرض يفتح الرزق على من يشاء و يغلقه عن من يشاء عن الضحاك «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» لأنهم يخسرون الجنة و نعيمها و يصلون النار و سعيها ثم أعلم سبحانه أنه المعبود لا معبود سواه بقوله «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ» أى أ تأمروننى أن أعبد غير الله «أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ» فيما تأمروننى به إذ تأمرون بعباده من لا يسمع و لا يبصر و لا ينفع و لا يضر ثم قال لنبىه ص «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ» يا محمد «وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ» من الأنبياء و الرسل «لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» قال ابن عباس هذا أدب عن الله تعالى لنبىه ص و تهديد لغيره لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك و مدهنه الكفار و ليس فى هذا ما يدل على صحه القول بالإحباط على ما يذهب إليه أهل الوعيد لأن المعنى فيه أن من أشرك فى عباده الله غيره من الأصنام و غيرها وقعت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب به و لذلك وصفها بأنها محبطه إذ لو كانت العباده خالصه لوجه الله تعالى لاستحق عليها الثواب ثم أمر سبحانه بالتوحيد فقال «بَلِ اللَّهِ فَاغْتَبُدْ» أى وجه عبادتك إليه تعالى وحده دون الأصنام «وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» الذين يشكرون الله على نعمه و يخلصون العباده له قال الزجاج الله منصوب بقوله «فَاغْتَبُدْ» فى قول البصريين و الكوفيين و الفاء جاءت على معنى المجازاه و المعنى قد تبينت فاعبد الله.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦٧ الى ٧٠]

إشارة

وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَاحَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيهَا يُنظَرُونَ (٦٨) وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)

ص: ٣٦٩

جميعا نصب على الحال و العامل فيه محذوف و تقديره و الأرض إذا كانت مجتمعه قبضته فإذا ظرف زمان و العامل فيه قبضته و كان هاهنا تامه إذ لو كانت ناقصه لكان جميعا خبرها و لم يجز أن يكون حالا و هذا كما قالوا فى أخطب ما يكون الأمير قائما أن التقدير إذا كان قائما أو إذ كان قائما و هذا بسرا أطيّب منه تمرا أن التقدير هذا إذا كان بسرا أطيّب منه إذا كان تمرا و مثله قول الشاعر:

إذا المرء أعيته المرؤة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

أى إذا كان كهلا- و المعنى و الأرض فى حال اجتماعها قبضته قال الإمام النحوى البصير قال أبو على فى الحجة إن التقدير و الأرض ذات قبضته إذا كانت مجتمعه و قال فى الحليات التقدير و الأرض مقبوضه إذا كانت مجتمعه و قال فعلى التقدير الذى فى الحجة لا- يتأتى إعمال قبضته فى إذا لأنه قدره ذات قبضته و المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف و على التقدير فى الحليات يتأتى إعمال قبضته فى إذا لأنه بمعنى مفعول و أقول أن المضاف إليه إذا أقيم مقام المضاف بعد أن حذف المضاف جاز أن يعمل عمل المضاف كما أعرب بإعرابه فارتفع بعد أن كان مجرورا فى الأصل فلما جاز أن يعمل المضاف فيما قبله جاز لما قام مقامه أن يعمل فيما قبله كما اكتسى إعرابه و كيف يجوز أن يستتم ما ذكره هذا الجامع للعلوم على مثل أبى على مع أنه يشق الشعر فى هذا الفن.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن أحوالهم فقال «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أى ما عظموا الله حق عظمتة إذ عبدوا غيره و أمروا نبيه بعباده غيره عن الحسن و السدى قال المبرد و أصله من قولك فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته و القدر اختصاص الشىء بعظم أو صغر أو مساواه و قيل معناه و ما وصفوا الله حق وصفه إذ جحدوا البعث فوصفوه بأنه خلق الخلق عبثا و أنه عاجز عن الإعادة و البعث «وَالْمَأْرُضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» و القبضه فى اللغه ما قبضت عليه بجميع كفكك أخبر سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها فى مقدوره كالشىء الذى يقبض عليه القابض بكفه فيكون فى قبضته و هذا تفهيم لنا على عادة

التخاطب فيما بيننا لأننا نقول هذا فى قبضه فلان و فى يد فلان إذا هان عليه التصرف فيه و إن لم يقبض عليه و كذا قوله «وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» أى يطويها بقدرته كما يطوى الواحد منا الشىء المقدور له طيه بيمينه و ذكر اليمين للمبالغة فى الاقتدار و التحقيق للملك كما قال أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أى ما كانت تحت قدرتكم إذ ليس الملك يختص باليمين دون الشمال و سائر الجسد و قيل معناه أنه محفوظات مصونات بقوته و اليمين القوه كما فى قول الشاعر:

إذا ما رايه رفعت لمجد تلقاها عرابه باليمين

ثم نزه سبحانه نفسه عن شركهم فقال «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى عما يضيفونه إليه من الشبيه و المثل «وَ نُفِخَ فى الصُّورِ» و هو قرن ينفخ فيه إسرافيل و وجه الحكمة فى ذلك أنها علامه جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم فى دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل و النزول و لا تتصوره النفوس بأحسن من هذه الطريقه و قيل أن الصور جمع صوره فكأنه نفخ فى صور الخلق عن قتاده و روى عنه أنه قرأ فى الصور بفتح الواو «فَصَيَّرَ مَنْ فى السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فى الْأَرْضِ» أى يموت من شدة تلك الصيحة التى تخرج من الصور جميع من فى السماوات و الأرض يقال صعق فلان إذا مات بحال هائله شبيهه بالصيحة العظيمه

«إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» اختلف فى المستثنى فقيل هم جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت عن السدى و هو المروى عن حديث مرفوع

و قيل هم الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله عن سعيد بن جبير و عطا

عن ابن عباس و أبى هريره عن النبى ص أنه سأل جبرائيل عن هذه الآيه من الذى لم يشأ الله أن يصعقهم قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش

«ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى» يعنى نفخه البعث و هى النفخه الثانيه و

قال قتاده فى حديث رفعه أن ما بين النفختين أربعين سنه

و قيل إن الله تعالى يفنى الأجسام كلها بعد الصعق و موت الخلق ثم يعيدها و قوله «فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ» إخبار عن سرعه إيجادهم لأنه سبحانه إذا نفخ النفخه الثانيه أعادهم عقيب ذلك فيقومون من قبورهم أحياء «يَنْظُرُونَ» أى ينتظرون ما يفعل بهم و ما يؤمرون به «وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا» أى أضاءت الأرض بعدل ربها يوم القيامة لأن نور الأرض بالعدل كما أن نور العلم بالعمل عن الحسن و السدى و قيل بنور يخلقه الله عز و جل يضىء به أرض القيامة من غير شمس و لا قمر «وَ وُضِعَ الْكِتَابُ» أى كتب الأعمال التى كتبتها الملائكه على بنى آدم توضع فى

أيديهم ليقروا منها أعمالهم و الكتاب اسم جنس فيؤدى معنى الجمع أى يوضع كتاب كل إنسان فى يمينه أو شماله «وَجِيءَ
بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ» أى يعطى بهم و الشهداء هم الذين يشهدون للأنبياء على الأمم بأنهم قد بلغوا و إن الأمم قد كذبوا عن ابن
عباس و سعيد بن جبير و قيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله عن السدى و قيل هم عدول الآخريه يشهدون على الأمم بما
شاهدوا عن الجبائى و أبى مسلم و هذا كما جرت العاده بأن القضاء يكون بمشهد الشهداء و العدول و قيل هم الحفظه من
الملائكه و يدل عليه قوله وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ و قيل هم جميع الشهداء من الجوارح و المكان و الزمان «وَ
قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يظْلَمُونَ» أى يفصل بينهم بمر الحق لا ينقص أحد منهم شيئاً مما يستحقه من الثواب و لا يفعل به ما لا
يستحقه من العقاب «وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ» أى يعطى كل نفس عامله بالطاعات جزاء ما عملته على الوفاء و الكمال دون
النقصان «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ» أى و الله سبحانه أعلم من كل أحد بما يفعلونه من طاعه أو معصيه و لم يأمر الملائكه بكتبه
الأعمال لحاجه إلى ذلك بل لزياده تأكيد و ليعلموا أنه يجازيهم بحسب ما عملوا.

النظم

اتصل قوله «وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» بقوله «وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أى ما عظموه حق عظمته إذ عبدوا معه غيره مع
اقتداره على السماوات و الأرض.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٧١ الى ٧٥]

اشاره

وَ سَبِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَ لَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَ سَبِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَ أَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ (٧٤) وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
(٧٥)

ص: ٣٧٢

قرأ أهل الكوفه «فُتِحَتْ» و «وُفُتِحَتْ» بالتخفيف فيهما و الباكون بالتشديد.

الحجه

حجه التشديد قوله «مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ» و إن التشديد يختص بالكثرة و وجه التخفيف أن التخفيف يصلح للقليل و الكثير.

اللغه

السوق الحث على السير و منه قولهم الكلام يجرى على سياقه واحده و منه السوق لأن المعامله تساق فيها بالبيع و الشراء و الزمر جمع زمره و هى الجماعه لها صوت كصوت المزممار و منه مزامير داود و هى أصوات كانت له مستحسنه قال:

له زجل كأنه صوت حاد إذا طلب الوسيقه أو زمير

و قال أبو عبيده هم جماعات فى تفرقه بعضهم فى إثر بعض و حف القوم بفلان إذا أطافوا به و أحدقوا به و الحفافان الجانبان قال المبرد الواو فى قوله «حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» زائده و كان ينكر قول من يقول هى واو الثمانيه و أنشد لامرء القيس:

فلما أجزنا ساحه الحى و انتحى بنا بطن خبت ذى حفاف عقنقل

قال و المعنى فلما أجزنا ساحه الحى انتحى بنا قال على بن عيسى إنما جىء بهذه

الواو تاره و حذفت أخرى للتصرف فى الكلام و جواب إذا فى صفه أهل الجنة محذوف و تقديره حتى إذا جاءوها و فتحت أبوابها و كانوا كيت و كيت فازوا و نالوا المنى و ما أشبه ذلك و هذا معنى قول الخليل لأنه قال فى بيت امرء القيس الجواب محذوف و التقدير فلما أجزنا ساحه الحى و انتحى بنا خلونا و نعمنا و مثله قول بعض الهدليين:

حتى إذا سلكوهم فى قتائده شلا كما تطرد الجماله الشردا

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيده و تحقيقه إن التقدير حتى إذا جاءوها و فتحت أبوابها فالواو واو حال و جواب إذا مضممر كما أضممر فى قوله «حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ» إلى قوله «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ» و التقدير قاربوا الهلاك ثم تاب عليهم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قسمه أحوال الخلائق فى المحشر بعد فصل القضاء فقال «وَسَيَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى يساقون سوقا فى عنف «إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا» أى فوجا بعد فوج و زمره بعد زمره «حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» أى حتى إذا انتهوا إلى جهنم فتحت أبواب جهنم عند مجيئهم إليها و هى سبعة أبواب «وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا» الموكلون بها على وجه التهجين لفعالهم و الإنكار عليهم «أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ» أى من أمثالكم من البشر «يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ» يقرءون عليكم حجج ربكم و ما يدلکم على معرفته و وجوب عبادته «وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا» أى و يخوفونكم من مشاهده هذا اليوم و عذابه «قَالُوا» أى قال الكفار لهم «بلى» قد جاءتنا رسل ربنا و خوفونا بآيات الله «وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى و جب العقاب على من كفر بالله تعالى لأنه أخبر بذلك و علم من يكفر و يوافى بكفره فقطع على عقابه فلم يكن شىء يقع منه خلاف ما علمه و أخبر به فصار كوننا فى جهنم موافقا لما أخبر به تعالى و لما علمه «قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» أى فيقول عند ذلك خزنة جهنم و هم الملائكة الموكلون ادخلوا أبواب جهنم مؤبدين لا آخر لعقابكم «فَبَسَّسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» أى بسس موضع إقامة المتكبرين عن الحق و قبوله جهنم «وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا» أى يساقون مكرمين زمره بعد زمره كقوله «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً» و إنما ذكر السوق على وجه المقابلة لسوق الكافرين إلى جهنم كلفظ البشارة فى قوله «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» و إنما البشارة هى الخبر السار «حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» أى و قد فتحت أبوابها قبل مجيئهم و أبواب الجنة ثمانية

عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ص قال أن في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخلها إلا الصائمون رواه البخارى و مسلم فى الصحيحين

«وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا» عند استقبالهم «سَيِّئًا عَلَيْكُمْ» أى سلامه من الله عليكم يحيونهم بالسلامه ليزدادوا بذلك سرورا و قيل هو دعاء لهم بالسلامه و الخلود أى سلمتم من الآفات «طِبْتُمْ» أى طبتم بالعمل الصالح فى الدنيا و طابت أعمالكم الصالحه و زكت و قيل معناه طابت أنفسكم بدخول الجنة و قيل أنهم طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفره و اقتص لبعضهم من بعض فلما هذبوا و طيبوا قال لهم الخزنه طبتم عن قتاده و قيل طبتم أى طاب لكم المقام عن ابن عباس و قيل إنهم إذا قربوا من الجنة يردون على عين من الماء فيغتسلون بها و يشربون منها فيطهر الله أجوافهم فلا يكون بعد ذلك منهم حدث و أذى و لا تتغير ألوانهم فتقول الملائكه «طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» أى فادخلوا الجنة خالدين مخلدين مؤبدين «وَقَالُوا» أى و يقول أهل الجنة إذا دخلوها اعترافا بنعم الله تعالى عليهم «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ» الذى وعدناه على ألسنه الرسل «وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ» أى أرض الجنة لما صارت الجنة عاقبه أمرهم عبر عن ذلك بلفظ الميراث و الإيراث و قيل لأنهم ورثوها عن أهل النار «نَسَبُوا مِنَ الْجَنَّةِ» أى نتخذ من الجنة مباء و مأوى «حَيْثُ نَشَاءُ» و هذا إشاره إلى كثره قصورهم و منازلهم و سعه نعمتهم «فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» أى فنعم ثواب المحسنين الجنة و النعيم فيها «وَوَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ» معناه و من عجائب أمور الآخره إنك ترى الملائكه محديقين بالعرش عن قتاده و السدى يطوفون حوله «يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أى ينزهون الله تعالى عما لا يليق به و يذكرونه بصفاته التى هو عليها و قيل يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحدون الجنة و قيل أن تسيحهم فى ذلك الوقت على سبيل التلذذ و التعم لا على وجه التعب إذ ليس هناك تكليف و قد عظم الله سبحانه أمر القضاء فى الآخره بنصب العرش و قيام الملائكه حوله معظمين له سبحانه و مسبحين كما أن السلطان إذا أراد الجلوس للمظالم و قعد على سريره و أقام جنده حوله تعظيما لأمره و إن استحال كونه عز و جل على العرش إذ ليس بصفه الجواهر و الأجسام و الجلوس على العرش من صفات الأجسام «وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ» أى و فصل بين الخلائق بالعدل و قيل بين الأنبياء و الأمم و قيل بين أهل الجنة و النار «وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» من كلام أهل الجنة يقولون ذلك شكرا لله على نعمه التامه و قيل أنه من كلام الله تعالى فقال فى ابتداء الخلق الحمد لله الذى خلق السماوات و الأرض و قال بعد إفناء الخلق ثم بعد بعثهم و استقرار أهل الجنة فى الجنة الحمد لله رب العالمين فوجب الأخذ بأدبه فى ابتداء كل أمر بالحمد و ختمه بالحمد.

اشاره

[توضيح]

مكيه قال ابن عباس و قتاده إلا آيتين منها نزلتا بالمدينه «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ» إلى قوله «لَا يَعْلَمُونَ» و قال الحسن إلا قوله «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» يعنى بذلك صلاه الفجر و صلاه المغرب و قد ثبت أن فرض الصلاه نزل بالمدينه.

عدد آياتها

خمس و ثمانون آيه كوفى شامى و أربع حجازى آيتان بصرى.

اختلافها

تسع آيات «حم» كوفى «كاظمين» غير الكوفى «يَوْمَ التَّلَاقِ» غير الشامى «بارزون» شامى «بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابِ» مكى كوفى و المدنى الأول و «الْبَصِيرُ» شامى و المدنى الأخير «يُسَبِّحُونَ» كوفى شامى و المدنى الأخير «كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ» كوفى شامى.

فضلها

فضل الحواميم عموما و فضلها خصوصا

أبو بريره الأسلمى عن رسول الله ص قال من أحب أن يرتع فى رياض الجنه فليقرأ الحواميم فى صلاه الليل

أنس بن مالك عن النبى ص قال الحواميم ديباج القرآن

ابن عباس قال لكل شىء لباب و لباب القرآن الحواميم.

ابن مسعود قال إذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات دمثات أتائق فيهن

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة حم المؤمن من لم يبق روح نبى و لا صديق و لا مؤمن إلا صلوا عليه و استغفروا له.

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال الحواميم ريحان القرآن فاحمدوا الله و اشكروه بحفظها و تلاوتها و إن العبد ليقوم يقرأ الحواميم فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر و العنبر و إن الله ليرحم تاليها و قارئها و يرحم جيرانه و أصدقاءه و معارفه و كل حميم أو قريب له و أنه فى القيامه يستغفر له العرش و الكرسي و ملائكه الله المقربون.

و

روی

ص: ۳۷۶

أبو الصباح عن أبي جعفر (عليه السلام) قال من قرأ حم المؤمن في كل ثلاث غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و ألزمه التقوى و جعل الآخرة خيرا له من الدنيا.

تفسيرها

لما ختم سبحانه سورة الزمر بذكر الملائكة و الجنة و النار افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال:

[سورة غافر (٤٠): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلُوعِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرِ (٣)
مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)

كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْمَآخِزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا حمادا و يحيى عن أبي بكر حم بإمالة الألف و الباقون بالفتح بغير إمالة و هما لغتان فصيحتان.

اللغة

من جعل حم اسما للسورة يؤيده قول شريح بن أوفى العجلي:

يذكرني حاميم و الرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

فجعله اسما معربا و قول الكميت:

ص: ٣٧٧

وجدنا لكم فى آل حم آيه تأولها منا تقى و معرب

و العزيز القادر الغالب الذى لا يغالب المنيع بقدرته على غيره و لا يقدر عليه غيره و التوب يجوز أن يكون جمع توبه كدوم و دومه و يجوز أن يكون مصدر تاب يتوب توبا.

و الطول الإنعام الذى تطول مدته على صاحبه كما أن التفضل النفع الذى فيه إفضال على صاحبه و لو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلا.

الإعراب

إذا قدرت اتل «حم» فموضعه نصب و قيل موضعه جر بالقسم و قد يجوز أن يكون مرفوع الموضع على تقدير هذا «حم» و قد فتح الميم على بن عيسى بن عمر جعله اسما للسوره فنصبه و لم ينون لأنه على وزن هاويل و يجوز أن يكون فتحه لالتقاء الساكنين و القراء على تسكين الميم و إذا كان من حروف التهجى فلا يدخلها الإعراب و تنزيل خير مبتدأ محذوف. «غافر الذنب» جر بأنه صفة بعد صفة و معناه أن من شأنه غفران الذنب فيما مضى و فيما يستقبل فذلك كان صفة المعرفة و كذلك قابل التوب و لو جعلته بدلا كانت لمعرفة و النكرة سواء.

المعنى

«حم» قد مضى ذكر الأقوال فيه و قيل أقسم الله بحلمه و ملكه لا يعذب من عاذ به و قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه عن القرظى و قيل هو افتتاح أسمائه حليم حميد حكيم حى حنان ملك مجيد مبدئ معيد عن عطاء الخراسانى و قيل معناه حم أى قضى ما هو كائن عن الكلبى «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» أى هذا تنزيل الكتاب «مِنَ اللَّهِ» الذى يحق له العباده «الْعَزِيزِ» فى ملكه «الْعَلِيمِ» الكثير العلوم «غافر الذنب» لمن يقول لا- إله إلا- الله و هم أولياؤه و أهل طاعته و الذنب اسم جنس فالمعنى غافر الذنوب فيما مضى و فيما يستقبل «وَ قَابِلِ التَّوْبِ» يقبل توبه من تاب إليه من المعاصى بأن يثيب عليها و يسقط عقاب معاصى تقدمها على وجه التفضل منه لذلك كان صفة مدح و لو كان سقوط العقاب عندها واجبا لما كان فيه مدح قال الفراء معناه ذى الغفران و ذى قبول التوبه و لذلك صار نعتا

للمعرفة «شَدِيدِ الْعِقَابِ» أى شديد عقابه و ذكر ذلك عقيب قوله «غَافِرِ الذَّنْبِ» لثلا يعول المكلف على الغفران بل يكون بين الرجاء و الخوف «ذِي الطُّولِ» أى ذى النعم على عباده عن ابن عباس و قيل ذى الغنى و السعه عن مجاهد و قيل ذى التفضل على المؤمنين عن الحسن و قتاده و قيل ذى القدره و السعه عن ابن زيد و السدى و روى عن ابن عباس أنه قال غافر الذنب لمن قال لا- إلا الله قابل التوب عمن قال لا إلا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا إلا الله ذى الطول ذى الغنى عمن لم يقل لا إلا الله و قيل أنه إنما ذكر ذى الطول عقيب قوله «شَدِيدِ الْعِقَابِ» ليعلم أن العاصى أتى فى هلاكه من قبل نفسه لا من قبل ربه و إلا فنعمة سابغه عليه دنيا و دينا «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى هو الموصوف بهذه الصفات دون غيره و لا يستحق العباده سواه «إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» أى المرجع للجزاء و المعنى أن الأمور تؤول إلى حيث لا يملك أحد النفع و الضر و الأمر و النهى غيره تعالى و هو يوم القيامة «مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» أى لا يخاصم فى دفع حجج الله و إنكارها و جحدها إلا الذين كفروا بالله و آياته و جحدوا نعمه و دلالاته «فَلَا يُعْزِزُكَ» يا محمد «تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ» أى تصرفهم فى البلاد للتجارات سالمين أصحاء بعد كفرهم فإن الله تعالى لا يخفى عليه حالهم و إنما يمهلمهم لأنهم فى سلطانه و لا يفوتونه و لا يهملهم و فى هذا غايه التهديد ثم بين أن عاقبتهم الهلاك كعاقبه من قبلهم من الكفار فقال «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» يعنى رسولهم نوحا «وَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ» و هم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالكذب نحو عاد و ثمود و من بعدهم «وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ «بِرَسُولِهِمْ» أى قصدوه «لِيَأْخُذُوهُ» أى ليقتلوه و يهلكوه عن ابن عباس و إنما قال برسولهم و لم يقل برسولها لأن المراد الرجال «وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ» أى خصموا رسلهم بأن قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا و هلا أرسل الله إلينا ملائكته و بأمثال هذا من القول «لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ» الذى بينه الله تعالى و جاءت به رسله أى ليطلوه و يزيلوه يقال أدحض الله حجته أى أزالها «فَأَخَذَتْهُمْ» بالعقاب أى أهلكتهم و دمرت عليهم و عاقبتهم «فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ» أى فانظر كيف كان عقابى لهم و هذا استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعه بهم.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٦ الى ١٠]

اشاره

وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْمًا فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَ قِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠)

ص: ٣٧٩

قرأ أهل المدينة و ابن عامر كلمات ربك على الجمع و الباقون «كَلِمَهُ رَبُّكَ» على التوحيد.

الحجه

قال أبو على الكلمه تقع مفرده على الكثره فإذا كان كذلك استغنى فيها عن الجمع كما تقول يعجبني قيامكم و قعودكم قال سبحانه لا- تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَ ادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا و قال إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ فأفرد الصوت مع الإضافة إلى الكثره فكذلك الكلمه و قد قالوا قال قس فى كلمته يعنون خطبته و من جمع فلأن هذه الأشياء و إن كانت تدل على الكثره قد تجمع إذا اختلف أجناسها.

الإعراب

«أَنْتُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» يجوز أن يكون موضعه نصبا على تقدير بأنهم أو لأنهم و يجوز أن يكون رفعا على البدل من " كلمه " و «مَنْ حَزَّوْهُ» معطوف على «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ» و «رَحْمَةً وَ عِلْمًا» منصوبان على التمييز و «مَنْ صَالَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ» فى موضع نصب عطفا على الهاء و الميم فى و أدخلهم أى و أدخل من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم الجنه أيضا و يجوز أن يكون عطفا على الهاء و الميم فى وعدتهم أى وعدت من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم و قوله «لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ» لا- يجوز أن يكون إذ ظرفا لمقت الله لأن المصدر لا يجوز أن يحال بينه و بين معموله بالأجنى و لا يجوز أن يكون ظرفا للمقت الثانى فى قوله «مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ» لأن الدعاء إلى الإيمان

كان في الدنيا ومقتهم أنفسهم يكون في الآخرة ولا يجوز أن يكون ظرفاً لتدعون لأن تدعون في موضع جر بالإضافة والمضاف إليه لا يجوز أن يعمل في المضاف فالوجه أن يتعلق الظرف بفعل مضمرة دلت عليه الجملة تقديره مقتم إذ تدعون أو يتعلق بالمقت الثاني على تقدير تسميه الشيء بما يؤول إليه.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَكَذَلِكَ» أى ومثل ما حق على الأمم المكذبه من العقاب «حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» أى العذاب «عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» من قومك أى أصروا على كفرهم «أَنَّهُمْ» أى لأنهم أو بأنهم «أَصْرَحَابُ النَّارِ» عن الأخفش ثم أخبر سبحانه عن حال المؤمنين و أنه تستغفر لهم الملائكة مع عظم منزلتهم عند الله تعالى فحالهم بخلاف أحوال من تقدم ذكرهم من الكفار فقال «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ» عباده لله و امتثالاً لأمره «وَمَنْ حَوْلَهُ» يعنى الملائكة المطيفين بالعرش وهم الكروبيون و سادة الملائكة «يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أى ينزهون ربهم عما يصفه به هؤلاء المجادلون و قيل يسبحونه بالتسبيح المعهود و يحمّدونه على إنعامه «وَيُؤْمِنُونَ بِهِ» أى و يصدقون به و يعترفون بوحدانيته «وَيَسْتَجْفِرُونَ» أى و يسألون الله المغفرة «لِلَّذِينَ آمَنُوا» من أهل الأرض أى صدقوا بوحدانية الله و اعترفوا بإلهيته و بما يجب الاعتراف به يقولون فى دعائهم لهم «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا» أى وسعت رحمتك و علمك كل شىء و المراد بالعلم المعلوم كما فى قوله «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» أى بشىء من معلومه على التفصيل فجعل العلم فى موضع المعلوم و المعنى أنه لا اختصاص لمعلوماتك بل أنت عالم بكل معلوم و لا تختص رحمتك حياً دون حى بل شملت جميع الحيوانات و فى هذا تعليم الدعاء لبدأ بالثناء عليه قبل السؤال «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا» من الشرك و المعاصى «وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ» الذى دعوت إليه عبادك و هو دين الإسلام «وَقِهِمْ» أى و ادفع عنهم «عَذَابَ الْجَحِيمِ» و فى هذه الآية دلالة على أن إسقاط العقاب عند التوبه تفضل من الله تعالى إذ لو كان واجبا لكان لا يحتاج فيه إلى مسألتهم بل كان يفعله الله سبحانه لا محاله «رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ» مع قبول توبتهم و وقايتهم النار «جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ» على ألسن أنبيائك «وَمَنْ صِلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَآزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ» ليكمل أنفسهم و يتم سرورهم «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ الْحَكِيمُ» فى أفعالك «وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ» أى و قهم عذاب السيئات و يجوز أن يكون العذاب هو السيئات و سماه السيئات اتساعا كما قال و جزاء سيئه سيئه مثلها «وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ» أى و من تصرف عنه شر معاصيه فتفضلت عليه يوم القيامة

يأسقاط عذابها فقد أنعمت عليه «وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى الظفر بالبغيه و الفلاح العظيم ثم عاد الكلام إلى من تقدم ذكرهم من الكفار فقال عز اسمه «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ» أى يناديهم الملائكه يوم القيامه «لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ» و المقت أشد العداوه و البغض و المعنى أنهم لما رأوا أعمالهم و نظروا فى كتابهم و أدخلوا النار مقتوا أنفسهم لسوء صنيعهم فنودوا لمقت الله إياكم فى الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم عن مجاهد و قتاده و السدى و قيل إنهم لما تركوا الإيمان و صاروا إلى الكفر فقد مقتوا أنفسهم أعظم المقت و هذا كما يقول أحدنا لصاحبه إذا كنت لا تبالى بنفسك فمبالا تى بك أقل و ليس يريد أنه لا يبالى بنفسه بل يريد أنه يفعل فعل من هو كذلك عن البلخى.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ١١ الى ١٧]

إشاره

قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكَمْ بَأْتُهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥)

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)

القراءه

قرأ روح و زيد عن يعقوب لتندر بالتاء و الباقون بالياء.

ص: ٣٨٢

التاء على وجه الخطاب للنبي ص و قراءه القراء بالياء على أن الضمير يعود إلى «مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ».

الإعراب

«لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» انتصب اليوم لمدلول قوله «لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم و يجوز أن يتعلق بنفس الملك و قال قوم أن الوقف على الملك حسن و يتدئ «الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» أى فى هذا اليوم.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين تقدم وصفهم بعد حصولهم فى النار بأنهم «قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن الإماتة الأولى فى الدنيا بعد الحياه و الثانيه فى القبر قبل البعث و الإحياء الآتى فى القبر للمسائله و الثانيه فى الحشر عن السدى و هو اختيار البلخى (و ثانيها) أن الإماتة الأولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله فى الدنيا ثم أماتهم الموته الثانيه ثم أحياهم للبعث فهاتان حياتان و موتتان و نظيره قوله كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنتُمْ أَمْوَاتًا آيَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قتاده و الضحاك و اختاره أبو مسلم (و ثالثها) أن الحياه الأولى فى الدنيا و الثانيه فى القبر و لم يرد الحياه يوم القيامة و الموته الأولى فى الدنيا و الثانيه فى القبر عن الجبائى «فَاعْتَرَفْنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا» التى اقترفناها فى الدنيا «فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ» هذا تطف منم فى الاستدعاء أى هل بعد الاعتراف سبيل إلى الخروج و قيل إنهم سألوا الرجوع إلى الدنيا أى هل من خروج من النار إلى الدنيا لنعمل بطاعتك و لو علم الله سبحانه أنهم يفلحون لردهم إلى حال التكليف و لذلك قال وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ تَنبِيْهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَوْ صَدَقُوا فِى ذَلِكَ لِأَجَابِهِمْ إِلَى مَا تَمَنَوْهُ فِى الْكَلَامِ حَذَفَ تَقْدِيرَهُ فَأَجِيبُوا بِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ «ذَلِكُمْ» أى ذلكم العذاب الذى حل بكم «بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَ حُجِرَ كَفَرْتُمْ» أى إذا قيل لا إله إلا الله قلمت أ جعل الآلهه إليها واحدا و جحدتم ذلك «وَ إِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا» أى و إن يشرك به معبود آخر من الأصنام و الأوثان تصدقوا «فَالْحُكْمُ لِلَّهِ» فى ذلك و الفصل بين الحق و الباطل «الْعَلِيِّ» القادر على كل شىء ليس فوقه من هو أقدر منه أو من يساويه فى مقدوره و نقلت هذه اللفظه من علو المكان إلى علو الشأن و لذلك جاز وصفه سبحانه بذلك يقال استعلى فلان عليه بالقوه و بالحجه و ليس كذلك الرفعه و لذلك لا- يوصف مكانه بأنه رفيع كما وصف بأنه على «الْكَبِيرِ» العظيم فى صفاته التى لا- يشاركه فيها غيره و قيل هو السيد الجليل عن الجبائى «هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ» أى مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته و توحيده من السماء و الأرض و الشمس و القمر «وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا» من الغيث و المطر الذى ينبت ما هو رزق للخلق «وَ مَا

يَتَذَكَّرُ» أى وما يتعظ بهذه الآيات و ليس يتفكر فى حقيقتها «إِلَّا مَنْ يُنِيبُ» أى يرجع إليه و قيل إلا من يقبل إلى طاعه الله عن السدى ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال «فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أى وجهوا عبادتكم إليه تعالى وحده «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» فلا- تبالوا بهم ثم وصف سبحانه نفسه فقال «رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ» الرفيع بمعنى الرفع أى هو رافع درجات الأنبياء و الأولياء فى الجنة عن عطا عن ابن عباس و قيل معناه رافع السماوات السبع عن سعيد بن جبير و قيل معناه أنه على الصفات «ذُو الْعَرْشِ» أى مالك العرش و خالقه و ربه و قيل ذو الملك و العرش الملك عن أبى مسلم «يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» و قيل الروح هو القرآن و كل كتاب أنزله الله تعالى على نبي من أنبيائه و قيل الروح الوحى هنا لأنه يحيى به القلب أى يلقي الوحى على قلب من يشاء ممن يراه أهلا له يقال ألقىت عليه كذا أى فهمته إياه و قيل إن الروح جبرائيل (عليه السلام) يرسله الله تعالى بأمره عن الضحاك و قتاده و قيل إن الروح هاهنا النبوه عن السدى «لِيُنذِرَ» النبى بما أوحى إليه «يَوْمَ التَّلَاقِ» يلتقى فى ذلك اليوم أهل السماء و أهل الأرض عن قتاده و السدى و ابن زيد و قيل فيه يلتقى الأولون و الآخرون و الخصم و المخصوم و الظالم و المظلوم عن الجبائى و قيل يلتقى الخلق و الخالق عن ابن عباس يعنى أنه يحكم بينهم و قيل يلتقى المرء و عمله و الكل مراد و الله أعلم «يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ» من قبورهم و قيل يبرز بعضهم لبعض فلا يخفى على أحد حال غيره لأنه ينكشف ما يكون مستورا «لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ» أى من أعمالهم و أحوالهم و يقول الله فى ذلك اليوم «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» فيقر المؤمنون و الكافرون بأنه «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» و قيل إنه سبحانه هو القائل لذلك و هو المجيب لنفسه و يكون فى الإخبار بذلك مصلحة للمكلفين قال محمد بن كعب القرظى يقول الله تعالى ذلك بين النفختين حين يفنى الخلائق كلها ثم يجيب نفسه لأنه بقى وحده و الأول أصح لأنه بين أنه يقول ذلك يوم التلاقي يوم يبرز العباد من قبورهم و إنما خص ذلك اليوم بأن له الملك فيه لأنه قد ملك العباد بعض الأمور فى الدنيا و لا يملك أحد شيئا ذلك اليوم فإن قيل أليس يملك الأنبياء و المؤمنون فى الآخرة الملك العظيم فالجواب أن أحدا لا- يستحق إطلاق الصفه بالملك إلا الله لأنه يملك جميع الأمور من غير تمليك مملك و قيل إن المراد به يوم القيامة قبل تمليك أهل الجنة ما يملكهم «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» يجزى المحسن بإحسانه و المسىء بإساءته و فى الحديث أن الله تعالى يقول أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة و لا لأحد من أهل النار أن يدخل النار و عنده مظلمه حتى أقصه منه ثم تلا هذه الآية

«لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ» أى لا ظلم لأحد على أحد و لا ينقص من ثواب أحد و لا يزداد فى عقاب أحد «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»

لا يشغله محاسبه واحد عن محاسبه غيره.

النظم

اتصل قوله «رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ» بما تقدم من ذكر إنكار الكفار البعث فعقبه سبحانه بذكر اعترافهم بذلك يوم القيامة و أيضا فإنه سبحانه لما ذكر مقتهم أنفسهم لعظم ما نزل بهم ذكر بعده سؤالهم الرجعه إلى الدنيا و إنما اتصل قوله «فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا» بما تقدم من إقرارهم بصفه الرب سبحانه فكأنهم قالوا اعترفنا بك ربنا فإنك أمتنا و أحييتنا و مع هذا فقد اعترفنا بذنوبنا و اتصل قوله «هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ» بقوله «الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ» أى و من هذه صفاته يريكم آياته و اتصل قوله «رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ» بقوله «هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ» أى و هو الرفيع الدرجات و قيل إنه لما ذكر حال الفريقين ذكر الدرجات.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ١٨ الى ٢٠]

اشاره

وَ أَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)

القراءه

قرأ نافع و هشام عن ابن عامر و الذين تدعون بالتاء و الباقون بالياء.

الحججه

من قرأ بالتاء فعلى الخطاب و التقدير قل لهم يا محمد و من قرأ بالياء جعل الإخبار عن الغائب.

اللغه

الآزفه الدانيه من قولهم أذف الأمر إذا دنا و قته قال النابغه:

أذف الترحل غير أن ركابنا لما نزل برحالتنا و كان قد

و الحناجر جمع حنجره و هى الحلقوم و الكاظم الممسك على ما فى قلبه يقال كظم غيظه إذا تجرعه و أصل الكظم للبعير على جرتة يردّها فى حلقه.

الإعراب

قال الزجاج كاظمين منصوب على الحال و الحال محموله على المعنى لأن القلوب لا- يقال لها كاظمون و إنما الكاظمون أصحاب القلوب و المعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر فى حال كظمهم و هو حال من الضمير فى لدى و معناه متوقفين عن كل شىء إلا عما دفعت إليه من فكرها فيه و نسبه الكظم إلى القلب كنسبه الكتابه إلى الأيدى فى قوله كَتَبْتُ أَيَدِيَهُمْ و إنما ذلك للجمله. يطاع جملة فى موضع جر بكونها صفة شفيح أى و لا من شفيح يطاع.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يخوف المكلفين يوم القيامة فقال «وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفِ» أى الدانيه و هو يوم القيامة لأن كل ما هو آت دان قريب و قيل يوم دنو المجازاه «إِذِ الْقُلُوبُ لِمَدَى الْحَنَاجِرِ» و ذلك أنها تزول عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى الحنجره و مثله قوله وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ «كاظمين» أى مغمومين مكرويين ممتلئين عما قد أطبقوا أفواههم على قلوبهم من شدة الخوف «ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ» يريد ما للمشركين و المنافقين من قريب ينفعهم «وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ» فيهم فتقبل شفاعته عن ابن عباس و مقاتل «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ» أى خيانتها و هى مسارقه النظر إلى ما لا يحل النظر إليه عن مجاهد و قتاده و الخائنه مصدر مثل الخيانه كما أن الكاذبه و اللاغيه بمعنى الكذب و اللغو و قيل إن تقديره يعلم الأعين الخائنه عن مؤرج و قيل هو الرمز بالعين عن السدى و قيل هو قول الإنسان ما رأيت و قد رأى و رأيت و ما رأى عن الضحاك «وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» و يعلم ما تضره الصدور و

فى الخبر أن النظره الأولى لك و الثانية عليك

فعلى هذا تكون الثانية محرمه فهى المراد بخائنه الأعين «وَاللَّهُ يَفْضِي بِالْحَقِّ» أى يفصل بين الخلائق بالحق فيوصل كل ذى حق إلى حقه «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» من الأصنام «لَا يَقْضُونَ شَيْءًا» لأنها جماد «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» أى الذى يجب أن يسمع المسموعات و يبصر المبصرات إذا وجدت و هاتان الصفتان فى الحقيقه ترجعان إلى كونه حيا لا آفه به و قال قوم معناهما العالم بالمسموعات و العالم بالمبصرات و الأول هو الصحيح.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٢١ الى ٢٥]

اشاره

أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِمَا نَكَّهَتْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَ مَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)

قرأ ابن عامر أشد منكم بالكاف و الميم و الباقون «مِنْهُمْ» بالهاء و الميم.

الحجه

قال أبو علي من قال منهم فأتى بلفظ الغيبه فلأن ما قبله «أَوْ لَمْ يَسْتَيِرُوا» «فَيَنْظُرُوا» و من قال منكم فلانصرافه من الغيبه إلى الخطاب كقوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ بعد قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ.

المعنى

ثم نبههم سبحانه على النظر بقوله «أَوْ لَمْ يَسْتَيِرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ» من المكذبين من الأمم لرسولهم «كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» فى أنفسهم «وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ» أى و أكثر عماره للأبنيه العجيبه و قيل و أبعد ذهابا فى الأرض لطلب الدنيا «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» أى أهلكتهم الله بسبب ذنوبهم «وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ» أى دافع يدفع عنهم عذابه و يمنع من نزوله بهم «ذَلِكَ» لعذاب الذى نزل بهم «بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات الباهرات و الدلالات الظاهرات «فَكَفَرُوا» بها «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ» أى أهلكتهم عقوبه على كفرهم «إِنَّهُ قَوِيٌّ» قادر على الانتقام منهم «شَدِيدُ الْعِقَابِ» أى شديد عقابه ثم ذكر قصه موسى و فرعون ليعتبروا بها فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا» أى بعثناه بحججنا و دلاتنا «وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى حجه ظاهره نحو قلب العصا حيه و فلق البحر «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ» كان موسى رسولا إلى كافتهم إلا أنه خص فرعون لأنه كان رئيسهم و كان هامان وزيره و قارون صاحب كنوزه و الباقون تبع لهم

و إنما عطف و بالسلطان على الآيات لاختلاف اللفظين تأكيدا و قيل المراد بالآيات حجج التوحيد و العدل و بالسلطان المعجزات الداله على نبوته «فَقَالُوا سَاحِرٌ» أى مموه «كَذَّابٌ» فيما يدعو إليه «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا» أى فلما أتاهم موسى بالتوحيد و الدلالات عليه من عندنا و قيل المراد بالدين الحق «قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ» أى أمروا بقتل الذكور من قوم موسى لثلاث- يكثر قومه و لا- يتقوى بهم و باستبقاء نسائهم للخدمه و هذا القتل غير القتل الأول لأنه أمر بالقتل الأول لثلاثا ينشأ منهم من يزول ملكه على يده ثم ترك ذلك فلما ظهر موسى عاد إلى تلك العاده فمنعهم الله عنه بإرسال الدم و الضفادع و الطوفان و الجراد كما مضى ذكر ذلك ثم أخبر سبحانه أن ما فعله من قتل الرجال و استحياء النساء لم ينفعه بقوله «وَ مَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» أى فى ذهاب عن الحق لا ينتفعون به.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

اشاره

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَ لِيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَ قَالَ مُوسَى إِنِّي عُجِدْتُ بَرِّى وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ وَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَ قَالَ الَّذِى آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠)

قرأ أهل المدينة و أبو عمرو و أن يظهر بغير ألف قبل الواو و «يُظْهِرُ» بضم الياء و كسر الهاء «الْفَسَادَ» بالنصب وقرأ ابن كثير و ابن عامر و أن يظهر بفتح الياء الفساد بالرفع وقرأ حفص و يعقوب «أَوْ أَنْ يُظْهِرَ» بضم الياء «الْفَسَادَ» بالنصب و الباكون أو أن يظهر بفتح الياء الفساد بالرفع وقرأ أهل الكوفه غير عاصم و أبو عمرو و إسماعيل عن نافع و أبو جعفر «عُدْتُ» هنا و فى الدخان بإدغام الذال فى التاء و كذلك قوله فَبَدَّتْهَا حيث كان و الباكون بالإظهار حيث كان.

الحجه

قال أبو على من قرأ أو أن يظهر فالمعنى إنى أخاف هذا الضرب منه كما تقول كل خبزا أو تمرا أى هذا الضرب و من قرأ و أن يظهر فالمعنى إنى أخاف هذين الأمرين منه و من قرأ «يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» فأسند الفعل إلى موسى فلأنه أشبه بما تقدم من قوله «يُيَدِّلُ دِينَكُمْ» و من قرأ و أن يظهر فالمعنى و أن يظهر الفساد فى الأرض بمكانه أو أراد أنه إذا بدل الدين ظهر الفساد بالتبديل فأما الإدغام فى «عُدْتُ» فحسن لتقارب الحرفين و الإظهار حسن لأن الذال ليست من حيز التاء و إنما الذال و الطاء و التاء من حيز و الدال و التاء و الطاء من حيز إلا أنها كلها من طرف اللسان و أصول الثنايا فلذلك صارت متقاربه.

المعنى

«وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى» أى قال لقومه اتركونى أقتله و فى هذا دلالة على أنه كان فى خاصه فرعون قوم يشيرون عليه بأن لا يقتل موسى و يخوفونه بأن يدعوه ربه فيهلك فلذلك قال «وَلْيَدْعُ رَبَّهُ» أى كما يقولون و قيل إنهم قالوا له هو ساحر فإن قتله قبل ظهور الحجه قويت الشبهه بمكانه بل أرجه و أخاه و ابعث فى المدائن حاشرين و قوله «وَلْيَدْعُ رَبَّهُ» معناه و قولوا له ليدع ربه و ليستعن به فى دفع القتل عنه فإنه لا يجىء من دعائه شىء قاله تجبرا و عتوا و جراه على الله «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُيَدِّلَ دِينَكُمْ» إن لم أقتله و هو ما تعتقدونه من إلهيتى «أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» بأن يتبعه قوم و يحتاج إلى أن نقاتله فيخرب فيما بين ذلك البلاد و يظهر الفساد و قيل إن الفساد عند فرعون أن يعمل بطاعه الله عن قتاده فلما قال فرعون هذا استعاذ موسى بربه و ذلك قوله «وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ» أى إنى اعتصمت بربى الذى خلقنى و ربكم الذى خلقكم من شر كل متكبر على الله متجبر عن الانقياد له لا يصدق بيوم المجازاه ليدفع شره عنى و لما قصد فرعون قتل موسى و عظمهم المؤمن من آله و هو قوله «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ» فى صدره على وجه التقية

قال أبو عبد الله (عليه السلام) التقية من دينى و دين آبائى و لا- دين لمن لا- تقية له و التقية ترس الله فى الأرض لأن مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل

قال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره و غير امرأه فرعون و غير المؤمن الذى أنذر موسى فقال إِنَّ الْمَلَأَ

يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيقْتُلُوكَ قال السدى و مقاتل كان ابن عم فرعون و كان آمن بموسى و هو الذى جاء من أقصى المدينة يسعى و قيل إنه كان ولى عهده من بعده و كان اسمه حبيب و قيل اسمه حزيب «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» و هو استفهام إنكار و لو قال أ تقتلون رجلا- قائل ربى الله لم يدل على أن القتل من أجل الإيمان لأن يقول يكون صفه لرجل نحو يقتلون رجلا قائل ربى الله فموضع أن يقول نصب على أنه مفعول له «وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» أى بما يدل على صدقه من المعجزات مثل العصا و اليد و غيرهما «وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ» إنما قال هذا وجه التلطف كقوله «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ و معناه إن يك كاذبا فعلى نفسه وبال كذبه «وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعْتَدُكُمْ» قيل إن موسى كان يعدهم بالنجاة إن آمنوا و بالهلاك إن كفروا و قال يصيبكم بعض الذى يعدكم لأنهم إذا كانوا على إحدى الحالين نالهم أحد الأمرين فذلك بعض الأمر لا- كله و قيل إنما قال بعض الذى يعدكم لأنه توعدهم أمرا مختلفه منها الهلاك فى الدنيا و العذاب فى الآخرة فيكون هلا-كهم فى الدنيا بعض ما توعدهم به و قيل استعمل البعض فى موضع الكل تلفظا فى الخطاب و توسعا فى الكلام كما قال الشاعر:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته و قد يكون من المستعجل الزلل

و كأنه قال أقل ما فيه أن يصيبكم بعض الذى يعدكم و فى ذلك البعض هلاككم و قال على بن عيسى إنما قال «بَعْضُ الَّذِي يَعْتَدُكُمْ» على المظاهره بالحجاج أى أنه يكفى بعضه فكيف جميعه «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» أى لا يهدى إلى جنته و ثوابه من هو مسرف على نفسه متجاوز عن الحد فى المعصيه كذاب على ربه و يجوز أن يكون هذا حكاية عن قول المؤمن و يجوز أن يكون ابتداء الكلام من الله تعالى ثم ذكرهم هذا المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله على ذلك بالإيمان به فقال «يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» أى لكم السلطان على أهل الأرض يعنى أرض مصر اليوم «ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ» أى عالين فيها غالبين عليها قاهرين لأهلها «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ» أى من يمنعنا من عذاب الله «إِنْ جَاءَنَا» و معناه لا تتعرضوا لعذاب الله بقتل النبى و تكذبه فلا مانع لعذاب من عذاب الله إن حل بكم ف «قَالَ فِرْعَوْنُ» عند ذلك «مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى» أى ما أشير عليكم إلا- بما أراه صوابا و أرضاه لنفسى و قيل معناه ما أعلمكم إلا- ما أعلم «وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ» و ما أرشدكم إلا إلى ما هو طريق الرشاد و الصواب عندى و هو قتل موسى و التكذيب به و اتخاذى إلها و ربا ثم ذكرهم ما نزل بمن قبلهم و ذلك قوله «وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ

المأخزاب» أى عذابا مثل يوم الأحزاب قال الجبائى القائل لذلك موسى لأن المؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانه وهذا لا يصح لأنه قريب من قوله «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» و أراد بالأحزاب الجماعات التى تحزبت على أنبيائها بالتكذيب و قد يطلق اليوم على النعمة و المحنة فكأنه قال يوم هلاكهم.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٣١ الى ٣٥]

اشاره

مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِِفٌ مُرْتَابٍ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)

القراءه

قرأ أبو عمرو و ابن ذكوان و قتيبه على كل قلب بالتونين و الباقون «على كُـلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ» على الإضافه و فى الشواذ قراءه ابن عباس و الضحاك و أبى صالح و الكلبى يوم التناد بتشديد الدال.

الحجه

قال أبو على من نون فإنه جعل المتكبر صفة لقلب فإذا وصف القلب بالتكبر كان صاحبه فى المعنى متكبرا فكأنه أضاف التكبر إلى القلب كما أضيف الصعر إلى الخد فى قوله تعالى وَ لَا تُصَيِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ فَمَا يَكُونُ بِتَصْغِيرِ الْخَدِّ مُتَكَبِّرًا كَذَلِكَ يَكُونُ بِالتَّكْبِيرِ فِي الْقَلْبِ مُتَكَبِّرًا بِجَمَلِهِ وَ أَمَا مِنْ أَضَافِهِ فَقَالَ «عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ» فَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ

يقدر الكلام على ظاهره أو يقدر فيه حذفاً فإن تركه على ظاهره كان المعنى يطبع الله على كل قلب متكبر أى يطبع على جملة القلب من المتكبر و ليس المراد أن يطبع على كل قلبه فيعم الجميع بالطبع إنما المعنى إنه يطبع على القلب إذا كانت قلباً قلباً و الطبع علامه فى جملة القلب كالتختم عليه فإذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت أن الكلام ليس على ظاهره و أنه حذف منه شىء و ذلك المحذوف إذا أظهرته كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فيكون المعنى يطبع على القلوب إذا كانت قلباً قلباً من كل متكبر و يختم عليه و يؤكد ذلك أن فى حرف ابن مسعود فيما زعموا على قلب كل متكبر و إظهار كل فى حرفه يدل على أنه فى حرف العامه أيضاً مراد و حسن حذف كل لتقدم ذكره كما جاز ذلك فى قوله:

أكل امرء تحسبين امرءاً و نار توقد بالليل نارا

و فى قولهم ما كل سوداء تمره و لا بيضاء شحمه فحذف كل التقدّم ذكرها فكذلك فى الآية و أما التناد بالتشديد فإنه تفاعل من ند يند إذا نفر.

اللغة

الجبار الذى يقتل على الغضب يقال أجبر فهو جبار مثل أدرك فهو دراك قال الفراء و لا ثالث لهما و قال ابن خالويه وجدت لهما ثالثاً أسار فهو ستار.

المعنى

ثم فسر سبحانه ذلك فقال «مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ» و الدأب العاده و معناه إنى أخاف عليكم مثل سنه الله فى قوم نوح و عاد و ثمود و حالهم حين أهلكهم الله و استأصلهم جزاء على كفرهم «وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ» و فى هذا أوضح دلالة على فساد قول المجبره القائله بأن كل ظلم يكون فى العالم فهو بإرادة الله تعالى ثم حذرهم عذاب الآخرة أيضاً فقال «وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ» حذف الياء للاجتراء بالكسره الداله عليها و هو يوم القيامة ينادى فيه بعض الظالمين بعضاً بالويل و الثبور و قيل إنه اليوم الذى ينادى فيه أصحاب الجنة أصحاب النار أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا الآية و ينادى أصحاب النار أصحاب الجنة أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ عن

الحسن و قتاده و ابن زيد و قيل ينادى فيه كل أناس يمامهم «يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ» أى يوم تعرضون على النار فارين منها مقدرين أن الفرار ينفعكم و قيل منصرفين إلى النار بعد الحساب عن قتاده و مقاتل «مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ» أى مانع من عذاب الله «وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» أى من يضل الله عن طريق الجنة فما له من هاد يهديه إليها «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ» و هو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولا- إلى القبط «مِنْ قَبْلِ» أى من قبل موسى «بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالحجج الواضحات «فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ» من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له عن ابن عباس و قيل مما دعاكم إليه من الدين «حَتَّى إِذَا هَلَكَ» أى مات «قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مَنْ بَعْدَهُ رَسُولًا» أى أقمتم على كفركم و ظننتم أن الله تعالى لا يجدد لكم إيجاب الحجج «كَذَلِكَ» أى مثل ذلك الضلال «يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ» على نفسه كافر و أصل الإسراف مجاوزة الحد «مُرْتَابٌ» أى شاك في التوحيد و نبوه الأنبياء «الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ» أى فى دفع آيات الله و إبطالها و موضع الذين نصب لأنه بدل من قوله «مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ» و يجوز أن يكون رفعا بتقديم هم «بِعَيْرِ سُلْطَانٍ» أى بغير حجه «أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ» أى كبر ذلك الجدل منهم عداوه عند الله «وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله و المعنى مقتته الله تعالى و لعنه و أعد له العذاب و مقتته المؤمنون و أبغضوه بذلك الجدل و أنتم جادلتم و خاصمتم فى رد آيات الله مثلهم فاستحققتهم ذلك «كَذَلِكَ» أى مثل ما طبع على قلوب أولئك بأن ختم عليها علامه لكفرهم «يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ» يفعل ذلك عقوبه له على كفره و الجبار صفة للمتكبر و هو الذى يأنف من قبول الحق قيل و هو القتال.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشارة

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ دَكْرٍ أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)

قرأ حفص «فَاطَّلَعَ» بالنصب و الباقون بالرفع و اختلافهم فى «صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ» و فى «يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» قد تقدم ذكره.

الحجج

من رفع فاطَّلَعَ فعلى معنى لعلى أبلغ و لعلى أطلع و مثله قوله لَعَلَّهُ يَزَكِّي أَوْ يَذَكِّرُ و ليس بجواب و من نصب جعله جوابا بالفاء لكلام غير موجب و المعنى إنى إذا بلغت و اطلعت و مما يقوى بناء الفعل للفاعل فى صد قوله الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَيَّدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ* و فى موضع آخر وَ يَصِيدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَكَذَلِكَ «وَ صَيَّدَ عَنِ السَّبِيلِ» ينبغى أن يكون الفعل فيه مبنيًا للفاعل و من ضم الصاد فلأن ما قبله مبنى للمفعول به و هو قوله «وَ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ».

اللغة

الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على عين الناظر و إن بعد و هو من التصريح بالأمر و هو إظهاره بأتم الإظهار و السبب كل ما يتوصل به إلى شىء يبعد عنك و جمعه الأسباب و التباب الخسار و الهلاك بالانقطاع.

المعنى

ثم بين سبحانه ما موه به فرعون على قومه لما وعظه المؤمن و خوفه من قتل موسى و انقطعت حجته بقوله «وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ» و هو وزيره و صاحب أمره «ابن لى صَيْرِحًا» أى قصرًا مشيدًا بالآجر و قيل مجلسًا عاليًا عن الحسن «لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَشْيَابَ» ثم فسر تلك الأسباب فقال «أَشْيَابَ السَّمَاوَاتِ» و المعنى لعلى أبلغ الطرق من سماء إلى سماء عن السدى و قيل أبلغ أبواب طرق السموات عن قتاده و قيل منازل السموات عن ابن عباس و قيل لعلى أتسبب و أتوصل به إلى مرادى و إلى علم ما غاب عنى ثم بين مراده فقال «أَشْيَابَ السَّمَاوَاتِ» «فَاطَّلَعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى» أى فانظر إليه فأراد به التلبس على الضعفه مع علمه باستحاله ذلك عن الحسن و قيل أراد فأصل إلى إله موسى فغلبه الجهل و اعتقد أن الله سبحانه فى السماء و أنه يقدر على بلوغ السماء «وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا» معناه و إنى لأظن موسى كاذبًا فى قوله إن له إلهًا غيرى أرسله إلينا «وَ كَذَلِكَ» أى مثل ما زين لهؤلاء الكفار سوء أعمالهم «زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ» أى قبيح عمله و إنما زين له ذلك أصحابه و جلساؤه و زين له

الشيطان كما قال وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ «وَصِيدَ عَنِ السَّبِيلِ» و من ضم الصاد فالمعنى أنه صد نفسه أو صد غيره «وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ» فى إبطال آيات موسى «إِلَّا فِي تَبَابٍ» أى هلاك و خسار لا ينفعه ثم عاد الكلام إلى ذكر نصيحه مؤمن آل فرعون و هو قوله «وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ» أى طريق الهدى و هو الإيمان بالله و توحيده و الإقرار بموسى و قيل إن هذا القائل موسى أيضا عن الجبائى «يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ» أى انتفاع قليل ثم يزول و ينقطع و يبقى وزره و آثامه «وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» أى دار الإقامة التى يستقر الخلائق فيها فلا تغتروا بالدنيا الفانية و لا- تؤثرها على الدار الباقية «مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا» أى من عمل معصية فلا يجزى إلا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا- أكثر من ذلك «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ» مصدق بالله و أنبيائه شرط الإيمان فى قبول العمل الصالح «فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ» أى زياده على ما يستحقونه تفضلا من الله تعالى و لو كان على مقدار العمل فقط لكان بحساب و قيل معناه لا تبعه عليهم فيما يعطون من الخير فى الجنة عن مقاتل قال الحسن هذا كلام مؤمن آل فرعون و يحتمل أن يكون كلام الله تعالى إخبارا عن نفسه.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٤١ الى ٤٦]

إشاره

وَاذْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاهِ وَ تَدْعُونِنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونِنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ وَ أَنَّنَا مَرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ وَ أَنَّ الْمُسِيرِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَيَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَ أَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوْقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)

قرأ أهل المدينة و الكوفه إلا أبا بكر و يعقوب «أَدْخِلُوا» بقطع الهمزه و كسر الخاء و الباقون بالوصل و ضم الخاء.

الحجه

قال أبو على القول مراد فى الوجهين جميعا كأنه قال يقال أدخلوهم و يقال أدخلوا فمن قال أدخلوا كان «آلَ فِرْعَوْنَ» مفعولا به و «أَشَدَّ الْعِذَابِ» مفعولا ثانيا و التقدير إرادته حذف حرف الجر ثم حذف كما أنك إذا قلت دخل زيد الدار كان معناه فى الدار كما أن خلافه الذى هو خرج كذلك فى التقدير و كذلك قوله لَتَدْخُلَنَّ الْمَسِيحِدَ الْحَرَامَ و من قال «أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ» كان انتصاب آل فرعون على النداء و أشد العذاب فى موضع مفعول به و حذف الجار فانتصب انتصاب المفعول به و حجه من قال أدخلوا قوله ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أزواجكم تُحْبَبُونَ و ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ و ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ و حجه من قال «ادْخُلُوا» أنه أمر بهم فأدخلوا.

المعنى

ثم قال «يا قوم ما لى» أى ما لكم كما يقول الرجل ما لى أراك حزينا معناه ما لك و معناه أخبرونى عنكم كيف هذه الحال «ادْعُوا إِلَى النَّجَاهِ» من النار بالإيمان بالله «وَ تَدْعُونِنِي إِلَى النَّارِ» أى إلى الشرك الذى يوجب النار و من دعا إلى سبب الشىء فقد دعا إليه ثم فسر الدعوتين بقوله «تَدْعُونِنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ» و لا يجوز حصول العلم به إذ لا يجوز قيام الدلالة على إثبات شريك الله تعالى لا من طريق السمع و لا من طريق العقل «وَ أَنَا أَدْعُواكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ» أى إلى عباده القادر الذى لا يقهر و لا يمنع فينتقم من كل كفار عنيد الغافر لذنوب من يشاء من أهل التوحيد «لا جرم» قيل معناه حقا مقطوعا به من الجرم و هو القطع قال الزجاج حكايه عن الخليل هو رد الكلام و المعنى و جب و حق «أَنَّمَا تَدْعُونِنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ» أى و جب بطلان دعوته يقول لا بد إنما تدعوننى إليه من عباده الأصنام أو عباده فرعون ليس له دعوه نافعه «فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ» فأطلق أنه ليس له دعوه ليكون أبلغ و إن توهم جاهل أن له دعوه ينتفع بها فإنه لا يتعد بذلك لفساده و تناقضه و قيل معناه ليست لهذه الأصنام استجابته دعوه أحد فى الدنيا و لا فى الآخرة فحذف المضاف عن السدى و قتاده و الزجاج و قيل معناه ليست له دعوه فى الدنيا لأن الأصنام لا تدعو إلى عبادتها فيها و لا فى الآخرة لأنها تبرأ من عبادها فيها «وَ أَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ» أى و جب أن مرجعنا و مصيرنا إلى الله فيجازى كلا بما يستحقه «وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ» أى و جب أن المسرفين الذين أسرفوا على أنفسهم بالشرك و سفك الدماء بغير حقها «هُيْمٌ أَصِيحَابُ النَّارِ» الملازمون لها ثم قال لهم على وجه التخويف و الوعظ «فَسَتَذْكُرُونَ» صحه

«ما أَقُولُ لَكُمْ» إذا حصلتم في العذاب يوم القيامة وقيل معناه فستذكرون عند نزول العذاب بكم ما أقول لكم من النصيحة «وَ أَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ» أى أسلم أمرى إلى الله و أتوكل عليه و أعتمد على لطفه و الأمر اسم جنس «إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» أى عالم بأحوالهم و بما يفعلونه من طاعه و معصيه و أظهر إيمانه بهذا القول «فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوهًا» أى صرف الله عنه سوء مكرهم فنجاه مع موسى حتى عبر البحر معه عن قتاده و قيل إنهم هموا بقتله فهرب إلى جبل فبعث فرعون رجلين فى طلبه فوجداه قائما يصلى و حوله الوحوش صفوفا فخافا و رجعا هارين «وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ» أى أحاط و نزل بهم «سُوءَ الْعَذَابِ» أى مكروهه و ما يسوء منه و آل فرعون أشياعه و أتباعه و قيل من كان على دينه عن الحسن و إنما ذكر آله و لم يذكره لأنهم إذا هلكوا بسببه فكيف يكون حاله و سوء العذاب فى الدنيا الغرق و فى الآخرة النار و ذلك قوله «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا» أى يعرض آل فرعون على النار فى قبورهم صباحا و مساء فيعذبون و إنما رفع النار بدلا من قوله «سُوءَ الْعَذَابِ» و

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ص قال إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداه و العشى أن كان من أهل الجنة فمن الجنة و إن كان من أهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة أورده البخارى و مسلم فى الصحيحين

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ذلك فى الدنيا قبل يوم القيامة لأن فى النار القيامة لا يكون غدو و عشى ثم قال إن كانوا يعذبون فى النار غدوا و عشيا فبيما بين ذلك هم من السعداء لا و لكن هذا فى البرزخ قبل يوم القيامة أ لم تسمع قوله عز و جل «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»

و هذا أمر لآل فرعون بالدخول أو أمر للملائكة بإدخالهم فى أشد العذاب و هو عذاب جهنم.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٤٧ الى ٥٠]

اشاره

وَ إِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ يَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحَزَنِهِ جَهَنَّمَ اذْعُوا رَبِّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)

ص: ٣٩٧

التبع يصلح أن يكون مصدرا يقال تبع تبعا و يجوز أن يكون جمع تابع نحو خادم و خادم و خائل و خول و غائب و غيب.

الإعراب

«أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» التقدير أ و لم تك القصه و تأتيكم رسلكم تفسير القصه فاسم كان مضمرا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يجرى بين أهل النار من التنازع فقال «وَ إِذِ يَتَنَاجُونَ فِي النَّارِ» معناه و اذكر يا محمد لقومك الوقت الذى يتنازع فيه أهل النار فى النار و يتخاصم الرؤساء و الأتباع «فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ» و هم الأتباع «لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» و هم الرؤساء «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ» معاشر الرؤساء «تَبَعًا» و كنا نمثل أمركم و نجيبكم إلى ما تدعوننا إليه «فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِنَ النَّارِ» لأنه يلزم الرئيس الدفع عن أتباعه و المنقادين لأمره أى هل أنتم حاملون عنا قسطا من النار و العذاب الذى نحن فيه «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا» أى نحن و أنتم فى النار و كل فيها مبتدأ و خبر فى موضع رفع بأنه خبر إن و يجوز أن يكون كل خبر إن المعنى أنا مجتمعون فى النار «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ» بذلك و بأن لا يتحمل أحد عن أحد و أنه يعاقب من أشرك به و عبد معه غيره لا- محاله «وَ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ» أى حصلوا فى النار من الأتباع و المتبوعين «لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ» و هم الذين يتولون عذاب أهل النار من الملائكة الموكلين بهم «ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ» يقولون ذلك لأنه لا طاقه لهم على شدة العذاب و لشده جزعهم إلا أنهم يطمعون فى التخفيف لأن معارفهم ضروريه يعلمون أن عقابهم لا ينقطع و لا يخفف عنهم «قَالُوا» أى قال الخزنه لهم «أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى الحجج و الدلالات على صحة التوحيد و النبوات أى فكفرتم و عاندتم حتى استحققتم هذا العذاب «قَالُوا بلى» جاءتنا الرسل و البيئات فكذبناهم و جحدنا نبوتهم «قَالُوا فَادْعُوا» أى قالت الخزنه فادعوا أنتم فإننا لا ندعو إلا بإذن و لم يؤذن لنا فيه و قيل إنما قالوا ذلك استخفافا بهم و قيل معناه فادعوا بالويل و الثبور «وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» أى فى ضياع لأنه لا ينتفع به.

إشارة

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعِيدَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَ أَوْزَنَّا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَ ذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ (٥٥)

القرءاءة

قرأ أبو جعفر و ابن كثير و ابن عامر و أهل البصرة يوم لا تنفع بالتاء و الباقون بالياء.

الحجة

و الوجهان حسنان لأن المعذرة و الاعتذار بمعنى كما أن الوعظ و الموعدة كذلك.

الإعراب

«يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» محمول على موضع قوله «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» كما يقال جنتك أمس و اليوم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن نفسه بأنه ينصر رسله و من صدقهم فقال «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى نصرهم بوجه النصر فإن النصر قد يكون بالحجة و يكون أيضا بالغلبة فى المحاربة و ذلك بحسب ما تقتضيه الحكمة و يعلمه سبحانه من المصلحة و يكون أيضا بالأطاف و التأييد و تقوية القلب و يكون بإهلاك العدو و كل هذا قد كان للأنبياء و المؤمنين من قبل الله تعالى فهم منصورون بالحجة على من خالفهم و قد نصرنا أيضا بالقهر على من ناوهم و قد نصرنا بإهلاك عدوهم و إنجائهم مع من آمن معهم و قد يكون النصر بالانتقام لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل حين قتل به سبعون ألفا فهم لا محالة منصورون فى الدنيا بأحد هذه الوجوه «وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» جمع شاهد مثل الأصحاب جمع صاحب هم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين و على المبطلين و الكافرين يوم القيامة و فى ذلك سرور للمحق و فضيحة للمبطل فى ذلك الجمع العظيم و قيل هم الملائكة و الأنبياء و المؤمنون عن قتاده و قيل هم الحفظة من الملائكة عن مجاهد يشهدون للرسول بالتبليغ و على الكفار بالكذب و قيل هم الأنبياء و حدهم يشهدون للناس و عليهم ثم أخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعِيدَتُهُمْ» أى إن اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم و إن تابوا لم تنفعهم التوبة و إنما نفى أن تنفعهم المعذرة فى الآخرة مع كونها نافعة فى دار الدنيا

لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل و الملجأ غير محمود على العمل الذى أُلجئ إليه «وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ» أى البعد من رحمه و الحكم عليهم بدوام العقاب «وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» جهنم نعوذ بالله منها ثم بين سبحانه نصرته موسى و قومه فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى» أى أعطيناها التوراه فيها أدله واضح على معرفه الله و توحيده «وَأَوْزَنَّا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» أى و أوزننا من بعد موسى بنى إسرائيل التوراه و ما فيه من البيان «هُدًى» أى هو هدى أى دلالة يعرفون بها معالم دينهم «وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ» أى و تذكير لأولى العقول لأنهم الذين يتمكنون من الانتفاع به دون من لا عقل له و يجوز أن يكون هدى و ذكرى منصوبين على أن يكونا مصدرين وضعا موضع الحال من الكتاب بمعنى هاديا و مذكرا و يجوز أن يكون بمعنى المفعول له أى للهدى و التذكير ثم أمر نبيه ص بالصبر فقال «فَاصْبِرْ» يا محمد على أذى قومك و تحمل المشاق فى تكذيبهم إياك «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» الذى وعدك به من النصر فى الدنيا و الثواب فى الآخرة «حَقٌّ» لا خلف فيه «وَأَسِئْتَ تَغْفِرُ لِدُنْيِكَ» من جوز الصغائر على الأنبياء قال معناه اطلب المغفره من الله على صغيره وقعت منك و لعظيم نعمته على الأنبياء كلفهم التوبه من الصغائر و من لا يجوز ذلك عليهم و هو الصحيح قال هذا تعبد من الله سبحانه لنبيه ص بالدعاء و الاستغفار لكى يزيد فى الدرجات و ليصير سنه لمن بعده «وَأَسِئْتَ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أى نزه الله تعالى و اعترف بشكره و إضافه النعم إليه و نفى التشبيه عنه و قيل نزه صفاته عن صفات المحدثين و نزه أفعاله عن أفعال الظالمين و قيل معناه صل بأمر ربك «بِالْعَيْشِيِّ» من زوال الشمس إلى الليل «وَالْإِبْكَارِ» من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس عن مجاهد و قيل يريد الصلوات الخمس عن ابن عباس و

روى عن النبى ص أنه قال قال الله جل جلاله يا ابن آدم اذكرنى بعد الغداه ساعه و بعد العصر ساعه أكفك ما أهمك.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبْرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ لَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَ قَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِبُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)

قرأ أهل الكوفه «تَتَذَكَّرُونَ» بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أبو جعفر و ابن كثير و أبو بكر غير الشمونى و سهل سيدخلون بضم الياء و فتح الخاء و الباقون بفتح الياء و ضم الخاء.

الحجه

التاء على قل لهم قليلا ما تتذكرون و الياء على أن الكفار قليلا ما يتذكرون و قوله «سَيَدْخُلُونَ» الوجه فى القراءتين ظاهر.

النزول

نزل قوله «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ» الآيه فى اليهود لأنهم كانوا يقولون سيخرج المسيح الدجال فنعينه على محمد و أصحابه و نستريح منهم و يرد الملك إلينا عن أبى العاليه.

المعنى

ثم قال سبحانه «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ» أى يخاصمون «فِي آيَاتِ اللَّهِ» أى فى دفع آيات الله و إبطالها «بِغَيْرِ سُلْطَانٍ» أى حجه «أَتَاهُمْ» الله إياها يتسلط بها على إنكار مذهب يخالف مذهبهم «إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا» أى ليس فى صدورهم إلا عظمه و تكبر على محمد ص و جبريه «مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ» أى ما هم ببالغى مقتضى تلك العظمه لأن الله تعالى مذلهم و قيل معناه كبر بحسدك على النبوه التى أكرمك الله بها ما هم ببالغيه لأن الله تعالى يرفع بشرف النبوه من يشاء و قيل ما هم ببالغى وقت خروج الدجال «فَأَسِيتَعَدُّ بِاللَّهِ» من شر اليهود و الدجال و من جميع ما يجب الاستعاذه منه «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لأقوال هؤلاء «الْبَصِيرُ» بضمائرهم و فى هذا تهديد لهم فيما أقدموا عليه ثم قال

سبحانه «لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» مع عظمهما و كثره أجزاءهما و وقوفهما بغير عمد و جريان الفلك و الكواكب من غير سبب «أَكْبَرُ» أى أعظم و أهول فى النفس «مِنْ خَلَقِ النَّاسِ» و إن كان خلق الناس عظيما بما فيه من الحياه و الحواس المهيأه لأنواع مختلفه من الإدراكات «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» لعدولهم عن الفكر فيه و الاستدلال على صحته و المعنى أنهم إذا أقرؤا بأن الله تعالى خلق السماء و الأرض فكيف أنكروا قدرته على إحياء الموتى و لكنهم أعرضوا عن التدبر فحلوا محل الجاهل الذى لا يعلم شيئا «وَمَا يَشْعُرُونَ بِالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ» أى لا يستوى من أهمل نفسه و من تفكر فعرف الحق شبه الذى لا يتفكر فى الدلائل بالأعمى و الذى يستدل بها بالبصير «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالْمُسِيءُ» أى و ما يستوى المؤمنون الصالحون و لا الكافر الفاسق فى الكرامه و الإهانه و الهدى و الضلال «قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ» يجوز أن تكون ما مزیده و يجوز أن تكون مصدریه فيكون تقديره قليلا تذكرهم أى قل نظرهم فيما ينبغى أن ينظروا فيه مما دعوا إليه «إِنَّ السَّاعَةَ» يعنى القيامة «لَأْتِيَهُ» أى جائيه واقعه «لَا رَيْبَ فِيهَا» أى لا شك فى مجيئها «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ» أى لا يصدقون بذلك لجهلهم بالله تعالى و شكهم فى إخباره «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» يعنى إذا اقتضت المصلحه إجابتكم و كل من يسأل الله شيئا و يدعوه فلا بد أن يشترط المصلحه فى ذلك إما لفظا أو إضمارا و إلا كان قبيحا لأنه ربما كان داعيا بما يكون فيه مفسده و لا يشترط انتفاؤها فيكون قبيحا و قيل معناه وحدونى و اعدونى أثبكم عن ابن عباس و يدل عليه

قول النبى ص الدعاء هو العباده

و لما عبر عن العباده بالدعاء جعل الإثابه استجابته ليتجانس اللفظ «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِبُونَ عَنْ عِبَادَتِي» و دعائى «سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» أى صاغرين ذليلين و فى الآيه دلالة على عظم قدر الدعاء عند الله تعالى و على فضل الانقطاع إليه و

قد روى معاويه بن عمار قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) جعلنى الله فداك ما تقول فى رجلين دخلا المسجد جميعا كان أحدهما أكثر صلاه و الآخر دعاء فأيهما أفضل قال كل حسن قلت قد علمت و لكن أيهما أفضل قال أكثرهما دعاء أ ما تسمع قول الله تعالى «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» إلى آخر الآيه و قال هى العباده الكبرى

و

روى زراره عن أبى جعفر (عليه السلام) فى هذه الآيه قال هو الدعاء و أفضل العباده الدعاء

و

روى حنان بن سدير عن أبيه قال قلت لأبى جعفر أى العباده أفضل قال ما من شىء أحب إلى الله من أن يسأل و يطلب ما عنده و ما أحد أبغض إلى الله عز و جل ممن يستكبر عن عبادته و لا يسأل ما عنده.

إشاره

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٤١) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ (٤٢) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٤٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٤٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يدل على توحيده قال «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ» معاشر الخلق «اللَّيْلَ» وهو ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني «لِتَسْكُنُوا فِيهِ» أى و غرضه فى خلق الليل سكونكم و استراحتكم فيه من كد النهار و تعب «وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا» أى و جعل لكم النهار و هو ما بين طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس مضيئا تبصرون فيه مواضع حاجاتكم فجعل سبحانه النهار مبصرا لما كان يبصر فيه المبصرون «إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» بهذه النعم من غير استحقاق منهم لذلك و لا تقدم طلب «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» أى و مع هذا فإن أكثر الناس لا يعترفون بهذه النعم بل يجحدونها و يكفرون بها ثم قال سبحانه مخاطبا لخلقه «ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ» أى الذى أظهر هذه الدلالات و أنعم بهذه النعم هو الله خالقكم و مالكمكم «خالقُ كُلِّ شَيْءٍ» من السماوات و الأرض و ما بينهما «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا يستحق العباده سواه «فَآَنِي تُؤْفَكُونَ» أى فكيف تصرفون عن عبادته إلى عباده غيره مع وضوح الدلاله على توحيده ثم قال سبحانه «كَذَلِكَ» أى مثل ما صرف و إفك هؤلاء «يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» و هم من تقدمهم من الكفار صرفهم أكابرههم و رؤساؤهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأدله على توحيده فقال «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا» أى مستقرا تستقرون عليه «وَالسَّمَاءَ بِنَاءً» أى

و جعل السماء بناء مرتفعا فوقها و لو جعلها رتقا لما أمكن الخلق الانتفاع بما بينهما ثم قال «و صَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُم» لأن صورته ابن آدم أحسن صور الحيوان و قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل بيده و يتناول بيده و كل من خلقه الله يتناول بفيه «و رَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ» لأنه ليس شىء من الحيوان له طيبات المأكول و المشارب مثل ما خلق الله سبحانه لابن آدم فإن أنواع الطيبات و اللذات التى خلقها الله تعالى لهم من الثمار و فنون النبات و اللحوم و غير ذلك مما لا يحصى كثره ثم قال «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم» أى فاعل هذه الأشياء خالقكم «فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» أى جل الله بأنه الدائم الثابت الذى لم يزل و لا يزال «هُوَ الْحَيُّ» معناه إن الذى أنعم عليكم بهذه النعم هو الحى على الإطلاق من غير عله و لا- فاعل و لا- بنيه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أى مخلصين فى دعائه و عبادته «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» قال الفراء و هو خير و فيه إضمار كأنه قال ادعوه و احمده على هذه النعم و قولوا الحمد لله رب العالمين و روى مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين يريد قول الله «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

إشارة

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا سُبُلَهُمْ ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَمِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَ بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠)

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد لكفار قومك «إِنِّي نُهِيتُ» أى نهانى الله «أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى أوجه العباده إلى من تدعونه من دون الله من الأصنام التى تجعلونها آلهه «لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي» أى حين أتانى الحجج والبراهين من جهه الله تعالى دلتنى على ذلك «وَأُمِرْتُ» مع ذلك «أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» أى استسلم لأمر رب العالمين الذى يملك تدبير الخلائق أجمعين ثم عاد إلى ذكر الأدله فقال «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ» معاشر البشر «مِنْ تُرَابٍ» أى خلق أباكم آدم من تراب و أنتم نسله و إليه تنتمون «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» أى ثم أنشأ من ذلك الأصل الذى خلقه من تراب النطفه و هى ماء الرجل و المرأه «ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ» و هى قطعه من الدم «ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً» أى أطفالا واحدا واحدا فلذلك ذكره بالتوحيد قال يونس العرب تجعل الطفل للواحد و الجماعه قال الله تعالى «أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَنْظُرُوا عَلَى عَيُورَاتِ النِّسَاءِ» و المعنى ثم يقلبكم أطوارا إلى أن يخرجكم من أرحام الأمهات أطفالا صغارا «ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَسْدَكُمْ» و هو حال استكمال القوه و هذا يحتمل أن يكون معطوفا على معنى قوله «ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً» لتنشأوا و تشبوا «ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَسْدَكُمْ» و يحتمل أن يكون معطوفا على معنى قوله «يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً» و التقدير لطفوليتكم ثم لتبلغوا أشدكم «ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا» بعد ذلك «وَأَمِّنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ» أى من قبل أن يصير شيخا و من قبل أن يبلغ أشده «وَأَلِيَّتُكُمْ أَجَلًا مُّسَمًّى» أى و ليبلغ كل واحد منكم ما سمي له من الأجل الذى يموت عنده و قيل هذا للقرن الذى تقوم عليهم القيامه و الأجل المسمى هو القيامه عن الحسن «وَأَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى خلقكم لهذه الأغراض التى ذكرها و لكى تتفكروا فى ذلك فتعقلوا ما أنعم الله به عليكم من أنواع النعم و أراد منكم من إخلاص العباده ثم قال «هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ» أى من خلقكم من تراب على هذه الأوصاف التى ذكرها هو الذى يحييكم و هو الذى يميتكم فأولكم من تراب و آخركم إلى تراب «فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و معناه أنه يفعل ذلك من غير أن يتعذر و يمتنع عليه فهو بمنزله ما يقال له كن فيكون لأنه سبحانه يخاطب المعدوم بالتكون «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ» يعنى المشركين الذين يخاصمون فى إبطال حجج الله و دفعها «أَنِّي يُضَيِّرُونَ» أى كيف و من أين يقبلون عن الطريق المستقيم إلى الضلال و لو كانوا يخاصمون فى آيات الله بالنظر فى صحتها و الفكر فيها لما ذمهم الله تعالى ثم وصفهم سبحانه فقال «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ» أى بالقرآن و جحدوه «وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا» أى و كذبوا بما أرسلنا به من الكتب و الشرائع رسلنا قبلك «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» عاقبه أمرهم إذ حل بهم وبال ما جحدوه و نزل بهم عقاب ما ارتكبوه

فيعرفون إن ما دعوتهم إليه حق و ما ارتكبه ضلال و فساد.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٧١ الى ٧٥]

إشارة

إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلَاسِلُ يُسَبَّحُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥)

القراءة

قرأ ابن مسعود و ابن عباس و السلاسل بفتح اللام يسحبون.

الحج

قال ابن جنى تقديره إذ الأغلال في أعناقهم و يسحبون السلاسل فعطف الجملة من الفعل و الفاعل على الجملة التي من المبتدأ و الخبر كما قد عودل إحداهما بالأخرى نحو قوله:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد أموف بادراع بن طيبه أم تدم

أى أنت موف بها أم تدم فقابل بالمبتدأ و الخبر التي من الفعل الفاعل الجارى مجرى الفاعل.

اللغة

الأغلال جمع غل و هو طوق يدخل في العنق للذئب و الأمل و أصله الدخول يقال أنغل العنق فى الشىء إذا دخل فيه و الغلول الخيانه لأنها تصير كالغل فى عنق صاحبها السلاسل جمع سلسله و هى الحلق منتظمة فى جهه الطول مستمره و السحب جر الشىء على الأرض هذا أصله و السجر أصله إلقاء الحطب فى معظم النار كالتنور الذى يسجر بالوقود و الفرح و البطر و الأشر نظائر و المرح شدة الفرح و فرس مروح أى نشيط قال:

يسحبون فى موضع نصب على الحال تقديره مسحوبين على النار مسحوبين فيها و العامل فى إذ الأغلال قوله تعالى «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» إذا لم يوقف على يعلمون و وقف على السلاسل و من وقف على يعلمون فالعامل فى إذ يسحبون.

المعنى

ثم قال سبحانه «إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ» أى يعلمون و بال أمرهم فى حال تكون الأغلال فى أعناقهم «وَ السَّلَاسِلُ يُسَبِّحُونَ فِي الْحَمِيمِ» أى يجرون فى الماء الحار الذى قد انتهت حرارته «ثُمَّ فِي النَّارِ يُسَبِّحُونَ» أى ثم يقذفون فى النار و يلقون فيها و قيل معناه ثم يصيرون و قود النار عن مجاهد و المعنى توقد بهم النار «ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ» أى لهؤلاء الكفار إذا دخلوا النار على وجه التوبيخ «أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى أين ما كنتم تزعمون أنها تنفع و تضر من أصنامكم التى عبدتموها «قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا» أى ضاعوا عنا و هلكوا فلا نراهم و لا نقدر عليهم ثم يستدركون فيقولون «بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا» و المعنى لم نكن ندعو شيئا يستحق العبادة و لا ما تنتفع بعبادته عن الجبائى و قيل بل لم نكن ندعو شيئا ينفع و يضر و يسمع و يبصر قال أبو مسلم و هذا كما يقال لكل ما لا يغنى شيئا هذا ليس بشىء لأن قولهم ضلوا عنا اعتراف بعبادتهم و لأن الآخرة دار إلقاء فهم ملجئون إلى ترك القبيح و قيل معناه ضاعت عباداتنا لهم فلم نكن نصنع شيئا إذ عبدناها كما يقول المتحسر ما فعلت شيئا «كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ» معناه كما أضل الله أعمال هؤلاء و أبطل ما كانوا يؤملونه كذلك يفعل بجميع من يتدين بالكفر فلا ينتفعون بشىء من أعمالهم و قيل يضل الله أعمالهم أى يبطلها عن الحسن و قيل يضل الكافرين عن طريق الجنة و الثواب كما أضلهم عما اتخذوه إليها بأن صرفهم عن الطمع فى نيل منفعه من جهتها عن الجبائى «ذَلِكُمْ» العذاب الذى نزل بكم «بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» قيد الفرح و أطلق المرح لأن الفرح قد يكون بحق فيحمد عليه و قد يكون بالباطل فيذم عليه و المرح لا يكون إلا باطلا و معناه أن ما فعل بكم جزاء بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق أى بما كان يصيب أنبياء الله تعالى و أوليائه من المكاره «وَ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» أى تأشرون و تبطرون.

اشاره

ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَأِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَأَلَيْنَا لِيُزْجَعُونَ (٧٧) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ لِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠)

المعنى

ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار إنه يقال لهم «ادخلوا أبواب جهنم» و هى سبعة أبواب «خالدين فيها» أى مؤبدين فيها لا انقطاع لكم فيها و لا نهايه لعقابكم و قيل إنما جعل لجهنم أبواب كما جعل لها دركات تشبيها بما يتصور الإنسان فى الدنيا من المطابق و السجون و المطاعم فإن ذلك أهول و أعظم فى الزجر «فبئس مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» أى بس مقام الذين تكبروا عن عباده الله تعالى و تجبروا عن الانقياد له و إنما أطلق عليه اسم بس و إن كان حسنا لأن الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل عن القبيح فحسن لهذه العله اسم بس عليه ثم قال سبحانه لنبه ص «فَاصْبِرْ» يا محمد على أذى قومك لك و تكذيبهم إياك و معناه اثبت على الحق فسماه صبرا للمشقه التى تلحق به كما تلحق بتجرع المر و لذلك لا- يوصف أهل الجنة بالصبر و إن وصفوا بالثبات على الحق و إن كان فى الوصف به فى الدنيا فضل و لكنهم يوصفون بالحلم لأنه مدح ليس فيه صفة نقص «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ

حَقُّ» معناه أن ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب في الجنة حق لا شك فيه بل هو كائن لا محاله وقيل إن وعد الله بالنصر لأنبيائه والانتقام من أعدائه حق وصدق لا خلف فيه «فَأَمَّا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ» من العذاب في حياتك وإنما قال بعض الذي نعددهم لأن المعجل من عذابهم في الدنيا هو بعض ما يستحقونه من العقاب ولا يفوتونا ثم زاد سبحانه في تسليته النبي ص بقوله «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ» قصصهم وأخبارهم «وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصِصْ عَلَيْكَ» أخبارهم وقيل معناه منهم من تلونا عليك ذكره ومنهم من لم نتل عليك ذكره و

روى عن علي (عليه السلام) أنه قال بعث الله نبيا أسود لم يقص علينا قصته

و اختلفت الأخبار في عدد الأنبياء

فروى في بعضها أن عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وفي بعضها أن عددهم ثمانيه آلاف نبي أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة آلاف من غيرهم

«وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ» أي بمعجزه ودلاله «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» وأمره والمعنى إن الإتيان بالمعجزات ليس إلى الرسول ولكنه إلى الله تعالى يأتي بها على وجه المصلحه «فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ» وهو القيامة «قُضِيَ بِالْحَقِّ» بين المسلمين والكفار والأبرار والفجار «وَخَسِرَ هُنَالِكَ» عند ذلك «الْمُبْطِلُونَ» لأنهم يخسرون الجنة ويحصلون في النار بدلا منها وذلك هو الخسران المبين والمبطل صاحب الباطل ثم عدد سبحانه نعمه على خلقه فقال «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ» من الإبل والبقر والغنم «لِتَرْكَبُوا مِنْهَا» أي لتتنفعوا بركوبها «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» يعني أن بعضها للركوب والأكل كالإبل والبقر وبعضها للأكل كالأغنام وقيل المراد بالأنعام هاهنا الإبل خاصة لأنها التي تركب ويحمل عليها في أكثر العادات واللام في قوله «لِتَرْكَبُوا» لام الغرض وإذا كان الله تعالى خلق هذه الأنعام وأراد أن ينتفع خلقه بها وكان جل جلاله لا يريد القبيح ولا المباح فلا بد أن يكون أراد انتفاعهم بها على وجه القربة إليه والطاعة له «وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ» يعني من جهة ألبانها وأصوافها وأوبارها وأشعارها «وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صِيْدُورِكُمْ» بأن تركبوها وتبلغوا المواضع التي تقصدونها بحوائجكم «وَعَلَيْهَا» أي وعلى الأنعام وهي الإبل هنا «وَعَلَى الْفُلُوكِ» أي وعلى السفن «تُحْمَلُونَ» يعني على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في الأسفار علم الله سبحانه أنا نحتاج إلى أن نسافر في البر والبحر فخلق لنا مركبا للبر ومركبا للبحر.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٨١ الى ٨٥]

اشاره

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَآيَ آيَاتِ اللَّهِ تُنَكِّرُونَ (٨١) أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ حَيْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)

ثم قال سبحانه مخاطباً للكفار الذين جحدوا آيات الله و أنكروا أدلته الداله على توحيده «وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ» أى و يعلمكم حججه و يعرفكم إياها و منها إهلاك الأمم الماضيه و وجه الآيه فيه أنهم بعد حصولهم فى النعم صاروا إلى النقم بكفرهم و جحودهم و منها الآيه فى خلق الأنعام التى قدم ذكرها و وجه الآيه فيها تسخيرها لمنافع الخلق بالتصريف فى الوجوه التى قد جعل كل شىء منها لما يصلح له و ذلك يقتضى أن الجاعل لذلك قادر على تصريفه عالم بتدبيره «فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ» هذا توبيخ لهم على الجحد و قد يكون الإنكار و الجحد تارة بأن يجحد أصلاً و تارة بأن يجحد كونها داله على صحه ما هى دلالة عليه و الخلاف يكون فى ثلاثه أوجه إما فى صحتها فى نفسها و إما فى كونها دلالة و إما فيهما جميعاً و إنما يجوز من الجهال دفع الآيه بالشبهه مع قوه الآيه و ضعف الشبهه لأموار (منها) اتباع الهوى و دخول الشبهه التى تغطى على الحجه حتى لا يكون لها فى النفس منزله (و منها) التقليد لمن ترك النظر فى الأموار (و منها) السبق إلى اعتقاد فاسد لشبهه فيمنع ذلك من توليد النظر للعلم ثم نبههم سبحانه فقال «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» بأن يَمروا فى جنباتها «فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ» عدداً «وَ أَشَدَّ قُوَّةً» أى و أعظم قوه «وَ آثَاراً فِي الْأَرْضِ» بالأبنيه العظيمة التى بنوها و القصور

المشيده التي شيدوها وقيل بمشيهم على أرجلهم على عظم خلقهم عن مجاهد فلما عصوا الله سبحانه وكفروا به وكذبوا رسله أهلكتهم الله واستأصلهم بالعذاب «فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أى لم يغن عنهم ما كسبوه من البنيان والأموال شيئا من عذاب الله تعالى وقيل إن ما فى قوله «فَمَا أَغْنَى» بمعنى أى فالمعنى فأى شىء أغنى عنهم كسبهم فيكون موضع ما الأولى نصبا وموضع ما الثانيه رفعا ثم قال سبحانه «فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ» أى فلما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العباده له بالحجج والآيات وفى الكلام حذف تقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها وأنكروا دلالتها و وعد الله الرسل بإهلا-ك أمهم ونجاه قومهم «فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» أى فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك عن الجبائى وقيل معناه فرح الكفار مما عندهم من العلم أى بما كان عندهم أنه علم وهو جهل على الحقيقه لأنهم قالوا نحن أعلم منهم لا- نبعث ولا- نعذب واعتقدوا أنه علم فأطلق عليه لفظ العلم على اعتقادهم كما قال حُجَّتُهُمْ دَاحِضَهُ وَقَالَ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ أى عند نفسك أو عند قومك عن الحسن ومجاهد وقيل معناه فرحوا بالشرك الذى كانوا عليه وأعجبوا به وظنوا أنه علم وهو جهل وكفر عن الضحاك قال والمراد بالفرح شدة الإعجاب «وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» أى حل بهم ونزل بهم جزاء استهزائهم برسلمهم من العذاب والهلاك «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» أى عذابنا النازل بهم «قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ» أى كفرنا بالأصنام والأوثان «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» أى عند رؤيتهم بأس الله وعذابه لأنهم يصيرون عند ذلك ملجئين وفعل الملجأ لا يستحق به المدح «سَيِّئَتِ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِ فِي عِبَادِهِ» نصب سنه الله على المصدر ومعناه سن الله هذه السنه فى الأعم الماضيه كلها إذ لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب والمراد بالسنه هنا الطريقه المستمره من فعله بأعدائه الجاحدين «وَوَخَّسَتْ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ» بدخول النار واستحقاق النعمه وفوت الثواب والجنه والله التوفيق وحسبنا الله ونعم المولى ونعم النصير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩